
١٨
اخترنا لك
فى مواجهة
الحرب الباردة
Against the Cold War
CHANAKYA SEN
بقلم
تشاناكيا سن
ترجمة عبد الرازق ابراهيم
محمد عبد الله الشفقى
الدكتور مصطفى فهمى

اخترنا لك

في مواجهة الحرب الباردة

تأليف : تشانا كياسن

ترجمة : عبد الرازق ابراهيم

مراجعة : محمد عبد الله الشفقي

تقديم : الدكتور مصطفى فهمي

تقديم

« الحرب الباردة » ظاهرة من ظواهر العلاقات الدولية أو المسرح العالمى فى القرن العشرين نشأت كنتيجة للتطاحن الفكرى والخلاف الايديولوجى بين دول كانت تعتقد فى وقت ما خلال نضالها المشترك فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية ، أن لديها ذخيرة حية من أسس الصداقة ، وعوامل التقارب بما يقضى على اسباب الفرقة وعناصر الخلاف ، الا أنه ماكادت الحرب تنتهى وينتصر الحلفاء حتى ظهرت بوادر النزاع بما يخلق فى جو العلاقات الدولية تيارات باردة من عدم الثقة والتشكك والتنافس لابست مناورات عدة لاستعادة مراكز ثقل فى الميزان الدولى أو للاستيلاء على مواقع جديدة قلبت موازين القوى وتطورت ثم تبلورت لتعرف فى العلاقات الدولية الحديثة باسم «الحرب الباردة » .

ولا يقل تأثير « الحرب الباردة » فى عرقلة التقدم الانسانى عن الحرب الحقيقية ، لذلك فليس غريبا أن يتشبث المحبون للسلام بمحاولات كثيرة ومتكررة لتخفيف حدة الحرب الباردة ، والتقليل من خطورتها .

وجدير بالذكر أن **الجمهورية العربية المتحدة** قد قامت قبل ، وبعد مؤتمر باندونج فى أبريل سنة١٩٥٥ بدور أساسى فى تخفيف حدة «الحرب الباردة » بين الكتلتين والدعوة الى مبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز، وسياسة **الجمهورية العربية المتحدة** الخارجية ونشاطها فى المجالات الدولية يؤكدان بصورة قاطعة هذا الاتجاه : فباندونج الى بريونى والدار البيضاء الى بلغراد ، كلها مؤتمرات دولية ساهمت فيها **الجمهورية العربية المتحدة** مساهمة فعالة ، رسمت وخططت لمبادىء السلام العالمى القائم على العدالة والمساواة بما يبعد العالم عن تيارات المعسكرات السياسية .

واذا كانت بعض هذه الدول قد تمسكت فى سياستها بعدم الانحياز فان **الجمهورية العربية المتحدة** قد قامت بتطبيق وتنفيذ هذه السياسة بصورة ايجابية :

فالمبدأ الاول من مبادىء الثورة ((**القضاء على الاستعمار**)) ما هو الا تأكيد لضرورة الابتعاد عن المعسكرات والارتباطات العسكرية الدولية، فقد قاوم الشعب العربى فى مصر التكتل العسكرى ، وتمسك بضرورة الجلاء غير المشروط للقوات البريطانية عن القناة ، فلم تقبل حكومة مصر اى مشروعات ((للدفاع المشترك)) مما اقترحته الدول الغربية ، فكان ذلك تأكيدا عمليا لمبدأ عدم الانحياز فى مرحلة دقيقة من مراحل تقرير المصير ، أوضح ان تمسك **الجمهورية العربية المتحدة** وشعبها بمبادىء عدم الانحياز لايعود الى باندونج بل يرجع الى عقيدة راسخة وايمان مكين بأن ((التكتلات العسكرية)) انما هى تهديد صارخ للسلام والأمن الدوليين وانتقاص لسيادة الدول التى تقبل مثل هذه الارتباطات،

وقد اكد الميثاق الوطنى هذه الحقيقة عندما ذكر أن ((اصرار شعبنا على محاربة الاحلاف العسكرية التى تريد ان تجر الشعوب برغم ارادتها الى فلك الاستعمار كان صوتا عاليا بالحق ارتفع فى جميع المجالات منبها ومحذرا .

وتاريخ العلاقات الدولية للجمهورية العربيه المتحده يوضح بما لايدع مجالا للشك أن مبدأ عدم الانحياز كان رائدا وهاديا فى تسيير علاقاتنا مع مختلف القوى الدولية .

والخطوات العملية فى السياسة الخارجية العربية تأكيد لهذا المبدأ : فما وقفة السويس سوى برهان عملى على تمسك شعب **الجمهورية العربية المتحدة** بعدم الانحياز ، وما انتصار الرأى العام العالمى لشعب **الجمهورية العربية المتحدة** المكافح والمناضل فى سبيل استقلاله سوى تأكيد لمدى نجاح وفاعلية هذه السياسية ، فقد جاء بالميثاق الوطنى ان شعبنا الذى عقد العزم على رفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت أن تجره الى مناطق النفوذ قاد مقاومة هائلة فى الشرق الاوسط كلهضد حلف بغداد حتى اسقط ولم يتردد فىمواجهة العدوان الثلاثى المسلح الذى أقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى ، زحفتا عليه من القاعدة الاستعمارية التى خلقتها المؤامرة الرامية الى ارهاب الامة العربية وتمزيقها وهى ((اسرائيل)) .

ومساندة الجمهورية العربية المتحدة لتحركات التحرر والنضال ضد الاستعمار اينما وجد ماهى الا اثبات قاطع لتمسك الجمهورية بمبادئها ، فمناصرة الجمهورية العربية المتحدة للجزائر وثورتها ضد الاستعمار الفرنسى بالتأييد المادى والادبى ما هو الا مثل واحد يضرب فى هذا السبيل ، يضاف اليه قيام الجمهورية العربية المتحدة بارسال قواتها المسلحة ونقلها عبر البحر الاحمر لتقف الى جوار الشعب اليمنى فى ثورته ضد الرجعية والاستعمار .

فلأول مرة فى التاريخ يخرج جيش من بلاده لا غازيا ولا فاتحا ولا مستعمرا بل يخرج ناصرا لمبادىء ثابتة رافعا للواء الحرية التى يؤمن بها شعب **الجمهورية العربية المتحدة** ، وقد جاء بالميثاق ما يؤكد أن شعبنا الذى يعيش على الباب الشمالى الشرقى لافريقية المناضلة وبين القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

ان ارتباط ودور **الجمهورية العربية المتحدة بمجموعة** الدول الآسيوية والافريقية ومواقفها الدولية لا يرجع فقط الى مؤتمر باندونج بل الى التعاون الصادق الذى قام بين مصر وبين الدول الاسيوية بالامم المتحدة بعد سنة ١٩٥٢ فى أعقاب المحاولات الاولى التى قامت بها بعض الدول فى سنة ١٩٥٠ نظام مؤقت للمجموعة الآسيوية الافريقية ظل على حاله الى ان ظهرت المجموعة الآسيوية الافريقية على مسرح السياسة الدولية بصورة واضحة وتبلورت فى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ وبدأ تأثيرها ووزنها فى الجمعية العمومية للامم المتحدة وخارجها يتحدد وتظهر قيمته ووزنه فى المعترك الدولى .

ان الميثاق قد أوضح الخطوط الثلاثة العميقة للسياسةالخارجية للجمهورية العربية المتحدة والتى تعبر عن كل مبادئها الوطنية ، وهى الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى جميع أقنعته ومحاربته فى كل أوكاره ، والعمل من أجل السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى ، ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوافره .

وهذه المبادىء الثلاثة لسياستنا الخارجية تحمل فى طياتها وتمزج بين أعطافها سياسة عدم الانحياز .

واختيار الجمهورية العربية المتحدة عضوا فى لجنة الدول الثمانى عشرة لبحث موضوع نزع السلاح اعتراف دولى وتأكيد رسمى لوقوفنا الدائم كدولة غير منحازة لها وزنها وثقلها فى المجموعة الآسيوية الافريقية، فقد كان اختيار الجمهورية العربية المتحدة فى هذه اللجنة على أساس تمثيلها للقارة الافريقية وقد ضمت اللجنة خمسا من الدول الغربية وخمسا من الدول الشرقية وثمانيا من دول عدم الانحياز .

وقد قامت الجمهورية العربية المتحدة بالدعوة الى مبدأ عدم الانحياز فى مؤتمر اديس ابابا (أقطاب افريقية) هذا العام ، فهى دائما الداعية الى سياسة عدم الانحياز للتخفيف من حدة « الحرب الباردة » وصيانة السلام والامن الدولى .

يتضح من ذلك كله أن « الحرب الباردة » من الاخطار التى تهدد السلام الدولى بصورة فعالة ، وان هناك دولا محبة للسلام تقف فى وجه الحرب الباردة لتحد من خطرها ، وتمتد هذه الدول بين القـــارتين المناضلتين آسيا وافريقية .

وهذا الكتاب يقوم بتحليل دور هذه الدول فى العمل على توطيـــد السلام والأمن الدولى ، ولا شك أن الجمهورية العربية المتحدة تقف من ذلك كله فى مركز لاتدانيها فيه الا كل دولة عقدت العزم على حب السلام ومناصرة الشعوب المكافحة فى كل مكان بكرم وشجاعة وفداء وسخاء .

دكتور
مصطفى فهمى

مقدمة

أصبح عدم الانحياز سياسة معترفا بهـا على الصـعيد الدولى ، واصبحت كلتا الكتلتين تضعانه فى اعتبارها .

تشكك الكثيرون فى عدم الانحياز .. فى الغرب والشرق ، وسايره كثيرون فى بعض الاحيان لتحقيق أغراضهم ، ولكن عدم الانحيـاز برغم كل هذا اثبت وجوده فى العالم ، وخرج أخيرا ، من معركة التحدى التى تعرضت له ، قوة فعالة يلاذ بها كلما وصل الامـر بالكتلتين الى حـافة الهاوية .. فلقد تدخلت الدول غير المنحازة ، وقامت بدورها فى أزمـة كوبا .. وأقلت العالم من الازمة ، وتدخلت فى أزمـة الحـدود الصينية الهندية ، واستطاعت ، لاول مرة ، أن تقدم مقترحات واضحة محـددة قبلها الطرفان ، كأسـاس عادل لاجراء المفاوضات .

غير أن القصة طويلة .. وكان الصراع فيها قويا وجبارا ، وصل فى بعض فصوله الى حد العدوان المسلح .. ووصل فى فصول أخرى الى الحصار الاقتصادى ومنع المعونات والمساعدات ، وبرغم ذلك قاومت الدول غير المنحازة ، قاومت بشدة واصرار .

والواقع أن فلسفة عدم الانحياز تنبع من صميم مبـادىء هـذه الدول ومذهبها فى الحيـاة ، فقد بدأت الحرب البـاردة ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكانت الحرب الباردة بين حلفـاء فترة الحرب بين الحلفـاء الذين قضوا على ألمانيـا النازية بجهـدهم المشترك ، وكانت هذه الحرب تتعلق بأوربا وتدور حولها ، ولم يكن لدول آسيا وأفريقية أى دخل فيها أو غرض .

ومما ضاعف من الصراع بين حلفاء فترة الحرب ، ان ميزان القوى فى العالم كان قد تغير تماما ، فلم تعد أمريكا فى عزلتهـا التقليدية ، بل تقدمت لتمسك بزمام زعامة الدول الغربية او المعسكر الغربى فى الحرب الباردة . وتراجعت بريطانيا وفرنسا الى الخلف قليلا أو كثيرا لتصبحا دولتين من الدرجة الثانية ، تلعقان جراحهما وتنظران الى الدمار الذى

حل بهما نتيجة للنصر الذى أحرزتاه فى الحرب العالمية الثانية ، ونجد من ناحية أخرى الاتحاد السوفيتى وقد خرج من الحرب معتدا بقوته التى استطاع أن يكسر بها شوكة هتلر والنازية ، وظل الصراع قائما بين الكتلتين : الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية وتعتنق الراسمالية مذهبا وعقيدة ، والكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتى وتؤمن بالماركسية اللينينية دينا لها ؛ وانتقل الصراع من مسألة الى أخرى فمن صراع حول القنبلة الذرية ، الى نزاع حول برلين وحصارها ، بيد أن الحرب لم تخرج عن نطاق أوروبا ، التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت المجتمع العالمى كله ، فلم يكن لآسيا وافريقية اى وزن فى هذا المجتمع .

ثم دخلت الحرب الباردة الى آسيا . . دخلت حينما تحولت الصين الى دولة شيوعية حليفة للاتحاد السوفيتى . وكان هذا النصر الذى أحرزته الكتلة الشرقية أقوى بكثير من القنبلة الذرية التى لم يكن الاتحاد السوفيتى قد حصل عليها بعد . ومنذ ذلك الحين والحرب الباردة على أشدها فى قارتى آسيا وافريقية .

وجاء عام ١٩٥٥ — عام باندونج — واجتمعت الدول المستقلة فى القارتين لتحدد أهدافها وتنطلق نحو آمالها . وكان أن أصدر المؤتمر قراراته العشرة الشهيرة التى ان أردنا تلخيصها فى كلمتين فهما :التعايش السلمى ومناهضة الاستعمار ، وهكذا وضعت دول آسيا وافريقية لاول مرة فى تاريخها الحديث فلسفة وسياسة لاتقتصران عليها وحدها انما تمتدان الى جميع الدول المحبة للسلام .

وظهرت فى العالم « روح باندونج » لتتشبع بها سياسة بعض الدول ولترغم الدول الاخرى على احترامها أو مسايرتها على الاقل . وعقدت مؤتمرات عالمية كثيرة فى ظل مبادىء هذا المؤتمر . فعقد مؤتمر بريونى الذى كان يضم الرئيس عبد الناصر والرئيس تيتو والرئيس نهرو ، كما عقدت اجتماعات ثنائية بين رئيسى الوزراء الهندى والصينى لفض المنازعات القائمة بين البلدين حول الحدود .

واخيرا ، فى عام ١٩٦٠ ، بعد دخول الدول الافريقية الجديدة الامم المتحدة بدأ التفكير فى عقد مؤتمر للدول غير المنحازة فى العالم ، وكان هذا المؤتمر نتيجة طبيعية لاحداث ضخمة مضت وكان وليد ارادة شعوب استطاعت أن تمارس هذه الارادة لاول مرة منذ اجيال طويلة . كما أن مؤتمر دول عدم الانحياز كان ضروريا بعد أن قام مؤتمر باندونج — بمبادئه العشرة — بدوره خير قيام . لقد جمع هذا المؤتمر بين شعوب هاتين القارتين ، دون نظر الى مذهب أو عقيدة ، من أجل مناهضة الاستعمار والقضاء عليه . كانت هناك الصين الشعبية التى تدين بالمذهب

الشيوعى . وباكستان وبورما المواليتان للغرب . ومصر والهند اللتان كانتا قد أعلنتا وقوفهما على الحياد ورفضهما دخول الاحلاف ومناطق النفوذ .

وكانت هذه المرحلة ضرورية من أجل تجميع قوى هذه الشعوب لتحرير القارتين من بين براثن القوى المعادية للتحرر والتقدم . وكان المؤتمر الجديد المزمع عقده مرحلة جديدة فى النضال العالمى مرحلة بناء أسس وقيم جديدة للعالم من أجل المحافظة على السلام فيه ، ومنع ترديه فى هاوية الحرب الذرية والنووية وتحملت الجمهورية العربية المتحدة ، ويوغوسلافيا ، والهند ـ بتأييد من أندونيسيا وغانا وغينيا ـ عبء هذه المرحلة الجديدة ، وأخذت بزمام المبادرة ، ودعت الى مؤتمر لدول عدم الانحياز لبحث مشاكل هذه الدول وتسوية المشاكل العالمية بالطرق السلمية . وعقد مؤتمر تحضيرى فى القاهرة حضرته الدول التى وافقت على الدعوة وتقرر فى هذا المؤتمر تحديد خمسة معايير يتم على أساسها وصف دولة بأنها غير منحازة ، ومن ثم دعوة هذه الدول لحضور المؤتمر الذى تقرر عقده فى بلغراد . وكانت هذه المعايير الخمسة تقضى بأنه يتعين على الدولة غير المنحازة أن تتبع سياسة مستقلة ، سياسة التعايش مع الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة ، ويتعين عليها أن تساند ، باستمرار ، حركات الاستقلال الوطنى ، وينبغى ألا تكون هذه الدولة عضوا فى تحالف عسكرى متعدد الاطراف ضمن نطاق سياسة الدول الكبرى ، واذا كان لديها اتفاق ثنائى مع دولة كبيرة أو عضو فى حلف دفاعى اقليمى ، فانه يتعين الا تكون الاتفاقية أو الحلف داخل نطاق الحرب الباردة ، واذا كانت قد نزلت عن قواعد عسكرية لدولة أجنبية فيتعين الا يكون ذلك قد تم فى نطاق الحرب الباردة أيضا .

وكان المؤتمر التحضيرى فى القاهرة أول محاولة لتحديد معنى عدم الانحياز كفلسفة وسياسة دولية . وعقد مؤتمر عدم الانحياز فى بلغراد فى الاول من سبتمبر عام ١٩٦١ وحضرته خمس وعشرون دولة من دول عدم الانحياز .

وأصدر المؤتمر قراراته التى اتخذها بشأن الموقف الدولى والمشاكل التى تهم العالم مثل مشكلة برلين ، وفلسطين ، والجزائر ، وأنجولا ، كما وجه المؤتمر نداء للسلام ، الى كل من الرئيس كنيدى والمستر خروشوف . ونجح المؤتمر فى تثبيت مبادىء عدم الانحياز ، وجعلها سياسة فعالة فى المجتمع الدولى .

ونجحت دول عدم الانحياز فى التوسط فى كثير من المشاكل ، وفرضت رأيها عليها فى بعض الاحيان ، فقد تدخلت فى أزمة كوبا . . وأفلت

العالم من ازمتها الرهيبة ، وتدخلت المحـادثات الدائرة حول نزع السلاح واستطاعت ان تقرب الى حد ما ، بين بعض وجهات نظرالطرفين .
واخيرا تدخلت دول عدم الانحياز متمثلة فى ست دول منها اجتمعت على شكل مؤتمر فى كولومبو ، فى النزاع القائم بين الهند والصين حول الحدود هذا النزاع الذى تطور الى حد الاعتداء المسلح وتبادل اطـلاق النـار وخرجت هذه الدول بمقترحات مجددة لحل النزاع بين البلدين مما جعل السـيد « على صبرى » رئيس المجلس التنفيـذى فى الجمهورية العـربية المتحدة يقول : « فى رأيى اننا استطعنا ان نثبت أن دول عدم الانحيـاز تستطيع أن تقف من أية مشـكلة شائكة بهذا الشـكل ، موقفا يؤدى الى حلها مع صعوبة الموقف والجو المحيط بها . وهى أول مشكلة من نوعها تواجه عدم الانحياز . فقد كانت كل المشاكل التى واجهتها تلك الدول ـ أى دول عدم الانحياز ـ مشاكل بين دول الاستعمار ، ودول كانت مستعمرة أصلا . أو مواقف ناتجة عن مشاكل دولية متنـازع عليها بين الكتلتين الشرقية والغربية وقد كان من السهل اتخاذ موقف بصدد هذه المشـاكل وأن تعبر دول عدم الانحياز عن رأى موحد فيها » .

أما مشكلة الهند والصين فتختلف عن ذلك لانها تخص دولتين من دول باندونج ، ومن أكبر دول آسيا ، ولكل منهما تأثيرها على سـياسة القارة الآسيوية وعلى المجموعة الآسيوية الافريقية وبرغم صعوبة الموقف ودقته اسـتطاعت دول عدم الانحياز أن تثبت قدرتها على مواجهة المشكلات . وحتى لو لم تكن دول عدم الانحياز قد حققت كل هذا النجاح فانه يكفى على الاقل أنها منعت تدهور الموقف بين الهند والصين الى أسوأ مما كان عليه وأبعدت الى حد كبير احتمـال العودة الى النزاع المسلح . .

وبعد فان الكتاب الذى بين أيدينا يقدم لنا صورة لنضال هـذه الدول حتى انعقاد مؤتمر بلغراد من وجهة نظر صحافى هندى هو المستر تشاناكياسن .

مقدمة المؤلف

حينما كان هذا الكتاب فى المراحل الاخيرة من الطبع وقعت حادثة فوق التربة الهندية ذات أثر هائل ، ففى يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٩٦١ قامت القوات الهندية بالتحرك الى داخل الجيوب البرتغالية الثلاثة : جوا ، ودامان ، وديو ، وحررتها جميعا فى مدى أربع وعشرين ساعة واستسلم الجنود البرتغاليون دون اية مقاومة .

وقد قامت الحكومة البرتغالية ــ التى كانت تتحدى دائما قرارات الامم المتحدة حول الاستعمار ، والتى تم ادانتها من جديد فى الجمعية العامة للامم المتحدة قبل ذلك بأيام قليلة بسبب سياستها الاستعمارية ــ بتقديم شكوى لدى مجلس الامن . وعارضت الدول الاربع الافريقية ــ الآسيوية الاعضاء فى مجلس الامن قرارا « أنجلو ــ أمريكى » يدعو الى وقف اطلاق النار فى الحال وسحب القوات الهندية من الجيوب البرتغالية كما استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو ضد هذا القرار واذ تمت هزيمة هذه الخطوة الانجلو ــ أمريكية ، والتى قوبلت هزيمتها بالاستحسان فى آسيا وافريقية رأى مستر أدلاى ستيفنسون المندوب الامريكى فى الامم المتحدة بداية تفكك محتمل للامم المتحدة . فقد قال : « اننا نشهد الليلة الفصل الاول من مأساة قد تنتهى بالقضاء عليها (أى الامم المتحدة) اننى أذكركم أن عصبة الامم قد انتهت حينما لم يعد أعضاؤها يقاومون مبدأ استخدام القوى العدوانية » وبعد مضى تسعة أيام فى الثامن والعشرين من ديسمبر تحدث لورد هيوم وزير الخارجية البريطانى عن « أزمة ثقة فى الامم المتحدة » ، وقال :

« لقد ظهرت هذه الازمة لان عددا من الدول قام ــ لاول مرة منذ انشاء الامم المتحدة ــ بالتصويت جهارا . وبدون خجل ، مؤيدا مبدأ استخدام القوة لتحقيق بعض الاهداف القومية . وأيدت أربع دول أعضاء فى مجلس الامن قرارا بالتجاوز عن استخدام الهند القوة ضد جوا ولو كانت هذه المناقشة فى الجمعية العامة ، لصوتت دول أخرى كثيرة بل ربما الاغلبية بالطريقة نفسها لقد تكهن كثير منا بأزمة الثقة هذه » .

واذ نظر وزير خارجية بريطانيا الى الثلاث والخمسين دولة الجديدة فى آسيا وافريقية ، والتى تتمتع بعضوية الامم المتحدة ، واذ نظر الى معارضتها الشديدة للسيطرة الغربية على شعوب ما وراء البحار والموارد الطبيعية الكامنة فى اراضيها ، وجد فى هذا تهديدا ـ لايعادله تهديد ـ للقانون والنظام الدوليين . وقد حذر انه اذا ما استغلت الامم المتحدة فى الاعتداء على القانون الدولى ، أو اذا شلت حركتها فى حالة استخدام الامم الافرو ـ آسيوية للقوة ضد مصالح الغرب الشرعية ، فان الدول الغربية قد يتعذر عليها البقاء فى المنظمة العالمية .

وقد جاءت غضبة وزير الخارجية البريطانى هذه . فى وقت كانت فيه الحكومة البريطانية نفسها متهمة بمعارضتها الخفية لمهمة الامم المتحدة فى الكونغو . فبعد أن فضح الدكتور كونور أوبريان ، الايرلندى ، نشاط المناورات التى تحاك حول كاتانجا فى الخفاء ، أماطت الحكومة البريطانية اللثام عن موقفها ، تعضدها دول استعمارية أوروبية مثل فرنسا وبلجيكا والبرتغال وهولندة ، ويساندها رجال مثل سير روى ويلنسكى ، فعارضت مهمة الامم المتحدة التى كانت تتمتع ، مع ذلك بتأييد الولايات المتحدة .

وقد جاء الرد الافرو ـ آسيوى على الاتهام الانجلو ـ امريكى ، من جانب مستر نهرو رئيس الوزراء الهندى . ففى مؤتمر صحفى عقده بنيودلهى فى ٢٨ من ديسمبر قال نهرو وهو يشير الى أحداث كاتنجا وانجولا : « ان بعض الامور التى نعتبرها خطيئة كبيرة ، تعتبرها الدول الغربية مجرد سوء تصرف بسيط ، يمكن أن تمر عليه مر الكرام ، وبعض الامور التى نعتبرها نحن سوء تصرف بسيط ، تعتبرها هذه الدول خطيئة كبيرة . وهكذا تختلف قيمنا ، ومن الواضح أن مقاييسنا تختلف كذلك . ان مايقال عن الخطر الذى يتهدد الامم المتحدة يبدو وكأنه خطر نابع من الحقيقة التالية وهى أن البلاد الآسيوية ـ الافريقية قد أصبحت لها وزنها أكثر مما كانت عليه من قبل » .

وقد استنكر مستر نهرو هذا الانشقاق المتزايد بين أمم الغرب والامم الحديثة فى افريقية وآسيا التى تخلصت من السيطرة الاجنبية .

ان هذا الانشقاق قد يؤدى الى أحداث تفكك فى المجتمع الدولى .

ويرجع هذا الانشقاق فى جوهره الى فشل الغرب فى تقدير المغزى الحقيقى لظهور آسيا وافريقية الذى وصف بحق بأنه أكبر حدث فى عصرنا . وقد أدى الضعف الذى أصاب الفكرة الاستعمارية التى عمرت قرونا ، الى حدوث تحول كامل فى العلاقات الدولية : وأصبحت الظاهرة

اللا أخلاقية واللا طبيعية الخاصة بتحكم عدد قليل من الامم القوية فى سكان العالم كله تقترب سريعا من نهايتها .

والكتاب محاولة لتوضيح مغزى ظهور الدول الافرو ــ آسيوية فى عالم تكتنفه الحرب الباردة . ولا شك فى أن الحرب الباردة ، فى ذاتها ، تعبير عن التغيير الجوهرى الذى طرأ على علاقات الدول بعضها ببعض . بيد أن هذه الحرب قد أسهمت ،بشكل كبير ، فى عملية ظهور الدول الافرو ــ آسيوية . كما أنها فى الوقت نفسه تهديد خطير لاستقلال ورخاء هذه الدول الجديدة التى تحاول ــ لهذا السبب ــ أن تكبح جماح الحرب الباردة قدر استطاعتها .

وبينما نجد غزارة فى انتاج الكتب التى تتناول مشاكل آسيا وافريقية وظهور الدول الجديدة فيها ، نجد أن المؤلفين الغربيين يعالجون الموضوع من وجهة نظر بلادهم على حين تعانى المطبوعات الشيوعية من نظرة مذهبية جامدة .. والكتاب الحالى محاولة لتفسير المشاكل المعاصرة من وجهة النظر الافرو ــ آسيوية ، حتى يستطيع القراء الغربيون أن يتفهموا الدوافع العميقة التى تحرك الجهود الانسانية فى آسيا وافريقية ، كما أنه قد يساعد القراء فى البلاد الافرو ــ آسيوية على تفهم أهمية نجاحهم ، وفشلهم ، وكفاحهم .

ويدين المؤلف بالكثير لعدد كبير من الكتاب والمعلقين فى بلاد مختلفة، الذين سعى الى دراسة مؤلفاتهم وكتاباتهم مما عاد عليه بالنفع . كما انه مدين بالشكر لكثير من الاصدقاء والمتحمسين الذين قدموا مساعدات قيمة فى اعداد هذا الكتاب ، وهو مدين بالشكر خاصة لمستر ف . ل . رامانتان الذى ساعد فى جميع مراحل الكتاب كماكلف نفسه عناء المساهمة فى تبويبه ويجد المؤلف لزاما عليه أن يوجه الشكر الى زوجته على ماأبدته من صبر ، وما قدمته من مساعدة فى عملية التبويب .

١٠ من فبراير عام ١٩٦٢

تشرانا كيانسن

نيودلهى

الفصل الأول

الحرب الباردة تدخل آسيا

تم فى الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٥ الانهيار الكامل فى صفوف دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية . وبعد ذلك بأيام ثلاثة وفى السابع عشر من أغسطس قامت ثلة من الاندونيسيين ، فى اجتماع يتسم بالحماس المكتوم فى ركن متواضع فى جاكارتا باعلان استقلال اندونيسيا ، ولم تمض ستة أسابيع الا كانت القوات البريطانية قد هبطت فى اندونيسيا كى تشن أول حرب استعمارية فى فترة مابعد الحرب . ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا وآسيا وافريقية لاتخلوان تماما — ولو ليوم واحد — من حرب ضد الاستعمار .

غير أن الحرب مادة كيمائية عجيبة ، فانها تضم فى ذراتها الخفية ، عناصر غير مرئية تمزق أحلام المنتصرين والمهزومين على السواء . . فالحرب العالمية الثانية التى فاقت بكثير أية حرب أخرى فيما استنفدته من موارد الارض ، قد أطلقت قوى غريبة من عقالها ، غيرت بطريقة عجيبة من وجه القارات . فالعالم الذى أشعل الحرب ، اندثر معظمه معها . وعندما انتهت الحرب ، ظهر عالم جديد ليحل محل العالم القديم ، وتغير ميزان القوى تماما . وكان الوضع الجديد للامور ، ذلك الوضع الذى ظل يحير الساسة فى جميع أنحاء العالم ويثير دهشتهم ، ينطوى على تطور لم يتكهن به أحد من قبل ، تطور يستدعى اهتماما غير عادى . وكان هذا التطور هو يقظة آسيا وافريقية .

ان الحرب الباردة لم تبدأ فى أية من القارتين أو بسببهما . وحينما هبط البريطانيون فى أندونيسيا ، واستخدموا القوات اليابانية فى محاربة القوات الوطنية ، كانت الولايات المتحدة أكثر من تعرض للاحساس بالصدمة والدهشة . وقد جاء انقاذ الجمهورية الاندونيسية الوليدة من بين مخالب الاستعمار ، عن طريق تدخل الولايات المتحدة الى حد كبير . أما الاتحاد السوفيتى فكان مايزال يلعق جراح النصر ، ولم يمتد اهتمامه الى ما وراء حدود بولندا .

وقد أوضح رئيس الوزراء البريطاني ، خلال الحرب ، أن المثل العليا السامية التى تضمنها ميثاق الاطلنطي ليست خليقة بقارتي آسيا وافريقية المستعبدتين . وبعد الحرب كانت الدول الاستعمارية الاوروبية مصممة على المحافظة على مافي أيديها ، وعلى استعادة ما نزلت عنه لليابان .

لقد بدأت الحرب الباردة في أوروبا وبسبب أوروبا . فانها كانت صراعا عالميا خفيا أخذ يستجمع قواه على مر السنين حتى أصبحت شاملة في طابعها . وحينما بدأت هذه الحرب ، لم يعبأ مشعلوها بالمشاعر الآسيوية الافريقية ، ولم يتوقفوا لحظة للتفكير في التعهدات التي يدين بها لملايين من البشر تكافح من أجل حياة افضل .

وحينما كانت الحرب ــ العالمية الثانية ــ تقترب من نهايتها وهي تحمل علامات لاتخطىء عن انتصار الحلفاء ، طرح آسيوي عظيم ــ وهو معتقل في سجن بريطاني ــ أسئلة مؤلمة تعذب روح آسيا وافريقية :

« ماذا سيقول زعماء الدول المنتصرة حينما يجتمعون معا بعد أن كللت الحرب جهودهم بالنجاح ؟ اى صورة من صور المستقبل ستتشكل في اذهانهم ؟ والى أى مدى يتفقون أو يختلفون فيما بينهم ؟

أي رد فعل آخر سيحل بهم عندما يغير حماس الحرب . ويحاول الناس العودة الى طرق السلام التى ندر ان تذكروها ؟ وماذا عن حركات المقاومة السرية في أوروبا وعن القوى الجديدة التى أطلقتها من عقالها ؟ ما الذى سيقوله ملايين الجنود ويفعلونه عندما يعودون الى أوطانهم وقد ازدادوا رجاحة في العقل وتمرسا بالتجربة بعد أن صلبت الحرب أعوادهم ؟ أنى لهم أن يتكيفوا مع الحياة التى استمرت في تغيرها حينما كانوا بعيدا ؟ ماذا سيحدث لاوروبا الشهيدة المحطمة وماذا سيحدث لآسيا وافريقية ؟ ماذا عن « الاندفاع الساحق نحو الحرية من جانب مئات الملايين من آسيا » كما وصفه مستر ونديل ويلكي ؟ ماذا عن هذه الامور كلها وماذا عن غيرها ؟ وأهم من هذا كله ، ماذا عن الخدعة الغريبة التى غالبا مايقوم بها القدر فيقلب خطط زعمائنا التى أحسن وضعها ؟ » .

ومن وراء أسوار السجن لم يكن أمام ذلك العقل الكبير الا أن يتكهن بما كان يجرى في مقار رياسة وزراء البلاد المتحاربة .. وكان يعرف أن نهاية الحرب سوف تسبب للامبراطورية البريطانية أزمة لم يسبق لها مثيل ، ولكنه كان يدرك أيضا كيف كان للشعور الاستعماري جذور عميقة في طابع الحكم البريطاني .

وقد أدرك أن ميزان القوى سوف ينتقل ، في عالم مابعد الحرب .

الى موسكو وواشنطن . وكان يعرف أيضا أنه « مهما يكن أمر المستقبل، فانه من الواضح أن اقتصاد الولايات المتحدة الامريكية ، بعد الحرب سيكون اقتصادا توسعيا بصورة جبارة وذا نتائج طاغية تقريبا » وقد تساءل : « هل سيؤدى ذلك الى نوع جديد من الاستعمار ؟ » .

وكانت السياسة المقبلة للاتحاد السوفيتى مازالت لغزا من الالغاز. ولكنه استطاع أن يرى ، عن طريق بعض اللمحات الكاشفة ، أن روسيا تهدف ، فى عالم ما بعد الحرب ، الى أن « تكتسب بلادا صديقة ومستقلة أو شبه مستقلة بالقرب من حدودها بقدر الامكان » . وقد تصور أنه بالرغم من أن الاتحاد السوفيتى قد يعمل فى بعض البلاد الاخرى لاقامة تنظيم عالمى معين ، فانه سيعتمد « أكثر على دعم قوته الخاصة على أساس لايمكن مهاجمته » .

وستحاول أمم أخرى أن تفعل المثل على قدر استطاعتها. وقد فكر جواهر لال نهرو على حين كان يكتب الصفحات الاخيرة من كتاب « اكتشاف الهند » «ان ذلك ليس افتتاحية مشرقة للتعاون العالمى». واستطرد يقول : « ليس هناك بين الاتحاد السوفييتى والبلادالاخرى الصراع الذى يدور بين بريطانيا والولايات المتحدة من أجل أسواق التصدير . ولكن الخلافات أعمق من ذلك فان وجهة نظر كل منهما تتباعد ، ولم يهدأ الشك المتبادل بينهما حتى نتيجة لجهودهم المشتركة فى أثناء الحرب ، واذا ماتفاقمت هذه الخلافات فستميل الولايات المتحدة وبريطانيا الى التودد كل منهما الى الاخرى وتتعاونان ضد مجموعة أمم الاتحاد السوفييتى » .

وتساءل نهرو « أين تأتى مئات الملايين من آسيا وافريقية فى هذه الصورة ؟ » ثم أسرع ليضيف : «لقد تزايد وعيهم بأنفسهم وبمصيرهم. وأصبحوا فى الوقت نفسه على علم بما يجرى فى العالم . فان اعدادا غفيرة منهم تتبع احداث العالم باهتمام . وكان الحكم على كل حركة أو حدث يستند لا محالة الى الاسئلة الآتية :

هل يساعد على تحريرنا ؟

هل ينهى سيطرة دولة على دولة أخرى ؟

هل سيساعدنا على أن نحيا ، بحرية الحياة التى نختارها بالتعاون مع الآخرين ؟

هل يحقق المساواة والفرص المتكافئة للدول ، والطوائف داخل كل دولة ؟

هلّ يحمل ـ هذا الحدث ـ وعدا بتصفية الفقر والجهل فى وقت مبكر ، حاملا معه ظروفا افضل للمعيشة ؟

ان هذه الملايين من شعوب اسيا وافريقية تحمل الشعور بالقومية ولكن هذه القومية لا ترنو الى السيطرة على الآخرين أو التدخل فى شئونهم . ان شعوب اسيا وافريقية ، ترحب بجميع المحاولات لاقامة تعاون عالمى ونظام دولى ولكنها تتساءل وتتشكك فى احتمال ان ذلك ليس خدعة اخرى لاستمرار السيطرة القديمة . فلم تعد المناطق الواسعة من اسيا وافريقية التى يقطنها اناس متيقظون وساخطون يعيشون فى غليان مستمر ، لم تعد تتحمل الاحوال القائمة. ان الظروف والمشاكل تختلف بشدة باختلاف بلدان آسيا ، ولكن خلال هذه المنطقة الواسعة فى الصين والهند ، وفى جنوب شرقى آسيا ، وفى غربى آسيا والعالم العربى ، تجرى خيوط مشتركة من المشاعر ، وروابط غير مرئية تربط بينهم جميعا داخل رباط واحد » .

لقد بدأت الحرب الباردة لأن حلفاء فترة الحرب قد فشلوا فى الوصول الى اى اتفاق حول السيطرة السياسية الخاصة بأوروبا فيما بعد الحرب ، وقد امتد النفوذ السوفييتى الى حوالى نصف القارة الاوروبية ، ولم يكن مارشال ستالين على استعداد للانسحاب أو أن يدخل الى بلاد أوروبا الشرقية نظما سياسية تروق الغرب .

وقد كان ستالين الزعيم الوحيد الذى بقى من زعماء فترة الحرب الثلاثة على قيد الحياة ، فقد مات الرئيس روزفلت ودفع الناخبون البريطانيون بونستون تشرشل الى العزلة السياسية .

والى اليوم لا يزال التساؤل عن كيفية اعلان الحرب الباردة ومكانها ، ومن الذى اعلنها ، موضع جدال . « غير ان العادة قد جرت على تحديد تاريخها بـ : فولتون ، ميسورى ، ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٦ » .

ففى ذلك اليوم القى ونستون تشرشل خطبة بحضور مستر هارى ترومان رئيس الجمهورية الامريكية الذى سبق أن وافق على نص الخطبة . وكان من الواضح ان تشرشل منزعج من وجود القوة العسكرية الروسية الضخمة فى قلب أوروبا ، ومن الفراغ الذى نتج عن انسحاب القوات الامريكية السريع . وكان ان نطق فى خطبة فولتون بذلك التشبيه الذى أصبح مشهورا : « لقد نزل ستار حديدى عبر القارة يبدأ من ستيتين فى البلطيق حتى تريستا فى الادرياتيك » .

كان الاتحاد السوفييتى يهرب بعيدا بثمار الحرب ، شارعا فى

التوسع غير المحدد لقوته وعقائده . لذا كان لزاما على الغرب ان يتحد في وجه اي اتجاه روسي الى التوسع » .

« فاذا وقفت الديمقراطيات الغربية بعضها مع بعض في ايمان صارم بمبادىء ميثاق الامم المتحدة ، فان نفوذها من اجل تطوير هذه المبادىء سيكون هائلا ، ولا يحتمل ان يناوئها في ذلك مناوىء . أما اذا انقسمت على نفسها أو تراخت في اداء واجبها ، واذا سمحت لهذه السنوات الهامة ان تفلت من بين ايديها ، فان الكارثة قد تطيح بنا جميعا بالفعل » .

« وبعد ذلك ببرهة نادى تشرشل بتكوين روابط اقليمية بين الدول غير الشيوعية ، تلك الروابط التي تحولت ، فيما بعد ، الى مجموعة من الاحلاف العسكرية . وأعلن ونستون تشرشل أن الارتباطات الخاصة بين اعضاء الامم المتحدة الذين ليست لديهم أية نوايا عدوانية ضد اية دولة أخرى ، والذين لا يبيتون أية خطة تتعارض مع ميثاق الامم المتحدة ، ارتباطات غير ضارة بأحد ، ومفيدة .. بل واعتقد أنه لايمكن الاستعاضة عنها » .

فاذا لم تكن خطبة فولتون التي ألقاها زعيم بريطانيا ابان الحرب تحدد ـ بالفعل ـ بداية الحرب الباردة ، فقد كانت على الاقل ، أول بيان صريح لها . ونستطيع أن نستند في تأييد قولنا هذا الى مصدر لا يخطىء يتمثل في شخصية مستر تريجفي لي أول سكرتير عام للامم المتحدة ، والذي رفض الاتحاد السوفييتي انتخابه لمدة ثانية بسبب عواطفه الصريحة المؤيدة للغرب .

فقد قال مستر « لي » في معرض تعليقه على خطبة تشرشل « انها كانت مثار جدل كبير ، وقدر كبير من النقد وخاصة بين أواسط الاحرار الاوروبيين ، والديمقراطيين الاشتراكيين وبين أكبر مؤيدي الامم المتحدة في كل مكان تقريبا . وسبب ذلك انه واجه روسيا بالتحدي في وقت كان معظم الناس يأملون فيه بنجاح التعاون مع الاتحاد السوفييتي وقت السلم . وكنت اشاركهم في هذه المشاعر آن ذاك . وحينما نتطلع الى تلك الفترة التي مضت يتضح لنا ان خطبة ونستون تشرشل في فولتون ، كانت ارهاصا للسياسة الغربية التي أنجبت ، بعد ذلك بعام ، مبدأ ترومان ومشروع مارشال ، ثم حلف الاطلنطي بعد ذلك بوقت وجيز . وفي ذلك الحين لم تكن هناك أية حكومة على استعداد لتبني مقترحاته ، كما لم يكن الرأي العام مهيأ بعد ، أما السياسة الحكومية فلم تكن قد تحددت بصورة نهائية » .

وكما سبق أن ذكرنا كان الرئيس ترومان ـ الذى حضر القاء الخطبة ـ قد وافق عليها سلفا . ورفض مستر ترومان أى طلب للتعليق على الخطبة من شأنه أن يوحى بعدم الرضا عن دراسة تشرشل للموقف الدولي . وبعد مضى اسبوعين على القاء هذه الخطبة ، أعلن مستر بيفن وزير الخارجية البريطاني ، الذى كان على علم بالسخط الكبير الذى سببته الخطبة بين الدوائر العمالية ، أعلن فى اجتماع عام أن هذه الخطبة قد القيت على عهدة مستر تشرشل الشخصية ، وان الحكومة البريطانية لم يتم استشارتها ، ولذلك فهى ليست طرفا فيها . وكان اعتراض مستر بيفن فاترا لدرجة كبيرة حتى بات من الواضح ان الحكومة البريطانية تحمل عطفا كبيرا نحو طريقة تشرشل فى التفكير . وان كانت غير مستعدة لاحتضانها على انها سياستها المباشرة .

وقد اقتضى وضع مبدأ تشرشل موضع التنفيذ سنة واحدة بالضبط من حكومة الولايات المتحدة وحكومة بريطانيا العظمى ، فقد قامت أول معركة فى الحرب الباردة بسبب اليونان .

ومن الامور المعروفة أن تشرشل كان يعارض ـ كلية فى أثناء الحرب ـ امتداد النفوذ السوفييتى الى دول البلقان . وعبثا دعا هو والرئيس روزفلت الى تضافر الجهود الانجلو ـ امريكية من أجل انقاذ دول البلقان من ظلال الشيوعية العالمية التى اخذت تمتد فوقها . واذا كان قد فشل فى معظم مناطق البلقان ، فانه اتخذ موقفا صلبا ازاء اليونان . فقد توصل الى تفاهم مع ستالين يقضى بأن توافق الحكومة السوفييتية على اعتبار اليونان منطقة خاضعة للنفوذ البريطانى ، فقد ظلت السياسة البريطانية الخارجية لأكثر من قرن من الزمن تبعد روسيا بنجاح عن تركيا واليونان، وأدرك ونستون تشرشل أنه ما ان تفلت هاتان الدولتان ذواتا الموقع الاستراتيجى الهام ، من قبضة بريطانيا حتى تتعرض الامبراطورية فى آسيا لخطر شديد .

وقد شهدت نهاية الحرب اندلاع حرب أهلية فى اليونان بين مؤيدى الحكومة الملكية والاحزاب اليسارية بزعامة الشيوعيين . وقد وقف حزب العمال فى بريطانيا بجانب الملكية فى اليونان . ولكن بات من الواضح ببداية عام ١٩٤٧ ان بريطانيا العظمى لا تمتلك القوة المادية أو الموارد المالية التى تكفل لها القيام بحملة طويلة فى اليونان. وفى فبراير عام ١٩٤٧ ابلغت الحكومة البريطانية الولايات المتحدة أنها لم تعد قادرة

على مساعدة اليونان وتركيا بسبب مشـاكلها المالية الخطيرة بالداخل والمشاكل التى تعانى منها داخل امبراطوريتها .

وناشد الرئيس ترومان الكونجرس من اجل تخصيص اعتمادات لمساعدة البلدين (اليونان وتركيا) . وقد أعلن وهو يطلب من الكونجرس اعتماد اربعمائة مليون دولار لهذا الفرض : « اننا لن نستطيع ان نحقق اهدافنا الا اذا كنا على استعداد لمساعدة الشعوب الحرة على صيانة نظمها الحرة ووحدتها الوطنية فى مواجهة الحركات العدوانية التى يبدو أنها تفرض عليها نظما استبدادية . ولا يعدو أن يكون هـذا اعترافا جديدا بأن هذه النظم الاستبدادية المفروضة على الشعوب الحرة ، عن طريق العدوان المباشر او غير المباشر ، تقوض صرح السلام الدولى ومن ثم أمن الولايات المتحدة . انني اعتقد انه يتعين ان تقوم سياسة الولايات المتحدة على مساندة الشعوب الحرة التى تقـاوم الخضـوع المدبر من جانب الاقليات المسلحة او الضغط الخارجى » .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى استخدمت فيها عبارة «بلد حر» لكى يقصد بها أية دولة خارج الفلك الشيوعى . وقد وصف مستر وليام هاردى ميكفيل فى كتابه « بداية الحرب الباردة » ، خطبة ترومان بأنها بداية مرحلة جديدة للحرب البـاردة ، مرحـلة تتسم بأنها أكثر وضوحا .

ولم يتوان الجانب الآخـر عن الاستجابة لصـوت نفير الحـرب الباردة : ففى خريف عام ١٩٤٧ تقابل ثمانية عشر مندوبا شـيوعيا بارزا ، بصفة سرية ، لمدة اربعـة أيام فى بولنـدا . وقد مثل الاتحـاد السـوفييتى فى هـذا المؤتمر كل من زدانوف ومالينكوف ، ومن بين القرارات التى اتخذت قرار يقضى باقامة مكتب استعلامات شيوعى يكون مقره الرئيسى فى بلجراد . وقد عرف ، بعد ذلك ، باسم الكومنفورم واعتبره العـالم الغـربى بديلا للكومنتيرن فيما بعد الحـرب . واعلن الكومنفورم ، بصراحة ، فى البيـان الذى اذاعه نبأ تقسيم العـالم الى معسكرين متنافرين :

« لقد تبلور خطان سـياسيان متعارضان : ففى الطرف الاقصى نجد اتحاد الجمهوريات السـوفييتية والبلاد الديمقراطيـة تهدف الى القضاء على الاستعمار ودعم الديمقراطية .. وفى الطرف الآخر نجـد الولايات المتحدة وبريطانيا تهدفان الى دعم الإستعمار وخنق الديمقراطية . ونظرا لان اتحاد الجمهوريات السوفييتية والبـلاد الديمقراطيـة تقف عقبة أمام تحقيق الخطط الاستعمارية التى تهدف الى السيطرة على العالم وسحق الحركات الديمقراطية تعرض الاتحاد السوفييتى وبلاد

« الديمقراطية الجديدة » لحملة ، غداها ايضا تهديد بحرب جديدة من جانب اكثر ساسة الولايات المتحدة وبريطانيا الاستعماريين حبا للدمار. وفى ظل هذه الظروف يتعين على المعسكر الديمقراطى المعادى للاستعمار ان يضم صفوفه ويتقارب ، ويتفق على قاعدة مشتركة لتنفيذ تكتيكاته ضد قوى المعسكر الاستعمارى الرئيسية » .

***

وفى الوقت الذى كانت الحرب الباردة فيه تتشكل ، كان هناك تطور عظيم يدور على اشده فى شبه القارة الهندية القديمة : ففى يناير عام ١٩٤٦ أى قبل أربعة شهور من خطبة تشرشل التى القاها فى فولتون ، قامت بعثة برلمانية مكونة من عشرة اعضاء بالطواف بالهند لمناقشة الموقف السياسى مع زعمائنا الوطنيين . وفى ٢٣ من مارس وصلت الى الهند بعثة من مجلس الوزراء البريطانى ، تتكون من سير ستافورد كريبس ، ولورد بيثك لورانس ، ومستر ا. ف. الكسندر، وفى اغسطس شكل مستر جواهر لال نهرو اول حكومة مؤقتة للهند حتى يملأ الفراغ الناتج عن انسحاب البريطانيين وانتقال السلطة .. وفى ليلة ١٤ من اغسطس عام ١٩٤٧ خرجت الى الوجود دولتا الهند وباكستان من قلب شبه القارة الهندية . واجتمع المجلس التأسيسى الهندى فى منتصف الليل تماما كى يعلن استقلال الامة . وأعلن مستر نهرو فى خطبة خالدة :

« منذ سنوات طويلة مضت ضربنا موعدا مع القدر ، والآن جاء الوقت الذى سنفى فيه بتعهداتنا ، لا بحذافيرها ولكن بالقدر الاكبر منها ، فعندما تدق الساعة معلنة انتصاف الليل ، وحينما ينام العالم ، سوف تبعث الهند الى الحياة والحرية . لقد حانت اللحظة ، ومثل هذه اللحظات نادرة فى التاريخ ، اللحظة التى سنخرج فيها من القديم الى الحديث ، وتنتهى فيها حقبة من التاريخ ، وتفصح فيها روح الامة عن نفسها بعد ان ظلت مخنوقة لفترة طويلة . وفى هذه اللحظة الجليلة نجد انه من المناسب أن نتعهد بخدمة الهند وشعبها ، وان نهب انفسنا لتلك الرسالة الكبرى ، رسالة الانسانية » .

وهكذا نجد انه حتى حينما بدات الحرب الباردة ، كان تقسيم عالم ما بعد الحرب الى ثلاثة معسكرات ـ ذلك التقسيم الذى كان سيفصح عن نفسه فى مدى خمسة عشر عاما ـ واضحا للعين الواعية . وكان نهرو يفكر فى الاسئلة الصامتة التى كانت تجول بخاطر آسيا وافريقية ، حينما كان يجلس فى سجن بريطانى وقد اوشكت الحرب أن تضع اوزارها ، ولم تكن الجروح قد التأمت بعد ، حينما اطلق

تشرشل صيحته من اجل حرب مقدسة جديدة ، ومن اجل ان تتحد الدول الغربية فى مواجهة الشيوعية . وسرعان ماقبل ستالين التحدى، واعلن الكومنفورم تقسيم العالم الى معسكرين متنافرين . غير ان استقلال الهند اقتطع شريحة كبيرة من الارض بعيدا عن حدودالكتلتين المتجمدتين . وقد وضع الاساس الذى ارتفع فوقه ــ فى السنوات المقبلات ــ عالم يتوسط الكتلتين ، حدث هذا فى الوقت الذى كان فيه حلفاء الحرب يشرعون رماحهم ويستعدون لامتحان قوتهم من جديد.

***

وليس من الغريب ان ينعى رجال السياسة اضطرار آسيا وافريقية فى اثناء انتفاضة ما بعد الحرب ، الى التقدم وسط انواء الحرب الباردة الثلجية . وقد اشار كارلوس رومولو وزير خارجية الفلبين السابق منذ سنوات قلائل الى : « انه من نكبات التاريخ ان تتصادف نهضة آسيا مع الصراع القاسى بين الدول الكبرى للسيطرة على العالم » .

والواقع ان تقدم آسيا وافريقية البارز نحو الاستقلال ، قد اصبح ممكنا الى حد كبير ، بسبب هذا الصراع القاسى بين الدول الكبرى .

فلقد احدثت الحرب العالمية الثانية تغيرا كليا فى ميزان القوى العالمى ، أدت الى ظهور قطبين فى العلاقات الدولية . وقد ساعد الضعف الذى انتاب الدول الاستعمارية العتيقة فى أوروبا ــ نتيجة للحرب ــ على بعث آسيا وافريقية ، الى حد كبير ، وساعدهما ، ايضا ، ظهور دولتين كبيرتين ، كل منهما تنافس الاخرى فى القوة الاقتصادية والسياسية ، وكل منهما تتنافس مع الاخرى لسيادة العالم .. واذا ما أردنا وضع أى تقدير واقعى لتطورات ما بعد الحرب فعلينا ان نضع هذا العامل الاساسى موضع الاعتبار . فلو لم يكن بنيان القوى قد تغير نتيجة للحرب ، ولو لم تخرج الدول الاستعمارية العتيقة منهوكة القوى تماما من جراء معارك انتصارها ، ولو لم يواجه الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة كل منهما الاخر بقوى وتسليح متعادل ، لكان التقدم السياسى والاقتصادى لآسيا وافريقية اكثر بطئا وترددا . وقد اتاح تقسيم معظم بلدان العالم الى نظامين متنافسين ، أتاح للبلاد الآسيوية الافريقية الحديثة الاستقلال فرصة تاريخية كي تؤدي دورا دوليا ايجابيا من أجل اقامة منطقةواسعة من عدمالتورط ومد جسور تربط بين الجانبين المتعارضين .

وفى الوقت الذى نشبت فيه الحرب الباردة ، برز نظام جديد لعلاقة الدول بعضها ببعض ، وتمثلت المظاهر الرئيسية لهذا النظام فيما يلى :

١ ـ تدهور أوروبا .

٢ ـ ظهور الولايات المتحدة كدولة غربية رئيسية ، وزعيمة لمجموعة الدول الغربية .

٣ ـ ظهور الاتحاد السوفيتى كقوة عسكرية تعادل قوة الولايات المتحدة ، وكقوة اقتصادية تأتى فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة مباشرة .

٤ ـ انتشار الشيوعية بوسائل عدة ، الى ثلث العالم أجمع، وبذلك وضع حد لموقف الاتحاد السوفيتى قبل الحرب كدولة اشتراكية وحيدة يحيط بها « الاعداء » الرأسماليون .

٥ ـ ظهور البلاد الآسيوية والافريقية كدول مستقلة . وظهور اهدافها الصريحة بالابتعاد عن الصراع الدائر بين الكتلتين من اجل القوى .

وقد كان تدهور أوروبا ذا أثر مباشر فى مصلحة اسيا وافريقية . وذلك لان أوروبا ، كانت القارة التى ظلت تستعبد القارتين لعدة قرون. فقد شهدت نهاية الحرب افول نجم المانيا وايطاليا فى أوروبا ، واليابان فى اسيا ، وهى الاقطار التى كانت تشكل الدول الاستعمارية الجديدة فى القرن العشرين . وكانت فرنسا من الدول الكبرى من باب المجاملة فقط .. ولم تعد بريطانيا فى وضع يسمح لها بالسيطرة على امبراطوريتها الشاسعة الأطراف . ولم يكن تحول القوى هذا من صنع الحرب العالمية الثانية وحدها . فقد بدأت العملية مع مطلع القرن . ووصلت الى مرحلة حاسمة خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها . فقد أدخل مولد الاتحاد السوفيتى على أنقاض روسيا القيصرية تغيرا بارزا فى بنيان القوى التقليدى فى أوربا . وظهرت امريكا فى عهد ولسون ، وللحظة خاطفة ، كزعيمة للمجموعة الغربية التى كانت ما تزال تحكم الكرة الارضية . وحتى حينما انسحبت أمريكا الى قوقعتها المنعزلة ، أصبحت المصنع الذى ينتج احتياجات العالم ، والذى كانت أوروبا العتيقة المنهارة تستجدى منها . وقد تكهن الكثيرون من ساسة اوروبا ومثقفيها من اصحاب النظرة البعيدة، بأن الصراع التالى سيكون بين الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفييتى والرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة. وفشلت محاولة استخدام ادولف هتلر كرأس رمح غربى ضد الاتحاد السوفييتى لان مطامع الفوهرر

السياسية رفضت أن تقاس على أساس عالم يتم تقسيمه ، باطمئنان، بين نصف دستة من الدول الاستعمارية . وقد حددت الحرب التى شنها هتلر مصير أوروبا .. فبعد انتهاء الحرب مباشرة ، نظرت أكبر دولتين فى منتصف القرن العشرين بعضهما الى بعض ، عبر المحيط الاطلنطى ، فى كراهية باردة صريحة ٠٠ غير أنهما بدأتا تطالبان الآن بدائرة من الدول التابعة .

منذ ظهور اليقظة السياسية فى السنوات الاولى من هذا القرن وآسيا تنتظر انهيار الروابط الأوروبيـــة ٠ فقد دأب « اتفاق الدول » ، طويلا ، على الاساءة الى قارتى آسيا وافريقية المستعبدتين ٠

وما أن سقطت روسيا القيصرية وظهرت الدولة السوفيتية الجديدة الى الوجود حتى اكتشف دكتور صن يان صن مصدرا جديدا يستمد منه المساندة السياسية والاقتصادية ، فقد أعلن : « اننا لم نعد ننظر نحو الغرب ، فان وجوهنا قد اتجهت شطر روسيا » ٠

وفى الهند ، بالرغم من أن قيـــادة المؤتمر القومى لم تكن متأثرة بالمبدأ السياسى للثورة البلشفية ، فانها كانت متأثرة بقوة بريطانيـــا الآخذة فى الاضمحلال ، وسرعان ما تحولت القيادة الى مقاومة جماعية للحكم الاستعمارى ٠ ولكن تأثير الثورة الروسية على الجيل الأصغر كان أقوى من تأثيرها على الجيل القديم ، فقد قال مستر نهرو فى خطبته الاولى بعد توليه منصب الرياسة فى دورة المؤتمر القومى الهندى عام ١٩٢٩ ، « اذا كان المستقبل مفعما بالامل فذلك بفضل الاتحاد السوفيتى وما قام به ٠ اننى مقتنع بأنه لو لم تتدخل كارثة عالمية ، فان المدنية الجديدة سوف تمتد الى بلاد أخرى وتضع حدا للحروب والصراع الذى تغذيه الرأسمالية » ٠

وقد تحدث مستر بانيكار عن نتيجتين رئيسيتين للثورة الروسية وذلك فيما يتعلق بآسيا : « حدد اعلان حقوق الشعوب فى روســـيا المساواة والسيادة التى تتمتع بهما الشعوب المستعمرة فى الامبراطورية القيصرية . فانه — أى الاعـــلان — أكد مبادىء تقرير المصير القومى والانفصـــال السلالى للاقليات . ومهما كان التاريخ اللاحق لهذا المبدأ فانه أحدث دويا هائلا فى ذلك الوقت ، وكان له تأثير عظيم على تشكيل الأقطار فى آسيا ٠ وأعلن السوفييت ، منذ البداية ، عن مســـاندتهم لحركات الكفاح القومى للشعوب المستعمرة ٠ فلأول مرة أصبحت هناك أمة أوروبية مستعدة ، جهارا ، لتزعم قضية الشعوب المستعمرة » ٠

وقد زادت حدة حركات الـكفاح الوطنى فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، فى آسيا ٠ وفى أفريقية أيضا كانت هناك أولى انتفـاضات اليقظة القومية ٠ وفى أوروبا ، كان لظهور الحركة الفاشية مع تستر القوى الديمقراطية عليها ، والقضاء الفعلى على عصبة الأمم ، والتشجيع

الذى حظى به المعتدون الجدد ، ايطاليا ، والمانيا ، أثره فى توسيع الهوة القائمة بين العقلية الأوروبية والعقلية الآسيوية ·

وقد استحوذ الاتحاد السوفيتى ، كدولة أوروبية تتزعم قضية الانسانية المظلومة ، على مشاعر الأجيال الجديدة فى آسيا وافريقية · ولكن لا شك فى أن صورة الاتحاد السوفيتى كحارس لجميع القوى التقدمية قد اهتزت بشدة حينما قام ستالين بغزو فنلندا ، ثم توقيعه بعد ذلك ، على معاهدة عدم اعتداء مع المانيا النازية · ومرة أخرى أعلن نهرو عن شكوك جيل آسيوى بأكمله حينما سأل « هذا الحلف الروسى الالمانى ، وهذا الغزو السوفيتى لفنلندا ، وهذا التودد الروسى نحو اليابان : هل هناك أى مبادىء أو معايير للسلوك فى هذا العالم ، أو أن الامر يتعلق بالانتهازية المحضة ؟ » .

ومن ناحية أخرى ضاعف دور الأحزاب الشيوعية الوطنية من حدة الانشقاق بين القومية الآسيوية والاتحاد السوفيتى ، واتضح هذا بصفة خاصة خلال مرحلتى الحرب العالمية الثانية · فحينما كان السوفييت خارج هذه الحرب كان الشيوعيون ينظرون الى هذه الحرب على أنها حرب استعمارية ، ينبغى مناهضة الدول المتحالفة فيها بكل وسيلة ممكنة بل ان هتلر نفسه صار فاضلا ، بصفة مؤقتة ، نتيجة لتحالفه مع روسيا . ولكن ما ان تمت مهاجمة السوفييت ، حتى أصبحت الحرب بين عشية وضحاها ، حربا يخوضها الشعب · أما حزب المؤتمر ، فى الهند ، بجميع عواطفه المعروفة نحو الديمقراطيات ، وكراهيته للفاشية ، فكان يهتم أولا وقبل كل شيء ، بحرية البلاد . وحينما رفضت الحكومة البريطانية التماس حزب المؤتمر الشديد احداث تحول كبير فى السلطة · ماكان من حزب المؤتمر بزعامة غاندى الا أن تزعم حركة « ارحلوا عن الهند » ·

غير أن البريطانيين قمعوها بلا هوادة ، متسلحين بالسلطات المجحفة التى منحوها أنفسهم باسم جهود الحرب · بيد ان الشيوعيين انتهجوا اتجاها مغايرا تماما فجعلوا اتجاههم يشمل التعاون استعدادا للحرب ، ومعارضة الحركات الوطنية ، واتهام سوبهاز تشاندرا بوز ، « النمر الواثب » الذى هرب من الاعتقال فى داخل البلاد الى المانيا واليابان ، بالخيانة ، وبتنظيم جيش ازاد هند « لتحرير » الهند من الحكم البريطانى · وقد وجدت الحرب العالمية الثانية الأحزاب الآسيوية الوطنية منعزلة عن الشيوعيين الآسيويين من الناحيتين العاطفية والتخطيطية وتحطمت فى أثناء الحرب جميع الفرص لقيام جبهة شعبية فى آسيا ·

غير أن هذا كله لم يصرف نظر التفكير الوطنى الآسيوى عن الاتحاد السوفيتى ؛ بل كان هناك قدر كبير من التعاطف الطبيعى

فى آسيا مع السوفيت فى أثناء حربهم مع ألمانيا النازية . وكانت الانتصارات الروسية تثير آسيا ، وساد شعور بأن السوفييت يتلقون كل ضربات الحرب التى شنها هتلر ، دون أية مساعدة تذكر من جانب الحلفاء . وحينما انتهت الحرب وخرجت روسيا منها ندا لامريكا ارتفعت هيبتها فى آسيا الى عنان السماء . وقد استراح الوطنيون الآسيويون كمجموعة حينما وجدوا دولة أوروبية من الدول العظمى قادرة على تحدى دول أوروبا الاستعمارية العتيقة بطريقة فعالة .

فما طابع تأثير أمريكا على العقلية الآسيوية الافريقية بين الحربين ؟

لقد جعلت الحرب العالمية الأولى الولايات المتحدة أكبر دولة فى العالم ، وقد تأكد ذلك فى مؤتمر الصلح بباريس ، فقد أسفر تدخل أمريكا عن انتصار الدول المتحالفة ، وقد حرر صوت ولسون ملايين من الارواح فى جميع أنحاء العالم .

وحينما انتهت الحرب ، نظر الجنس البشرى كله تقريبا الى الولايات المتحدة طلبا لزعامة جديدة . وفى عام ١٩١٩ أصبح من الواضح أن القرن العشرين هو القرن الأمريكى .

واذا كانت الولايات المتحدة قد عجزت عن المحافظة على مركز الزعامة ، فلأن الرئيس ولسون وسياسته قد رفضهما الكونجرس ، وعادت أمريكا الى عزلتها التقليدية بعيدا عن أوروبا غير أن هذا الانسحاب من على المسرح الأوروبى كان سياسيا أكثر منه اقتصاديا . فمن الناحية الاقتصادية لم تكن الولايات المتحدة أكبر دولة فى العالم فحسب ، بل انها كانت أيضا الدولة الدائنة الوحيدة التى استعادت قوتها . وانتقلت عاصمة المال فى العالم من لندن الى نيويورك ، وحل الدولار مكان الاسترلينى كعملة دولية .

وبالرغم من ان الولايات المتحدة انسحبت سياسيا من أوربا ، فانها احتفظت بمركز السيادة على شرقى آسيا والباسفيكى . وبينما كانت الولايات المتحدة هى التى فتحت الطريق أمام اليابان الى العالم الخارجى ، كانت تحمل دائما مشاعر عدائية ضد فكرة وقوع الصين تحت سيطرة اية دولة أو مجموعة من الدول ، الامر الذى يعرض وضعها فى منطقة الباسفيكى للخطر . ولذلك دعت الولايات المتحدة الى سياسة « الباب المفتوح » بالنسبة للصين . وقد استطاعت ان تحافظ على قدر من الزعامة وروح المبادرة بسبب معارضتها الصلبة للجهود اليابانية للسيطرة على الصين .

ولم تتنازل امريكا طوال فترة ما بين الحربين عن زعامتها هذه فقد عارضت الغزو اليابانى للصين ، وذهبت الى حد مساعدة الحكومة الصينية فى الدفاع عن استقلالها وسيادتها .

غير أن الولايات المتحدة لم تبذل محاولة تذكر لممارسة أى نفوذ لها فى بقية أجزاء آسيا ، وفى ثلاثينيـــات القرن بدأت شركات البترول الامريكية تتغلغل فى الشرق الاوســط ، ولكن الولايات المتحدة تركت للدول الاستعمارية الاوربية الاسواق التقليدية فى آسيا وافريقية ، ولم تتدخل فى شئون امبراطوريات اوروبا الاستعمارية ٠

وقد جعلت الحرب العالمية الثـانية الولايات المتحدة تدرك لاول مرة مدى الخطورة التى يتعرض لها امنها فى سماحها لدولة من الدول الكبرى الأعداء للنمو فى منطقة الباسفيكى ٠

ولذلك بذلت أمريكا فى أثناء الحرب ، كل ما فى وسعها للعمل على اعادة بناء الصين ديمقراطيا وتوثيق عرا الصداقة معها .

وقد دفعت حرب الباسفيك بالولايات المتحدة داخل أنواء الشئون الآسيوية ، على حين أدت الحرب الاوروبية الى تورطها فى الشرق الأوسط ٠

غير ان تشرشل كان قد قرر أن يحتفظ بالامبراطورية خارج نطاق النفوذ السياسى الامريكى ٠

من أجل هذا عجز الرئيس روزفلت ، بالرغم من تعاطفه الشديد مع حركات التحرر الآسيوية ، عن الاقدام على أية خطوة سوى ارســال بعض التقريع المؤدب الى تشرشل يحثه فيه على تعديل سياسة امبراطوريته وخاصة بالنسبة للهند .

وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية خرجت الولايات المتحدة منها كأكبر دولة فى تاريخ الانسانية ٠ وقد حمل تداعى أوروبا الهـــائل ، الولايات المتحدة مسئولية لم تستطع ان تتفهمها حتى عشر سنوات مضت ٠ واعتمد انتعاش أوربا ومســتقبل الاستقرار السياسى فيها على الولايات المتحدة ، وكانت الولايات المتحدة ايضــا القوة التى لا ينازعهـــا احد فى الباسفيك ٠ لقد ارتمت اليابان عند مواطىء قدميها ٠ وقد اعتبرت نفسها الوصى الوحيد على اعادة الصين الى الديمقراطية المسالمة ٠

وبعد الحرب مباشرة تجلى الشعور بأن الولايات المتحدة تؤثر على الشئون الآسيوية خارج منطقة الباسفيكى ٠ وعنـــدما هاجمت القوات الانجلو ـ هولندية جمهورية أندونيسيا الوليدة لتحقيق هدفها الشرير الرامى الى اعادة النظام الاستعمارى ، تدخلت حكومة الولايات المتحدة فى الحال متعاطفة بصراحة مع قضية الحرية الآسيوية ٠

وقد رفع هذا العمل الذى ينم عن بعد نظر السياسة الامريكية من قدر الولايات المتحدة فى اعين البلاد الآسيوية غير ان الحرب الباردة التى

بظلالها الاولى على أوربا . وانتهت روح المبادرة الامريكية فى آسيا ما بعد الحرب ، عند حدود أندونيسيا ٠

هذا ، اذن ، هو الموقف الذى كانت عليه آسيا فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يواجه كل منهما الآخر كعملاقين يقع على كاهلهما الاحمال الهائلة الخاصة بمستقبل الجنس البشرى ٠ ولم يكن الواحد منهما يدرك حقيقة الآخر تماما ٠

ولم تكن العلاقات ، بين أمريكا وروسيا وثيقة على الاطلاق ، حتى قبيل مولد الدولة السوفيتية ٠ بل ان الأمر اقتضى مرور ستة عشر عاما كى تعلن الولايات المتحدة اعترافها الدبلوماسى بالجمهورية السوفيتية ٠ بل ان فترة الاعتراف هذه لم تؤد الى أى تفاهم عميق متبادل ٠

وقد شهدت فترة ماقبل الحرب مباشرة والسنتان الأوليان للصراع ، تدهورا أكبر فى العلاقات الروسية الامريكية ٠ ثم جاء الفيض المفاجىء من الصداقة خلال السنوات الاربع الاخيرة من الحرب ٠ ولكن هذه الصداقة لم تستطع أن تعمر الى أكثر من فترة انهيار العدو التام ، ذلك العدو الذى جمع بينهما ٠

وفى ظل زعامة مستر نهرو ، بدأت الهند رحلتها البكر فى مجال الشئون الخارجية معلنة رغبتها فى أن تبتعد ، بقدر الامكان عن مناطق نفوذ هاتين الدولتين العملاقتين ٠

ورفعت مع بعض الجارات اللائى يشاركنها فى التفكير ، مبدأ خلق منطقة متواضعة للسلام ٠ ولكن أصبح من الواضح ، حتى فى ذلك الوقت ، ان الحرب الباردة مقبلة على آسيا وكان من الممكن تأجيل اندلاعها نوعا ولكن ايقافها النهائى لم يكن ممكنا ٠

فقد ظلت آسيا لقرون عدة ، قاعدة لسلطان أوربا ومجدها ، والآن بمجرد أن أصبح لآسيا كيانها الخاص ، انهار سلطان أوربا ، وأصبح هناك ، بأسلوب سياسة القوى ، « فراغ» خطير فىأجزاء واسعة من آسيا ٠ واندفع العملاقان من أجل ملء هذا الفراغ ٠

فأخذ السوفيت الصين ٠ وأخذ الامريكيون يبذلون جهودا مستميته من أجل عقد أحلاف عسكرية تحد من قوة الدولة المنافسة ، ودلفت آسيا الى فلك الحرب الباردة ٠

الفصل الثاني

الدول الحديثة وعلاقتها بالدول القديمة

اننا نعيش في عالم يتقلص ويتمدد في آن واحد ٠

فقد قضى العلم على بعد مسافة المحيطات الواسعة والعوائق التي تصنعها الجبال العالية ، وقام العلم بربط اركان الارض ربطا اكبر بكثير مما كان عليه حتى عند مطلع هذا القرن ٠ وقد صار هناك اعتراف بمزيد من الامم ، والاقطار ، والشعوب ، والحضارات ، والمدنيات واللغات والآداب والفنون والحرف ، وهو أمر يكن يتصوره أحد منذ خمسين عاما مضت ٠

ولم يكن هناك ، منذ مائة عام ، أى جهاز منظم دائم لكى يعالج مشاكل المجتمع العالمي السياسية ، كما لم تكن هناك محكمة عالمية أو جهاز ادارى دولى. أما اليوم فليس هناك « الامم المتحدة بجمعيتها العامة، ومجلس الامن ، وبعض الهيئات الاخرى فحسب ، بل هناك ايضا محكمة العدل الدولية ، والمجلس الدائم للتحكيم في لاهاى ، وخمس عشرة لجنة دولية أخرى مشكلة من أجل فض المنازعات بين الأمم ٠

ومرة اخرى نجد ان الولايات المتحدة ، منذ خمسة وسبعين عاما ، لم تكن تنفق دولارا واحدا لمصلحة أية منظمة دولية ، واليوم تدفع ٣٩٪ من ميزانية الامم المتحدة ، وهو مبلغ يصل الى خمسين مليون دولار !

وهكذا نرى اننا نعيش في عالم دولى في بنيانه ، ودولى في نظرته أكثر مما كان في اى وقت مضى . ومع ذلك فان القومية اليوم أقوى تيار سياسى ، وان توسعها السريع الى مناطق العالم النائية سياسيا لمن اهم سمات عصرنا الحاضر ٠

وقد كانت مجموعة الدول القانونية ، من وجهة نظر النظام الاوروبى ، مقصورة ، حتى نهاية القرن السابع عشر ، على الدول المسيحية التي في أوروبا وحدها ٠ وقد سمح لروسيا بالانضمام الى هذه المجموعة في أواخر ذلك القرن فقط ٠

واقتضى الأمر مضى مائة سنة أخرى للاعتراف بالولايات المتحدة ، وقد سمح لدول أمريكا اللاتينية بالدخول فى القرن التاسع عشر . ولم يتم توسع الدائرة كى تضم البلاد غير الغربية وغير المسيحية الا فى عام ١٨٥٦ بعد السماح لتركيا بالدخول الى هذه المجموعة ٠

وبلغ عدد الدول الاعضاء فى عصبة الامم ستا وعشرين دولة ، وفى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ وقعت ست وأربعون دولة على ميثاق الامم المتحدة ٠٠ وفى مدى عشر سنوات قفز العدد الى ٧٧ ، واليوم هناك أكثر من مائة دولة أعضاء فى الامم المتحدة ٠٠ وكل منها كما فى أى مجتمع ديمقراطى يتمتع بحقوق مساوية فى التصويت بصرف النظر عن حجم هذه الدولة أو عدد سكانها ، أو مواردها ، أو مستوى التنمية والقوة العسكرية بها .. وقد يرتفع العدد فى السنوات العشر القادمة ليبلغ مائة وخمسة وعشرين عضوا فى هذه المنظمة الدولية ٠

ومنذ سنين غير بعيدة كان المجتمع السياسى فى العالم يتكون أساسا من البيض ، وكانت أوروبا هى التى تقرر مصير البشر ٠٠ أما اليوم فان المجتمع العالمى يمثل صورة متباينة الالوان واللغات والحضارات ٠

وفى أى اجتماع دولى يفوق الملونون والسود والصفر عدد الاعضاء البيض بسهولة ٠

لقد ظلت أوروبا ، بمساحتها التى تبلغ ٣ر٦٣٪ من مساحة العالم ، ويسكنها ٨٪ من عدد سكان العالم ، تتحكم فى بقية أجزاء الارض لما يزيد عن ثلثمائة عام ٠٠ وفى أثناء هذه الفترة الطويلة من السيطرة الاستعمارية ، كانت أوروبا أو بالأحرى أوروبا الغربية ، تصدر أيضا الى هذه المستعمرات والامبراطوريات عصب العلم الحديث والتكنولوجيا بجانب القوى التحررية الكامنة فى الافكار الثورية والحرة ٠٠ وقد تغلغلت النظم السياسية والمفاهيم الخاصة بأوروبا الغربية فى أركان العالم النائية ٠٠ وتفككت مدنيات الشرق العريقة الغنية ، واندثرت تحت تأثير السيطرة الاقتصادية والسياسية والايديولوجية الغربية ٠

ولكننا نعيش الآن فى عصر لم تعد فيه أوروبا قوة ترسم مصاير الآخرين .. وانتقل مركز القوى الى مكان آخر .. انتقل الى الاتحاد السوفيتى الشبيه بالآسيوى ، والى الولايات المتحدة الامريكية .

وبدأت مدنيات الشرق العريقة تعود الى الحياة ، تواقة الى جنى ثمار التكنولوجيا الحديثة ، ومهتمة بتأكيد شخصيتها فى مجتمع الدول (١) .

---

(١) بدأ الآن فقط ، الشعور بتأثير التحول الكبير في المجتمع الدولى ، على القانون الدولى المتعارف عليه . فلم يكن هناك أكثر من الملكية قداسة في النظام القانونى النابع من الغرب ، فلم تكن الملكية الخاصة ، سواء أكانت فردية أم جماعية ، تتمتع بالحماية الشديدة في كل بلد فحسب ، بل كانت تحظى بحماية دولية أيضا .. وحينما تسلمت دول افريقية وآسيا الحديثة الممتلكات الخاصة بالمصالح الاوروبية والامريكية.. أصبح ذلك ، في نظر الغرب ، اغتصابا وعملا من أعمال القرصنة ، وأدى تأميم الحكومة المصرية لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وتأميم حكومة كوبا للمصالح الامريكية الضخمة عام ١٩٦٠ الى غزوين فاشلين .

غير أن حق التأميم ، في نظر الدول الحديثة ، أمر لايمكن مناقشته ، وأصبحت مشكلة الصراع بين الحكومات الوطنية في آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ، وحكومات الغرب صاحبة هذه الملكيات ، مشكلة خطيرة لدرجة أن الجمعية العامة للامم المتحدة شكلت لجنة عام ١٩٥٩ لبحث مسألة التأميم على ضوء الحقائق الدولية الجديدة .. وقد أيد تقرير اللجنة ، الذى صدر في مايو عام ١٩٦١ حق الدولة في تأميم أى ممتلكات مع دفع التعويض لاصحابها ، وكان الاتحاد السوفيتى هو العضو الوحيد في اللجنة الذى عارض مبدأ التعويض ، وكان مقدرا أن يكون هناك خلاف كبير في الرأى حتى حول مسألة التعويضات . وترى الشركات الامريكية أن التعويض الذى دفعته الحكومة الكوبية غير ذى قيمة تقريبا ، كما كان رد الفعل الانجلو - فرنسي - تجاه التعويضات التى قدمها الرئيس ناصر بعد تأميم قناة السويس ، عنيفا .. ولا بد أن يظهر قانون دولى جديد في السنوات القادمة ، ليشمل بالاعتبار مسألة الملكية التى تستحوذ عليها مصالح اقتصادية قوية في الاقطار الاجنبية .

وأخذ المجتمع الدولى يسلم بحق شعب من الشعوب في القيام بثورة وقلب الحكومة ، وقد حانت فرصة أمام محكمة العدل الدولية لتصدر حكمها على هذه المسألة حينما أصدرت حكمها في ادعاء البرتغال حق المرور في الاراضي الهندية الى المستعمرتين البرتغاليتين : دادرا ، ونارجا هافيلى ، اللتين قام بتحريرهما السكان المحليون عن طريق ثورة سلمية .. فبينما أيدت المحكمة حق الهند في رفض طلب المرور ، لم يصدر حكم الاغلبية أى رأى حول السند القانونى للتحرير .. غير أن عددا من القضاة اعتقد أن التحرير قد غير الصورة تماما .

ولنضرب مثلا واحدا مما قاله القاضي اليونانى سبيربولوس : « الواقع انه بعد رحيل السلطات البرتغالية ، أقام سكان المستعمرتين سلطة جديدة تتمتع بالاستقلال الذاتى ، سلطة تعتمد على ارادة الشعب . وحيث أن حق المرور يعنى أن حكم البرتغاليين للمستعمرتين ما زال قائما فان اقامة سلطة جديدة في المستعمرتين ينبغى أن يعتبر أمرا واقعا ، أمرا وضع حدا لحق المرور » .

ومن الجدير بالذكر أن مذهب الاحرار الاوروبى قد خارت قواه ولم يعد يلهم ويغذى ملايين العقول فى القارات الاخرى وهو الذى كان يفعل ذلك فى القرن التاسع عشر • وقد فضحت النظم السياسية الأوربية — عن طريق فشلها فى منع قيام الدكتاتوريات — فضحت افتقارها الكامن الى القوة ، على حين بدأ كثير من الناس فى الشرق يتساءلون : هل كانت هذه النظم مناسبة ،على الاطلاق لحقائق الشرق ؟

هذا ، وتعانى الصناعة الأوروبية فى الوقت الحالى من التدهور بعد أن وصلت الى أوج مجدها ، أما الموارد الطبيعية الاوروبية فبعد أن حرمت الاستغلال الخيالى للمستعمرات لم تعد قادرة وحدها على المحافظة على مقتضيات النصر ابان المنافسة التى قامت مع اقتصـــــاديات الدول الشيوعية الآخذة فى النهوض • لقد تبدد ميزان القوى القديم فى أوروبا وأصبحت أوروبا الغربية اليوم فى حكم الحاجز الذى يقف بين الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية •

ان ازدياد أهمية آسيا وافريقية فى عـــالم اليوم المتغير لمن الأمور المعترف بها • ولكن من الممكن المبالغة فى تصوير هذه الاهمية بالنسبة للحرب الباردة • واذا حدث ونشبت الحرب القادمة فستتطلب من العالم موارد أعظم مما تطلبته الحرب الأخيرة • وليس هناك من دولة ســـوى الاتحاد السوفييتى تتمتع باقتصاد يستطيع أن يشبع مطالب حرب عالمية أخرى •

اننا نواجه اليوم موقفا عالميا ، وصل فيه مايسمى بـ « العالم الحر » الى قمة النمو الاقتصادى ، ليواجه الآن فترة تدهور اقتصادى وفى الناحية الأخرى نجد أن العالم الشيوعى يتمتع بموارد وافرة لم تستغل ، كما أن اقتصاده ينمو بسرعة كبيرة •

وفى ظل موقف كهذا لا يمكن ، ولن يمكن ، ترك الدول الآسيوية الافريقية وحدها اذا ما اندلعت الحرب • ذلك أن المتحاربين سيطالبون بالموارد الطبيعية التى فى آسيا وافريقية كما أن المناطق التى تعتبر عصب الحياة على الارض ، على الاقل ؛ ستكون لا محالة مسرحا للصراع •

والأمر الوحيد الذى تستطيع آســـيا وافريقية أن تفعلاه ؛ والذى تحاولان جاهدتين أن تفعلاه هو الفصــــل بين الدولتين الكبيرتين ؛ وان تغريهما بالابتعاد عن حافة الكارثة التى تدفعهما اليها سياستهما دائما ، ومعهما الجنس البشرى بأكمله •

واذا استثنينا الاتحاد السوفييتى ، وجدنا أن آســــيا وافريقية تحتلان ٤٢٪ من مناطق الارض المسكونة تماما كما تضمان ٦٠٪ تماما من سكان هذه الارض •

وبينما نجد أن آسيا قد نفضت عن نفسها تقريبا السيطرة الاستعمارية الأوروبية ، نجد أن هذا الاجراء قد استجمعت قواه فى افريقية . وبطريقة مثيرة • والقومية هى أعظم العوامل المساعدة التى تجتاح ٦٠٪ من الجنس البشرى ، تعضدها رغبة ملحة فى تحقيق التنمية الاقتصادية •

ان هذه القومية ؛ كما ذكرنا آنفا • قد جاءت الى آسيا وافريقية قادمة من أوروبا • وهى ثمرة لاتصالات التى تمت بين أوروبا وهاتين القارتين ومع ذلك فان الغرب مازال عاجزا عن تقدير هذه القوة الكبيرة حق قدرها • فأوروبا تجد أن القومية معتدية ، عنيدة ، وطموح لابعد الحدود ، وذات صبر نافذ • وفات أوروبا أن القومية الآسيوية قد ظهرت ـ كقوة سياسية ـ فى وقت متأخر جدا ، وانها تزدهر فى عالم ، تسود فيه روح القومية غير أن ايمانه يزداد ، عاما بعد عام ، بالنزعة الدولية • انها قومية عصر الذرة ، وعصر المساواة والعدالة الاجتماعية • وأمام القومية الآسيوية مهام يتعين عليها أن تنجزها فى عشرات من السنين ، على حين تستطيع الدول القومية فى أوروبا انجازها على مهل فى عدد من القرون •

وقد بدأت القومية ، فى أوروبا ، فى عهود الملكيات المطلقة • وقد استمدت قوتها من الثورة المضادة لحكم الكنيسة فى القرن السادس عشر ، حينما أخذ ليلاند فى طول مملكة هنرى الثامن وعرضها يدعوه وقد أدرك « ما فعلته يد الزمان من تشويه للعهود التى دفعت ثمن الثراء غاليا • » واستمدت القومية قوتها أيضا من تدهور اللغة اللاتينية كلغة عالميا ، ومن انهيار النظام الاقطاعى ، وظهور الآداب الوطنية ، ومن النزعة الانسانية والفردية التى جلبها عصر النهضة ، ومن انهيار سيادة الكنيسة ، ومن ظهور الرأسمالية وطبقات التجار المتوسطة ، كذلك استمدت قوتها من القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التى أطلقها من عقالها عهد الاصلاح البروتستانتى • لقد تغيرت عناصر الصورة التى أصبحت صوفية فى طبيعتها وتطورها •

وفى القرن الثامن عشر صاحبت الثورة التى طرأت على أساليب الانتاج فى أوروبا ، ثورة خطيرة فى مجال الفكر ، ثورة انضم فيها فولتير وبيكاريا • وهوارد • وبنتام ، ولوك إلى فيلدنج : وأديسون ، ودكتور جونسون ، لكى يدفعوا بالفكر الانسانى دفعات هائلة الى الامام •

وفى القرن التاسع عشر بدأت أخصب مرحلة وأميزها فى الانقلاب الصناعى : الصلة بين الحديد والفحم • وبينما كان الانقلاب الصناعى يسير قدما ، كانت القومية تتوقد بالأفكار الحرة ، وترعرعت القومية ، فى أوروبا وفى العالم الجديد ، فى ظل ديمقراطية الاحرار •

وقد جعلت الثورتان الفرنسية والامريكية من القومية ـ ولاول مرة ـ أمر يتعلق أساسا بالجماهير ٠

ويلخص كل من فردريك الأكبر ، وجورج واشنطن التغيير الذى طرأ على الموقف بالرغم من أن الفجوة الزمنية بينهما كانت لا تزيد على خمسين عاما ٠ لم يكن فردريك يحكم بروسيا كدولة وإنما كضيعة ، وكانت حروب بروسيا ، تمثل منازعاته هو مع الملوك الاوروبيين الآخرين » ولكنا نجد من ناحية أخرى أن واشنطن وجيفرسون قد تم انتخابهما زعيمين لحكومة تعمل فى ظل موافقة الشعب ٠ وكانت الحرب التى يقودها واشنطن من أجل المستعمرات الامريكية ، حربا شـــعبية ، وكانت الديمقراطية التى ساعد جيفرسون على صياغتها تعتمد على السيادة الشعبية ٠٠ وفى أوروبا كانت جيوش نابليون لأول مرة جيوشا شعبية ، وكانت انتفاضة جماعية وحملت هذه الجيوش معها عبر أوروبا المثل العليا للثورة الفرنسية ٠

وهـكذا نجد أن القومية الغربيــة قد اقتضت مرور ثلاثة قرون كى تتطور من ملـكيات مطلقة الى دولة للرفاهيــة ٠٠ وكان لديهــا الفرصة لتستوعب وتتشكل بالقوى المساعدة العميقة بما فى ذلك من ثروات ومجد امبراطورية استعمارية شملت العالم٠٠ على حين تشمل ـ فى الجهة المقابلة ـ الانتفاضات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية التى بعثتها الماركسية ٠

وكان لدى القومية أيضا الوقت الكافى الذى يتيح لها فرصة اختبار العقائد والنظم المختلفة ، وعن طريق سلسلة طويلة من التجربة والخطأ استطاعت أن تقيم توازنا يناسب القوميات الغربية المختلفة٠ بل واستطاعت أوروبا الغربية أن تتمتع بنعيم سنوات طويلة من الحروب، وسنوات طويلة من التعديل المستمر فى الحدود دون قلب ميزان القوى أو تعريض سكانها ومواردها لأدنى جزء من الخسائر المهلكة التى تتسبب فيها الحرب الحديثة ٠

وقد ظل النظام السياسى الاوروبى يعتمد لقرون عدة على ميزان دقيق للقوى ، وفى كل وقت ينقلب فيه هذا النظام تدخل أوروبا فى أتون حرب جديدة . وقد قيل انه فى الفترة بين عام ١٥٠٠ وعام ١٩٤٠ كان هناك نحو ٢٧٨ حربا مع استثناء الثورات وعمليات التدخل والحملات التأديبية وعمليات التهدئة والاكتشافات التى استخدمت فيها القوة ٠٠ ونستطيع أن نعزو كل حرب من هذه الحروب الى مظاهر القومية الاوروبية والى التخلخل المتعدد فى ميزان القوى ٠

وهنا نجد أن عنصر الزمن هو العامل الاكبر الذى يقف بين القومية الاوروبية والقومية الآسيوية الافريقية ..

ومما يساعد أيضا فى تصوير الفارق بين القوميتين أن الدول القومية

فى أوروبا كانت تظهر على مهل ودون ما توتر ، أما مثيلاتهـا فى آسـيا وافريقية فكانت تتطور وهى تلهث .

لقد أخذت القومية الآسيوية الافريقية تعدو من تطور الى تطور ، وكانت هذه القومية تتسم بالروح السلمية على وجه العموم ، اللهم الا اذا تعلق الامر بانسحاب الدول الاستعمارية .

فاليابان هى الدولة الآسيوية الوحيدة التى كانت تشكل تهديدا للبلاد الشقيقة فى القارة ، غير أن الوسائل التى طبقتها كانت مقتبسة من وسائل الدول الغربية، وجاء هذا الاقتباس متأخرا عن حينه ثلاثة أرباع قرن على الاقل .

وقد تجنبت القومية الآسيوية فى فترة ما بعد الحرب الصراع داخل القارة ، وحيثمـا كانت القوى الأوروبيـة تنسحب بهدوء كانت القوميـة تزدهر فى سلام وفى جو من التعاون الودى مع الغرب (١) .

ولم تأخذ هـذه القومية طريق العنف الا حيثمـا كانت الدولة المتقهقرة معتدية أو مستفزة أو غير راغبة فى الانسحاب .

وحينما كان الغرب يظهر تفهما مؤيدا للغليان القومى لم ترفض أية دولة آسيوية ـ افريقية التعاون والصداقة من جانبها ولم تغضب دول آسيا وافريقية الا حينما حاول الغرب فرض ضغطه على هـذه البلاد . وقد ظلّ هذا الاستياء قائما على الرغم من استعداد زمرة من السياسيين ، لا تتمتع بأى تأييد شعبى فى بعض البـلاد الحديثة ، للتفاهم مع الغرب حتى يظلوا فى الحكم .

وعندما أقبلت القومية من أوروبا الى آسيا فى القرن التاسع عشر

---

(١) ليس معنى هـذا أنه لم يكن هناك نزاع بين الدول الآسـيوية أو بين الدول الافريقية ، فقد كانت هناك حالات عدة من الصراع بين الدول العربية ، واحتلت الصين ١٢٫٠٠٠ ميل مربع من مناطق الحـدود الهنـدية ، وحدثت بين الاثنتين اشتباكات على الحدود ، وكانت هناك حرب محدوده بين الهند وباكستان غير ان شعب اسيا كان يعزو جميع هذه المنازعات الى تدبير الاستعمار ، قاصدا بذلك دول أوربا الغربية والولايات المتحدة ، فقد كان لدولة أو لاكثر من الدول الاستعمارية دخل في كل نزاع محلى فيّ آسيا وافريقية منذ عهد الاستقلال ، والاستثناء الوحيد هو منازعات الحدود الصينية الهندية، ولكن حتى في هذه الحالة حاول الصينيون القاء اللوم على البلاد الاستعمارية ، والنقطة التى نريد أظهارها هنا هى أن دول آسيا وافريقية الوليدة لم تتورط ، بعكس دولأوربا، في حرب أو نزاع داخل هاتين القارتين ، وغالبا ما يتجاهل الكتاب الغربيون هذه النقطة .

اقبلت كقوة تحررية . وقد اثارت وسخرت جيلا من الآسيويين كان قد افتتن بالديمقراطية الغربية وحكم القانون وحقوق الانسان .

ومما يستحق الذكر على وجه الخصوص ان الاستعمار الاوروبى قد انتشر فى آسيا وافريقية فى الوقت الذى كان ينحسر فيه عن العالم الجديد . وكانت أوروبا قد تخلصت منذ وقت طويل من العذاب الذى سببته الثورة الفرنسية ، ولم تعد الديمقراطية والحكم النيابى وحدهما هما لنمط السائد فى أوروبا ، وانما كانت الاشتراكية بل وحتى الشيوعية ، قد بدات أيضا فى الاستحواذ على اتباع متزايدين من المثقفين والطبقات العاملة .

وقد ظهرت اقدم دولتين من الدول الكبرى فى نظام الدول الاوروبى ، وهما بريطانيا العظمى وفرنسا .. ظهرتا كاكبر دولتين استعماريتين فى آسيا وأفريقية بعد فترة المنافسة البشعة بين عديد من الدول الاوروبية التى تبحث عن مستعمرات ، وكانت الامبراطورية البريطانية قبيل الحرب العالمية الثانية تغطى ربع اليابسة ويقطنه ربع اجمالى سكان العالم .. اما الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية فكانت من نواح كثيرة ثمرة جديدة من ثمار القرن التاسع عشر . وقد انتشرت فى شمالى افريقية وأواسطها وجنوب غربى المحيط الهندى وجنوب شرقى آسيا ... ويتضح مدى حداثة الاستعمار الفرنسى لجنوب شرقى آسيا ، حينما يتذكر المرء أن تكوين الهند الصينية الفرنسية لم يتم الا فى عام ١٨٩٢ بعد ضم لاوس .. وكانت البرتغال وهولندا واسبانيا وبلجيكا والدانمرك والنرويج شركاء استعماريين صغارا لبريطانيا وفرنسا .

وكانت الامبراطورية البريطانية هى الوحيدة التى استمرت قائمة اعتبارا من القرن الثامن عشر وظلت شبه القارة الهندية التى يقطنها سدس الجنس البشرى أكبر نموذج على الارض للاستعمار الاوروبى الحديث .. وذلك لفترة طويلة .. لذلك فان العلاقة بين بريطانيا والهند هى التى حددت النمط الاستعمارى الذى ظل سائدا لعشرات السنين .. وكان وجود الهند فى الأسر معناه أن قارتي آسيا وافريقية فى الاسر أيضا . وقد عجل تحرير الهند بعملية تحرير آسيا وافريقية.

وقد غزا مذهب الاحرار الاوروبى الهند فى القرن التاسع عشر عن طريق التربية والأدب الانجليزى .. كان بيرك وكارليل وماكولى وميل

هم حاملى مشعل مذهب الاحرار الغربى أكثر من وليام بت بالميرستون ودزرائيلى وجلادستون. وكان الرعيل الاول من الهنود المفتونين، فخورا بالأفكار والمثل والنظم الاوروبية . وكانت الخطب البليغة التى ألقاهـا سوريندرانات بانيرجيا وراشبيهارى جوش ودادا بهوى ناوروجى وهم ثلاثة من الرواد الاوائل للحركة الوطنية الهندية ، كانت هـذه الخطب صدى لخطب وكتابات متزينى . لقد كانت صحوة قومية أثمرت ادراكا دوليا غامضا ، غير محدود وغير قابل للتحديد .

وقد بدأت عملية ازالة الوهم بعد الحرب العالمية الاولى حينمـا حدث أول شقاق كبير بين مذهب الاحرار البريطانى والقومية الهندية ، فقد أثبتت الحرب فجأة زيف افكار الغرب التحررية فقد دفنت جميع الوعود السامية التى كانت تتجسم بوضوح فى الاربع عشرة نقطة التى وضعها ولسون ، وفى تصريحات جميع الحلفاء دفنت تحت أنقـاض ما سمى بمؤتمر الصلح ، وأخذ العرب فى غربى آسيا يئنون تحت وطأة الشعور بالخيانة وفى شرقى آسيا ظهرت اليابان كقوة استعمارية تباركها اوروبا على حين بدأت فى الهند فترة كرب مملوءة بالمعارك المباشرة مع السلطات البريطانية .. وحركت الثورة البلشفية بعمق جيلا آسيويا جديدا أخذ يرقب باعجاب مبهـور وبدون مناقشـة التحول السريع لاقتصاد راكد متخلف ذى طابع آسيوى غالب الى دولة صناعية جبارة.

واذ استجمعت الحركة القومية فى آسـيا قواها اتسعت هوة الانشقاق مع أوروبا ، وتبدد الوهم على نطاق واسع .

ومع ذلك كانت الزعامة القومية مازالت محصورة تقريبا فى أشخاص تشـكل تفكيرهم وآمالهم بالثقـافة والقيم الاوروبيـة . غير أن ايمـان آسيا بمدنية الغرب السمحة تلقى ضربة قاضية بظهور الفلسفة النازية فى المانيا ، والنظام الفاشى فى ايطاليا وانتهاك حرمة النظام الجمهورى فى اسبانيا وغزو ايطاليا للحبشة واليابان لمنشوريا ، وتم هـذا كله تحت تستر الدول الغربية ، وفى الوقت نفسه أخذ جيل جديد من الرجال والنساء يظهر فى جميع البلاد الاسيوية ، وهؤلاء لم يؤثر عليهم مذهب الاحرار فى القرن التاسع عشر تأثيرا يذكر . كان رجال ونسـاء هـذا الجيل أكثر تأثرا بتجربة روسـيا السوفييتية فى الارض البـكر ، تلك التجربة التى تكلفت كثيرا .. وحينما سمعوا صيحة ستالين التى لا تلين : « انـنـا متأخرون عن الدول المتقدمة ما بين خمسين ومائة عام ، وعلينا أن نقطع هذه المسـافة فى عشر سـنوات ، اما أن نفعل ذلك أو تسحقنا هـذه

الدول ، حينما سمعوا هذه الصيحة أدركوا أن هذه المشكلة هي مشكلتهم أيضا ، فعليهم أن يقطعوا مسافة الخمسين عاما فى عشر أو عشرين سنة بمجرد أن يتحرروا من السيطرة الاجنبية •

واأسفاه لم يتحقق هذا التحرر الا بعد أن خارت قوى مذهب الاحرار الاوروبى ، والا بعد أن تم تقسيم العالم بالفعل الى معسكرين فى الحرب الباردة ، وبعد أن انتقل مركز القوة فى العالم من أوروبا الى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، وحصلت الهند على حريتها فى اغسطس عام ١٩٤٧ عندما وضع مبدأ ترومان موضع التنفيذ الفعلى وأصبحت الدبلوماسية الغربية تتحدث فى ثقة بلهجة القنبلة الذرية . ولم يمض عام على حصول الهند على استقلالها حتى وقعت أراضى الصين الهائلة فى يد الشيوعية . وانتقلت زعامة العالم الديمقراطى — أيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا — الى الولايات المتحدة •• وجذبت الحرب أمريكا الى آسيا . وحال السلام بينهما وبين التراجع .

وكانت هناك هوة تاريخية وثقافية هائلة بين آسيا والولايات المتحدة ، وكما قال أحد الكتاب الامريكيين :

« بينما نرى فى روسيا نظاما كريها قائما على بنيان من المدنية الغربية ، كثيرا مانجد فى آسيا نماذج مصغرة ومألوفة للبنيان الغربى ، نماذج تقوم على أسس تبدو لنا غريبة ان لم تكن مجهولة تماما ، وهناك هوة تاريخية واسعة تفصل بين الغربيين والآسيويين ، وغالبا ما تؤدى أوجه التشابه السطحية الى توسيع حدة الاختلاف » •

ان معالم السياسة الامريكية نحو آسيا فى الأزمنة السابقة لم تمس الا جزءا ضئيلا من مشاكلها السطحية • وفجأة فشلت السياسة الامريكية فى الصين وكان هذا الفشل بمثابة تجربة مؤلمة لشعب الولايات المتحدة ، وكان رد الفعل الذى تبع التجربة رد فعل أمة خاب مسعاها.

فالسياسة الجديدة التى خرجت من نبع الفشل حملت معها صقيع الحرب الباردة الثلجى ، ولم يكن فيها ذلك الدفء والضياء اللذان ميزا مذهب الاحرار فى عهد غابر ، أو المثل العليا السابقة لولسون أو المثل العليا الواقعية لفرانكلين روزفلت .

وقد فشلت الولايات المتحدة فى التعرف على أصدقائها الحقيقيين فى آسيا ، وتحالفت مع البقايا المتراكمة من تاريخ مشوه آخذ فى الأفول •، وكانت تنظر الى كل شىء على ضوء المنطق الجامد للحرب الباردة ، وأغمضت عينيها كما فعل نلسون فى كوبنهاجن عن كل مظاهر القومية

الآسيوية طالما أنها لا تلائم أغراضها وسياساتها التى تهدف الى تطويق الشيوعية الدولية .

واتسعت الثغرة بين القومية الآسيوية والديمقراطية الغربية . وقد ضاعف من اتساعها التسابق اللاهث وراء الاسلحة الذرية ، وفقد الرأى العام الآسيوى قدرا كبيرا من ايمانه بالنزعة الانسانية الغربية بسبب الاستمرار فى اجراء التجارب النووية فى مناطق متاخمة للأقطار الآسيوية .

وكان على القومية الآسيوية أن تزدهر وتجسد الآمال والمثل الآسيوية العليا .

ومما يسترعى النظر أن ازدهار القومية الآسيوية قد بدأ معتجربة الهند الديمقراطية الحرة ، ولكن يجب الا ندهش حين نرى الديمقراطية الحرة قد ذبلت ، على مدى عشر سنوات ، فى عديد من البلاد الاخرى .

وقد لخص سير ونستون تشرشل فى مجلده الاخير عن « تاريخ الشعوب الناطقة بالانجليزية » المجد الاستعمارى الذى كانت تنعم به بريطانيا فقال :

« ان مائة عام تقريبا من السلام والتقدم قد حملت بريطانيا الى مركز الزعامة فى العالم . وقد كافحت مرارا من أجل المحافظة على السلام مهما كلفها هذا ، وكان التقدم والرخاء مستمرين فى جميع الطبقات ، وقد تم التوسع فى حق الانتخاب الى أبعد الحدود تقريبا ، ومع ذلك ساد الهدوء والنظام . وأظهرت القوى المحافظة أنها تستطيع أن تواجه الخطر ، والواقع أنه لم تكن هنالك عواصف شديدة بين الاحزاب ، وتمكنت جماهير الشعب من أن تستمر فى أعمالها اليومية، وتترك السياسة لهؤلاء الذين يتشيعون لها دون خوف أو وجل، واثبت الحصان الوطنى أن من الممكن أن نترك له العنان دون أن يؤدى ذلكالى عدو مخيف فى هذا الاتجاه أو ذاك . ولم يشعر احد أن الدستور أغفله، غير أن الافراط فى تأكيد ذواتنا قد يعود علينا بالضرر ولا شك فى أن مسرح القرن العشرين بدا مضيئا ومستقرا أمام هؤلاء الذين يعيشون داخل نطاق حدود الامبراطورية البريطانية المترامية او الذين حاولوا أن يجدوا مأوى داخل حظيرتها . كانت هناك أعباء لا نهاية لها تنتظر من ينجزها . ولم يكن من المهم أى الاحزاب يحكم ، ذلك أن كل حزب كان رقيبا على الآخر ، وكان محقا كل الحق فى ذلك ولم تقف أى من النظم القديمة حجر عثرة امام المغامرين . فاذا حدثت بعض الاخطاء ، فقد سبقتها أخطاء مشابهة وكان فى استطاعة بريطانيا أن تصلح هذا

الخطأ دون حدوث نتائج خطيرة . وكان لا بد من وضع سياسةحيوية وقوية . وبدا أن من الحكمة التقدم الى الامام بالتدريج ولكن بجرأة »

هكذا كانت بريطانيا تشرشل في فجر القرن العشرين . وبريطانيا هذه هى التى خاطبها الشاعر روديارد كيبلنج ، شاعر الاستعمار بسطوره الشهيرة عشية القرن الحالى :

« فلتضطلعوا بإعباء الرجل الابيض

ولتسلموا أبناءكم للمنفى

كى يلبوا حاجة أسراكم ،

كى يسهروا ، بعتادهم الثقيل ،

خافقين ومتوثبين — على

الشعوب المشاكسة التى وقعت

حديثا فى أسركم

أنصاف شياطين

وأنصاف أطفال »

وبعد خمسة واربعين عاما فقط انتهت بريطانيا العظمى كدولة من الدول الكبرى . وانطلقت « الشعوب المشاكسة التى وقعت حديثا فى الأسر » الى صعيد الحرية الواسع الذى تملؤه الشمس .

غير أن هذه الشعوب لن تنعم بمائة عام أو حتى خمسين عاما من السلام والتقدم ، تشكل خلالها مصيرها عن طريق التجربة والخطأ. فقد ظهرت القومية الآسيوية الافريقية فى عالم دولة الرفاهية والمساواة الاقتصادية والاجتماعية . فى عالم المنازعات الحزبية والصراع الطبقى، وفى عالم حق الانتخاب الشامل الذى يمتد الى أبعد الحدود تقريبا ، فى عالم تظهر فيه الاشتراكية بمعايير مختلفة ، عالم الطاقة النووية والاقمار الصناعية وحروب الفضاء .

ويتعين أن يسير التضامن السياسى جنبا الى جنب مع التقدم الاقتصادى السريع ، والتعمير ، ويتعين أن تمنح الجماهير الغفيرة من الشعوب الأمية حق الانتخاب ، وأن تكون هذه الجماهير الاساس الذى تعتمد عليه الديمقراطية الجديدة ، ويتعين أن تتحرر هذه الجماهير من الاقتصاديات الريفية الراكدة ، وأن تتحرر افريقية من الشعارات والتحريمات القبلية ذات الاثر المميت . ولا يمكن أن يتحقق هذا كله

الا عن طريق التصنيع السريع على أن يتم تحقيق التوازن بين الاقتصاد الصناعى النامى حديثا والحياة الريفية المعقدة التى بعثت من جديد .

ونظرا لان راس المال الخاص والاستثمار الخاص غير كافيين للقيام بهذه المهام الهائلة ، فانه يتعين على الحكومة المسلحة بقدر كبير من المثل الاكاديمية العليا ، ولكن بقليل من الخبرة العملية ، أن تضطلع بالتخطيط الاقتصادى . وهى مسئولية ظلت الديمقراطيات الغربية تتجنبها قرونا . ويتعين ايضا أن يتم القضاء على حصون الرجعية الاقطاعية عن طريق أحد أجهزة الدولة دون اطلاق قوى الانتفاضات الاجتماعية العنيفة من عقالها . **ويجب أن يدرك الزعماء السياسيون أن الآمال الكبيرة التى ظلت شعوبهم تعيش عليها ، أجيالا عدة ، لا بد أن تتحقق فى فترة زمنية محدودة . وعليهم أن يدركوا أن هناك منافسة حامية بين الشيوعية والديمقراطية ، منافسة تدور فوق أرض آسيا نفسها من أجل تحقيق هذه المهمة ومن أجل الاستحواذ على عقل الانسان ، عليهم أن يخلقوا الثورات خلقا ، ولكن عليهم ألا يجعلوا زمام هذه الثورات يفلت من أيديهم .**

ولا يزال النفوذ الثقافى والعاطفى لأوروبا عاملا هاما فى آسيا وافريقية ، بالرغم من أنه أخذ فى الافول ، وبالرغم من أنه قد يضمحل الى حد كبير بعد انقضاء جيل ، ويختلف هذا النفوذ من بلد الى آخر . وفى آسيا ، يظهر هذا النفوذ فى أوضح صوره فى الهند ، ذلك أن الجيل الذى حقق الاستقلال ظل تحت التأثير الثقافى لبريطانيا العظمى . وقد ظل غاندى حتى عام ١٩٢٠ ، على ولائه ، وكان ايمانه لا يتزعزع بالعدالة البريطانية ونزاهتها. وقد تجنب غاندى ، عن قصد حتى خلال فترة عدم التعاون والعصيان المدنى ، تجنب الحض على كراهية البريطانيين. وقد أثرى بعض الرجال ، مثل رابندرانات طوغور المفكر الهندى الحديث بالطابع الدولى الخصب . وقد أوجد نهرو كرئيس للوزراء ، علاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى بأن احتفظ بجمهورية الهند داخل نطاق الكومنولث . وكان الترحيب الفياض الذى استقبلت به الهند الملكة اليزابيث فى يناير عام ١٩٦١ دليلا بالغا على الروابط العاطفية التى تربط الهند الحضرية بالنظم والافكار البريطانية .

وفى افريقية استمرت فرنسا تتمتع بصداقة أغلبية زعماء المجموعة الافريقية .

غير أن عملية التفكك العاطفى قد ابتدأت الآن بالفعل . فكثير من زعماء الصف الاول فى آسيا اليوم من ثمرة هذا القرن ، ومن خريجى الجامعات المحلية. فالزعماء من أمثال سوكارنو، وجواندا ، ونو ، وناصر ليسوا من نتاج النزعة التحررية الاوربية التى انتشرت فى القرن التاسع

عشر ، كما انهم ليسوا من المغرمين بالنظم الاوربية الخاصة بالحكم النيابى . والزعماء العسكريون الذين أمسكوا بزمام السلطة فى غربى آسيا من مدرسة الشباب الغاضبين الذين ولدوا فى أثناء الحرب العالمية الاولى او قبلها مباشرة .

وفى افريقية ما زال النفوذ البريطانى واضحا فى غانا ونيجيريا ، ولكنه ليس بالوضوح الذى فى كينيا ، وبين الزعماء الافريقيين فى روديسيا الشمالية والجنوبية . وقد تخلص كل من الرئيس سيكوتورى فى غينيا ، والرئيس كيتا فى مالى ، من السحر الفرنسى . وقد توصلت حلقة دراسية عقدت تحت اشراف مؤتمر الحرية فى العاصمة النيجيرية عام ١٩٦٠ — توصلت الى أن شباب مجموعة الدول الفرنسية أكثر عرضة للخضوع للتأثير الشيوعى من شباب المستعمرات البريطانية السابقة .

وفى جميع البلاد الافرو — آسيوية نجد هناك مجموعة من الصفوة الجديدة فى كل أقليم عاكفة على تطوير اللغات المحلية ، والملاحظ أن تأثير الفكر والثقافة الغربية طفيف على هذه الصفوة .

أما التأثير الامريكى على عقول الافريقيين والآسيويين فلا يكاد يذكر . واذا كان هناك مثل هذا التأثير فهو نابع من كتاب أمريكا المثاليين ، ومن مؤسسى الجمهورية الامريكية . فما تزال أفكار جون آدمز ، وتوماس جيفرسون ، وابراهام لينكولن ، وولت ويتمان ، وأمرسون موضع تقدير فى الاقطار الجديدة فى آسيا وافريقية ، غير أن هذه الافكار لم تنسج رابطة عاطفية بينها وبين الولايات المتحدة فى القرن العشرين .

ولا تخضع الصورة السياسية فى افريقية وآسيا لأى نمط ملموس فبينما بدأت جميع البلاد الحديثة تقريبا بالنظام البرلمانى ، نجد انه سرعان ما انهار فى عدد من هذه الدول . وحتى فى الهند حيث كان النظام البرلمانى يؤدى دوره بنجاح ، نجد أن هناك جزءا كبيرا من الرأى العام ، داخل حزب المؤتمر الحاكم وخارجه يرى انه سلاح غير ملائم للاضطلاع بالمهمة الثنائية التى تتلخص فى جعل الديمقراطية الشعبية تؤدى دورها بنجاح على جميع المستويات ، مع اثرائها فى الوقت نفسه بالمضمون الاجتماعى والاقتصادى ، وكان الاتجاه العام يميل بشكل واضح نحو الحكم المطلق .

وفى افريقية سادت الانظمة الرياسية للحكم ، فى غانا وغينيا وتونس ومالى وعدة بلاد اخرى ، وبعض هذه البلاد تعيش فى ظل النظام العسكرى . وقد جلبت الثورات العسكرية فى أعقابها الى العالم العربى ، نظما من الحكم المشترك بين المدنيين والعسكريين يرأسه رجال

أقوياء أمثال الرئيس ناصر . أما باكستان وتايلاند فتعيشان في ظل الدكتاتورية العسكرية ، على حين نجد في اندونيسيا « الديمقراطية الموجهة » التي ابتدعها الرئيس سوكارنو ووضع الجيش تصميمها . وقد تم شل سلطات البرلمانات في معظم البلاد الآسيوية الافريقية . والهند وسيلان هما الاستثناء الوحيد من ذلك . وقد مرت بورما بفترة حكم عسكري قصير . وان الملكية نظام أخذ في الانقراض . وهي ماتزال قائمة في بعض البلاد الضعيفة في آسيا ـ في افغانستان ، واللايو ، وكمبوديا . ولاوس . ونيبال . وتايلاند ، لكن من المؤكد أن هناك اتجاها نحو النظام الجمهوري . **والنظامان الملكيان العربيان في العربية السعودية والأردن يقتربان بالتأكيد من نهايتهما** . مما يسترعي النظر أنه ليس هناك دولة حديثة الاستقلال في افريقية اختارت الملكية نظاما لها .

وآسيا اقل تقسيما من أوروبا بمراحل فان مساحة آسيا تبلغ خمسة اضعاف مساحة أوربا ، وفيها ٢٥ دولة مستقلة مقابل ٢٦ دولة في أوربا . وهناك في آسيا ثلاث حضارات عظيمة : الهندوسية والاسلامية والبوذية . وأربعة أديان كبيرة من بينها المسيحية . وتسيطر على المسرح السياسي الآسيوي دولتان عملاقتان هما الهند والصين . فمن مساحة آسيا الاجمالية التي تبلغ سبعة عشر مليون ميل مربع ، تحتل الصين أربعة ملايين ، والهند مليونا وربع من مليون الميل المربع . ومن بين سكان آسيا الذين يبلغ عددهم ١٥٠٠ مليون نسمة تتقاسم الصين والهند ١٠٠٠ مليون نسمة ـ ويعيش نحو ٧٠٠ مليون نسمة في آسيا (بعد استبعاد آسيا الوسطى السوفييتية) في ظل الشيوعية، ويعيش حوالي ٦٠٠ مليون نسمة في ظل الديمقراطية النيابية ، والباقي في ظل اشكال مختلفة من نظم الحكم المطلقة .

ومن بين شعوب افريقية التي يبلغ عدد افرادها ٢٥٠ مليون نسمة، من الزنوج والعرب ، يتنسم ما يزيد عن نصف هذا العدد نسيم الحرية الآن . ولم تسرع افريقية الى الحرية خلال فترة الحرب الباردة فحسب ، بل انها أصبحت ، منذ مطلع الستينات . من أخطر مناطق تلك الحرب ، وبعد أن أصبح المسرح السياسي الآسيوي مستقرا تقريبا في علاقات القارة مع العالم الخارجي على الاقل ، واذا عدم الاستقرار في الداخل ، أصبحت افريقية ، وأمريكا اللاتينية ، الى حد بعيد، مسرحين جديدين للتنافس بين الكتلتين الكبيرتين .

والمظهر الهام للتطورات الافريقية انما يتمثل في انحسار الاستعمار الغربي ، تاركا وراءه فراغا سياسيا في أجزاء كبيرة من القارة . ونظرا لأن السياسة لا تعترف بأي فراغ ، اتجهت بعض القوى الاخرى الى

الاندفاع نحو القارة ، وقد شغلت فى الصراع المتشابك قوى القومية واخطار النزعة القبلية ، والمحاولات اليائسة الاخيرة التى بذلها الاستعمار لكى ينتشل كل ما يمكن انتشاله من بقايا المصالح الاستعمارية ، وأخيرا ذلك الصراع بين الكتلتين من اجل الحصول على ولاء الانسانية السوداء فى افريقية . وفى السراديب الضيقة لهذه الصورة المتعددة الالوان كانت الولايات المتحدة تحاول من تلقاء نفسها ، أن تؤدى دورا بناءا لغرض ذا شقين ، الاول مساعدة الافريقيين على وضع أيديهم على كيان الاستقلال ، وابعاد القارة عن مجال منافسات الحرب الباردة . وقد منحت الهند والدول غير المنحازة الاخرى جهرد الولايات المتحدة تأييدها فى هذا المضمار .

وكثير من اجزاء افريقية المعاصرة يتسم بالحداثة والجدة . وبالرغم من ان أول حركة كشف أوربية لافريقية بدأت من قبل القرن الخامس عشر فى ظل جهود البرتغاليين الرائدة ، فان ٩٠٪ من افريقية السوداء كانت ما تزال مجهولة فى عام ١٨٠٠ ولم يأخذ التغلغل الاوربى شكلا خطيرا الا فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، ولذلك لا تستطيع كثير من الاقاليم الافريقية التى تحولت الآن الى دول مستقلة ، أن تدعى أن وجودها السياسى يصل الى قرن . وكانت الحدود الافريقية مرسومة بطريقة مصطنعة تتمشى مع مصالح الحكام الاجانب ، دون اعتبار للعوامل السلالية او الاقتصادية .

ونتيجة لذلك كله نجد أن القارة الافريقية تتضمن حدودا دولية تعد الثالثة من نوعها من حيث الطول . وقد تم تفتيت كثير من المناطق بطريقة تعسفية ، مما أدى الى الحاق الضرر بمصالح السكان المحليين وقد كان معظم القارة الافريقية ، عند مطلع هذا القرن أو بعده بقليل . فى يد سبع دول أوروبية : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا . والبرتغال ، واسبانيا ، والمانيا . وقد قضت حربان عالميتان على ايطاليا والمانيا كقوتين فى افريقية . وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ظلت بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، وأسبانيا الدول الخمس « الافريقية » التى سيطرت ، فيما بينها على أكثر من ٥٠ ٪ من هذه الاقاليم .

ولم يكن احد يتصور ، حتى فى عام ١٩٤٥ ، أن هذه الاقاليم سوف تهدد ، بهذه السرعة ، باكتساح الامم المتحدة فى حقبة ونصف الحقبة ، وتقلب تماما ميزان القوى ، والانحياز فى التصويت داخل المنظمة العالمية . ولا يمكن قياس مدى الدفعة التى منحتها الحرب الباردة مجرى التاريخ الافريقى ، فان البنيان الاستعمارى الضخم الذى اقامته

مجموعة الدول الاوربية عبر فترة طويلة من التاريخ تبلغ قرنا ونصف القرن ، انهار فى مدى عشر سنوات فقط . فلا شك أن تدهور أوروبا السياسى والعسكرى هو العامل الوحيد الكبير المسئول عن هذا التطور التاريخى ، وكان تدهور أوربا احد النتائج الواضحة للحرب العالمية الاخيرة . وأصبحت افريقية تتمتع بأهمية استراتيجية هائلة ، ولذلك يهتم الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة بمستقبل القارة .

ولما كانت القومية الافريقية هى الطور السليم الوحيد فى صورة، كان من الممكن أن تبدو ، لولاها ، محيرة ومعقدة بدرجة كبيرة ، فان كلا من الدولتين الكبيرتين تعمل على اكتسابها بقدر المستطاع . ولذا كان يتعين على الولايات المتحدة ، بكل ما لها من مصالح كبيرة فى أوربا الغربية، وتحالف مع الدول الاوربية . أن تتخذ موقفا معاديا – باعتدال – للاستعمار ، وذلك فى علاقتها بافريقية .

وكان هناك فى عام ١٩٤٥ اربعة بلاد مستقلة فى افريقية يصرف الافريقيون شئونها وهذه الدول هى ليبيريا ، وليبيا ، واثيوبيا ، ومصر . وحتى من بين هذه الدول الاربع، كانت ليبيريا تعتمد اعتمادا كبيرا على الولايات المتحدة ، وكانت ليبيا لا تكاد تقف على قدميها ، أما فى مصر فكانت هناك القاعدة البريطانية الضخمة فى السويس . وقد بدأت أول رياح التغير تهب فى يناير عام ١٩٥٦ حينما حصل السودان على استقلاله ثم تحققت حرية ساحل الذهب الذى تسمى باسم «غانا» ، وفى الفترة من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٠ حصلت عشرون دولة افريقية على استقلالها . وسوف يتم دعم مجموعة الدول الافريقية المستقلة بخمس أو ست دول جديدة فى العام أو العامين القادمين .

وفى أول اجتماع عقدته الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٦ لم يكن هناك ما يزيد عن اربعة بلاد افريقية ممثلة فى المجموعة الدولية التى كانت تتألف من خمسين دولة . وكانت أكبر كتلة للبلدان ، وتضم احدى وعشرين دولة تشمل الولايات المتحدة ، وتأتى من نصف القارة الغربى . ولذا كانت تمنح الولايات المتحدة مركز التمتع بالقوة العددية الواضحة . وقد كان فى وسع الولايات المتحدة ، حتى عام ١٩٤٥، مع أمريكا اللاتينية وسائر الدول الاوربية أن تحصل على موافقة الجمعية العامة على أى قرار تقدمه .

وقد طرأ أول تغيير على الموقف فى الدورة التاسعة للجمعية العامة عام ١٩٥٥ . فقد تم السماح لمجموعة جديدة من الدول الآسيوية بموافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، بالانضمام الى المنظمة العالمية ، وقد فتح مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الافريقية المجال أمام ظهور

«روح باندونج» وأدى ذلك الى تكوين مجموعة الدول الآسيوية الافريقية فى الامم المتحدة وهى ثانية كتلة ضخمة من الناحية العددية ، وأصبحت عاملا موازنا أمام كتلة أمريكا اللاتينية • واستطاع الاتحاد السوفيتى عن طريق تزعمه جميع الخطوات المناوئة للاستعمار ، أن يمارس قدرا كبيرا من النفوذ على مجموعة الدول الآسيوية الافريقية ، على حين وجدت الولايات المتحدة نفسها — بسبب ارتباطها بدول أوروبا الغربية عن طريق الأحلاف العسكرية والاقتصادية — انها تجاهد ، لأول مرة ، بحثا عن الأصوات • وقد بدأت بعض القوى الجديدة فى الظهور ولا سيما عند بحث المشاكل المناوئة للاستعمار ، فى الامم المتحدة وسببت كثيرا من القلق وعدم الارتياح للكتلة الغربية •

وأصبح معنى التغير السياسى فى أفريقية هائلا فى نظر الامم المتحدة حينما انعقدت الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة فى نيويورك فى سبتمبر من عام ١٩٦٠ • فلقد أصبح المجتمع العالمى يتكون من تسع وتسعين دولة ، وكان جميع الاعضاء الجدد قادمين من قارة أفريقية • وشكلت خمس وعشرون دولة أفريقية أكبر كتلة اقليمية فى الامم المتحدة ، وأصبحت هذه الكتلة بالاضافة الى السبع عشرة دولة آسيوية فى وضع يسمح لها ، لاول مرة ، أن تحدث تغيرا عميقا فى ميزان القوى فى المجتمع العالمى ، غير ان الضعف الكامن فى الدولة العضو فى المجتمع الآسيوى الافريقى ، وعوامل الجذب المضادة التى كانت تخضع لها كثير من هذه الدول ، كانت تشكل العقبات الرئيسية التى وقعت أمام اتجاه هذه المجموعة وتعاونها • ومن الواضح أن معاداة الاستعمار والرغبة العامة ، السائدة بينها ، فى الحصول على نصيب أكبر من عون الامم المتحدة ، هما العاملان الوحيدان بالفعل ، اللذان يربطانها بعضها ببعض بل وحتى فى المشاكل الاستعمارية عجزت هذه الدول عن التماسك بالطريقة التى كان البعض يتمناها • غير أنها استطاعت أن تجبر الدول الكبرى على أن تهتم بها أكثر مما كانت تهتم بها فى الماضى •

وقد أدى دخول الدول الافريقية الجديدة الجماعى ، الى الامم المتحده الى وقوف الزعامة الامريكية موقف الحياد الى حد ما ، والى منح الكتلة السوفيتية وقودا أكبر لحرب دعائية تشنها ضد الدول الغربية ، وكانت الكتلة السوفيتية ماتزال أقلية ضئيلة لاتستطيع أن تعتمد الا على حفنة من الاصوات ، غير أن هذه الكتلة كانت تنحاز بحماس الى جانب الدول الافرو — آسيوية ، اذا كانت المشكلة المطروحة تتعلق بالاستعمار ، وهنا كانت تؤيد أكثر الآراء والمطالب تطرفا ، أما اذا كان الموضوع المطروح كبيرا ويتناول نزع السلاح والعلاقات بين الدول فان الكتلة السوفيتية

كانت تؤثر ـ بمقترحاتها الضخمة ـ على البلاد الصغيرة أكثر من الولايات المتحدة باتجاهها الحذر المحافظ ٠

وكانت النتيجة ، وستظل لبعض سنين ، حدوث فراغ معين فى الزعامة داخل الامم المتحدة ٠

فاذا عدنا الى مسرح الاحداث الافريقى ، وجدنا أن التقسيم كان المشكلة الرئيسية التى تواجه القارة بعد انسحاب الدول الاستعمارية منها ٠ والواقع أن اقدام الدول الاوروبية على تجزئة القارة الافريقية الى قطع كثيرة ، حجة مستحبة مقنعة تخدم الدعوة الى الوحدة الافريقية ٠ وليس هناك من انسان عاقل ، أفريقيا كان أم أوروبيا ، يؤيد رؤية مزيد من التقسيمات فى أفريقية ، ومع ذلك ظهر قدر هائل من الرأى العام الأوروبى فى أثناء أزمة الكونغو ، يؤيد انفصال كاتانجا كدولة مستقلة ٠ ومن الناحية الاخرى أدرك الوطنيون الافريقيون الخطر الكامن فى الحركة الانفصالية التى تقوم بها كاتانجا ، وهو خطر كان له أثره المباشر على اتحاد مالى الجديد ٠ وكانت المهمة الرئيسية امام الوطنيين الافريقيين ، وأمام الأمم المتحدة أيضا ، هى أن تضع الامور فى نصابها من جديد فى الكونغو ، ومن ثم تحبط الحركة التى تميل نحو اجراء المزيد من التقسيمات ٠

ولم تلق الجهود التى بذلت من أجل خلق وحدات افريقية أكبر والتى بدأها الدكتور نكروما رئيس وزراء غانا عام ١٩٥٧ ، أى نجاح ملحوظ ، غير أن الرغبة مازالت قائمة بالرغم من أن المشاكل التى يتعين القضاء عليها مشاكل هائلة ٠ فكل دولة فى افريقية تتمتع بقوميتها الخاصة بها ثم هناك بعد ذلك المشكلة المعقدة التى خلقها رؤساء القبائل الذين مازالوا يمارسون نفوذا كبيرا بين صفوف رجال القبائل البدائيين ومع ذلك فان المستقبل يبشر بظهور وحدات افريقية أكبر ، وبدون هذه الوحدات لن تستطيع افريقية أن تجعل صوتها مسموعا فى مجال الشئون الانسانية ولن تستطيع تطوير مواردها الضخمة بما يعود عليها بالنفع ٠

وكما ذكرنا فى البداية فان تلك الدراما الفريدة ، دراما الوجود الافريقى الآسيوى ، انما تظهر فى عالم شطرته الحرب الباردة الى نصفين لقد تحول العالم أجمع الى ساحة تقف فيها الدولتان الكبيرتان وجها لوجه استعداد للقتال ٠ وكل منهما تناور باستمرار من أجل دفع الاخرى بعيدا عن مراكز النفوذ ٠ وليس هناك أى مكان فى العالم لم يكتسب أهمية سياسية جغرافية وأهمية استراتيجية جديدة فى مجال الحرب الباردة ٠

ولن تستطيع أية من الدولتين الكبيرتين شن حرب نووية شاملة

معتمدة على مواردها الخاصة وحدها · فكل منهما ستحاول أن تجعل الحرب بعيدة عن حدودها بقدر الامكان ولأطول فترة ممكنة ·

ومنذ ثلاثين عاما كانت هناك أجزاء من العالم لاتحظى بأية أهمية غير أنها أصبحت اليوم بالغة الأهمية ·

وقد وجدت الدولتان الكبيرتان نفسيهما فى وضع يتعذر الوصول فيه الى حل ، لذا أصبحت مهمة الدول الصغرى تتلخص فى التباعد بينهما واقناعهما بتجنب أى صدام قد تتورط فيه الكرة الارضية جمعاء وفى ظل هذه الظروف ، تؤدى الدول الصغيرة بكل عجزها فى حالة قيام الحرب دورا هاما طالما أن الحرب لم تقع بعد ·

يقول مستر جون جنتر فى كتابه الشهير عن افريقية : -

« ان هذه القارة الخيالية الصعبة انما تهم العالم الغربى الى حد بالغ · لا لانها هامة من الناحية الاستراتيجية وغاصة بالمواد الخام الحيوية فحسب ، بل لانها معقلنا الاخير · فقد خسرنا معظم آسيا أما افريقية فما زالت قائمة · غير أن أفريقية ترقد مفتوحة كما لو كانت فراغا ، وهى بلا دفاع تقريبا ، انها أثمن جائزة على الارض (١) ·

هذه هى أفريقية الجديدة ، كما ترى من خلال ما يتوقع من نتائج الحرب الباردة ·

ويعلن مستر ادوين أ · رايز شوار ، وهو كاتب أمريكى مشهور: «اننا نعيش جميعا فى معركة آسيا» (٢) والاسباب مشروحة فى نشرة أمريكية أخرى عن آسيا أصدرتها منظمة للبحوث تابعة لاحدى الجامعات(٣). جاء فى هذه النشرة ·

«ان للولايات المتحدة مصلحتين متباينتين ، لكنهما مرتبطتان ، فى قارة أوراسيا الواسعة · ونظرا لان موارد أوراسيا المجتمعة قد تشكل تهديدا خطيرا بالهزيمة العسكرية للولايات المتحدة ، فان من مصلحتها الا تسيطر دولة واحدة أو مجموعة من الدول ـ معادية أو يمكن أن تكون معادية للولايات المتحدة ـ على هذه المنطقة · ونظرا لان وجود أوراسيا (مهما كان الموقف العسكرى) فى ظل الدكتاتورية الاستبدادية قد يهدد الديمقراطية ، سواء فى الولايات المتحدة أو خارجها ، كان حريا بنا تصور مجتمعات أوراسيا ، على خطوط عريضة تتمشى مع مفهومنا عن

(١) « فى داخل أفريقية » جون جنتر .

(٢) مطلوب : سياسة آسيوية بقلم مستر ادوين رايز شوار ص ٢٧٤ .

(٣) « سياسة أمريكية لآسيا » بقلم و . ودوستو بالاشتراك مع ريتشارد و. هاتش ص ٤ ، ٥ ·

علاقة الفرد الصحيحة بالدولة بميراثها الحضارى الخاص ٠ غير أن الموقف فى آسيا أكثر تعقيدا منه فى أوروبا ، فبينما نجد أن ألمانياالغربية فى أوروبا هى أساسا جوهر الموضوع ، نجد اليابان فى آسيا من ناحية ومنطقة جنوب شرقى آسيا كلها من ناحية أخرى ،ويمتد جنوب شرقى آسيا من الهند الصينية ويدور حول تايلاند وبورما والملايو واندونيسيا والهند وباكستان ٠ وقد يصبح التهديد حقيقة واقعة فى آسيا ، اذا مافقد العالم الحر اليابان أو جنوب شرقى آسيا»

وفى هذا العالم المتغير ، المتغير على حسب ماتمليه الحرب الباردة والعلوم والتكنولوجيا ، وحافز الانسان ــ الذى لايقهر ــ من أجل النمو فى ظل الحرية ، وجدت آسيا وافريقية نفسيهما فى النصف الاخير من القرن العشرين ٠

وتشتد المعركة فى سبيل الاستحواذ على عقول الناس أكثر من الاستحواذ على مواردهم الطبيعية، ولا شك فى أن الطريقة التى سيختارها ثلاثة أرباع الجنس البشرى لتشكيل مصيرهم سوف تؤثر بقوة على مستقبل الجنس بأكمله ٠

الفصل الثالث

ميزان القوى المتغير

لقد وصفت السياسة بأنها ثانى أقدم حرفة عرفها الانسان . فمنذ البداية ، كانت السياسة لاتنفصل عن القوة وكانت الحرب ، كما قال كلاوز فيتز ، سياسة مستمرة بوسائل أخرى أى بوسائل عنيفة . وبينما كان السلام أحد الرغبات الجادة التى يحن اليها الانسان ، فان تاريخه مشحون بالصراع والعنف . وقد تغيرت قوة الحرب من وقت لآخر موسعة لمجال المنازعات ، وحدود العنف حتى أصبحت الحرب فى عصرنا الحاضر . تعنى الفناء التام ، وأصبحت الكرة الارضية أصغر من أن تحتملها حرب شاملة .

وقد قامت الجغرافية فى الصراع من أجل القوة بدور كبير حيث أن مجالها يعتمد على معرفة الانسان لبيئته وللظروف المادية والسائدة وراء حدود كل منطقة سياسية .

ويمكننا أن نعثر على أحد المظاهر الاولى للعلاقات الجغرافية التى تحدد الصراع من أجل القوة ، فى كتاب «أرثا ساسترا» الذى وضعه كاوتيليا والذى يرجع تاريخه الى عام ٣٠٠ ق . م . وهذا الكتاب يعطى أيضا صورة لجوانب التنافس السياسى فى الهند القديمة .

يقول كاوتيليا : « يلقب الملك ــ الذى هو مصدر السياسة بسبب تمتعه بشخصية عظيمة ، وعناصر ملائمة للسيادة ــ «بالفاتح» والملك الذى يعيش فى أى مكان متاخم لاقليم الفاتح يلقب بالعدو . أما الملك الذى يقيم أيضا بالقرب من العدو ، ولكن لايفصله عن الفاتح الا العدو ، فيعتبر صديقا للفاتح . ويدخل فى تعريف العدو الخصم المجاور الذى يتمتع بقوة كبيرة ، وحينما يتورط فى كوارث ، أو يزج بنفسه فى مسالك الشر ، يصبح عرضة للهجوم ، وحينما يصبح بدون معونة أو بقليل منها يصبح قابلا للتدمير ، فاذا لم يكن كذلك تعين ازعاجه وكسر شوكته . تلك هى مظاهر العدو . ويحدث أن يكون أمام الفاتح أو بالقرب من عدوه بعض الملوك مثل صديق الفاتح ويأتى بعده صديق العدو . ويحدث أن يكون

هناك فى صف الفاتح عدو فى المؤخرة ، وصديق فى المؤخرة ، وحليف للعدو الذى فى المؤخرة ، وحليف للصديق الذى فى المؤخرة » ·

تلك هى رقعة الشطرنج التى تعرض سياسة القوى فى الهند القديمة ·

ونحن نهتم ، فى دراستنا لآسيا وافريقية فى ميدان الحرب الباردة، بالتغييرات التى طرأت على ميزان القوى نتيجة للحروب العالمية الثانية · فقد انهارت الدول القديمة ، وظهرت قوتان كبيرتان جديدتان ، يتبع كلا منهما فريق من الدول الصغيرة وانكمش العالم وجعلت أسلحة الدمار الجماعى من الحرب الشاملة حلم رجل مجنون ·

ويتعين علينا أن نرجع الى الوراء الى ميزان القوى فى أوروبا عند مطلع هذا القرن كى نفهم التغيرات الهائلة التى طرأت على هذا الميزان فى العشرين سنة الماضية ·

كانت المحافظة على ميزان القوى التقليدية فى أوروبا تتم عن طريق منع نمو دولة مركزية قوية أكثر من اللازم ، وعن طريق المحافظة على نوع من التوازن بين عدد من الدول القوية · وكانت النتيجة الحتمية لاى اضطراب في هذا الميزان ، هى الحرب · وكانت لظهور ألمانيا القوية فى الحقب الاخيرة من القرن التاسع عشر ، أثر فى حدوث تغيير فى التوازن فى أوروبا ، والى ظهور تجمعات جديدة للدول ·

وفى عام ١٨٨٢ حينما ظهر الى الوجود التحالف الثلاثى بين ألمانيا والنمسا والمجر وايطاليا ، دفعت أوروبا فجأة الى حافة الحرب ، وبعد وفاة بسمارك وقعت روسيا وفرنسا بروتوكولا سريا عام ١٨٩١ تحول بعد ثلاث سنوات الى تحالف ثنائى · وقد أمكن الاحتفاظ بنوع من توازن القوى بين التحالف الثلاثى والتحالف الثنائى · وظلت بريطانيا وهى دولة على شكل جزيرة تمتلك امبراطورية تمتد الى جميع مناطق العالم بعيدة عن لعبة القوى هذه ولكنها كانت تفرض التوازن فى لحظات الأزمات ·

وفى عام ١٩٠٠ جعلت مطامع ألمانيا المتزايدة من المستحيل على بريطانيا أن تظل فى معزل عن الاحداث · لذلك وقعت بريطانيا مع اليابان اتفاقية تحالف عام ١٩٠٢ حتى تتمكن من تركيز جهودها على الشئون الأوروبية ·

كما تمكنت فى العام نفسه من أن تسوى خلافاتها مع فرنسا تلك الخلافات التى نشأت عن المنافسات الاستعمارية ، ووقعت معها ما عرف فيما بعد باسم الاتفاق الودى · غير أن مخاوف بريطانيا من التوسع الروسى نحو امبراطوريتها الاستعمارية فى الهند ، منعها من أى تقارب

مع القيصر • بيد أن هذا الخوف قد تلاشى بعد الهزيمة التى عانت منها روسيا على يد اليابان عام ١٩٠٥ • وبعد ذلك بعامين ، أى فى عام ١٩٠٧ امتد الاتفاق الودى ليصبح اتفاقا ثلاثيا يضم بريطانيا وفرنسا وروسيا • وهكذا وقفت أوروبا موقف التوازن بين التحالف الثلاثى والاتفاق الثلاثى •

وفى عام ١٩٠٧ وضع سير ايركرو كتابه المشهور « مذكرة عن السياسة البريطانية » وهو الكتاب الذى ظلت تسترشد به السياسة الخارجية للحكومات البريطانية المتعاقبة وتتلقى الالهام منه لسنوات عدة •

وقد حدد كرو أهداف الدبلوماسية البريطانية وقت السلم ، بأسلوب واضح ، ووضع فى اعتباره مركز بريطانيا الفريد الذى يتمثل فى جزيرة صغيرة قطعت فى التصنيع شوطا كبيرا وسيطرت على امبراطورية مترامية الاطراف ، وتعتمد قوتها كلية على مناعة أسطولها البحرى • وكانت بريطانيا جزءا من أوروبا ومع ذلك كانت منفصلة عن أوروبا ليس من الناحية الجغرافية فحسب بل أيضا من ناحية نظرتها الى الامور •

كتب سير اير كرو يقول : « تتحدد السمات العامة لسياسة بريطانيا الخارجية بالظروف الثابتة النابعة من مركزها الجغرافى الذى على جانب أوروبا المتاخم للمحيط ، والذى يتمثل فى دولة تتكون من جزيرة تمتلك مستعمرات وممالك شاسعة عبر البحار والتى يرتبط وجودها وبقاؤها كمجتمع مستقل ارتباطا وثيقا بامتلاكها قوة بحرية تتمتع بالغلبة وكانت الدولة البحرية جارة — بالمعنى الحرفى لكلمة الجارة — لكل دولة يمكن الوصول اليها عن طريق البحر • لذلك كان من الطبيعى أن يبعث قيام دولة بحرية كبيرة روحا من الغيرة والخوف المنتشر وان تظل عرضة لخطر القضاء عليها من جانب تجمع عام لدول العالم» •

كان هذا التجمع للقوى أخشى ماتخشاه بريطانيا ، ووجدت أن من الضرورة الملحة أن تجمد دبلوماسيتها من أجل ازالة هذا الخطر وان الخطر لايمكن أن يزول بالفعل — وهذا ماأثبته التاريخ — ألا اذا شكلت السياسة القومية للدولة البحرية العازلة بطريقة تتمشى مع الرغبات والمثل العليا العامة المشتركة بين الجنس البشرى كله ، وأهم من هذا أن تكون السياسة مطابقة تماما للمصالح الاولية والحيوية للغالبية ، أو لمصلحة أكبر عدد ممكن من الامم الاخرى •

والآن الاهتمام الاول لجميع الدول يتمثل فى المحافظة على الاستقلال الوطنى • ولذا كانت انجلترا أكثر من أية دولة أخرى ، تهتم اهتماما مباشرا وايجابيا بالمحافظة على استقلال الدول ولذلك ينبغى أن تكون

العدو الطبيعى لاية دولة تهدد استقلال الآخرين • وان تكون المدافع الطبيعى عن المجتمعات الضعيفة» •

معنى هذا ، بصراحة ، انه اذا كان من مصلحة بريطانيا ـ كى تسد الطريق أمام ظهور دولة برية قوية أو مجموعة من الدول فوق القارة الاوروبية ـ أن تتحالف مع الدول الاوربية الصغيرة • وأن تحافظ على استقلالها الوطنى وسيادتها • وان تبدو فى دور حامى المجموعات الاوربية الضعيفة فانها تفعل •

ثم انتقل سير اير كرو الى النقطة الاساسية التالية فى سياسة بريطانيا الخارجية وهى « حق التبادل والتجارة الحرة » فى الاسواق العالمية •

وقال : «اننا نجد انه بمقدار ماتكافح انجلترا عن مبدأ حرية التجارة على أوسع نطاق ، فانها تدعم روابط الصداقة مع الدول الاخرى ، على الأقل الى الحد الذى يجعلها أقل تخوفا من السيادة البحرية التى تكمن فى يد دولة حامية رئيسية : فالتاريخ يبين أن الخطر الذى يتهدد استقلال هذه الدولة أو تلك ، قد نبع ـ ولو جزئيا على الأقل ـ من الامتياز المؤقت لدولة مجاورة تصبح بسرعة دولة قوية عسكريا ، وقادرة اقتصاديا ، وطامحة فى مد حدودها أو نشر نفوذها ، وهذا الخطر يتوقف على مدى قدرة وكفاية هذه الدولة ، وعلى مدى تلقائية أو حتمية مطامعها • فان الشىء الوحيد الذى يحول دون ظهور السلطان السياسى النابع من موقف كهذا ، يتمثل فى وجود منافس على هذه الدرجة من القوة ، أو تجمع من عدة دول تشكل روابط دفاعية • ان التوازن الذى يؤلفه هذا النوع من تجمعات القوى ، يعرف فنيا ، ب « توازن القوى » ولقد كان من قبيل الحقيقة التاريخية تقريبا أن تجند انجلترا قوتها المادية لصيانة هذا التوازن بأن تلقى بثقلها فى هذه الكفة تارة وفى تلك الكفة تارة أخرى ، ولكنها دائما فى الجانب الذى يعارض الدكتاتورية السياسية التى تمارسها أقوى دولة أو مجموعة من الدول فى وقت معين » •

والجدير بالذكر ، هنا ، أن توازن القوى الذى دار فى ذهن كرو كان يتعلق بأوروبا والعالم الجديد • فقد كانت بريطانيا سيدة البحار السبعة أما آسيا وأفريقية فلم تكونا فى الاعتبار الا على أساس انها مناطق للمنافسة بين الدول الاوروبية •

وقد ظلت السياسة الخارجية الاساسية التى رسمها سير اير كرو لبريطانيا تحدد توازن القوى الاوروبى حتى الحرب العالمية الثانية ، ومن المرجح أنها المرشد الثابت لسياسة بريطانيا حتى فى أيامنا هذه •

وهناك ملامح تكمن فى مذكرة كرو السياسية التى حاولت بريطانيا أن تتبع خطوطها العريضة منذ عام ١٩٠٧ ، فقد انحازت بريطانيا أولا ضد ألمانيا حينما أصبحت ألمانيا أقوى من اللازم فوق القارة ، وأخذت تمد ذراعيها نحو المستعمرات البريطانية فى أفريقية وقد أدى ذلك الى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وانضم قيصر روسيا الى بريطانيا فى تلك الحرب ، وذلك ــ كما شرح بنفسه فى برقية أرسلها الى ملك انجلترا ، لان السيطرة النمسوية ــ المجرية على الصرب «قد تقلب ميزان القوى فى دول البلقان التى تعتبر بالغة الاهمية بالنسبة لامبراطوريتى ، وبالنسبة للدول التى ترغب فى المحافظة على ميزان القوى فى أوروبا ··· وانى أثق فى أن بلادكم لن تفشل فى مساندة فرنسا وروسيا فى حربها من أجل المحافظة على ميزان القوى فى أوروبا» ·

وقد أدت الحرب العالمية الاولى الى اعادة تغيير ميزان القوى الاوروبى فقبل ابتدائها ، هجرت ايطاليا ألمانيا كى تنضم الى فرنسا ، وروسيا وبريطانيا ·· وقذفت أمريكا بقوتها فى الميزان ضد المانيا ، والسبب الرئيسى أنها كانت خائفة من أن انتصار ألمانيا فى الحرب قد يجعل منها أقوى دولة فى الاطلنطى تهدد أمن الولايات المتحدة ، وعندما أوشكت الحرب أن تضع أوزارها تدهورت الدول البارزة، وخرجت من الامبراطورية النمسوية ــ المجرية ست دول تتمتع بالسيادة وهى : النمسا ، والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، ورومانيا ، ويوغوسلافيا ، وزالت الدولة العثمانية من الوجود ، ولم تعد ألمانيا دولة استعمارية ، ودخل الشرق الأوسط بأكمله تحت سيطرة بريطانيا ، ومعها فرنسا كشريك صغير . وبرغم أن الولايات المتحدة قد عادت الى عزلتها من جديد بعد الحرب ، أصبح واضحا أن أية دولة من الدول الكبرى فى أوروبا لن تستطيع أن تكسب الحرب بعد ذلك دون مساندة أمريكية · وعلى أنقاض روسيا الاستعمارية ظهرت الى الوجود دولة جديدة ، وهى الاتحاد السوفيتى . ظهرت بفلسفة جديدة ونظام اجتماعى جديد ·

واذا كانت الدول الاساسية قد انتهت ، فان الدول المتحالفة قد تفككت أيضا فى السنوات التالية للحرب · وقد جاءت الضربة الاولى حينما اندلعت شرارة الثورة فى روسيا ، وانسحبت من الحرب ، وكانت الصدمة أقوى حينما انسحبت الولايات المتحدة من على مسرح السياسة الاوروبية ، وعادت الى عزلتها التقليدية ·· وكانت الدول الثلاث التى وجدت نفسها وحيدة فى أوروبا هى : فرنسا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، على حين ظهرت اليابان فى الشرق الأقصى كقوة معتدية ضخمة على وشك القيام بتوسع اقليمى فى كوريا والصين وما وراءهما ·

وبدأت بريطانيا ، أول الامر بمساعدة ألمانيا المهزومة على استعادة

مكانتها ، وقد جلب حلف لوكارنو (عام ١٩٢٥) معه تفاهما قصير الأمد بين ألمانيا وفرنسا ، ومنح ألمانيا مقعدا مرموقا فى مجلس عصبة الأمم ٠

وهكذا لم تمض سبع سنوات على نهاية الحرب العالمية الاولى ، حتى عادت ألمانيا مرة أخرى الى مصاف الدول الكبرى ، وعادت بريطانيا الى مركزها التاريخي كدولة تعمل على حفظ التوازن بين مختلف القوى ٠

ولا حاجة بنا هنا الى تتبع التاريخ المحزن لعصبة الامم ولو باختصار فقد تحطمت العصبة على صخرة المطامع الايطالية واليابانية والالمانية الراغبة فى التوسع الذى لايردعه رادع ٠

وكان هدف بريطانيا الاساسى ، فى الثلاثينيات ، هو احباط التحالف القائم بين الاتحاد السوفيتي وفرنسا ، وكان السلاح الخطر الذى استخدمته هو تهدئة هتلر ، وحينما تألف محور روما ــ برلين ــ طوكيو عام ١٩٣٦ ، أمسى ميزان القوى العالمي من جديد على حافة الانهيار وغزت ايطاليا الحبشة ، وشكلت تهديدا مباشرا للسيادة البريطانية على أفريقية وحوض البحر الابيض المتوسط ، وعكف هتلر على مهمته فى غزو أوروبا الغربية ، وتحركت اليابان جنوبا الى الصين ، وكانت الدبلوماسية البريطانية تهدف الى دفع هتلر الى الاصطدام بالاتحاد السوفيتي ، ولكن حينما وقع هتلر ، عام ١٩٣٩ ، على حلف عدم الاعتداء مع روسيا دفعت اوروبا مرة أخرى نحو حافة الحرب ، وفى الشهر التالى اندلعت الحرب العالمية الثانية ٠

وقد جلبت الحرب العالمية الثانية معها تغيرا لم يسبق له مثيل فى العلاقات بين الدول ، فموارد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا مجتمعة مزقت دول المحور ، ولكن ما ان كادت العداوات تقترب من نهايتها حتى أدرك الحلفاء الحقيقة الكئيبة التالية : سيكون هناك فراغ كبير فى القوى ، فى أجزاء كثيرة من العالم ، وسيكون الصراع الجديد من أجل القوة مختلفا تماما عن النمط التقليدى الذى ظل متبعا قرونا عدة ٠٠

وقد أوضح مستر لويد جورج فى مذكرة سرية الى مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة أن «الخطر الاعظم الذى أراه فى الموقف الحالى هو أن ألمانيا قد تجرب حظها مع البلشفية ، وتضع مواردها ، وعقولها الهائلة ، القادرة على التنظيم ، تحت تصرف المتطرفين الثوريين الذين يحلمون بغزو العالم من أجل البلشفية بقوة السلاح ٠ واذا ماتم ذلك ، فان جميع بلاد أوروبا الشرقية سوف يجرفها التيار الى فلك الثورة البلشفية ، وقد نشهد خلال عام واحد صورة حوالى ثلثمائة مليون شخص ، وقد انتظموا داخل جيش أحمر كبير مستعدين

لتجديد الهجوم على أوروبا الغربية · ان الاستعمار السوفيتي لا يهدد الدول التي على حدود روسيا فقط ، وانما يهدد آسيا بأكملها ، وهو قريب من أمريكا مثلما هو قريب من فرنسا» (١) ·

ولم تكن ألمانيا هي التي وضعت مواردها في أثناء الحرب العالمية الثانية تحت تصرف الاتحاد السوفيتي ،وانما بريطانيا والولايات المتحدة وحينما انتهت الحرب خضعت أوروبا الشرقية بأكملها للسلطان الروسي ·

والواقع أن الحرب الباردة قد بدأت ، حتى في غمرة الحرب العالمية الثانية ، وذلك بسبب النفوذ السوفيتي في دول البلقان ·

وقد أثار تشرشل ، في اكتوبر عام ١٩٤٤ ، مسألة البلقان مع ستالين «في مؤتمر موسكو» وكتب تقسيما جديدا للدول « على نصف صحيفة من الورق » وتلخصت فكرته في أن يصرف الاتحاد السوفيتي شئون رومانيا وبلغاريا على حين تصرف بريطانيا شئون اليونان ، وعلى أن تتقاسم روسيا وحلفاء الغرب النفوذ في يوغوسلافيا والمجر ·

ومن الملاحظ أن التاريخ الذى كتبه تشرشل للحرب العالمية الثانية وهي الاحداث التي تبدأ بدخول السوفيت بولندا والمجر ، انما سجله في كتابه الثاني من المجلد الاخير ، بعد ان اختار له العنوان العام «الستار الحديدي» ·

وجاءت بداية الحرب الباردة مع المعركة السياسية التي نشبت بين بريطانيا وأمريكا ، من ناحية ، وروسيا من ناحية أخرى ،حول وضع وشكل حكومة وطنية لبولندا المتحررة ، وكتب تشرشل يقول:(٢) (جعل تقدم الجيش السوفيتي نحوأوربا الوسطى والشرقية ـفي صيف عام١٩٤٤ من الضروري التوصل الى ترتيبات سياسية مع الروس حول هذه المناطق»

وفي ٤ من مايو عام ١٩٤٤ طلب من ايدن ، وزير الخارجية أن يجعل مجلس الوزراء يعد له مسودة مذكرة يبين فيها « المسائل الشائكة القائمة بيننا وبينالحكومة السوفيتية ،وهي المسائل التيتظهر في ايطاليا وبلغاريا ويوغوسلافيا ، وفوق كل ذلك في اليونان » ·

وفي آخر يوم من ذلك الشهر ، أرسل رئيس الوزراء البريطاني برقية الى الرئيس روزفلت جاء فيها : « لقد ظهرت حديثا دلائل مقلقة عن احتمال وجود شقاق في السياسة بيننا وبين الروس فيما يتعلق بدول البلقان ، وخاصة نحو اليونان » · وكان تشرشل على استعداد لمنح الاتحاد

---

(١) « مرآة الماضي » بقلم كوني زيلياكوس ــ الفصل الرابع ·

(٢) « الحرب العالمية الثانية » المجلد الرابع «النصر والمأساة» الفصل الخامس ·

السوفيتي مجالا للنفوذ في رومانيا ، ولـــكنه كان عازما على أن يحتفظ باليونان . في ظل النفوذ البريطاني ، نظرا لأهمية هـذا الاجراء بالنسبة لوضع بريطانيا في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وفي الشرق الأوسط وفيما وراء ذلك : في الامبراطورية الهندية ، وقد حاول أن يؤكد للرئيس روزفلت ، المرة بعد المرة ، أنه لا يجرى وراء مناطق للنفوذ، غيرأن روزفلت كان ينتابه الخوف من أن أى نزاع حول المستقبل السياسى لدول البلقـان « قد يؤدى بالتأكيد الى استمرار الخلافات بينكم (بريطانيا) وبين السوفيت والى تقسيم منطقة البلقان الى مناطق نفـوذ ، بالرغم ممـــا أعلن من أن الترتيبات ستقتصر على المسائل العسكرية » .

وبينما كانت الحرب تقترب من نهايتها ، نشبت الحرب البـاردة بعنف ، ولم يعد روزفلت هناك يمارس نفوذه الحر ، المعتدل ، وكانت دول البلقان هى السبب المباشر للحرب البـــاردة ، بالرغم من أنها سرعان ماتغذت على المنازعات الكثيرة الاخرى .

وكانت المبادىء الاساسية للدبلوماسية البريطانية التى وضـــع خطوطها سير اير كرو عام ١٩٠٧ ، تعتمد على كثرة عدد الدول ، غير أن هذا التعـــدد ضـــاع فى ميادين المعارك العـالمية فى أثناء الحرب العـالمية الثانية . وأخذ عدد الدول الكبرى يتناقص بانتظام حتى عنـدما كانت الحرب تقترب من نهايتها ، وأصبح واضحا أن النصر ، وما يتبع هذا النصر سيعتمد على دولتين فقط .

وبعد الحرب كان واضحا أن الدول الغنية الواسعة ، المصنعـــة تصنيعا عاليا ، والتى على مستوى قارة ، هى التى تتمتع بخصائص القوة اللازمة للاستعداد لحرب فعالة ،وشن هذه الحرب بالفعل وبعد ان كانت تلك دولا متعددة فى الماضى ، أصبحت هناك دول ثنائية ، وبعد أن كانت السياسة العالمية منجذبة الى عدة أطراف ، أصبحت منجذبة الى طرفين فقط .

وقد أدى هذا التغير الى بطلان اســـتعمال كثير من الاســـلحة الدبلوماسية وسياسة القوى العتيقة ، ولم يعد صحيحا أن « كل دولة هى العدو المحتمل لجيرانها ، والحليف المحتمل لجيران جارها» ، ولم يعـد التطويق الدبلوماسى ممكنا حيث تتصارع قوتان فقط ، وكما يحدث فى جميع النظم السياسية المنجـذبة الى طرفين ، فان الدول الصغرى ، أى العاجزة نسبيا ، تبحث عن الأمان عن طريق تحالفها مع احدى الدولتين العملاقتين ، وتبذل كل دولة عملاقة كل مافى وسعها لاستخدام المجتمعات التى هى أصغر المتاخمة لها كدول تابعة ، أو دول عاجزة ، أو ألاعيب ، أو حصون ضد الآخرين «ومهما استخدمت الاساليب المهذبة للدبلوماسية التقليدية لحفظ ماء الوجه ، فان التحالف بين الأنداد لم يعد ممكنـــا ،

فالدولتان الكبيرتان هما الندان بصفة عامة ، أما الدول الاخرى جميعها فأقل قوة ، ولذلك فهى تعتمد على هاتين الدولتين(١) ٠

ولم تتقابل الدولتان الكبيرتان اللتان بعثتا من داخل أتون الحرب العالمية الثانية فى أى مكان على ظهر هذا العالم الا فى مضيق على مقربة من جزيرتى ديوميد، والمعروف أن احدى هاتين الجزيرتين سوفيتية والأخرى أمريكية ، هذا التباعد الطبيعى كان يصاحبه جهل بالمشاكل المشتركة ونواحى الفشل والنجاح ٠

وطالما كان ميزان القوى مقصورا ، الى حد كبير ، على قارة أوروبا استمر الصراع من أجل القوة بين بلاد متصلة اتصالا وثيقا بعضها ببعض من الناحية الجغرافية ، وكل واحدة منها تعرف الاخرى معرفة وثيقة ٠

غير أن المسافة الفكرية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كانت أعظم من البعد الجغرافى ٠ فبعد الحرب العالمية الاولى مباشرة انسحبت الولايات المتحدة من الصراع الاوروبى من أجل القوة ولكنها تدخلت فى الحرب الاهلية الروسية ٠ وبرغم أن عددا كبيرا جدا من الامريكيين قد عمل فى الاتحاد السوفيتى من أجل المساعدة على بناء كثير من مشروعات التنمية ، لم تكن هناك علاقات دبلوماسية ، لما يزيد عن عشر سنوات ، بين موسكو وواشنطن ٠ وافتتح روزفلت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، بيد ان الاتصالات بينهما تجارية أو غير تجارية ظلت ضعيفة حتى قاربت بينهما الحرب العالمية الثانية ليحاربا عدوا مشتركا ٠ وما كادت الحرب الساخنة تقترب من نهايتها حتى نشبت الحرب الباردة وفرقت بينهما من جديد على نطاق عالمى ٠

ونظرا لأن العملاقين لم يتقابلا ، سواء من الناحية المادية أو المذهبية كان الخوف المتبادل يسيطر عليهما ٠ وكان هدف دبلوماسية كل من الدولتين أن تبعد الاخرى قدر امكانها عن حدودها ٠ وأدى ذلك الى حلقات مختلفة من الاحلاف والقواعد العسكرية التى أنشئت بقصد استخدامها كمراكز متقدمة للهجوم فى أية حرب عالمية ثالثة ، ومن ناحية أخرى شجع هذا الخوف على صناعة الصواريخ الموجهة التى حطمت حدود الفضاء ، والقواعد العسكرية ٠

وتحاول الدولتان الكبيرتان تجنب بعضهما لبعض غير أن المعركة الجديدة ، من أجل النفوذ كانت معركة شاملة ، لدرجة أن الصدام حدث بينهما بالفعل فوق كل جهة فى المعمورة ٠ واستمرت الدولتان فى

---

(١) « السياسة الدولية » شومان ص ٤١٤ ٠

معركتهما على أراضي الشعوب الاخرى في أوروبا ، وآسيا ، وافريقية ، وأمريكا اللاتينية • ولم تكن هناك مشكلة ذات مظهر دولى ، لم تزدد تعقيدا نتيجة لعوامل شائكة نابعة من الصراع بين هذين العمـلاقين • وأصبح العالم صغيرا عليهما ، وعلى أسلحة الفناء الجماعى التى قاما بتخزينها •

وقد أضفى وجود القطبين المتنافرين أهمية كبيرة على أماكن منعزلة وعديمة الاهمية من العالم ، ولم تكن هذه الاماكن تحلم بتلك الاهمية منذ عشرين عاما مضت • مثال هذا أن بلدا صغيرا مثل لبنان أو الاردن احتل أهمية غير عادية فى ظل الموقف المعقد بالشرق الاوســـط ، أما جزيرتا كيموى وماتسو الصغيرتان اللتان لا تتمتعان بأهمية تذكر فى ذاتهمـا ، فأصبحتا قادرتين على دفع العالم الى حافة الحرب ، وظهرت أرض التبت المحرمة ، مرة واحدة ، على المسرح العالمى تحمل فى طياتها رعودا عاصفة شديدة • وجعلت الحرب الباردة من العالم عالما واحدا : عالما واحدا على حافة الكارثة •

ودخلت الجغرافية السياسية geopolitik فى حساب وزارتى خارجية ودفاع الدولتين العملاقتين •

وقد فكر رودلف كجيلين فى كلمة « جغرافية سياسية » هذه وسط الحرب العالمية الاولى ، وقد أكد هذا الجغرافى السويدى فى كتاب صدر عام ١٩١٦ ، أن قوة الدولة وحياتها لا تعتمدان على شعبها ، وحكومتها ، واقتصادها ، وحضارتها فحسب ، بل أيضا أرضها ، وتربتها وطرقهـا وموادها الخام وطعامها •

غير أن ماكندر البريطانى ، وأدميرال ماهان وبروفســور نيكولاس سبيكمان الامريكيين طوروا فيما بعد مفهـــوم الارض كوحدة سياسية جغرافيــة واحدة • وفسر ماكندر تأثير الدولة البرية ــ كمقـابل للدولة البحرية • على حين قدم المؤلفان الامريكيان تفسيرا لقوى الدولة ، تفسيرا يعتبر أمريكيا بحق •

وقد لاحظ ماكندر أن ثلاثة أرباع الكرة الارضية تغمرها الميـــاه ، والربع الباقى جزيرة • وتشـكل قارات أوروبا وآسـيا وافريقية كتـلة واسعة من اليابسة وقد وصفها بـ « جزيرة العالم » •• ولم يعد الرأس القطبى الثلجى الذى يبلغ اتساعه ألفى ميل ، والذى كان يمنع البحارة فى الماضى من الدوران حول « جزيرة العالم » ، لم يعد عائقا بفضل التطور الذى طرأ على القوة الجوية •

وبعد ذلك شرع ماكندر يحدد محور هذه المنطقة ، أو قلب جزيرة العالم • فكان أن وجد القلب فى الجزء الشمالى والداخلى من أوراسيا ، والذى يمتد من شرقى أوروبا حتى الصرب • واعتقـد ماكندر أن منطقة

القلب تحتوى على عناصر قوة كامنة كافية للسيطرة على العالم كله • وأعلن تحذيره الكلاسيكى :

« من يحكم شرقى أوروبا فقد
سيطر على منطقة القلب •
ومن يحكم منطقة القلب يسيطر
على جزيرة العالم •
ومن يسيطر على جزيرة العالم
يسيطر على العالم » •

وقسم ماكندر بقية أجزاء العالم الى مناطق تشمل بلدان ألمانيا ، والنمسا ، وتركيا ، والهند ، والصين •

ويرى ماكندر أن جميع هذه الاقاليم عرضة لتغلغل القوات البرية من منطقة القلب • أما البلدان المتبقية ـ وهي بريطانيا العظمى ، وجنوبى أفريقية ، واستراليا ، والولايات المتحدة ، وكندا ، واليابان ، فقد اعتبرت تابعة للهلال الخارجى أو الهلال الحاجز •

وأشار ماكندر الى دثار من الصحارى يبدو أنه يحف بالمناطق الشمالية المعتدلة ، وهي تمتد شرقا من الصحارى ، وتشمل صحارى شبه الجزيرة العربية ، وايران ، والتبت ، ومنغوليا ، ثم تمتد بعد ذلك عبر برارى لبنالاند والاسكا • والدرع اللورانسية التى تحيط بكندا لتصل الى الحزام الشبيه بالقاحل الذى يحيط بالولايات المتحدة • ويغطى هذا الحزام من البرارى حوالى ربع أراضى العالم ولكنه يضم سبع سكان العالم فقط •

وفى نطاق هذا الحزام الاراضى المركزية الهامة وحوض المحيط الاوسط (شمالى الاطلنطى) ، بالاضافة الى البحار الثانوية ، وهى البحر الابيض المتوسط ، والبلطيق ، والكاريبى •

واعتبر المنطقة التى بين نهرى ميسورى وبينيسى ، والتى تضم حوالى ألف مليون نسمة ، نقطة ارتكاز للسلطان العالمى •

وخارج المحيطات الكبرى (الباسفيكى ، والهندى ، وجنوبى الاطلنطى) ، أراض تصب مياهها فى هذه المحيطات كالاراضى الآسيوية التى تهب عليها الرياح الموسمية ، واستراليا وأمريكا الجنوبية ، وافريقية جنوب الصحراء ، والساحل الغربى لأمريكا الشمالية •

ووجد ماكندر بين أراضى العالم الخارجى هذه منطقتين تبشران بالتقدم فى المستقبل • واحدى هاتين المنطقتين الغابات التى يسقط عليها المطر ، والتى تطل على ساحل جنوبى الاطلنطى فى أمريكا الجنوبية

وأفريقية • وقد تكهن بامكانية استيعاب هذه الاراضى لالف مليون نسمة، هذا اذا كرست هذه المناطق جهـــودها للزراعة ، وحول التقدم الفنى والطبى ، بطريقة ما ، هذه المناطق الاستوائية الى مناطق منتجة للطاقة البشرية ، شأنها شأن المناطق المعتدلة •

وأشار ماكندر فى النهاية الى ألف مليون النسمة التى تغطى الارض التى تهب عليها الرياح الموسمية فى الهند والصين ، وعبر عن أمله فى أن يزداد رخاؤهم بسرعة ، تجاوبا مع ألف مليون الآخرين الذين يعيشون بين نهرى ميسورى وبينيسى •

ويعتقد أدميرال ماهان الذى كتب عند نهـاية القـرن الماضى أن البحر «سهل واسع لاتعوقه عوائق، تعبره طرق رئيسية عدة غير ملحوظة، ولكنها كثيفـة ــ يعتقد أن القوة البحرية هى العـامل الحاسم فى الصراع من أجل السيادة بين الدول . وشك فى احتمال أن بريطانيا تستطيع أن تظل دائما سيدة البحار ، وتصور زمنا تضطر فيه الولايات المتحـدة الى الحلول محل بريطانيا كقوة بحرية رئيسية فىالعالم . وحثالحكومة الامريكية على انشاء أسطول ضخم يســتطيع أن يبعد أية حـرب عن السواحل الامريكية ، وحبذ أن يكون لدى الولايات المتحدة أسطول فى الاطلنطى ، وآخر فى الباسفيكى •

ولكن أدميرال ماهان ، الذى توفى عـام ١٩١٤ ، لم يســتطع أن يتكهن بتطور سلاح الطيران ، الذى تحدى ــ فى عشرات السنين التالية ــ نظريته تحديا جادا . غير أن قضيته الرئيسية القائلة بأن الامةالتى يحوطها جيران أقوياء لا تستطيع أن تسيطر على البحار ، هذهالقضية قد ظلت قائمة وسط التطورات الكثيرة التىطرأت علىمسار الحروب. وقد ثبت هذا فى حالة ألمانيا فى الحربين العالميتين ، كما أنه يفسر لنـا طموح الاتحاد السوفييتى ، الذى لم يتحقق ، فى السيادة على البحار .

وحاول بروفسور نكولاس سبيكمان الاستاذ فى جامعة بيل ، أن يوجد توازنا بين أهمية الجغرافيا فى تحديد السياسة الخارجية، وبين أهمية بعض العوامل الاخرى مثلحجم الاقليم، وطبيعة الحدود، وحجم السكان ، وتوافر أو عدم توافر المواد الخام ، والتنميـة الاقتصـادية والفنية ، والمركز المالى ، وتجانس الســلالات ، والتكامل الاجتمـاعى الفعال ، والاستقرار السياسى ، والروح القـومية . وحـذر حتميـة الاوضاع الجغرافية ، ولكنه أضاف ان الجغرافية كانت « أكثر العوامل المحدودة بطريقة أساسية » عند رسم السياسة الخارجية ، ذلك انها أكثر العوامل دواما. وأعاد تشكيلراى ماكندر الاصلى : اذا استطاعت أية دولـة او مجمـوعة من الدول أن تخضع الاراضى التى على الحافة

والسهول الساحلية لأوراسيا ، لسيطرة موحدة ، فانها تستطيع أن تسيطر على جزيرة العالم ، وتهدد أمن دول منطقة القلب (روسيا والصين) والدول التى على شكل جزر (بريطانيا والولايات المتحدة) . واعتقد أنه من الممكن أن تحيط الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية يوما ، وعلى نطاق عالمى ، دولة كبيرة أو مجموعة من الدول تسيطر على أوراسيا وافريقية واستراليا .

وتكهن سبيكمان أيضا باحتمال ازدياد شكيمة الصين فى آسيا . واعتقد سبيكمان — دون أن يطبق تماما قضية القوة البحرية أو الكتلة الارضية على القوة العالمية — انه يتعين على السياسة الامريكية الصحيحة أن تمنع قيام أية دولة مسيطرة على مشارف أوروبا ، والشرق الاوسط ، وجنوبى آسيا ، والشرق الأقصى . واذا قامت دولة استعمارية متحدة فى هذه المناطق . فان سبيكمان يتوقع قيام خطر يتهدد أمريكا ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتى . واعتقد سبيكمان أيضا أنه بالتضافر مع بريطانيا والتمكن من قوة بحرية كبيرة يمكن السيطرة على مشارف أوراسيا ، وان « من يسيطر على المشارف يحكم أوراسيا ، ومن يحكم أوراسيا يسيطر على مصاير العالم » . ولكنه لم يكن يدعو الى فرض السيطرة الامريكية على العالم ، فقد كان يرغب أساسا أن يرى عالما مسالما يحقق توازنا فى القوى داخل نطاق أوراسيا نفسها ، وأمنا عالميا يعتمد على بعض الترتيبات المبرمة بين الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفييتى .

ومن الطبيعى أن الولايات المتحدة تخشى ، بوصفها قارة على شكل جزيرة ، أن تفرض عليها العزلة عن بقية العالم ، وأكثر ما تخشاه ، وتشاطرها بريطانيا فى هذا الخوف انما هو ظهور دولة فى أوراسيا تمتد من أوروبا الشرقية حتى الشرق الاقصى . وفى ظل هذا الخوف لحت الولايات المتحدة ظهور دولة محورية قارية قوية أو مجموعة من الدول ذات أطماع استعمارية فى آسيا ومنطقة الباسفيكى ، وبهذا الوجل أيضا تنظر الولايات المتحدة الى كتلة الارض الشيوعية الكبيرة التى تمتد من تشيكوسلوفاكيا الى الصين ، وان تدهور بريطانيا — باعتبارها قوة عسكرية تحافظ على التوازن — وعدم وجود دولة برية حاجزة فى أوروبا يضاعف من خطر ظهور قوة أوراسية باطشة .

ولكى تطوق الولايات المتحدة قوة أوراسيا الشيوعية ، أقامت سلسلة من القواعد العسكرية بعيدة الغاية عن شواطئها ، تستطيع عن طريقها فى حالة الحرب أو توجه الضربات الهائلة الى العدو ، ومع ذلك

يخيم عنصر خوف دائم عند وضع السياسة الامريكية الخارجية وعند ممارستها ، كما يخيم شعور بعدم وجود نظام للتطويق ملائم حقا .

وقد قدم مستر هانسون . و. بولدوين المراسل الحربى لجريدة النيويورك تايمز فى اثناء أزمة الشرق الاوسط عام ١٩٥٧ حينما هددت تركيا بمهاجمة سورية واستعد الاتحاد السوفييتى للتدخل ، قدم التفسير السياسى الجغرافى التالى للصراع بين الدولتين العملاقتين :

ان الصراع العالمى بين الاتحاد السوفييتى والدول الشيوعية من ناحية ، وبين الولايات المتحدة وحلفائها من ناحية أخرى – بالمعنى السياسى الجغرافى المبسط – انما هو صراع بين منطقة القلب ومنطقة الاطراف ، فالاتحاد السوفييتى والدول التى تدور فى فلكه ، وحلفاؤه، يحتلون معظم المناطق الداخلية من أوراسيا ، على حين تسيطر الدول الغربية ، على وجه العموم ، على المناطق الساحلية ، وهذه الاطراف تحاصر ، وتلتف تقريبا ، حول الامبراطوريات الشيوعية الواسعة التى على البر .

واذا ما نفذت الشيوعية الى أعالى البحار كان ذلك هزيمة استراتيجية ساحقة للعالم غير الشيوعى ، بل انها قد تودى به فى النهاية حقا . . وهذا هو السبب فى ان غزو الشيوعيين للصين كان اكثر من مجرد خسارة معركة فى الصراع من أجل العالم ، فقد وضع هذا الغزو معظم ساحل آسيا الشرقى تحت راية الشيوعية الحمراء . وقد أمكن ابطال تأثير هذا الغزو نوعا ، وان لم يكن تماما ، فى منطقة الباسفيكى عن طريق وضع قوة أمريكية فى سلسلة الجزر الممتدة من جزر الوتيانز حتى جزر الفليبين وتحيط هذه الجزر بساحل آسيا ، ولا يملك الاتحاد السوفييتى أى ميناء يطل على أعالى البحار فى أى مكان ، باستثناء ميناءى بيترو بافلوفسك ، أو كامتشاتكا ، وفى الاطلنطى تمثل الجزر البريطانية وايسلاند قواعد بعيدة عن الشاطىء تساند مراكز الحلفاء فى أوروبا الغربية ، غير ان الحلفاء لا يسيطرون فى شرقى البحر المتوسط على مثل هذه القواعد الجزيرية الهامة ، باستثناء قبرص التى تمزقها الثورة . أما فى منطقة البحر العربى والمحيط الهندى الشاسعة ، فليس هناك قواعد جزيرية هامة فى متناول يد الغرب سوى مدغشقر وجزر مالديف ، وكلتاهما بعيدة عن سواحل الشرق الاوسط ، ولذا لا تمثلان سوى فائدة استراتيجية ضئيلة .

« وقبل أن تستولى البلشفية على السلطة فى روسيا بوقت طويل كانت الحكومات القيصرية تكن أطماعا توسعية ، وتحلم بميناء على مياه دافئة فى الخليج الفارسى . ولم يتلاش هذا الحلم ، بل انه يتجسد

رويدا رويدا كلما توسع الاتحاد السوفييتي في اقتصاده ، وبنى أسطوله التجاري ، وأصبح دولة مصدرة

وبالاضافة الى ذلك ، فان أى اندفاع سوفييتي ناجح نحو الخليج العربى والمحيط الهندى قد يعنى ، بالمعنى الاستراتيجى ، انتصارا فى النهاية فى معركة الصراع من اجل العالم والشيوعية تسيطر بالفعل ، على الصين وفيتنام الشمالية ، وتهدد بورما ، وتايلاند ، ولاوس ، وكمبوديا ، وفيتنام الجنوبية ، والملايو وأندونيسيا وسوف يعنى نجاح الشيوعيين فى جنوب شرقى آسيا ، أن الهند قد حوصرت ، وأى نجاح شيوعى مصاحب عن طريق أفغانستان ، التى خضعت بعض الشىء لنفوذ موسكو ، أو عن طريق ايران أو أية دولة اخرى فى الشرق الاوسط ، قد يعرى الهند من ناحية الغرب

وحينئذ من يستطيع أن يشك فى مصير باكستان ، والهند نفسها فى النهاية ؟ فاذا أصبحت شبه القارة المكتظة بالسكان حمراء ، بالاضافة الى منطقة الشرق الاوسط كلها المتاخمة لها ، كان فى ذلك نهاية لمنظمة حلف جنوب شرقى آسيا . وماذا سيكون — حينئذ — مصير شبه الجزيرة المسماة أوروبا ؟

« ان النظام العالمى الخاص بتأمين مناطق الاطراف الذى أقامته الولايات المتحدة يحقق ميزة استراتيجية هائلة ، فهو يقدم قواعد للقوات الجوية الاستراتيجية كى تعمل بالقرب من منطقة قلب الاتحاد السوفيتى ، وتحيط هذه القواعد بمنطقة القلب هذه — باستثناء الثغرة التى بين كراتشى وتايلاند ، وليس لروسيا السوفييتية قواعد فى نصف الكرة الغربى . ومن الواضح أن هذه الميزة سوف تقل اذا ماتمكنت الشيوعية من الاستيلاء على منطقة الاطراف المحيطة بقارة أوراسيا . ويقدم الشرق — وهو فراغ كبير للقوى — طريقا الى المناطق المطلة على المحيط الهندى التى اذا ما تم الاستيلاء عليها فان حاقة الامان الغربى ستذهب دون أن تعوض ، ويتم عزل الهند » (١) .

لذلك فانه من الواضح أن آسيا وافريقية قد تم ايقاعهما ، دون رحمة ، فى صراع عالمى وراء السيطرة بين الدولتين العملاقتين . وقد حاولت كل من الدولتين الكبيرتين استمالة الدول الحديثة الاستقلال فى القارتين تجاهها عن طريق وسائل اغراء عدة سياسية ، واقتصادية ، وعسكرية . والغرض النهائى من وراء ذلك هو دعم موقف احداهما فى مواجهة الاخرى . وقد وقعت أيضا القومية الآسيوية الافريقية ، ومجهودات البناء فى بلاد القارتين المختلفة فى خضم هذا الصراع العالمى .

---

(١) « الشئون الخارجية » يوليو عام ١٩٥٧ .

ولا يعنى هذا ، على أية حال ، أن بلاد آسيا وافريقية ليس لديها أدوار محدودة تقوم بتحقيقها ـ فأهم دور ايجابى تستــطيع أن تؤديه ـ والدولتان الكبيرتان يتوقعان منها أن تفعل ذلك ـ هو أن تكون بمثابة جسور توفيق عندما يندفع العالم الى حافة الكارثة تحت ضغط منطق الصراع من أجل السيطرة .

وهنا تكمن اهمية السياسة التى اصبحت معروفة بعدم الانحيــاز أو الحياد الايجابى .

الفصل الرابع

آسيا وافريقية في ميزان القوى الجديد

بالرغم من تكرار الصيحات على جانبي الخط الكبير الذى يفصل بين الكتلتين ، الصيحات التى تطالب بوجوب تلاقى العملاقين كى يواجها الحقائق المرة التى ينطوى عليها الصراع بين الدول فى القرن العشرين فان كل دولة من الدول الكبرى تحاول دائما عزل الدولة الاخرى من بقية أجزاء العالم .

ويبدو انهما وصلتا ، فى علاقاتهما المتبادلة ، الى حد تجمد اتجاهاتهما التى لا تلين ، وحتى حينما حدث أمر لم يحدث من قبل ، مثل زيارة مستر خروشوف للولايات المتحدة فى سبتمبر عام ١٩٥٩ . يظل الهدف الرئيسى لكل منهما يتمثل فى عزل الاخرى ، وجدير بالذكر انهما تتكلمان فى جميع المؤتمرات الدولية من قطبين متنافرين وتكيلان الاتهامات كل منهما للأخرى وتحاول كل واحدة القاء اللوم على الاخرى بسبب جميع شرور العالم .

ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يسيطران على مجموعتين شمسيتين فى الصراع من أجل القوة ، والدول المتحالفة مع كل منهما عاجزة فى ذاتها عن تقرير مصير شعوبها نفسها فما بالك بالشعوب الاخرى ..

ويستقر العالم غير الملتزم بين هاتين المجموعتين الشمسيتين ، ويضم هذا العالم جزءا كبيرا من آسيا وافريقية ، ولم ينتظم هذا العالم فى كتلة ، بل الواقع أن الدول غير الملتزمة الرئيسية قد نبذت ، عن قصد ، فكرة قيام كتلة ثالثة ولا تعتبر هذه الدول شيئا يستحق الذكر فيما يتصل بالقوة العسكرية الحديثة ولكنها تعنى الكثير من ناحية الطاقة البشرية والموارد وتبذل جميع هذه الدول جهدها من أجل بناء اقتصادياتها وتدعيم سيادتها . وهى فى المجال الاول فى حاجة ماسة الى مساعدة وتعاون من البلاد التى تنتمى الى الكتلتين . ويتعين عليها

فى المجال الثانى ، أن تكون متيقظة لأى اعتداء عليهـا من جانب أية من الكتلتين .

ويواجه هذا الموقف المتعارض كل دولة من دول عدم الانحياز ، فانه يتعين عليها أن تبحث عن المعونة الاقتصادية والفنية من الدول التى عليها أن تحترس من سيطرتها السياسية .

وهكذا نجد أن العالم ينقسم ثلاث مناطق سياسية وعسكرية : الكتلة الغربية ، والكتلة الشيوعية ، والامم غير الملتزمة .

ويبلغ اجمالى عدد سكان الكتلة الغربية ٨٤٠ مليون نسمة ، منهم ٣٧٤ مليونا فى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية و ٢٧٢ مليونا فى أوروبا الغربية و ١٩٤ مليونا فى بلاد آسيا وافريقية المنحازة للغرب .

ومن ناحية أخرى يبلغ اجمالى عدد سكان الكتلة الشيوعية ٩٤٠ مليون نسمة ، والغالبية العظمى منها ، ٦٢٥ مليونا ، فى جمهورية الصين الشعبية . وهناك ٢٠٠ مليون نسمة فى الاتحاد السوفيتى و ٩٥ مليونا فى أوروبا الشرقية و ٢٠ مليونا فى كوريا الشمالية وجمهورية فيتنام الديمقراطية .

أما سكان البلاد المحايدة فيبلغون ٩٦٠ مليون نسمة ، منهم ٦٦٧ مليونا فى قارة آسيا و ٢٢٠ مليونا فى افريقية و ٧٣ مليونا فى أوروبا .

ومن ناحية المساحة : تضم الكتلة الغربية ١٨ مليون ميل مربع والكتلة الشيوعية ٩ر٨ من مليون الميل المربع ، وتحتل البلاد المحايدة ١٧ مليون ميل مربع من (مساحة العالم الاجمالية هى ٥ر٥١ من مليون الميل المربع) .

ومن ناحية القوات العسكرية : تملك الكتلة الغربية قوة اجمالية تبلغ ١ر٧ من مليون الرجل تحت السلاح ، ولدى الكتلة الشيوعية ، ٨ر٧ من مليون الرجل ، على حين لا تملك الدول المحايدة سوى مليونى رجل .

وأية دراسة مقارنة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كزعيمتين للكتلتين ، تكشف على الفور عددا من الاختلافات الرئيسية بينهما . فالدولتان الكبيرتان تتزعمان نظما تتباين فى الشكل والمضمون فى الاطار التاريخى والقيم الروحية ومع ذلك فان الآلة والعلم والتكنولوجيا تربط فيما بينهما وترى الديمقراطيات الغربية أن الشيوعية تتنكر لجميع

القيم التى رعاها الانسان واعتز بها عبر المدنية ؛ ويعتبر الشـيوعيون أن نظامهم هو أقرب النظم الى المدينة الفاضلة .

والكتلة الشيوعية ، كما ذكرنا من قبل ، كتلة برية متماسكة تمتد من قلب أوروبا الى مشارف آسيا المطلة على غربى الباسفيكى ، أما الكتلة الغربية فهى كتلة جـزيرية فى معظمها ، فالولايات المتحـدة نفسها قوة جزيرية ، وتفصل الولايات المتحدة عن مركز جاذبية التوتر العالمى ــ أى أوروبا ــ بحار ومحيطات واسعة ، كما أن المملكة المتحدة قوة جزيرية والواقع أنها جزيرة صغيرة تعتمد فى رخائها وقوتها على امبراطـوريتها الاستعمارية والكومنولث الآخذتين فى التحول المنتظم غير أن فرنسا والمانيا الفـربية بريتان ، بيـد أنهما لا تعتبران فى ذاتهما شيئا فى التقـديرات العسكرية للعصر النووى . ولذلك فبينما نجد أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تذهب بعيدا فيما وراء شواطئها كى تقيم حلقة من القـواعد العسكرية على طول محيط الكتلة الشيوعية ، نجد الدول الشـيوعية فى مركز ممتاز يساعدها على الاحتفاظ بامكانياتها العسكرية وتركيزها داخل نطاق كتلة الارض الهائلة التى تحتلها أقاليمها وبينما يتعين على الولايات المتحدة أن تسير دفة الصراع من مراكز مبعثرة فى جميع أنحاء العالم ، نجد أن الدولة المنافسة لها تسـتطيع أن تظل داخل حـدودها تقريبا وتشرع فى ترتيب برامجها الهجومية والدفاعية .

وقد منح ذلك الكتلة الشيوعية ميزة كبيرة تفتقـر اليها الولايات المتحدة . وقد الفت الولايات المتحدة أحلافا عسكرية مع عدد كبير من الدول يبلغ ثلاثا وأربعين دولة ، والف الاتحاد السوفيتى أحلافا مشابهة مع دول لا تزيد على العشر ويتعين على أمريكا الاحتفاظ بمائة وخمسين قاعدة عسكرية تنتشر فى جميع أنحاء العالم . أما الاتحاد السـوفيتى فلا تزيد قواعده على العشرين ويتعين أيضا على الجنود الامريكيين أن يخرجوا خارج حدودهم للدفاع عن المواقع الامامية الخاصة ب « العالم الحر » فى حوالى خمس وثلاثين دولة ، أما القوات السوفيتية فترابط فى ألمانيا الشرقية والمجر وبلغاريا فقط ، ولا يعتبر هـــذا التناقض فى الموقف بين القوتين المتصارعتين أمرا ذا فائدة للاتحاد السوفيتى من الناحية الاقتصادية فحسب ، ولكنه يوفر أيضا على الكرملين الصداع المستمر والقلق الذى يصاحب مرابطة قوات كبيرة بالخارج .

وقد اضطلعت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بثلاثة تعهدات دولية ذات ابعاد ثلاثة : سياسية واقتصـادية وعسـكرية ، لم يسبق أن اضطلعت بها دولة فى التاريخ ، وبذلك ابتعدت أمريكا بطريقة مثيرة عن تحذيرات مؤسسى الجمهورية الامريكية الذين لم يوافقوا على التورط فى الاحلاف .

واليوم ترتبط الولايات المتحدة بمعاهدات معونة متبادلة مع ٤٣ دولة من العالم . وتبلغ مساحة هذه المناطق ١٧ مليون ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ٦٣٠ مليون نسمة .

ويعتمد التطويق العسكرى الامريكى للاتحاد السوفيتى على خمسة احلاف عسكرية متعددة الاطراف أولها حلف ريو الذى وقع فى أغسطس عام ١٩٤٧ ، فقد انضمت الولايات المتحدة الى دول امريكا اللاتينية العشرين فى تعهد جماعى يقضى بأن تقدم المساعدة فى حالة الاعتداء على اية دولة منها لأية دولة تطلب تلك المساعدة .

ويأتى بعد ذلك حلف شمال الاطلنطى فى ابريل عام ١٩٤٩ ، وبمقتضى هذا الحلف ، تعتبر الدول الاعضاء اى هجوم على دولة منها هجوما عليها جميعا .

ووقعت المعاهدة الثالثة فى سبتمبر عام ١٩٥١ بين الولايات المتحدة ونيوزيلاندا واستراليا ، ويسمى هذا الحلف بحلف الانذوس ، ويعلن هذا الحلف أن أى هجوم فى الباسفيك ضد اية دولة منها يمس الجميع ، وانها ستعمل متضامنة من أجل مواجهة الخطر الشيوعى .

وقد تبع حلف الانذوس منظمة حلف جنوب شرقى آسيا فى سبتمبر عام ١٩٥٤ وغطت هذه المنظمة ما كان يوصف « بالمنطقة العامة التى تشمل جنوب شرقى آسيا وغربى الباسفيك » .

وتشترك فيه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلاند وثلاث دول آسيوية هى : تايلاند والفلبين وباكستان .

وباكستان هى الحلقة التى تربط بين منظمة حلف جنوب شرقى آسيا وحلف بغداد الذى ظهر بعد ذلك بأكثر من سنة ، وقد وقعته خمس دول فى نوفمبر عام ١٩٥٥ ، وقد خرجت العراق ، الدولة العربية الوحيدة فى الحلف ، عام ١٩٥٩ بعد مضى عام تقريبا من قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٨ ، ثم أعيد تسمية الحلف فأصبح منظمة الحلف المركزى . ويضم الآن أربع دول هى المملكة المتحدة وباكستان وتركيا وايران . وكانت الولايات المتحدة عضوا فعليا وان لم يكن رسميا تتحمل معظم النفقات العسكرية المطلوبة للمحافظة على الحلف حيا .

وبالاضافة الى هذه الاحلاف المتعددة الاطراف ، عقدت الولايات المتحدة معاهدات عسكرية ثنائية مع الفلبين ، واليابان ، وكوريا الجنوبية ، وحكم شيانج كاى شيك فى فورموزا ، التى تسمى بـ « الصين الوطنية » .

وزيادة على التزامات المعاهدات الخاصة المكتوبة هذه ، والتى تشمل التزامات عسكرية وسياسية ، هناك عدد كبير من اتفاقيات المعونة لهذه

الدول نفسها ، واتفاقيات ، ومحالفات ، وتعهدات ، والتزامات ، مكتوبة وغير مكتوبة ، رسمية وغير رسمية مع كثير من الدول الاخرى • فلدينا على سبيل المثال اتفاقيات عسكرية اقتصادية ـ سياسية تشمل استخدام القواعد ، وتقديم معونة عسكرية وبعض المعونات الاخرى لاسبانيا ، والمغرب • (تبعا للأمر الواقع لا للقانون) ، وليبيا ، والعربية السعودية ، واثيوبيا ، وبناما (معاهدة منطقة القناة) • وقدمنا أسلحة، ومعونة عسكرية ، ومشورة لأكثر من أربعين دولة، ودربنا حوالى ١٤٫٠٠٠ ضابط ورجل من تلك البلاد ، وذلك فى مدارسنا العسكرية عام ١٩٥٨ .

واذ أيدنا فكرة خلق دولة اسرائيل ، وأصدرنا بياننا الثلاثى لعام ١٩٥٠ (بالتضافر مع انجلترا وفرنسا) فيما يتعلق بحدود الهدنة ، فاننا نكون قد التزمنا أدبيا نحو هذه الدولة الى جانب التزامنا للعرب(١) •

وهكذا ذهبت الولايات المتحدة ، وهى قوة جزيرية ، بعيدا خلف حدودها ، باستعدادات عسكرية هدفها تطويق القوة الصينية الروسية ، وتوجيه سلسلة من الضربات الشالة من سلسلة واسعة من القواعد ، اذا ما نشبت أية حرب نووية •

وهناك اعتباران آخران مشتركان فى هذا الامر الخاص بتطويق كتلة الارض الشيوعية - أولهما الابتعاد بالحرب العالمية الثالثة لأطول مسافة ولأطول فترة ممكنة ، عن شواطىء الولايات المتحدة ، والاعتبار الآخر هو مواجهة الهجمات الدبلوماسية السوفيتية المتكررة والمتعددة الجوانب لخلق انشقاق داخل الصفوف الغربية ، ولعزل الولايات المتحدة عن شركائها الرئيسيين فى التحالف الغربى •

وكنتيجة طبيعية لسياسة التطويق العسكرى المتقدمة هذه ، تتركز القوات الامريكية فى كل بقعة استراتيجية من العالم غير الشيوعى باستثناء منطقة المحيط الهندى • فالولايات المتحدة تحتفظ ، فى جميع أنحاء العالم ، بمائة وخمسين قاعدة عسكرية ، ٦٣ منها فى أوربا ، و ٣٧ فى جنوبى آسيا ، ونحو ٤٠ فى الباسفيك والقارة الامريكية ، وثمان فى غربى آسيا وافريقية •

وتقوم قوات أمريكية قوامها مائتا ألف جندى بحراسة المصالح الامريكية والغربية فى الشرق الاقصى ، وترابط هذه القوات فى اليابان ، والجزر المحيطة بها ، وكوريا الجنوبية • وهناك أربعون ألف جندى من القوات الامريكية فى جزر الباسفيك وعشرون ألفا فى البحر الكاريبى ،

---

(١) مستر هانسون بلدوين فى جريدة النيويورك تايمز العدد الصادر فى ٣ من اغسطس عام ١٩٥٨ •

وخمسة عشر ألفا فى شمالى افريقية ، وعشرة آلاف فى الشرق الاوسط . و ٣٥٠ ألفا فى غربى أوربا . ويعتمـــد ٤٥٠٠٠ امرأة وطفل على هؤلاء المجندين الذين داخل هذه التجمعات الضخمة ومعظم هذه القوات مزودة بالاسلحة النووية التكتيكية .

وهناك أحلاف أو التزامات عسكرية مبـــاشرة أو غير مباشرة بين الولايات المتحدة وسبع دول آسيوية ، تتضمن بعـــد استبعاد تركيا ، وفرموزا وباكستان وايران وتايلاند ، وهى ملزمة بالاضـــافة الى ذلك ، بالمحافظة على وحدة كوريا الجنوبية والاردن ، بالقوة اذا لزم الامر . وفى افريقية ترتبط الولايات المتحدة بالتزامات مشابهة نحو المغرب وتونس.

وفي آسيا ، على وجه العموم ، نجد أن الالتزامات الامريكية كثيرة للغاية فى غربى الباسفيكي أكثر من أية منطقة أخرى . وهذا مفهوم حيث أن الباسفيكى منطقة حيوية للأمن الامريكى ، ويعتبر ظهور الصين ، كدولة وراء الباسفيك ، عاملا يثير ازعاجا كبيرا لواضعى الاستراتيجية الامريكية. فقد ظلت الولايات المتحدة ما يزيد على مائة عام تفرض سياستها الكاملة على منطقة الباسفيكي الشاسعة الاطراف . وقد أبعد مبدأ مونرو الدول الاوربية عن نصف الكرة الغربى ، وبذا استطاعت الولايات المتـحدة أن تقوم بدور هام فى شئون اليابان والصين . وقد شكل ظهـــور اليابان كقوة عظيمة ، تهديدا للولايات المتحدة لم تدركه تماما الا بعد واقعة بيرل هاربر ، وكان من نتيجة الهزيمة الكاملة التى منيت بها اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، أن انطلقت الولايات المتحدة من جديد ، فى الباسفيكى . ولكنها ظلت كذلك لفترة قلقة وجيزة . ففى خلال أربع ســـنوات من استسلام اليابان ، أصبحت الصين فى ظل حكومة شيوعية . وفى مدى عشر سنوات ، أصبحت تمثـل مصدر صداع سياسى وعسكرى للولايات المتحدة . والواقع ان النفوذ البرى للصين وروسيا جعل من اليابان بلدا حياديا بالرغم من امكانياتها العسكرية الفعالة ووجدت الولايات المتـحدة نفسها لأول مرة فى التاريخ ، تواجه احتمالات مقلقة للغاية ، احتمالات ظهور قوة باسيفيكية منافسة .

ولذلك فانه من الطبيعى أن تكون الالتزامات الامريكية ، فى آسيا ، أكبر التزامات تواجهها فى غربى الباسفيكى اذ فى اليابان خمسة وسبعون ألف جندى من القوات الامريكية ، وخمسون ألفا فى كوريا الجنوبية ، وخمسون ألفا فى أوكيناوا ، وسبعة آلاف فى فورموزا ، وعشرة آلاف فى الفلبين .

وبالاضافة الى هذا كان هناك الاسطول السابع الامريكى الذى يسيطر على قوة محاربة تبلغ سبعين ألف جندى . أما القوات المحلية التى قامت

الولايات المتحدة ، الى حد كبير، بتدريبها ، وتمويلها ، وتزويدها بالاسلحة فموزعة على النحو التالى : ٢٠٥ آلاف جندى فى اليابان و ٦٩١ ألف جندى فى كوريا الجنوبية و ٦٠٠ ألف جندى فى فورموزا ، وأخيرا ٥٠ ألف جندى فى الفلبين ٠

أما فى جنوب شرقى أسيا فليست هناك أية قوات أمريكية مرابطة فى آى مكان ، اللهم الا بعثات عسكرية فى تايلاند ، وفيتنام الجنوبية ، ولاوس ، وباكستان ، أما عن الجيش التايلاندى القوى الذى يتألف من ٩٠٫٠٠٠ جندى والجيش الباكستانى القوى الذى قوامه ١٩٠٫٠٠٠ جندى ، والقوات المسلحة فى فيتنام الجنوبية التى « تغطيها » منظمة حلف جنوب شرقى آسيا ، فان الولايات المتحدة تقوم بتدريبهم ، وتزويدهم بالسلاح ، وتساعدهم ماليا ٠

واذا ما عقدنا مقارنة بين الالتزامات العسكرية الامريكية فى غربى الباسفيكى ، والتزاماتها فى جنوب شرقى آسيا ، والشرق الاوسط ، وشمالى افريقية ، وجدنا ان الالتزامات الاخيرة تبدو غير ذات أهمية ٠ وهكذا ، نجد أن معظم جهود التطويق الامريكى للسلطان الشيوعى تتركز فى منطقتين : منطقة غربى أوروبا والاطلنطى ، ومنطقة غربى الباسفيكى ٠

ولا يمكن أن تعمل سياسة القواعد الامامية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم دون أن تسبب المتاعب للولايات المتحدة نفسها ولحلفائها أيضا ٠ وأول مشكلة خلقتها انما هى أعباء الميزانيات العسكرية التى تقصم الظهر ٠ فقد ظلت الولايات المتحدة نفسها تنفق ثلثى دخلها الكلى كى تحافظ على مظهرها القوى أمام القوة الشيوعية ٠ كذلك كانت هذه الاعباء باهظة على الحلفاء فليست هناك تقريبا أية دولة تنفق أكثر من نصف دخلها على الدفاع ٠

ويذهب المال ـ الذى كان ينبغى أن يستخدم فى بناء الاقتصاديات المتخلفة فى بلدان آسيا وافريقية المتحالفة مع الكتلة الغربية ـ الى النواحى العسكرية ٠ وفى الصراع القائم بين الزبد والمدفع فاز المدفع ، ليخسر الزبد ٠ وكانت أعباء التسلح فى أوروبا الغربية ، أيضا ، جسيمة ٠ وبالاضافة الى ذلك دعمت المرحلة النووية فى الحرب الباردة من اعتماد دول غربى أوروبا على الولايات المتحدة من أجل الصمود فى الحرب ، وفى الولايات المتحدة يحصلون الآن على نصيبهم المروع من الاسلحة النووية التكتيكية ٠ وبمرور الوقت يزداد اندماجهم داخل نمط عسكرى لن يستطيعوا القيام فيه بدور ، الا دور التوابع العاجزة ٠ فاقترابهم الوثيق من الاتحاد السوفيتى يجعلهم فى الخطوط الامامية لاية حرب عالمية ثالثة ، وليس فى جعبتهم سوى أمل ضئيل فى مقاومة فعالة ، ويزداد الامل ضآلة اذا ما اتصل الامر بالبقاء ٠

ومن الناحية الايديولوجية نجد ان المركز الذى يحتله الاتحـــاد السوفيتي في الكتلة الشيوعية ، أقوى بكثير ، وأرفع ، من المركز الذى تتمتع به الولايات المتحدة فى الكتلة الغربية . وبالرغم من كثرة الضغط الداخلى ، والقيود ، داخل نطاق الكتلة الشيوعية فان الايديولوجيـة اللينينية الماركسية المشتركة تربط زعماء هذه الدول بروابط الايمـــان المتعصب بنجـــاح هذا النظام فى النهاية . والشيوعية ايديولوجيـــة ديناميكية ، وبرغم الاعمال الوحشية والاجبار القاسى الكامن فيها ، فانها تلقى اعجابا ، لا يمكن انكاره ، من جانب قطاعات كبـــيرة من الناس فى أنحاء العالم كله .

ولا شك فى أن الديمقراطية ، فى شكلهـــا ومضمونها الحقيقى ، بمثابة مثل أعلى أعظم من الشيوعية ، غير ان الديمقراطية التى تمارس فى الولايات المتحدة لا تلقى احترام دول أوروبا اذا ما قورنت بالاحترام الذى تلقاه الشيوعية السوفيتية فى جميع أنحاء الكتلة الشيوعية . وفى عديد من بلدان غربى أوروبا ولا سيما المملكة المتحدة ، والدول الاسكندنافية ، نجد ان المنظمات الديمقراطية أقوى وأسلم من مثيلاتها فى الولايات المتحدة الامريكية ، وبرغم أن غالبية شعوب غربى اوروبا تتقبل الزعامة الامريكية فى المجالات الاقتصادية والعسكرية ، فانها تتمتع بشعور ، له مايبرره ، بالتفوق فى ميادين الفكر السياسى ، والنظم الحكومية والفنون والآداب .

ومن ناحية أخرى نجد أن الاتحـــاد السوفيتى ، من حيث مركزه داخل الكتلة الشيوعية . لا يتزعم فقط فى ميدان السلطان الاقتصــادى والعسكرى ، وانما يتزعم الكتلة أيضــا بفضل فلسفة الشيوعية الشاملة التى تغطى كل المسائل .

وموجز القول أن الزعامة الروســـية تلقى من التأييد داخل الكتلة الشيوعية ما لا تلقاه الزعامة الامريكية داخل الكتلة الغربية .

وقد تسبب ظهور الصين ، ذلك « العملاق النائم » فى احداث تغير كيفى وكمى فى الكتلة الشيوعية . والصين ليست دولة تدور فى فلك روسيا . فهى تنمو لتصبح دولة من الدول الكبرى ، فى ذاتها ، وذلك بفضل مساحتها الضخمة ومواردها السكانية الهـــائلة . وقد أدى بعث الصين ، بالفعـــل ، الى ظهـــور تغيير فى توازن الزعامة داخل الكتلة الشيوعية . وبالرغم من أن الاتحاد السوفيتى ما زال أقوى من الصين من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، فان الزعامة المذهبية لم تعد حكرا على الكرملين .

ونستطيع الى حد ما أن نقارن مركز الصين داخل الكتلة الشيوعية بمركز بريطانيا داخل الكتلة الغربية ، مع اختلاف واحد هو أن الصينيين

مرتبطون أيديولوجيا بالاتحاد السوفيتي ، أكثر من ارتباط بريطانيا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، بالولايات المتحدة الامريكية .

ومشاكل القومية قائمة في كلتا الكتلتين ولا تستسيغ أية منهما « انحرافات » النزعة القومية التي يمارسها شركاؤها الصغار .
والشعور القومي في بلاد أوروبا الشرقية موضع اهتمام كبير من جانب الزعماء الشيوعيين في عواصم بلدان أوروبا الشرقية ، وفي بكين وموسكو أيضا . غير ان القومية في البلاد الشيوعية غالبا ما يهدئها اخلاص مفرط للشيوعية الدولية .

لكن المشاكل التي تثيرها القومية ، في الكتلة الغربية ، تختلف اختلافا بينا ، فقد عادت ألمانيا الغربية واليابان من جديد تؤكدان شخصيتهما القومية ، واتخذت القومية الفرنسية بالفعل لونا تأكيديا ذا نزعة عدوانية ، تحت زعامة جنرال ديجول . والخوف من روسيا ومن الشيوعية وحده هو الذي يجمع هذه الدول تحت الراية الأمريكية ، وستؤدي أية بادرة كبيرة لتخفيف حدة التوتر العالمي ، الى بث الفوضى في صفوف التحالف الغربي .

أما القومية — أو بمعنى أصح النزعة المناهضة للاستعمار — في الدول الحيادية فتعتبر من أكبر العوامل التي توحد بين صفوفها ، فهي غيور على سيادتها ، ويكاد يستحوذ عليها الشعور القومي ، وفي الوقت الذي ترفض فيه الانضمام الى تكتلات الدول ، فانها تسير على نهج ميراثها القومي . ولم تشكل — حتى بين بعضها وبعض — أية كتلة أو مجموعة خشية أن يحد ذلك بطريقة ما من سيادتها القومية العليا .

والهدف الرئيسي للولايات المتحدة هو تطويق السلطان الشيوعي داخل حدوده الحالية والعمل على اضعافه اذا أمكن بتشجيع الفتن الداخلية . وكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون ، حتى عام ١٩٥٠ ، يستجيبون أساسا للاحداث العالمية التي خلقتها سلسلة من الهجمات الدبلوماسية والعسكرية السوفيتية في أجزاء مختلفة من العالم . فقد أدت الحرب الأهلية في اليونان الى ظهور مبدأ ترومان ، وأدى حصار برلين و « انقلاب » براغ الى تشكيل منظمة حلف شمالي الاطلنطي ، وأدت الحرب الكورية الى التنظيم العسكري الحالي في منطقة الباسفيكي .

وبعد تولي الحزب الجمهوري الحكم في الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ دخل عامل طويل الأجل على سياسة التطويق . وقد شرح مستر دالاس هذا الطور الجديد في سياسة التطويق في خطبة القاها أمام مجلس العلاقات الخارجية في ١٢ من يناير عام ١٩٥٤ قال دالاس : « ليس من قبيل الاستراتيجية الحربية السليمة ، أو الاقتصاديات السليمة » أن

يكون هناك اعتماد على الاستجابات الطارئة للاجراءات الهجومية من الجانب الآخر • لا بد من وجود عامل طويل الأجل • وكان الشيوعيون السوفييت يخططون لما يسمونه «الحقبة التاريخية الكاملة» و «علينا أن نفعل المثل» •

وكانت سياسة بنـــاء قوة انتقامية كبيرة لضرب العدو في أماكن « من اختيارنا » هي التي أدت ، في السنوات التالية ، الى اقامة الولايات المتحدة لحلقة واسعة من القواعد فيما وراء البحار وتعين أن تأتي القـــوة الرادعة من ناحية تفوق أمريكا في مجال التسليح النووي • وكان الاتحاد السوفيتي يمتلك القنبلة الذرية في ذلك الوقت ، ولكن لم يكن لديه القنبلة الهيدروجينية ولذلك كان تفوق امريكا في مجال التسليح النووي أمرا لا يمكن الجدال فيه •

غير ان هذا التفوق لم يدم طويلا • فقد لحق الاتحاد السوفيتي بسرعة مذهلة ، بالولايات المتحدة في مجال تطوير الاسلحة الهيدروجينية• وكان الروس متخلفين عن الامريكيين أربع سنوات في مجال صنع القنبلة الذرية ، وتسعة أشهر فقـــط في صنع القنبلة الهيدروجينية • وخلال عامين ، أصبحوا متقدمين في السباق من أجـل الوصول الى «السلاح الحاسم » •

وحينما رأى الاتحاد الســـوفيتي نفسه مطوقا بحلقة من القواعد العسكرية الامريكية الامامية ، وجد واضعو الاستراتيجية ان من الاهمية بمكان اختراع أسلحة يمكنها كسر حاجز القواعد ، وضرب الولايات المتحدة عبر المحيطات الواسعة التي تفصلها عن كتلة الاراضي الشيوعية • لذلك عمل الاتحاد السوفيتي بتصميم قـوي ، على تطوير الصواريخ والقذائف التي تستطيع تضييق المسافة بين القارات وضرب قلب أمريكا الصناعي • ولن يؤدي النجاح في هذا الميدان الى احباط تاثير حلقة القواعد الباهظة التكاليف التي تحيط بالاتحاد السوفيتي فحسب ، وانما سيقضي أيضا على عزلة أمريكا الجغرافية عن جبهات القتال التقليدية • وفي يولية من عام ١٩٥٧ أجرت الولايات المتحدة تجاربها على صاروخ عابر للقارات ، لكن التجربة فشلت • وفي أغسطس أجرى الاتحاد السوفيتي بنجاح تجاربه على صاروخه العابر للقارات • ولأول مرة تفوقت روســيا على أمريكا ، بخطوات ، في مجال سباق التسلح •

ما النتائج السياسية الجغرافية لهذا الاقتحام السوفيتي ؟ •

قامت جريدة « ذانيو ستتسمان » اللندنية الاسبوعية بشرح هـذه النتائج على النحو التالي :

منذ أن فجرت روسيا قنبلتها الهيدروجينية عام ١٩٥٣ ، والعالم يعيش في قلق تسببت فيه أزمة التسلح النووي • غير انه لم يكن موقفا

حرجا الا لأن الطاقة المدمرة لدى الجانبين . بلغت من الضخامة بحيث لم يعد كلا الجانبين يأمل الإفادة من الحرب فى حالة وقـــوع صراع .
ولا نعنى انه كان هناك ميزان متعادل للقوة العسكرية. فما زالت أمريكا تمتلك سلاحا حادا ، لا بسبب زعامتها فى حقل التكنولوجيا ، أو رصيدها الأكبر من القنابل ، ولكن لوجود حلقة القواعد النووية فى مكان متاخم لأراضى العالم السوفيتى . وقد منح عدد هذه القواعد وطريقة توزيعهـــا أمريكا ميزة عسكرية حاسمة ، فقد ضاعف هذا من عدد الاهداف الهجومية التى قد تضطر القوات الجوية السوفيتية الى ابطال أثرها ، كما ضاعف من محاور الهجوم ضد روسيا .

« وبعد أن أصبحت روسيا سباقة فى ميدان القذائف الموجهة أخذت تهدد الآن بضرب الرقم القياسى فى القوة النووية الضاربة ، ولذلك فان الولايات المتحدة ستواجه مراكز اطلاق متعددة مساوية لها ، ان لم تكن أعظم ، وتتميز بصعوبة أكثر فى مراقبتهـــا ومن ثم تدميرها من القواعد الجوية : وبذلك أصبح اقامة أى نظـام للانذار والاعتراض المبكر ، حتى بجانب الفاعلية المحدودة لخط Dw-line الحالى غير ممكنة من الناحية الاقتصادية. وهكذا سيتم الوصول الى توازن فى القوة الضاربة وفى مدى التعرض للهجوم » (١) .

وفى خلال شهرين من نجاح الاتحاد السوفيتى فى تجربته للصاروخ الموجه العابر للقـــارات ، انطلق أول قمر صناعى روسى يخترق اجواز الفضاء ، ليثبت ، لعالم مذهول ، تفوق الصواريخ السوفيتية الذى لاجدال فيه . وتبع ذلك القمر الصناعى الثانى والأكبر حجما بعد مضى شـــهر تماما . ولم يؤد ذلك ، فقط ، الى انهيار الاساس الذى كانت تقوم عليه التقديرات العســكرية الامريكية لحقبة كاملة من الزمن ، دون ســابق انذار ، وانما ادى الى تأكيد زعامة السوفييت فى ميدان التكنولوجيا . ولم يعد فى الامكان رفض الادعاءات السوفيتية بطريقة سافرة ، باعتبارها ضربا من الدعاية . وأصبح تحصين القارة الامريكية من الهجوم شيئا عفى عليه الزمن . وبات من الواضح أن أية حرب فى المستقبل ســوف تتم داخل الولايات المتحدة مثلما تتم خلف حدودها .

وعند نهاية عام ١٩٥٨ ، أصبح واضحا ان العـــالم فى قلب أزمة عسكرية حقيقية . فلم تكن كفة أى من الجانبين الراجحة . وأوضح مستر هانسون بولدوين فى كتاب ، ظهر فى وقته ، أن ســباق التسلح عدو للهدف الذى وضع من أجله فلم يستطع أى جانب أن يحتفظ بالزعامة مدة طويلة .

---

(١) جريدة « ذا نيو ستتسمان » العدد الصادر فى ٣١ من اغسطس عام ١٩٥٧ .

وقدر مستر بولدوين أن لدى الروس ، بالفعل ، صواريخ مداها ٥٥٠٠ ميل في حالة استعداد للعمل ، وقد يكون لدى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بين عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦١ رصيد صغير من هذه الاسلحة المميتة . ولكن الامريكيين بالتأكيد أكثر من الروس استعدادا فى مجال قاذفات القنابل المتوسطة المدى والبعيدة المدى التى يقودها طيارون • أما روسيا فلها الغلبة فى مجال قاذفات القنابل الخفيفة ، وقاذفات القنابل المقاتلة ، والمقاتلات • وفى حقل النقل الجوى لاحقت روسيا الركب بسرعة وذلك فى ميدان طاقة الحمولة الكاملة فهى تستخدم مثلا طائرة الهليكوبتر الضخمة لنقل مئتين من رجال المشاة •

ان أمريكا وروسيا فى مستوى واحد تقريبا من حيث الدفاع الجوى . فقد قال مستر بولدوين : « ان الرادار السوفيتى أكثر نجاحا من رادارنا من حيث اكتشافه لقاذفات القنابل التى تطير على ارتفاع بعيد » .

وكان واضعو النظريات العسكرية من الروس ما زالوا يعتقدون أن نتاج أية حرب فى المستقبل سوف يتقرر على أساس الجنـــود فى ميدان المعركة وليس على أساس قذف الاماكن الاستراتيجية بالقنابل •

ولذلك فان الاتحاد السوفيتى يملك قدراً هائلا من الجنـود قوامه مليونان ونصف مليون الجندى فى مقابل ٩٦٠٠٠٠ جندى أمريكى •

وهؤلاء الجنود مدربون ومسلحون تسليحا كاملا • وأصبحت الزعامة التى ما زالت لأمريكا فى مجال الاسلحة النووية التكتيكية التى فى متناول اليد « رصيدا آخذا فى التناقص السريع » •

وكان يلوح ، على الدوام ، فى الجـــو ، وفى البر ، بل وحتى فى الفضاء الخارجى شبح أزمة أبدية • ولكن الجهـــد الاساسى لقلب ميزان القوى قد يحدث فى البحر ، أو على الأصح ، تحت البـــحر • اذ تمتلك روسيا أكبر أسطول غواصات فى العـــالم ، أسطول يضم مائة وخمسا وسبعين غواصة فى مقابل مائة وعشر غواصات لدى أمريكا •

ولكن أمريكا متقدمة على الاتحاد السوفيتى فى مجال الغواصات التى تسير بالطاقة النووية • وقد أوضح مستر بولدوين مدى الخطورة القاتلة الكامنة فى نظام هذا السـلاح حين قال : « ان عشر غواصات ترابط فى مراكز مختلفة بعيدا عن سواحل أوراسيا ، تستطيع أن تهدد حياة نحـــو خمسة وثمانين ألف نسمة من السكان » •

بيد ان الروس لم يقفوا مكتوفى الايدى • فقد أجروا التجارب على بعض الصواريخ التى تطلق من الغواصات ، وذهبوا أبعـــد من ذلك فى

مسح ما قد يصبح ميدان المعركة الرئيسية فى الحرب العالمية الثالثة ، وفاقوا بذلك الامريكيين (١) ٠

وفى مقال نشرته جريدة «نيويورك تايمز» فى صيف عام ١٩٥٨، انتهى مستر بولدوين الى انه ليس من المحتمل قيام أية حرب ساخنة بين العملاقين . واعترف بوجود « بعض العوامل التى لا يسيطر عليها» أى من الجانبين ، سيطرة كاملة ، غير أنها عوامل تميل الى تشجيع قيام الحرب ، كان هناك سباق عالمى على التسلح ، ولم يتم حل أية من مشاكل العالم السياسية ، وأخيرا هناك تجربة تاريخ مضى ، تبين أن الحروب الصغيرة لم تتوقف تقريبا ، ومع ذلك هناك بعض الدلائل المشجعة تظهر فى الصورة العالمية » ٠

وأضاف مستر بولدوين قائلا : « ان الموقف العالمى ، لذى كان قائما بعد عشر سنوات من الحرب العالمية الثانية ، هذا الموقف الذى تسيطر فيه الكتلتان الكبيرتان ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، على الكرة الارضية قد أخذ يخف ، ولو قليلا من جراء ظهور كتلة ثالثة من الحياديين والدول « الرمادية » ــ وهى الهند ، وبورما ، وكثير من الدول العربية ، ويوغوسلافيا (وبولندا التى كانت تقاوم القيد الشيوعى) ٠ وبالرغم من ان هذه الدول ما زالت ضعيفة ، فى وقوفها بمفردها أو مع الآخرين ، فانها تؤثر على الكتلتين الكبيرتين وتميل الى عدم تشجيع الحركات العدوانية من جانب أية منهما » .

وقال مستر بولدوين : ان العالم يعيش اليوم ، فى ميزان من الرعب « فالولايات المتحدة وروسيا السوفيتية تسيطر كل منهما على قوة تستطيع تدمير الاخرى وتدمير نصف العالم المتبقى فى العملية . ومع فجر عصر الصواريخ والخطوات الأولى الى الفضاء أصبحت عوائق الزمن والمسافة القديمة والبحار والجبال والعوائق البرية والمناخية ــ تلك التى كانت تحدد الطابع الاستراتيجى فى يوم من الايام ــ تتضاءل الآن وتصبح مجرد تفاصيل فنية . لقد تصور الدكتور ج . روبرت أوبنهيمار « وجود عقربين فى المعركة تستطيع كل منهما أن تلدغ الاخرى لدغة مميتة » وقد صح تصوره » .

وتكهن مستر بولدوين انه اذا تصادف ونشبت حرب عالمية ثالثة، فانها ستنشب من أجل آسيا وافريقية وبسببهما وقال : « ان الستار الحديدى فى أوربا محدد تحديدا كاملا ، وعليه حراسة شديدة ، ولذلك فان أية مغامرة هوجاء ستؤدى بالتأكيد الى انتقام دموى ٠ ولكن هذا

---

(١) « سباق التسلح الكبير » بقلم هاريسون و. بولدوين ٠

لا ينطبق على آسيا أو افريقية ، فهناك تتحرك الشيوعية الزاحفة ـ سياسيا واقتصاديا وسيكولوجيا وعسكريا ـ لتحقيق أهدافها ، لقد فتحت ثغراتنا ويمكن هزيمتنا دون اطلاق طلقة واحدة ، أو قد تستطيع آسيا وافريقية، أن تطلق الشرارة التى قد تؤدى الى حرب محدودة بادىء الأمر ، ثم ربما الى حرب غير محدودة ، وهذا يشكل الى حد كبـــير ، أعظم الاخطار التى ستواجه السنوات القادمة » (١) .

وبعبارة أخرى ، فبعد أن وصلت الدولتـــان الكبيرتان الى مأزق سياسى وعسكرى كامل بسبب أوروبا ، انطلقتا من أجل الاستحواذ على ولاء وتبعية آسيا وافريقية ، والتمتع بطاقتهما البشرية ومصـــادر المواد الخـام بهما والافادة من جغرافيتهما ذات الامكانيـــات الاســتراتيجية الهائلة .

ولم تنعم آسيا وافريقية بالسلام يوما واحدا منـذ انتهــاء الحرب العالمية الثانية • فقد وقعت سلسلة من الحروب المحدودة المســتمرة • وتقع المسئولية على احدى الكتلتين أو كلتيهما فى اشعال نار كل من هذه الحروب •

---

(١) جريدة « نيويورك تايمز » عدد ١١ من مايو عام ١٩٥٨ .

الفصل الخامس

المظاهر الاقتصادية للحرب الباردة

لقد كان أهم تغير ثورى حدث من بين جميع التغيرات الثورية التى عمت العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، هـذا الانطلاق السياسى لمجموعة من الدول الحديثة فى آسيا وافريقية ، والانطلاق الاقتصادى لحوالى ثلث سكان العالم المتعطش الى النمو والرخاء . وقد حدثت انتفاضات انسانية هائلة فى قارتينا ، وسوف تؤدى هذه الانتفاضات الى احداث تغيير هائل على شكل العالم فى السنوات القـــادمة ، وهذه التغيرات تشكل تحديا للزعامة الانسانية ، كما أنها أنجبت رجالا يبشرون بالتقدم ورجالا يلوحون بالنذر .

وقد بدأت الحرب الباردة ، أول ما بدأت ، على الصعيد السياسى ، غير أنها كانت مدفوعة منذ البداية بحوافز اقتصادية هائلة ، فقد خرجت الولايات المتحدة الامريكية من الحرب أكبر دولة تتمتع بالرخاء والامكانيات فى العالم ، وعلى الطرف الآخر أوروبا الغربية المنهارة اقتصاديا ، والاتحاد السوفيتى الذى حطمه النصر ، وبلاد أوروبا الشرقية التى بدأت تجرب الاشتراكية الاجبارية ، وتخضع لجميع أنواع القيود الغامضة ، وأسرعت الاموال الامريكية عن طريق مشروع مارشال الى انقاذ أوروبا الغربية ، فى الوقت الذى خلقت فيه التجارب الاقتصادية الجديدة على الطراز الستالينى القديم سلسلة من الصعوبات فى أقطار أوروبا الشرقية ، ونظرا لتفوق امريكا المؤقت فى ميدان الاسلحة النووية ورخائها الاقتصادى الذى لا جدال فيه اضطرت الكتلة السوفيتية الى اتخاذ موقف المدافع العنيد عن حدود أراضيها . وركز الاتحاد السوفيتى وحلفاؤه كل اهتمامهم لعشر سنوات بعد الحرب العالمية الثانية ، على بناء اقتصادهم وقوتهم العسكرية ، وفى الوقت نفسه انضمت الصين الى الكتلة الشيوعية ونفضت نحو عشرين دولة عن نفسها نير الاستعمار الاوروبى فى آسيا وافريقية ، ورفضت اغلبية هذه الدول أن تجر الى أحد معسكرى الحرب الباردة .

وهكذا تشابه النمط الاقتصادى السائد فى العالم مع النمط الذى

فرضته الحرب الباردة . ووقفت فى وضع المنافسة الكئيب الكتلتان الاقتصاديتان : الرأسمالية الديمقراطية ، والشيوعية تواجه كل منهما الاخرى . ووقفت بينهما الدول الحديثة التحرر فى آسيا وافريقية ، وجمهوريات أمريكا اللاتينية بخليطها العجيب من النظم السياسية والاجتماعية . واعتمدت زعامة الولايات المتحدة على الكتلة الاقتصادية الرأسمالية الديمقراطية ، وزعامة الاتحاد السوفيتى على الكتلة الشيوعيه على اقتصاديات كل منهما وهى اقتصاديات على مستوى الزعامة ، وتفوق أى نمو اقتصادى لدولة أو لمجموعة من الدول .

وقد ظلت زعامة العالم الاقتصادية ، فى الفترة من عام ١٩٤٥ - ١٩٥٥ خارج بلاد الكتلة السوفيتية بين يدى الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى التى أخذت تستعيد قوتها بالتدريج بعد ويلات الحرب . وأدركت العواصم الغربية أهمية مساعدة الدول الحديثة التحرر فى آسيا ، ولكن مطالب المقتضيات العسكرية للحرب الباردة تركت النزر اليسير - نسبيا - للعون الاقتصادى الفعال للامم الآسيوية . واستمرت الدول الغربية ، بما فى ذلك الولايات المتحدة تطل على آسيا وافريقية من عل باعتبارها مصدرا غير محدود للمنتجات الاساسية الرخيصة التى تحتاج اليها صناعاتها . وكانت أية محاولة من جانب الدول الآسيوية لتصنيع نفسها على نطاق واسع تلقى أعراضا ، على حين يقدم لها النصح القائل بأن عليها أن تطور زراعتها وتتوسع فى حياتها الاجتماعية والثقافية بدلا من أن تأخذ على عاتقها اقامة صرح صناعات ثقيلة .

وهكذا حينما أعدت الهند أول مشروع للسنوات الخمس فيها عام ١٩٥١ اضطرت الى أن تجعله مشروعا زراعيا أساسيا ، على أن توضع فى المرتبة الثانية مسألة تنمية الطاقة والرى ، ولم يشمل المشروع اقامة أية صناعة ثقيلة . وقد خصصت الدول الغربية ، من جانبها ، معظم أرصدة المعونة الاجنبية للدول المرتبطة بها فى أحلاف عسكرية . وكانت معونة الدفاع هذه تتجه الى زيادة الموارد العسكرية للدول التى تتلقى المعونة أو لدعم استقرار الحكومات التى تبدى للغرب روح المودة .

وبعد وفاة ستالين ، أى فى عام ١٩٥٥ ، جاءت انطلاقة السوفيت الى السوق الاقتصادية العالمية . وتعد هذه الانطلاقة من أكبر الاحداث التى وقعت فى النصف الاخير من القرن العشرين .

وقبل هذه الانطلاقة ، لحق الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة فى مجال الاسلحة النووية ، ودخلت الحرب الباردة الى أزمة لا خلاص منها على الصعيد السياسى .

وحدثت سلسلة من التعديلات السياسية والاقتصادية فى بلدان

أوروبا الشرقية ، أصلحت بعض مساوى العهد الستالينى على حين حققت الصين دفعة هائلة لتعبئة الطاقة البشرية الريفية الهائلة من أجل الاغراض الانتاجية ، وأدى هذا الى تخليص الاقتصاد الصينى من الركود الذى ظل فيه لعدة قرون .

وشهدت السنوات التالية على عام ١٩٥٥ تلك الحقيقة الهائلة ذلك التحدى الاقتصادى الذى يواجه به الاتحاد السوفيتى دول الغرب • وكانت الحرب الباردة قد أخذت تكتسب ، بالتدريج شكلا مختلفـــا • وانتقلت الاهمية من المظهر السياسى الى المظهر الاقتصادى للمنافسة بين النظامين العالميين •

وظهر الاتحاد السوفيتى ، تحت زعامة خروشوف ، كقوة اقتصادية عملاقة ، وأصبح أحد اثنين من أكبر مصادر المعونة الاقتصـــادية والفنية للدول الحديثة التحرر فى آسيا وافريقية •

ويتعين علينا أن نضع فى الاعتبار أنه حتى عنـدما كانت الولايات المتحدة تقدم مساعدات ضخمة الى حلفائها الغربيين لاعادة بناء اقتصادها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حول الاتحاد السوفيتى قدرا كبيرا من رأس ماله ومواده التكنولوجية الى بناء اقتصـــاد الدول التى داخل معسكره ، وكانت العلاقات الاقتصادية بين الاتحـــاد السوفيتى من جانب ، ودول أوروبا الشرقية والصين من جانب آخر ، مفيدة للطرفين •

بيد أن الغرب اعتقد ، أن الاتحاد السوفيتى قد حصل على ثمن كبير يتمثل فى المواد الخام والتعويضات التى كان يتلقـــاها من بلاد أوروبا الشرقية مقابل المعونة المقـــدمة • ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر أن التقدم الصناعى فى الصين وشرقى أوربا ، يدين بالكثير للتعاون السوفيتى مهما كان الثمن الذى دفع من أجله • ويمكننا أن نلمس مدى الدور الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى الحياة الاقتصادية لاقطار الكتلة اذا عرفنا أنه قد تم اقامة ــ أو سيتم اقامة ــ ما لا يقل عن ٥٥٠ مصنعا ــ تشمل ٤٦ مصنعا للصلب و ٣٧ للاعمال الكيماوية و ١١ معملا لتكرير البترول و ٧٦ مصنعا للاشغال الهندسية و ٧٣ محطة قوى ، وتم هذا كله فى بلاد الكتلة السوفيتية ، عن طريق المساعدات الروسية •

وارتفعت جملة المبيعات بين الاتحاد السوفيتى ، وحلفائه من ٣١٠٠ مليون روبل عام ١٩٤٦ الى ٢٥٥٠٠ مليون روبل عام ١٩٥٨ •

ونحن نجد ، فى الوقت الحالى ، أن الاتحاد السوفيتى يصرف ثلاثة أرباع تجارته الخارجية فى بلدان الكتلة •

وكما ذكرنا منذ قليل ، بدأ اشتراك روسيا فى التنمية الاقتصادية الخاصة بالدول الآسيوية منذ خمس أو ست سنوات فقط •

غير ان السرعة التى تضاعف بها التعاون السوفيتى قد أخذت الدول الغربية على حين غرة . ويمكننا أن نأخذ فكرة عن طبيعة العلاقات الاقتصادية الروسية الآخذة فى التوسع مع بلاد آسيا وافريقية ، والتى تحققت جميعها منذ عام ١٩٥٥ ، اذا قرأنا الفقرات التالية التى جاءت فى احدى المجلات السوفيتية المتخصصة :

« لقد تضاعفت التجارة بين الاتحاد السوفيتى والأقطار المتخلفة اقتصاديا بدرجة كبيرة خلال السنوات القليلة الماضية . فقد زادت التجارة مع الهند حوالى ست عشرة مرة خلال السنوات الاربع الماضية ، وشهد عام ١٩٥٨ زيادة قدرها ٤٣٪ .

وسجلت التجارة مع الجمهورية العربية المتحدة زيادة قدرها ٩ أضعاف ، ومع اندونيسيا أكثر من ١٠ أضعاف . كما أن التجارة مع أفغانستان ، وسيلان ، واليمن ، وأثيوبيا وبعض البلاد الاخرى آخذة فى الزيادة .

« وتحتل المعونة الاقتصادية والفنية مجالا أوسع فى العلاقات الاقتصادية السوفيتية مع البلاد الاخرى : ففى السنوات القليلة الماضية ، وقع الاتحاد السوفيتى اتفاقيات المعونة الاقتصادية والفنية مع الهند ، والجمهورية العربية المتحدة ، وأفغانستان ، وأندونيسيا ، وبورما ، وسيلان ، واليمن . وفى عام ١٩٥٩ وقع على اتفاقيات مشابهة مع العراق ، ونيبال .

وبمقتضى هذه الاتفاقيات يقوم الاتحاد السوفيتى بالفعل ـ أو سيقوم سريعا ـ بمساعدة البلاد السالفة الذكر اقتصاديا وفنيا ، لبناء حوالى مائتى مصنع ، ومحطات للقوى ، ومشروعات للرى ، وغير ذلك من المنشآت ، وسوف يسهم أيضا فى مشروعات أخرى حددتها برامج التنمية القومية بهذه الدول » (١) .

وفى الوقت المناسب أدركت عواصم الغرب هذا التحدى الاقتصادى من جانب السوفييت ، وكانت احدى نتائج هذا التحدى ان أدركت الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية ، وبريطانيا ، أنه يتعين عليها أن تبذل المزيد سواء بطريقة فردية أو جماعية للمساهمة فى التنمية الاقتصادية فى البلاد الآسيوية والافريقية .

ونظرا لأن ذلك لن يكون ممكنا دون اجراء بعض التعديلات فى العلاقات الحالية بين الدول ، وهى العلاقات التى خلقتها الحرب الباردة ،

---

(١) الشئون الدولية : أكتوبر عام ١٩٥٩ .

أخذت اقتراحات نزع السلاح المتفق عليها ، وتخفيف حدة التـــوتر ، يلقيان فى الآونة الاخيرة من الاهتمام ما لم يلقيا منذ نهاية الحرب •

واذا ما تركنا الاعتبارات الايديولوجية جانبا ، وجدنا أن اقتصـــاد الكتلة السوفيتية يتمتع بامتيازات معينة لا يتمتع بها اقتصـــاد الكتلة الغربية ، وهذه الامتيازات تسمح للزعمـــاء الشيوعيين بدخول ميدان المنافسة الاقتصادية العالمية مسلحين ببعض الثقة الراسخة • وأول هذه المميزات أن اقتصاد الكتلة السوفيتية اقتصاد آخذ فى النمـو ، على حين نجد أن اقتصاد الكتلة الغربية قد وصل الى درجات التشبع •

والمشكلة التى تواجهها البلاد الرأســـمالية العتيقة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا هى المحافظة على المستوى الحالى فى الاستثمار والانتاج •

وفى ألمانيا الغربية أيضا ، نجد أن التوسع الاقتصادى المشهود الذى كان سائدا فى فترة ما بعـــد الحرب ، قـــد وصل الى أوجه فى أواخر الخمسينيات ، ومنذ ذلك الحين وهناك : أما تجمد فى الموقف واما تدهور طفيف • بل اننا نجد فى الولايات المتحدة نفسها أن استثمار رأس المال والانتاج آخذان فى التدهور (١) •

وطبقا لما يقوله آلن دالاس رئيس المخابرات الامريكية فان الانتاج الكلى فى روسيا يزداد بنسبة تزيد على ٩٪ ســـنويا ، أى أكثر من ثلاثة

---

(١) رسم الرئيس كنيدى - في رسالته الاتحادية الى الكونجرس في ينـاير عام ١٩٦١ - صورة كئيبة لاقتصاد الولايات المتحدة وأعلن : « ان حالة اقتصادنا الراهنـة تدعو الى القلق » ، وأضاف انه تولى الحكم في أعقاب سبعة أشهر من الكساد ، وثلاث سنوات ونصف السنة من التراخى ، وسبع سنوات من النمو الاقتصـادى الآخـذ في التناقص ، وتسع سنوات من انخفاض الدخل من الزراعة ، ووصلت افلاسات الشركات الى أعلى نسبة لها منذ « الكساد الكبير » . وقد انخفض الدخل من الزراعة منذ عام ١٩٥١ بنسبة ٢٥٪ ووصلت البطالة المؤمن عليهـا الى أعلى مرحلة لهـا في التاريخ - باستثناء فترة قصيرة عام ١٩٥٨ : فمن بين حوالى خمسة ملايين ونصف مليون العامل الامريكى بلا عمل ، ظل نحو المليون يبحثون عن عمل منذ مدة تزيد على أربعة شهور (وهذا يدل على أن البطالة ليست مشكلة موسمية عادية) . ويعيش نحو ١\٨ المتعطلين بلا أمل تقريبا ، في حوالى مائة منطقة مضطربة تعانى من الكساد بصفة خاصة .

يضاف الى هذا أن انتعاشنا من كساد عام ١٩٥٨ كان طفيفا وغير كامل . ولم يستعد انتاجنا القومى الاجمالى طاقته الكاملة على الاطلاق . ولم تعد البطالة الى معدلاتها العادية ، ولم نعد نفيد الافادة القصوى من طاقتنا الصناعية القومية . وباتت أكبر بلاد الارض من ناحية الموارد والصناعة تعد من بين أقل الدول شأنا في معدلات النمو الاقتصادى وقد انخفضت نسبة النمو الاقتصادى عندنا بالفعل منذ الربيع الماضي ، كما أن استثمار الاموال في المشروعات آخذ في التدهور . وكذلك انخفضت الارباح عن المستويات المقررة ، وتوقفت حركة التعمير . وهناك مليون سيارة في البلاد لم يتم بيعها .

أضعاف النسبة التى فى الولايات المتحدة (وهى أقل من ٣٪) كما أنها تبلغ ستة أضعاف النسبة التى فى بريطانيا العظمى (٥ر١٪) ٠

وقال آلن دالاس : « ان مشروع السنوات السبع السوفيتى سوف يزود الاتحاد السوفيتى بالامكانيات اللازمة لمضاعفة التوسع التجارى والمعونة للدول غير الملتزمة ، والدول المتخلفة فى العالم الحر ٠ وسوف يقترب الانتاج السوفيتى لبعض المواد الخام الاساسية وبعض المنتجات الصناعية (عام ١٩٦٥) من انتاج الولايات المتحدة ، وقد يتفوق عليها فى عدد من الحالات ، وسوف تكون هذه المنتجات من النوع الذى تحتاج اليه الدول التى هى أقل تقدما من أجل حركة التصنيع بها » ٠

وقدرت خطة السنوات السبع السوفيتية أن ينتج الاتحاد السوفيتى بحلول عام ١٩٦٥ ، مزيدا من السلع الصناعية لكل فرد من السكان ، سلع تزيد عما ينتج اليوم ، فى أكثر بلاد أوروبا الرأسمالية تقدما ، وهى بريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية .

وسوف يتفوق السوفييت ، فى السنوات السبع التالية ، فى الانتاج المادى لبعض المواد الصناعية الرئيسية ، وسوف يقتربون من مستوى الانتاج الحالى لبعض السلع الاخرى فى الولايات المتحدة ٠

أما من ناحية المنتجات الزراعية الرئيسية فسوف يفوق الانتاج السوفييتى اجماليا ، وبالنسبة لكل فرد ، مستوى الانتاج الحالى فى الولايات المتحدة ٠

وتدعى الصين أنها لحقت ، بالفعل ، بالمملكة المتحدة من حيث اجمالى الانتاج الصناعى . بل ان معدل استثمار رأس المال فى الصين أعلى من معدله فى الاتحاد السوفييتى ، بالرغم من أن ذلك قد تحقق عن طريق تطبيق الاقتصاد الموجه بشدة .

وقد تم تصميم كوميونات القرية الصينية من أجل تنشيط السكان الريفيين العديدين ، من أجل أغراض الانتاج ، وتكوين الثروة ٠

ويشكل هؤلاء السكان فى بلاد آسيا وافريقية الاخرى عبئا ثقيلا على عاتق الاقتصاد . (ارجع الى تقرير اللجنة الخاصة بسياسة المواد ، لعام ١٩٦٠ ، بعنوان « موارد من أجل الحرية » الجزء الأول) .

وهناك ميزة كبيرة أخرى يتفوق بها الاتحاد السوفييتى على الولايات المتحدة فى ميدان المنافسة الاقتصادية ٠ وهى أنه بينما نجد أن الاتحاد السوفييتى ، يتمتع بالاكتفاء الذاتى الحقيقى فى المواد الخام ، يتعين على الولايات المتحدة أن تعتمد فى تموينها على مجموعة من الدول ٠

ويمثل انتاج الولايات المتحدة حوالى ٤٠٪ من الانتاج الصناعى العالمى ، ومن ثم تعتبر أكبر مستهلك فى العالم للمواد الخام ٠

وكان يتعين على الحكومة الامريكية ، فى بداية عام ١٩٥٠ ، أن تعلن قائمة بأكثر من سبعين نوعا من المواد الخام باعتبارها « استراتيجية وخطيرة » واعتبرت تخزين هذه المواد ضروريا للأمن القومى ٠

ولم تتضمن القائمة المعادن فحسب وانما تضمنت أيضا منتجات عضوية مثل زيت جوز الهند ، والجملكة النقية ، والصوف والفلفل الاسود ٠

ويتعين الآن على الولايات المتحدة الامريكية أن تستورد جميع المعادن باستثناء المنجنيز والموليبدنيوم ٠

ومن بين المواد الاستراتيجية والخطرة « المتضمنة » فى قانون عام ١٩٥٠ الصادر عن الكونجرس ، أكثر من أربعين مادة لا تنتجها الولايات المتحدة الامريكية بكميات كافية ٠

وهناك ثمانى مواد فقط ، من بين تلك المواد التى تنتج فى أمريكا بكميات كبيرة ، فى متناول اليد لمواجهة نصف مطالب البلاد زمن السلم ٠ وهناك ثلاثون مادة لا يمكن الحصول عليها فى نصف الكرة الغربى كله ٠ (سنعرض ، فى الفصل العاشر ، لتحليل مفصل للنمو الاقتصادى بالصين) ٠

ويأتى ٧٥٪ من هذه المواد المتضمنة فى قائمة التخزين ، من بلاد العالم التى هى أقل تطورا ، وبخاصة من أمريكا اللاتينية ٠

ومن ناحية أخرى نجد أن الاتحاد السوفييتى يتمتع بوفرة فى المواد الخام الاساسية الضرورية لنموه الصناعى ، وسوف يمر وقت طويل قبل أن ينضب معين هذه المواد من جراء الاستهلاك الصناعى ٠

كما أن بلدان أوروبا الشرقية تمد الاتحاد السوفييتى بمجموعة متنوعة من المواد الخام ، كذلك تفعل الصين ٠ وتدعى الصين من جانبها أنها تستحوذ على مواد خام إساسية للنمو الصناعى ، ومن ثم فانها أسعد حظا من اليابان ٠

والعامل الثالث الذى يعضد الاتحاد السوفييتى فى حربه الباردة الاقتصادية ضد الدول الغربية هو أن الاقتصاد الرأسمالى قائم بطبيعته على المنافسة ، وتضعف هذه المنافسة ، فى حالات كثيرة من السلطات الاقتصادية للكتلة الغربية ككل ٠

كما أن هناك منافسة حامية بين الشركاء الرئيسيين فى التحالف الغربى من أجل مواد العالم الاساسية ، ومن أجل المستهلكين ·

وهذا أمر معروف لدرجة لاتستدعى الاستفاضة· فقد طردت الولايات المتحدة كلا من بريطانيا وفرنسا من معظم أسواقها العالمية التقليدية ومن وضعهما الراسخ فى الاقتصاد العالمى وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، وأصبحت ألمانيا الغربية ، اليوم ، منافسا قويا للولايات المتحدة ·

وتبين المنافسة الحالية بين الدول الاوروبية الست الداخلية، والدول السبع الخارجية — مع تعضيد الولايات المتحدة للدول الست الداخلية — المساوى التى تعانى منها الدول الغربية وهى تواجه الهجوم الاقتصادى القادم من الكتلة السوفيتية ·

ولا بد أن يكون هناك، فى الكتلة السوفيتية أيضا، بعض التشددات والقيود فى العلاقات الاقتصادية وخاصة بين الاتحاد السوفيتى والدول التى هى أقل تقدما ·

وقد شهدت الفترة الستالينية وخاصة فى شرقى أوربا سياسة سوفيتية تكاد تأخذ شكل المصادرة ، وانتقلت ملكية مصانع ضخمة من بولندا وبعض الدول الاخرى كتعويضات ·

وظل اقتصاد هذه البلاد مربوطا، لعدة سنوات، الى عجلة الاقتصاد السوفييتى ، يمده بالمواد الخام ، ويجرب السياسات الاقتصادية التى وضعت فى موسكو ·

وكان من نتيجة ذلك انتشار موجة من السخط عمت جميع أنحاء أوروبا الشرقية ، أدت الى قيام حركات تطهير ، وتصفية واعتقال للناس، وتقييد للحرية البشرية ·

ووصل هذا السخط الى أوجه فى حوادث الشغب التى قامت فى بوذنان فى بولندا ، وأخيرا فى الثورة المجرية عام ١٩٥٦ ·

ولكن حدث منذ ذلك الحين أن طرأت تغيرات عميقة على السياسات السوفيتية نحو كل قطر من أقطار أوروبا الشرقية ، بما فى ذلك من منح الزعامة الشيوعية فى كل بلد حرية اجراء التعديلات الضرورية فى البرامج الاقتصادية ·

غير أن الاتحاد السوفييتى لم يحاول أن يفرض سيطرته السياسية أو الاقتصادية على الصين . فقد قامت العلاقات بينه وبين الصين اقتصادية كانت أو سياسية ، على أساس المشاركة .

وبالرغم من الخلافات القائمةداخل الكتلةالسوفيتية ، فاناقتصادها لم يصل بعد الى المرحلة التى يتعين علىدول الكتلة أن تتنافس فيها بعضها مع بعض كما تفعل الدول الرأسمالية ·

وعلى أية حال، يدعى زعماءالكتلة السوفيتية أن اقتصادهمالاشتراكى لن يتنافس بالطريقة الرأسمالية ، ذلك أنه سيستمد مقومات حياته من مطالب الجماهير المتزايدة باستمرار نتيجة لارتفاع مستوى معيشتهم ·

وقد سمح التخطيط الصارم لاقتصاد الكتلة السوفيتية ، بمزيد من تقسيم العمل على نطاق دولى أكثر مما هو ممكن فى اقتصاد الكتلة الغربية ·

وقد جعل فقدان الحرية بالمعنى المتعارف عليه فى الغرب ، والرفض القاطع لعدم السماح بقيام أية معارضة ضد الحكومة وعدم وجود اضرابات من جانب العمال ، والدفع الاجبارى للطاقة البشرية من أجل أهداف الانتاج — جعل كل ذلك من الممكن أن يحقق الاتحاد اسوفيتى نتائج لا تستطيع أن تتوصل اليها بلاد الكتلة الغربية .

ولكن التكرار اللانهائى للمنتجات فى العالم الراسمالى ، بما فى ذلك من تبديد للطاقة البشرية والموارد ، والمنافسة المهلكة من أجل الاستحواذ على المستهلكين ، كلها نقاط ضعف لا علاج لها فى الدول الغربية سواء فى نطاق مجتمع كل منها ، أو فى نطاق المنافسة الاقتصادية الجماعية مع الكتلة الاشتراكية .

كما ان مشاكل التعريفة الجمركية والعملة تزيد من اندحار الدول الغربية فى حربها الباردة الاقتصادية مع روسيا .

وفى مقابل ذلك نجد أن التجارة ، داخل نطاق الكتلة الشيوعية تعتمد على تبادل السلع المتفق عليها ، على أن يتم الدفع فى معظم الاحيان ، بالعملات المحلية .

وتستخدم كل من الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتى، المعونة الاقتصادية للبلدان الأجنبية كأسلحة سياسية .

ولكن بينما نجد أن الوسائل الامريكية كانت ، على وجه العموم بدائية وخرقاء — ومن ثم أقل نجاحا — كان السوفييت يستخدمون وسائلهم بمهارة ودهاء .

وقد وجهت الولايات المتحدة الجزء الأكبر من اعتمادات معونتها الخارجية الى البلاد التى اختارت الانحياز ، من الناحية العسكرية نحو الكتلة الغربية ، وقد كانت المساعدات الامريكية الى البلاد غير الملتزمة ضئيلة نسبيا . وقد بلغت المعونة الامريكية جميعها الى البلاد الاجنبية،

بين الأول من يوليو عام ١٩٤٥ و ٣١ من ديسمبر عام ١٩٥٧ حوالى ٤٠ بليون دولار . ذهبت ٢٥ بليون دولار منها الى أوربا الغربية ، وما يزيد قليلا عن ٤ بلايين الى الشرق الاوسط وافريقيــة ، وحوالى ١,١/٢ من البليون الى جمهوريات أمريكا اللاتينيــة ، ٤ر٨ من بليــون الدولار الى آسيا ومنطقة الباسفيكي . وفي هذه المنطقة الاخيرة حصلت اليابان على ٤ر٢ من البليون وكوريا الجنــوبية على بليون ، وفورموزا (٤ر١) من البليون والفلبين حوالى بليون ، والدول الباقية ، بما في ذلك من دول عدم الانحياز في آسيا ، خصص لها ٤ر١ من بليون الدولار . **وحصلت الباكستان والهند على قدر متشابه من المعونة تقريبا . وحصلت اسرائيل على معونة أكثر منهما معا** (جريدة النيويورك تايمز . عدد ٧ من ديسمبر عام ١٩٥٨ ــ النسخة الدولية) .

والى وقت قريب كانت الولايات المتحدة تلقى اعتبــارا ضئيلا نسبيا ، لمتطلبات البلاد التى ترفض أن تربط نفسها بعجلة سياستها الخارجية ، وقد استخدمت المعونة الخارجية ، فى حالات عدة ، بطريقة كريهة ، كوسيلة من وسائل السياسة الامريكية فى المجال الدولى . وأكبر الحالات المعروفة لنا هى سحب دالاس العرض الامريكى للمساعدة على بناء سد أسوان العالى . وقد وجدت بعض البلاد ، مثل الهند ، وكالات دولية . مثل البنك الدولى ، تفرض شروطا صارمة حينما تقدم قروضا لبعض المشروعات المعينة ، وكانت نصيحة البنك المستمرة ، الى الحكومة الهندية هى أنه ينبغى عليها الا تسير فى مشروعات صناعية كثيرة .

وحتى على المستوى غير الحكومى ، نظر الغرب نظرة قاصرة للغاية الى الضرورة الملحة للنمو الاقتصادى فى آسيا وافريقية . وهناك اتجاه الى تجميد وضع الدول الآسيوية الافريقية كممولة للمواد الخــام الرخصية ، وكمشترية للمنتجات الغربية المصنعة .

وهنا استطاع الاتحاد السوفيتى أن يجنى أحسن النتائج . فابتداء من عام ١٩٥٥ ، قدم الاتحاد السوفييتى عروضا لاقامة الصنــاعات الاساسية فى عدد من البلاد الآسيوية ــ الافريقية : فقام ببناء مصنع للصلب فى الهند ، وعرض اقامة مصنع مشابه فى سيلان . هذا وتساعد الكتلة السوفيتية الهند فى كشف موارد البترول بها ، وهيأت للعرب أول منظمة لتسويق البترول ، ويقوم الاتحاد السوفيتى بتعبيد الطرق واقامة السدود فى أفغانستان ، والموانى واحواض السفن فى سورية ، ومجموعة من المصانع فى العراق . وعرض اقامة معاهد عالية للتكنولوجيا فى عدد من الاقطار الآسيوية . وتوج أعماله ، بتعهده ببناء سد أسوان العالى كله ، وهو أكثر مشروعات التنمية العربية طموحا .

وقــد ادعى الزعماء الروس أن علاقتهم الاقتصــادية مع الدول

الأجنبية لا تحركها الاهداف السياسية . وقد برروا هذا الادعـاء ، بأن أشاروا الى تعاونهم الاقتصادى مع الجمهورية العربية المتحدة برغم عداء الرئيس ناصر ، الصريح ، للشيوعية . ومسـاعدتهم للهند . واندونيسيا . وسيلان ، وبعض الدول الأخرى التى ليست مستعدة لاحتمال أى تهديد شيوعى فى الداخل

وتقدموا خطوة الى الامام ليعبروا عن حرصهم على تنمية علاقاتهم مع ايران وتركيا ، وباكستان ، بل ومع دول أوروبا الرأسمالية وأهم من هذا كله ، مع الولايات المتحدة نفسها .

واذا ما تحدثنا بصفة عامة ، نجد أن ظهور انظامين الاقتصاديين المتنافسين قد أثبت فائدته الكبرى للدول المتخلفة فى افريقية. وآسيا، وأمريكا اللاتينية . وانقضت الأيام التى كانت تضطر فيها الدولة الى رجال البنوك فىالعالم الغربىمن أجل قدرضئيل من المعونةوالمساعدة(١). بل ان الحقيقة القائلة بأن افريقية وآسيا تستطيعان أن تعتمدا على الكتلة السوفيتية فى مجال المساعدات الاقتصادية ، لظاهرة جديدة تماماً، وظاهرة برزت منذ عام ١٩٥٥ ، ولاسباب عدة ، ذكرنا بعضها فى الاجزاء الاولى من هذا الفصل ، ينعم الاتحاد السوفيتى بوضع ممتاز يتيح له أن يشكل منافسة اقتصادية للكتلة المنافسة ، فىالبلاد غير الملتزمة. وتضع النسبة المئوية المنخفضة للفائدة التى تطلبها الكتلة السوفيتية ، والتحرر

---

(١) والمثال التقليدى على ذلك هو كوبا ، فقد استطاعت أن تقاوم الضغط الاقتصادى الامريكى بمساعدة الكتلة الشيوعية ، وحينما ألغت الولايات المتحدة حصتها من السكر الكوبى عام ١٩٦٠ ، اشترى الاتحاد السوفيتى والصين معظم السكر الكوبى ، ومنحت حكومة فيدل كاسترو كمية كبيرة من المساعدات الاقتصادية ويميل زعماء الثورة الكوبية الى اعتبار العداء الامريكى لحكم كاسترو ، على أنه أساسا صدام بين مصالح اقتصادية . وقد قال ارنستو تشي جويفارا ، واضع النظريات الرئيسي لعهد كاسترو ، موجها حديثه الى مستر ك . س . كارول مراسل صحيفة « نيوستيتسمان » اللندنية ، بعد الغـزو الفاشل في ابريل عام ١٩٦١ :

« ان الامريكيين يكرهوننا ليس من أجل نياتنا . وانما لاننـا نهدد مصـالحهم الاقتصادية ، ولان ثورتنا مثال خطر يخشي أن تحتذيه دول أمريكا اللاتينية قاطبة . لقد ضاعف الاصلاح الزراعى من انتاجنا الزراعى . وبعد قليل ، سيقضي برنامج التصنيعالذى وضعناه على البطالة في كوبا . ولم يحدث شيء مشابه لهذا في تاريخ أمريكا اللاتينيـة كله .

وهذه هى كلجريرتنا في عرف أمريكا . وقد صرف النظر عن تلميحاتنا الكثيرة منأجل التفاهم ، وكان هناك كثير من هذه التلميحات ، وستظل رغبة الولايات المتحدة قائمة في القضاء علينا ، لاننا أشرنا الى الطريق الذى يجب أن تسلكه بقية بلاد أمريكا اللاتينية .

ولنأخذ في اعتبارنا أيضاً ماقاله الرئيس ناصر في مارس عام ١٩٦١ : « ان الكفاح ضد الاستعمار كفاح من أجل الارض الافريقية ، والمناجم الافريقية ، لان الثروة القومية هى الصارى الذى ترتفع عليه راية القومية .

من حسابات الربح والخسارة ، والتحرر من المنافسة التى تميز جميعها الاقتصاد الحر ، والمضمون السياسى للمنافسة الاقتصادية بين الكتلتين ، تضع هذه الاعتبارات جميعها مجموعة الدول السوفيتية فى مركز يتيح لها العمل مع سرعة اتخاذ القرارات بطريقة تزعج البلاد الغربية تقريبا . ومن ناحية دول آسيا وافريقية ، أتاح لها هذا الوضع فرصة ، لم تكن تنتظرها ، لدعم موقفها فى مواجهة كلتا الكتلتين .

وكما ذكرنا من قبل ظلت المساعدات الاقتصادية الغربية ، لسنوات طويلة ، توزن بقوة على أساس الاعتبارات العسكرية ولم تعدل الدول الغربية من نظرتها الخاصة بالمعونة والمساعدة — وبدأت فى اعطاء شىء من الأولوية الى مساعدات التنمية الخالصة — الا بعد أن حقق الاتحاد السوفيتى انطلاقته الاقتصادية . وكان استعداد الكتلة السوفيتية لاقامة المشروعات الرأسمالية فى البلاد المتخلفة ، عاملا آخر من العوامل التى تسبب القلق فى الكتلة الغربية . وهدف الكتلة السوفيتية واضح بالطبع : فهدفها حرمان الاقتصاديات الغربية من أسواق المواد الخام التقليدية فى افريقيا وآسيا ، وزيادة حدة المنافسة داخل نطاق الاقتصاد الحر نفسه ويعتقد الزعماء الشيوعيون ان ذلك سوف يؤدى الى التعجيل بقيام أزمة فى الميزان الاقتصادى للعالم غير الشيوعى .

وقد كانت هناك . داخل الولايات المتحدة نفسها ، انتفاضة من الفكر المتحرر ، فى السنوات الحديثة ، تحاول أن توقظ زعماء أمريكا من نومهم وتطلعهم على التحدى الذى تفرضه المنافسة الاقتصادية من جانب الكتلة الشيوعية . ويقف على رأس هذه الموجة الحرة المفكرون من أمثال بروفسور ج.ك. جالبريث الذى قدم فى كتابه ، الواسع الانتشار « المجتمع الموسر » قضية اقتصادية جديدة تعكس المرحلة المعاصرة للاقتصاد الامريكى . يقول بروفسور جالبريث :

ان اقتصاد الولايات المتحدة قد وصل الى نقطة يستطيع منها أن يشبع مطالب الاستهلاك لجميع السكان تقريبا على مستوى عال لم يسبق له مثيل .

لقد اختفى الفقر الجماعى ، ووصلت الاسرة العادية الى مستوى الميسرة . وأصبحت الحكمة الاقتصادية التقليدية القائمة على فقر الجماهير ، والصراع الناتج عنها بين الطبقات ، قديمة ولا تتمشى مع الواقع . ولكن المجتمع الموسر ينطوى على مشاكلة تحدياته الخاصة . فانه يتعين عليه كى يظل محتفظا بدوره القيادى فى العالم ، أن يحرر نفسه من قيود التحيز والتقاليد وينطلق الى آفاق جديدة . ويقبع الخطر فى الاهتمام الزائد بانتاج وتوزيع السلع الاستهلاكية حتى حينما يكون الطلب على مثل هذه السلع قد تم اشباعه تماما تقريبا . وفى

الاسبوع الذى أطلق فيه الروس أول قمر صناعى من الارض . أنتج الامريكيون مجموعة رائعة من موديلات السيارات . من بينها السيارة ادريل الجديدة التى تنفرد بأناقتها . ويقول بروفسور جالبريث : « اننا لم ندرك بعد أن الأسباب (أى أسباب تخلف الولايات المتحدة) كانت أكثر عمقا ، وأن اقتصادنا ، والنظرية الاقتصادية التى تفسر سلوكه وتجعله منطقيا — لا يتضمنان الا اجراء صغيرا من الانتاج الخاص ، والذى يعتبر من وجهة نظر الامن القومى ، انتاجا ثانويا . ولم نر بعد أن المشكلة أكثر من مشكلة زيادة الميزانية — وانما هى مشكلة مواقفنا من أهداف المجتمع نفسه :

فالمجتمع الذى يضع هدفه الاسمى فى انتاج السلع الاستهلاكية الخاصة ، سيظل يعكس مثل هذه الاتجاهات على جميع قراراته العامة ، وسوف يجعل اتخاذ قراراته العامة فى أيدى رجال يعتبرون أى هدف آخر ، أمرا غير معقول أو متطرف . ومازال علينا أن نرى أنه ليس الموارد الاجمالية وانما استغلالها الثابت والمعقول هو مفتاح النجاح » (١)

ويريد رجال مثل بروفسور جالبريث من الولايات المتحدة أن تركز اهتمامها على تنمية المـــوارد البشرية عن طريق انفاق أموال أكثر على التعليم والخدمات الاجتماعية ، على الابحاث العلمية والتكنولوجية ، وعلى التنمية الاقتصادية للمناطق المتخلفة من العالم .

وهم يحثون الزعماء الامريكيين على انتزاع أنفسهم من الطرق البالية للتفكير التقليدى ، سواء كان ذلك فى ميدان المنافسة العسكرية او الاقتصادية مع الكتلة السوفيتية . واذا استطاعت هذه الموجة الحرة فى أمريكا أن تؤثر على حكم هؤلاء الذين يتحكمون فى سياسة الولايات المتحدة ، فان النتائج ستكون مفيدة لافريقية وآسيا (٢) .

---

(١) « المجتمع الموسر » بقلم جون كنيث جالبريث — لندن — ص ٢٧٤ .

(٢) بدأ المسئولون يدركون القصور الاساسي لبرامج المعونة الخارجية الامريكية خلال السنوات الاخيرة من حكم ايزنهاور ، غير أن هذا الادراك لم يظهر قبـل أن يتبـدد الرضا الامريكى الساذج على يد المنافسة السوفيتية ، فحتى يناير عام ١٩٥٨ كانت المعونة الامريكية الى الهند تبلغ في جملتها أقل بقليل من المساعدات التى تقدم للباكستان ، ولم تكن تزيد بكثير عما كانت تمد به فرموزا . والمبلغ الوحيد الكبير ، وهو ١٩٠ مليون دولار قدم لها عام ١٩٥١ لشراء قمح .

وقد كتبت صحيفة « ذاوول ستريت جورنال » تقول في عددها الصادر في ٥ من يونية عام ١٩٥٩ : « لقد اختفت المعونات الامريكية في اقتصاد الهند الذى هو في أمس الحاجة الي رأس المال ، مثلما تختفى الاحجار التى تقذف الى البحر . وهذه المعـونة الامريكية التى تنتشر بضآلة على مايزيد على مائة مشروع : ٧ر٥ مليون دولار للاسمنت، ١ر٤ من مليون الدولار لرافعات الحبوب و ٣ ملايين دولار للموانى الحديثة و ٣ر٢ من مليون الدولار لجهاز الاستشارة الادارية . هذه الخـــدمات الامريكية لا يكاد يراها المسافر في هذه الارض التى حطمها الفقر » .

وقد أدى تحرير ملايين من الجياع في افريقية وآسيا الى حدوث تغيير بارز في النظرة الدولية : ففي جميع مراحل التاريخ كان البشر كلهم تقريبا يعانون من الفقر المدقع ، فقد كانت القلة الفنية تقوم باستغلالهم ، وكان الفاصل بين الطبقتين هائلا . وفجأة صاحبت انطلاقة آسيا وافريقية السياسية في القرن العشرين أفكار «عن مجتمع الرفاهية ، وعن الديمقراطية الاقتصادية والسياسية» .. وأصبح هناك في كل بلد آسيوي - افريقي طلب واضح على لقمة العيش ، ومزيد من الفرص للنمو ، والمطالبة بمجتمع يؤمن بالمساواة ، وقذف بجميع النظريات الاقتصادية التقليدية ، التي تبدأ من آدم سميث الى ريكاردو ، وتشمل اليأس الكبير الذي أطلقه توماس روبرت مالتس ، الى الرياح من جانب هذه الموجة الهائلة المعبرة عن الرغبة الانسانية في النمو والتطور .

وفي الوقت نفسه أدى هذا الى فرض ضغط كبير على المنظمات السياسية التي صيغت حديثا في آسيا وافريقية ، كان على حكومات هذه الاقطار أن تحقق - في فترة وجيزة من الزمن - ما حققته الدول الاوروبية في قرون . وكما أن كل حكومة من حكومات آسيا وافريقية تحاول عن وعي أن تحقق قدر المستطاع المضمون الاقتصادي للحرية السياسية ، فان الأنظمة السياسية القائمة على مفهوم الديمقراطية النيابية اتجهت نحو الانفجار تحت ضغط الصيحات المطالبة بتحقيق التنمية ، وظهرت نظم حكم استبدادية ذات أشكال متعددة في عديد من البلاد الافرو-آسيوية . وقد دفعت هذه الظاهرة البارزة الملايين من الشعب الى المطالبة بامتيازات النمو في الغرب ، وخاصة في الولايات المتحدة ، ودفعت بعض المثقفين والسياسيين الى حالة من اليأس .

= وفي هذا العام نفسه قال مستر هوارد . أ. هوستون مدير التعاون الدولي في الهند وهو يعقد مقارنة بين المعونة السوفيتية والامريكية فيقول : « على العكس من المعونة الامريكية التي تفقد شخصيتها بمجرد أن تلمس الاقتصاد الهندي » نجد أن السوفيت سيستطيعون أن يشيروا الى المشروعات التي قام بانشائها الروس كلية مثل مصنع للصلب ومصنع للنظارات الطبية .

ويرجع الفضل الى المهندسين السوفيت في معظم عمليات التنقيب عن حقول البترول الجديدة في الهند » .

كما عقد هوستون مقارنة بين هيئة الموظفين الامريكيين والسوفيت الذين يديرون المعونة عبر البحار وقال : انه كان هناك نحو ٣٠٠ مستشار من الكتلة الشيوعية في الهند وجميعهم - باستثناء ما لا يزيد عن ستة أشخاص منهم - فنيون أو مهندسون أما هيئة التعاون الدولي الامريكية وحدها فلديها هيئة موظفين يبلغ عددها ٢١٧ ، نصفهم في الميدان يقدمون النصائح الفنية ، والنصف الآخر مشدود الى المكاتب يدبر البرامج .

وقد ناقش الكتاب التغيرات التي أدخلتها حكومة الرئيس كنيدي الديمقراطية ، على برامج المعونة الخارجية ، بشيء من التفصيل في الفصل الاخير .

والسؤال المتداول هو : هل فى الارض من الموارد ما يكفى مواجهة المطالب المتزايدة لجنس بشرى جائع آخذ فى التكاثر بسرعة مخيفة ، بل لقد أقنع البعض أنفسهم بأنه قد يكون من الضرورى قيام حرب نووية تمحو من الوجود جزءاً كبيراً من الجنس البشرى !

وان أساليب اليأس الفكرى هذه لا يمكن الا أن تثير حمق شعوب افريقية وآسيا ، ذلك أن هذه الشعوب تتجه الى اكتشاف أنانية فجة فى هذا الموقف ، ورفض كامل للتجاوب مع اليقظة الجديدة التى تجتاح معظم أجزاء الأرض ، وقد ظلت بلاد اوروبا والولايات المتحدة ، عدة قرون ، قادرة على المحافظة على مستوى عال من المدنية عن طريق الاستيلاء على الموارد الطبيعية واليد البشرية الرخيصة فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية . والآن **انتهى هذا العهد ، واستيقظت الجماهير التى ظلت موطئا للأقدام فترة طويلة ، وطالبت بحريتها السياسية وتحررها الاقتصادى . وبدأ الغرب يفقد الامل فى مستقبل الجنس البشرى ! . والواقع أنه فقد الأمل فى مركزه المرموق الذى ظل يتمتع به قروناً طويلة .**

وهناك رفض قاطع فى افريقية وآسيا للنظر الى المستقبل نظرة كئيبة أكثر من اللازم . وأصبح العالم من جديد على أبواب ثورة علمية وتكنولوجية هائلة ، وذلك لان الطاقة النووية المستخدمة فى أغراض الانتاج ، قادرة على احداث انقلاب صناعى شبيه فى جبروته بالانقلاب الذى حققه البخار والكهربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وعلى أية حال لم يتم استغلال سوى جزء واحد من موارد الارض من أجل خدمة الجنس البشرى . ومازال لدى الكون ـ الملىء بالطاقة ، والقوة ، والطبيعية ـ ثروة ضخمة يمنحها للانسان .

وتستطيع المواد المستخدمة الآن للمحافظة على التقدم العسكرى للبلدان كل على حدة أو لمجموعة من البلدان ، اذا ما تم تحويلها الى أغراض انتاجية أن تضاعف من تنمية الارض وتجلب السعادة الى قلوب الملايين التى لا تحصى فى افريقية وآسيا . وسوف تستغرق التغيرات التى طرأت على القارات ، التى كانت مستعبدة من قبل وقتا طويلا قبل أن تقدرها عقول البشر . ان هناك ، بالفعل ، ثورة جديدة تعمل بأساليب شتى ، وبالرغم من أن الدول سوف تقاومها مثلما فعلت فى الماضى دائما نرى أن أحدا لن يستطيع ان يمنع احرازها النصر النهائى .

الفصل السادس

تطور السياسة الأمريكية فى آسيا

أدخلت الحرب الباردة بلاد آسيا وافريقية، فى نطاق المنافسة القائمة بين الدول الكبرى من أجل السيطرة على موارد العـالم وعقول النـاس ، وتختلف هذه المنافسة فى طابعها عن الصراع من أجل القوى فى الماضى ، وذلك لأن المنافسة ليست بين دولتين قويتين فحسب، بل أيضا بين نظامين راسخين اذ تنافح الكتلة السوفيتية عن عالم شيوعى، وتؤمن بأن الرأسمالية قد وصلت الى آخر مرحلة من مراحـل وجودها • أما الولايات المتحـدة فتعتقد صواب النظام الرأسمالى، مع وجود أو عدم وجود نظم ديمقراطية، فهى فى الداخل تلتزم النمط الديمقراطى الخاص بها ، وفى أوربا تتحالف مع بريطانيا الديمقراطية والدول الاسكندنافية الاشتراكية ، واسـبانيا والبرتغال الفاشيتين ، وتساند فى أمريكا اللاتينية وافريقية وآسيا نظما من الحكومات بعيدة كل البعد عن الديمقراطية •

وفى مقابل ذلك نجد أن الكتلة السوفيتية بنيـان واحد متماسك، برغم أن كل دولة تتمتع بمعيارها الخاص فى البناء الاشتراكى ، وتسير فى مرحلة الانتقال الخاصة بها ، متجهة الى الاقتصاد الشيوعى • وفى الخارج تؤمن بتصفية الاستعمار الاوروبى • وسياستها المعـادية للاستعمار هى الوسيلة الرئيسية التى تلقن بها بلاد آسيا وافريقية ، وأمريكا اللاتينية. والاتحاد السوفيتى مستعد ، فى الوقت نفسه لتقديم المعونات الاقتصادية للبلاد الحديثة الاستقلال على شرط أن تظل بعيدة عن تكتلات الدول الكبرى، غير أن الهدف النهائى للسـوفيت هو اضعاف النظام الرأسـمالى ، وأن يبعد عن الكتلة الرأسمالية أكبر عدد ممكن من الاقطار الحديثة •

ولم تدخل الولايات المتحدة معترك الشئون العالمية الا بعـد الحرب العالمية الثانية ، وقد دخلت الى هذا الميدان لان زعامة العالم قد ألقيت على عاتقها تقريبا . وقد دخلت هذا الميدان على غير استعداد ، وبدون المام كاف أو علاقات ملائمة مع المنـاطق التى تورطت فى شئونها تورطا لا مخرج منه .

ويبدأ تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية الحديث فى عام ١٨٩٨ ، حينما تخلت الولايات المتحدة عن فلسفة العزلة ، وذلك عن تعهدها بالتزامات استعمارية خارج العالم الجديد ، وكان ذلك واضحا فى استيلاء أمريكا على جزر الفلبين . « وكان هذا الاشتغال فى الاستعمار فيما وراء البحار مفاجئا ، ولم يتم التفكير فيه من قبل . ولم يكن لدينا الا القليل من الاستعداد له ، حتى أن تفكيرنا لم يستطع أن يتأقلم مع الوضع الجديد ، ولم نستطع أن نفهم ماذا يعنى ذلك بالنسبة لعزلتنا ، ومن ثم لمبدئنا الخاص بالانعزال . وبالرغم من أنه مضى على ضياع عزلتنا نصف قرن تقريبا فاننا ظللنا نتمسك بسياستنا الانعزالية » (١) .

وهكذا نجد أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة بدأت تتعامل مع آسيا كدولة استعمارية منذ مطلع القرن ، فان العقلية الامريكية ظلت بعيدة تقريبا عن العالم خارج نصف الكرة الغربى . وقد استمرت هذه العزلة الفكرية ، بالرغم من أن الاقتصاد الامريكى فى السنوات التى بين الحربين قد انتشر بالفعل فى جميع أنحاء العالم ، واصبحت الولايات المتحدة المصنع الذى يستمد منه العالم حاجاته ، وكانت عزلة أمريكا الفكرية أمرا شاذا قضت عليه تماما الحرب العالمية الثانية . ففى عام ١٩٤٥ كانت الولايات المتحدة الدولة « رقم واحد » فى المجال الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، ولم يعد بمقدورها أن تبدى عدم اكترائها بأى جزء من كوكبنا .

وقد بدأت الحرب الباردة كما ذكرنا من قبل بسبب أوروبا واستلزمت بعض الوقت حتى زحفت الى آسيا ، وحينما تم تأسيس الامم المتحدة فى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ ، كان المجتمع الدولى يتكون من خمسين دولة ، كان ما لايزيد عن عشر دول منها ينتمى الى آسيا وافريقية ، ولذلك لم يكن من الضرورى للولايات المتحدة أن تفكر كثيرا فى آسيا وافريقية ، وهى ترسم سياستها الخارجية التى أعقبت فترة الحرب مباشرة . وفى عام ١٩٤٧ أقدم الاستعمار الاوروبى على حركة انسحاب جماعية من آسيا ، وأصبحت مجموعة من البلاد ، بزعامة الهند ، دولا مستقلة ، وكانت الولايات المتحدة قد منحت الفلبين استقلالها قبل ذلك بعام ، ولكنها احتفظت بفضل معاهدة متبادلة ، بسيطرة عسكرية واقتصادية كبيرة على هذه البلاد ، وكانت سياسة أمريكا الآسيوية ، خلال عهد ترومان ، سياسة سليمة فى معظمها أملتها التطورات المزعجة التى كانت تجرى فى الصين .

ولم تركز الحكومة الامريكية جهودها على رسم سياسة آسوية وطيدة الاركان ، الا بعد أن تولت الحكومة الجمهورية مقاليد الحكم عام

---

(١) « السياسة الخارجية الامريكية » بقلم لويس ج . هول لندن عام ١٩٦٠ ص ١٧٦ .

١٩٥٣ ، ولذلك فان هـــذه السياسة الى حد كبير من خلق مستر جون فوستر دالاس الراحل ٠

ومنذ وفاته فى مارس عـــام ١٩٥٩ ، حدث فراغ فى بادىء الامر أعقبته تطورات جديدة فى موقف أمريكا من المشاكل الآسيوية ٠ وقد ظل مستر دالاس طوال تسييره لدفة الشئون الخارجية ، هو الصانع الحقيقى لسياسة أمريكا الخارجية ، وكان يتمتع بثقة الرئيس أيزنهاور الكاملة ، ولم يتدخل الرئيس أيزنهاور فى تسييره للشئون الدبلوماسية الا مرتين أو ثلاثا حينما كان العالم على حافة الحرب ٠ وبعـــد وفاة دالاس ، بدأ الرئيس الامريكى بالتدريج يهيمن على اتجاه المسائل الدبلوماسية ٠

وخلال المدة القصيرة التى تولى فيها مستر أيزنهاور ، شخصيا ، دفة السياسة الامريكية الخارجية ، كان هناك تقدير أكبر لدول عدم الانحياز الآسيوية فى وزارة الخارجية ، وقد بات هذا واضحا بعد زيارة الرئيس أيزنهاور للهند ، والتى استغرقت خمسة أيام فى ديسمبر عام ١٩٥٩ ، ثم حدث خلال أزمة الكونغو عام ١٩٦٠ أن تقدم الرئيس الامريكى خطوة الى الامام واقترح على الجمعية العامة للامم المتحدة تحييد القارة الافريقية وابعادها عن المنـــافسة بين الدول الكبرى ، وهكذا حدث خلال الاعوام السبعة التى مضت على الحكومة الجمهـــورية وهى فى الحكم أن قطعت السياسة الامريكية تجاه آسيا وافريقية شوطا كبـــيرا ، فبعد أن كانت تحاول الزج بالبلدان الاســيوية ـ الافريقية داخل اطار النفوذ الامريكى اعترفت بجدوى وجودها كقنطرة بين الكتلتين الكبيرتين ٠

وحينما تولى الرئيس أيزنهاور الحكم ، كانت سياسة الولايات المتحدة الآســـيوية فى حالة من الكرب والاكتئاب ، وكان مذهب الاحراز الفتى قد استنفد مدته بعد فترة طويلة مثيرة فى عهد روزفلت ٠ وقد رأى الناس آخر آثارها فى معالجة الولايات المتحدة للمشكلة الاندونيسية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة حينما تدخلت واشنطن الى حد كبير لمصلحة الحرية الآسيوية ضد مجموعة من المصالح الاستعمارية الخاصة بالولايات المتحدة وهولندا ، ولكن سرعان ما نشبت الحرب الباردة فى أوروبا ، وكان يتعين على الولايات المتحدة أن تفوز بتعاون دول غربى أوروبا الاستعمارية فى محاولتها ، التى أعيد تنظيمها فى عجلة للحد من زحف الشيوعية ٠٠ ولكى تهـدىء أمريكا من ثائرة الدول الاوروبية ، شرعت تخفف من حدة اتجاهها المعادى للاستعمار ٠٠ ودفعت أمريكا ثمن تعاون أوروبا معها ، حين ضحت بالنيات الطيبة للملايين المتعطشة الى الحرية فى آسيا ٠

ثم جاءت الحوادث الدامية التى جرت فى الصين ، وكان انتصـــار الشيوعيين الصينيين هزيمة لكل ما كانت تدافع عنه أمريكا فى آسيا بعد الحرب ٠ كان روزفلت قد رسم سياسة آسيوية ، خلال الحرب ، تعتمد

على اقامة صرح دولة صينية ديمقراطية مســـتقلة تتحـــالف مع أمريكا وبريطانيا كأول دولة آسيوية من الدول الكبرى معترف بهـــا • وقد استخدم من أجل تحقيق هذه الغـــاية ، الدبلوماسية الامريكية والسلاح الامريكي والاموال الامريكية ، بل انه حاول الجمـــع بين الشـــيوعيين والكيومينتانج معا ، وأعطى الجمهور الامريكي ــ خلال سنواته الاخيرة ــ صورة عن الشيوعيين الصينيين ، جعلتهم يبدون كرجال مهذبين مظلومين ذوى نيات حسنة •

وحينما تهاوى نظام الكيومينتانج مثـــل بيت من الورق ، وتولى الشيوعيون التحكم فى مصير أكثر دولة فى العالم اكتظاظا بالسكان (ربع الجنس البشرى) ، وجد الامريكيون أنفسهم مهزومين بطريقة تدعو الى الانزعاج فى الصراع من أجل القوة ، وانتشرت الشيوعية فى كتلة الارض الأوراسية ، وباتت الولايات المتحدة مهددة من جانب دولة باسفيكية من الدول الكبرى ذات امكانيات ضخمة ، وكانت اليـــابان قد تدهورت الى مستوى حليف غير عسكرى ، ولم تكن أمريكا مستعدة لهذا التحول المحزن فى الاحداث ، وأصابها الفزع والغضب ، وكانت النتيجة ظهـــور عهد مكارثى الذى كان يجرى وراء الاوهام ، وكلف ذلك الولايات المتحدة جزءا كبيرا من تقاليدها المتحررة ، وشيئا فشيئا زحف تغير آخر على العقلية الامريكية الحاكمة ، ولم يلحظ الشعب الامريكى هذا التغير تقريبا ، فقد أصبحت الولايات المتحدة نفسها دولة استعمارية ، فقـــد كانت اليابان تحت أقدامها ، وكانت هناك مجموعة جزر واســـعة بعيدة ومتشابكة فى الباسفيك تخضع للوصاية ، وبدأت أمريكا ، بلا وعى تقريبـــا ، تتكلم بأسلوب يمكن فهمه بسهولة فى عواصم البـــلاد الاستعمارية الاوروبية أكثر مما يمكن فهمه فى حكومات دول آسيا الحديثة الاستقلال •

وحمل عام ١٩٥٣ معه فصولا جديدة فى حيـــاة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى • ففى ١٠ من يناير أصبح أيزنهاور أول رئيس جمهورى منذ عام ١٩٢٩ ، وتوفى مارشال ستالين فى ٥ من مارس ، بعد فترة حكم فردى تقريبا دامت عشرين عاما • وهكذا تولى رجال جدد فى العاصمتين ، زمام مصاير بلادهما التى يرتبط بها مصير البشرية كلها .

لقد فاز أيزنهاور فى انتخابات الرياسة بانتصار مزعزع ، نتيجة وعد مسرحى قدمه فى آخر دقيقة بوضع حد للحرب فى كوريا ، وعند نهـــاية عام ١٩٥٢ ، أى فى الوقت الذى قدم فيه أيزنهاور وعده ، أعلن ستالين ، فى اجابة له على أسئلة صحفى أمريكى ، أنه مستعد للتعاون فى أى اتجاه دبلوماسى جديد يوضع لانهاء الحرب فى كوريا .

وبدأت الحكومة الامريكية الجديدة فى الولايات المتحدة باتخاذ ــ او محاولة اتخاذ ــ وجهة نظر جديدة نحو التطورات الآسيوية . وكان أول

عمل هام قام به ايزنهاور كرئيس للولايات المتحدة هو زيارة جبهة القتال فى كوريا . وكان أول عمل رئيسى قام به دالاس ، كوزير للخارجية ، هو القيام بجولة واسعة النطاق فى البلاد الآسيوية ـ الافريقية ، وكان أول وزير خارجية أمريكى يقوم بمثل هذه الرحلة .

وقد وصفت الحرب الكورية بأنها أكثر حروب التاريخ الحديث عقما ، واستمرت لثلاث سنوات واثنين وثلاثين يوما ، واستمرت المفاوضات من أجل انهاء هذه الحرب ما يزيد على عامين وكانت الخسائر ٣٠٠,٠٠٠ جندى من كوريا الجنوبية ، ١٥٠,٠٠٠ من جنود الامم المتحدة، وبين مليون ومليون ونصف المليون من كوريا الشمالية والصين . وفقدت أرواح مليون شخص آخرين فى كوريا الجنوبية ، وثلاثة ملايين فى كوريا الشمالية ، وأصبح مليون ونصف المليون فى كوريا الجنوبية من اللاجئين، وخمسة ملايين من المعدمين ، وكل ما استطاعت أن تحصل عليه كوريا الجنوبية هو ألف وخمسمائة ميل مربع من الارض وقد قدرت الخسائر المالية التى فقدتها الولايات المتحدة بحوالى ١٨ بليون دولار ، غير مرتبات الخدمة . وظلت الخسائر الصينية غير معروفة ، غير أنها لا بد أن تكون باهظة .

بيد أن ذلك ليس هو قائمة الحساب الوحيدة ، فان الحرب الكورية أدخلت الحرب الباردة الى الشرق الاقصى (شرقى آسيا) كما أنها جعلت من الصين والولايات المتحدة عدوين لا مجال للتفاهم بينهما . وقد تدخلت حكومة ترومان فى كوريا دون أن تحصل على اذن سابق بالانتداب من مجلس الامن ، ولم يأمر الرئيس ترومان القوات الامريكية بالدفاع عن كوريا فحسب ، بل انه أصدر أوامره الى الاسطول السابع بتحييد فورموزا ـ وقد منح مجلس الامن حق الانتداب بعد ثمان وأربعين ساعة من اقدام أمريكا على التدابير العسكرية ، وأصبحت الحرب ، حرب الأمم المتحدة (أول وآخر حرب حتى تأليف هذا الكتاب) لا لشىء الا لان الاتحاد السوفيتى كان يقاطع المجلس بسبب بعض القضايا الاخرى . وأصبحت كوريا هى الحائط الصينى بين الصين والامم المتحدة .

وجاءت سياسة عدم الانحياز كقوة سياسية دبلوماسية ، وليدة للحرب الكورية . فانه حتى بمجرد أن اجتمع مجلس الامن بعد يومين من اندلاع العدوان ، اقترحت يوغوسلافيا العمل على الوصول الى تسوية عن طريق المفاوضات غير أنها لم تنجح فى مسعاها . فقد تمت الموافقة على المشروع الذى تبنته أمريكا بأغلبية سبعة أصوات ضد صوت واحد، وامتنعت الهند ومصر عن التصويت . وكانت يوغوسلافيا هى الدولة المعارضة الوحيدة أما الاتحاد السوفيتى فكان غائبا عن الجلسة . وفى

النهاية أعلنت ثلاث وخمسون دولة من الدول الاعضاء ، من بينهـا الهند عن تأييدها لقرار الولايات المتحدة ، غير أن ما لا يزيد عن ست عشرة دولة فقط هي التي قدمت مساندة عسكرية .

وكانت كوريا هي التي جسمت بنيان جهود الدول الآسـيوية الافريقية المتناسقة من أجل اقامة جسر بين الكتلتين . فبمجرد أن بدأت الجمعية العامة دورتها في نيويورك ، كافحت مجموعة الدول الآسـيوية الافريقية من أجل الوصول الى وقف اطلاق النار وحينما صوتت الجمعية العامة في الاول من فبراير عام ١٩٥١ على اقتراح يقضي بادانة الصـين كدولة معتدية في كوريا ، صـوتت الهند وبورما ضد المشروع على حين امتنعت بقية أعضاء المجموعة الآسيوية الافريقية ، بالاضافة الى السويد، عن التصويت . وقـد أدت الدول غير الملتزمة دورا بارزا في محـادثات الهدنة التي بدأت في ٢١ من يوليه عام ١٩٥١ ، حتى توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار ، واتفاقية الهدنة ، بعد ذلك بسنتين تماما في ٢٧ من يولية عام ١٩٥٣ (في أول عام لرياسة أيزنهاور) . وفي أثناء هذه المدة ، حاولت الدول غير المنحازة أن تجعل الحرب محصورة في نطاق خط عرض ٣٨ ، ونجحت في اقناع حكومة الولايات المتحدة بعبور نهر يالو (وعزل ترومان، من أجل ذلك ، جنرال مكارثر وهو في أوج شعبيته) ، وحثت ، باستمرار، على تمثيل الصين الشعبية في الامم المتحدة ، وعارضت تطبيق العقوبات الاقتصادية والتجارية ضدها .

وقد كان جون فوستر دالاس مستشارا في وزارة الخارجية ، قبل اختياره وزيرا لها ، وكان هو الذي وضع خطة معاهدة الامن الامريكية ــ اليابانية . وقد كان متحيرا من الدور الذي أدته دول عدم الانحياز خلال مناقشة المشكلة الكورية في الامم المتحدة ، وكان يعتقد أن الحياد ليس سوى غطاء مزيف يخفي تحتـه مساعدة الخطط الشيطانية الخاصـة بالشيوعية العالمية . وفشل في اكتشاف أي مضمون ايجابي في سياسة عدم الانحياز ، وحينما وجـد أن الاتحاد السـوفيتي والصـين قد بدآ يتنبهان ببطء الى أهمية الحياد في الدبلوماسية العالمية ، أصبح أكثر شكا . وان كان دالاس قد غير كثيرا من آرائه المتعلقة بالحياد ، في المرحلة الاخيرة من حياته فانه لم يستطع أن يتقبله تماما . وكان مقتنعا بـ « انتهازيته الكامنة » وضجر من « وقفة عدم الاكتراث التي تقفها » وقد أعلن دالاس ابان اشتغاله التام بعملية الصراع مع الشيوعية أن كل من ليس معه فهو ضـده .

وكان دالاس مدركا تماما للمركز الخطر الذي تقف فيه بلاد مثـل اليابان ، والفلبين ، وتايلاند وفورموزا « الصـين الوطنيـة » التي كانت

تعتمد كلية على القوة الامريكية . ولذلك اعتنق فكرة سلبية تماما نحو الحياد ، ورفض بشدة ـ مما ضايق حتى الحلفاء الاوروبيين لامريكا ـ دعوة لزيارة الهند لحضور مؤتمر سياسى عن كوريا . وحينما صوتت اللجنة السياسية الاولى التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة ، فى ٢٧ من اغسطس عام ١٩٥٢ على الدعوة للذهاب الى الهند لحضور المؤتمر السياسى الكورى اتضح أن ٢٧ حكومة قد أيدت المشروع ضد ٢١، وقفت بجانب أمريكا . وامتنعت احدى عشرة دولة عن التصويت . ولم تصوت الهند .

وبلغ مؤيدو هذه الدعوة اربعة من وفود الكومنولث واثنى عشر وفدا آسيويا ـ افريقيا ، وثلاثة وفود اسكندنافية ، وبلدين من بلدان أمريكا اللاتينية ، بالاضافة الى يوغوسلافيا والحكومات الخمس فى الكتلة السوفيتية . أما المعارضون فهم : الولايات المتحدة والصين الوطنية واليونان وباكستان ، وسبع عشرة دولة من دول أمريكا اللاتينية .وحتى من بين الدول الست عشرة التى أرسلت قواتها الى كوريا ، أيدت الدعوة خمس دول ، وعارضتها ثلاث ، وامتنعت ثمانى دول عن التصويت .

وكانت هذه هى احدى الهزائم الكبرى التى منى بها دالاس فى أثناء مدة قيادته لدفة السياسة الامريكية ، التى استمرت خمس سنوات .

ولم يكن دالاس رجلا محبوبا فى آسيا وافريقية . ولكنه كان وزير خارجية عظيما اذا ما طبقنا عليه بعض المعايير . وكان ايزنهاور يصفه ـ باستمرار ـ بأنه « أعظم وزير خارجية منذ جيفرسون » . وقد استطاع دالاس أن ينقذ الدبلوماسية الامريكية من الفوضى التى عمتها فى آخر مراحل العهد الديمقراطى ، بيد أنه لم يبتعد كثيرا عن البنيان الاساسى الخاص بالسياسة الخارجية الثنائية الاتجاه ، وهى السياسة التى وضع ترومان أسسها . وخلال توليه منصب وزير الخارجية لم يظهر أكثر من الولاء الظاهرى للجوانب العدوانية لسياسة الحزب الجمهورى الخارجية . وكان يهدد ، ولكنه كان يتمكن دائما من الوقوف عند حافة الهاوية . وكان قادرا على التلاعب بالحرب حتى فى العصر النووى ، ذلك أنه كان يتمتع بثقة هائلة بالنفس وتفهم عميق لطابع القوة التى يعارضها .

غير أن دالاس لم ينجح تماما فى الحد من زحف الشيوعية ، ففى أثناء زعامته للدبلوماسية الغربية ، أصبحت فيتنام الشمالية دولة شيوعية ، وبسط الاتحاد السوفيتى نفوذه فى الشرق الاوسط ، بيد أن دالاس استطاع أن يظهر الغرب بمظهر القوى ، ولا شك أن هذا المظهر أدى دوره كقوة رادعة . وكان فى الشهور الاخيرة من عمره آخذا فى الارتفاع الى مكانة السياسى المحنك حقا ، فقد كان يعمل على الوصول الى معاهدة

كبيرة للتعايش فى سلام مع الاتحاد السوفيتى ، وكان يتلاعب بفكرة نظام دولى حقيقى .

ولم يكن دالاس عاجزا عن التعاطف مع شعوب آسيا وافريقية التى تكافح من أجل الفوز ، أو المحافظة على استقلالها . فبعد جولته الاولى فى آسيا وافريقية ، أعلن للأمة الامريكية أن الولايات المتحدة ليست بحاجة ، فيما يتعلق بسياستها الافريقية الآسيوية الى مساندة أوالظهور بمظهر من يساند المدرسة القديمة للاستعمار فى البلاد الاوروبية . واعترف بأن البلدان البعيدة حتى حدود الاتحاد السوفيتى لا تشارك امريكا فى رغبتها الملحة فى تطويق الشيوعية قبل أى شىء آخر ، ذلك أن هذه البلدان كانت تعتبر الاستعمار الاوروبى عدوا أكثر واقعية وأكثر قربا . وبدلا من أن يرمى دالاس شباكه على نطاق واسع ، حاول اقامة كتل الدفاع والتحالف مع الدول التى كانت ، لسبب ما ، مستعدة للدخول فى أحلاف عسكرية ، وأحلاف مساندة ودفاع مع أمريكا . وكانت النتيجة قيام سلسلة أحلاف فى الباسفيكى وجنوب شرقى آسيا وتبلور هذا فى حلف جنوب شرقى آسيا ، وحلف بغداد الذى سعى دالاس الى تنظيمه عن طريق استخدام الحكومة البريطانية أداة فى هذا الحلف ، ومن بين الاسباب التى دفعته الى ذلك حرص بريطانيا على صيانة سلطانها فى منطقة الشرق الاوسط ، ومن بين الاسباب أيضا أن وزارة الخارجية الامريكية لم تكن مستعدة بعد للظهور على المسرح فى الشرق الاوسط كدولة لها الغلبة .

غير أن تعاطف دالاس مع مطامح دول آسيا وافريقية المستعمرة والحديثة الاستقلال ، كان مشروطا بشروط ، فقد كان همه الاول منحصرا فى الصراع العالمى مع الشيوعية . وحينما تكون المسألة «الكبرى» فى خطر ، كان مستعدا للوصول الى تفاهم حول المشاكل «الصغرى» . وقد جعل دالاس الولايات المتحدة بالنسبة لمشكلة الهند الصينية ، على حافة التدخل العسكرى الضخم ، وبينما كانت أمريكا تدفع فاتورة الحساب بالفعل لفرنسا ، وكانت الحرب فى الهند الصينية حربا أمريكية تقريبا ، كان رئيس وزراء فرنسى ، وهو منديس فرانس ، يتحدى زعامة دالاس ويتوصل الى اتفاقية لوقف اطلاق النار وتحقيق تسوية سياسية . ولم يكتف دالاس بالوقوف فى جدية صارمة ضد تسليم فيتنام الشمالية للشيوعيين ، وانما كان يعارض أيضا فكرة تحييد لاوس وكمبوديا بأكملهما ، ولم يوافق تماما على الفقرة التى تضمنتها اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ بصدد الهند الصينية ، والتى رفض أن يوقع عليها ، ولم يتقبلها على الاطلاق .

وبمجرد أن قرر دالاس ادخال البرتغال فى منظمة حلف شـــمال الاطلنطى ظهر ، جهارا ، بمظهر المؤيد لموقف البرتغاليين فى جوا . وقــد منح الباكستان معونة عسكرية ووقع على حلف عسكرى مع هذه البلاد. وهو يعلم تمام العلم ان ذلك سوف يغضب شعب الهند وحكومة الهند ويستعديهما عليه ، بل انه خطا خطوة أخرى وظهر بمظهر من يتعاطف مع باكستان التى تطالب بحقها فى كشمير . وفى ايران رحب دالاس ، وساند، الانقلاب العسكرى المؤيد للشاة ، والذى قام به جنرال فضل الله زاهدى، ومنح العهد الجديد بركات الولايات المتحدة فى شكل معونة اقتصـــادية وعسكرية ، وفى العراق وقف بجانب نورى السعيد ، وفى فيتنام الجنوبية بجانب الرئيس ديم .

وهكذا نجد انه اختار لصداقة الولايات المتحدة ومساندتها مجموعة من الزعماء الآســيويين لا يتمتعـون بأى جـذور من الود الصريح عنـد الجماهير . أما بالنسبة للزعماء الشعبيين والعهود الشعبية فى بورما ، واندونيسيا ، وسيلان ، والهند ، ومصر ، وسورية ، وفى غيرها ، فقـــد عاداها عن قصد بسبب اعتناقها مبدأ عدم الانحياز .

وكان هناك ، فى هذا الاتجاه العادل فى الظاهر نحو العالم المقسم من جراء الحرب الباردة ، عنصر من عناصر الانتهازية ، لا شــك أن دالاس أطلق عليه اسما آخر .

وقد تغير الاتجاه لا بسبب القوة الكامنة فى القضية وانما لان القضية بدت مختلفة النظر اليها من خلال الصراع العالمى بين النظامين الكبيرين. وهكذا اتخذت أمريكا موقفا غامضا من مسألة استقلال المغــرب وتونس حينما عرضت المسألة على مجلس الامن لأول مرة عام ١٩٥٣ . وقد أعلن هنرى بيرود ، مساعد وزير الخارجية ، ما وصف بأنه « أول بيان رئيسى صدر عن سياسة الولايات المتحدة نحو الاستعمار منذ عدة سنوات » . أعلن فيه عن « صداقة أمريكا العميقة للشعب الفرنسى » واشار الى أن « مصالح أمنها الحيوية تتأثر بقوة الامة الفرنسية » . وفى الوقت نفسه أبدت أمريكا « حق الشعوب المستعمرة فى تقرير مصيرها » . وقد اعترف بأن هذا الامر قد وضع أمريكا فى ورطة ، وأخذت تبحث عن ســـياسة « بين بين » ، سياسة قد تسمح لنا بأن نحدد موقفنا ازاء المسائل الواقعية فى أثناء ظهورها وبطريقة موضوعية ، ولكن حدث عام ١٩٥٣ ان عجزت الولايات المتحدة عن تأييد مناقشات الامم المتحدة حول مشكلة الاستقلال التونسية والمغربية ، وحبذت اجراء تسوية ثنائية .

وبعد ذلك بأربع أو خمس ســنوات وجه دالاس اهانة عميقة الى

فرنسا بسبب امداده تونس بالاسلحة الصغيرة ، اذن فلم تكن المسألة مسألة الاستقلال التونسي ، انما كانت مسألة المحافظة على شمالي افريقية خارج منطقة النفوذ السوفيتي على المسائل العربية ، وهو النفوذ الذي ظل يمتد .

وكان دالاس يدرك أهمية آسيا وافريقية ، ولكن عطفه على الملايين المكتظة من شعوب القارتين ضاع أمام قلقه على وضع أمريكا القوية وسط الصراع العنيف من أجل القوة مع الكتلة السوفيتية . وكان يعرف أن الحرب الباردة في أوروبا قد وصلت الى آخر حدودها على حين تستمر في آسيا وافريقية لسنوات . وكان يعلم أيضا أن الصراع من أجل القوة ، والحرب من أجل الاستحواذ على « عقول الشعوب أكثر من الاستحواذ على أراضيهم » . أما الصراع من أجل التفوق الاقتصادي فسوف يتحدد في حقول ومصانع آسيا وافريقيا وليس في أوروبا .

وبرغم انه كان من الديمقراطيين ، لم يكن يؤمن كثيرا بنجاح النظام الديمقراطي في دول القارتين الحديثة الاستقلال . وفي بحثه عن مواطن القوى ، كان يظهر تراخيا غير خاف نحو النظم العسكرية والدكتاتوريات الفردية .

وبينما كانت سياسات دالاس تصادف نجاحا كبيرا في شرقي آسيا فانها فشلت في غربي آسيا . فلم تستطع الولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة كلها ، أن تضع سياسة عربية ايجابية طويلة الاجل . فقد غطى مبدأ ترومان اليونان ، وتركيا ،تاركا البلاد العربية تحت رعاية الدول الاستعمارية القديمة . ولم تعبأ حكومة ترومان نفسها كثيرا بالتطورات الجارية في البلاد العربية ، وكانت ايران هي الدولة الوحيدة في الشرق الاوسط التي كانت موضع اهتمامها المباشر .

وحينما تولى الرئيس أيزنهاور الحكم ، كانت مصر قد أصبحت فعلا ، جمهورية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . وانطلقت قوة جديدة من عقالها لتنتشر في جميع العالم العربي ، ولكن قليلين هم الذين كانت لديهم فكرة عن مستقبل هذه القوة .

وأبدى دالاس في أول الامر تعاطفا مع ثورة الجيش في مصر . ونصح الحكومة البريطانية بالجلاء عن قاعدة السويس الحربية وكان من ثم وسيلة لاتمام مصر سيادتها . وساعد على استقلال السودان . وقابل اعتراضات مصر على منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ضد خطر الشيوعية ، بالتقدير ، ولم يكن في عجلة لادخالها في حلف بغداد لفترة مبدئية ، بل انه نصح اسرائيل بتسوية خلافاتها مع البلاد العربية .

وفى عام ١٩٥٥ انضمت الولايات المتحدة الى بريطانيا وفرنسا ليعلنوا «التصريح الثلاثى» الذى ينص على أنهم لن يسمحوا بأى تعديل، عن طريق القوة ، للحدود القائمة فى العالم العربى . وكان التحذير موجها الى اسرائيل وجيرانها .

غير أنه بمجرد أن حصل الرئيس ناصر على صفقة الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا وجدت الولايات المتحدة نفسها فى فراغ سياسى . وقام دالاس ، فى غيظه ، بسحب المعونة المقدمة من أجل تمويل سد اسوان العالى ،وكانت طريقة فجة للضغط على بلد صغير ولكنه يتمتع بالكبرياء. وامم ناصر قناة السويس ردا على ذلك ، واضطرت الولايات المتحدة الى الوقوف بجانب الشركة القديمة ، والمصالح البترولية والدول الاستعمارية. ولكن ذلك كله لم يستطع أن يزعزع من حقيقة التأميم . واستطاعت مصر أن تجمع تأييد العالم غير الملتزم والكتلة الشيوعية أيضا .

وفجأة وقع العدوان الثلاثى على مصر . وكان ذلك قمة السياسة التى وضعها دالاس فى صيف عام ١٩٥٦ بسحب العرض الخاص بتمويل السد العالى ، غير أن الولايات المتحدة اتخذت موقفا مستقلا تماما فى عملية غزو السويس . وبالرغم من ان بريطانيا وفرنسا واسرائيل لم توصم بالعدوان (كما وصمت الصين فى كوريا) فان أمريكا قد عارضت بشدة اجراءها العسكرى ، وأوقفت الحرب بسرعة عن طريقها الى حد كبير وأرغمت القوات الغازية على الانسحاب فى فترة قصيرة .

وقد أخذت السويس وزارة الخارجية الامريكية على غرة . ولم يكن لديها أية سياسة لمواجهة الاندفاع المفاجىء للنفوذ السوفييتى على العالم العربى . وأقام دالاس وهو فى عجلة من أمره بناء هشا سماه مبدأ أيزنهاور . وفشل هذا المبدأ . وتدخلت أمريكا بقواتها فى لبنان ، **ولكن ثورة العراق جعلت المسألة كلها مضيعة للجهود . فقد كان المد يتقدم فى الاتجاه الآخر وترك الغرب فى منطقة العالم العربى البالغة الاهمية من الناحية الاستراتيجية دون أية قاعدة سوى اسرائيل . وتخطى السوفييت الحزام الشمالى ، وانتشروا فى جميع أنحاء غربى آسيا العربى .**

ثم نستطيع الآن أن نلخص جهود جون فوستر دالاس فى آسيا ونرى الى أى حد عرض هذا العمل مصالح أمريكا والعالم الحر للخطر فى آسيا وافريقية :

أولا : حاول دالاس أن يحتفظ بجمهورية الصين الشعبية معزولة عن المجتمع العالمى بأن يبنى حولها سلسلة من الأحلاف العسكرية ، ويسد الطريق أمام دخولها الامم المتحدة ، ويطبق العقوبات التجارية والاقتصادية ضدها .

وكانت سياسته ناجحة فيما يتعلق بهذا المجـــال وبالرغم من أن حكمتها كانت موضع جدال واسع المدى ، أصبحت الصين المعزولة المتعطشة الى القوة مشكلة العالم الكبرى ، ولم يصبح أمام العالم من وسيلة للتعامل معها غير الحرب ·

ثانيا : أدخلت الولايات المتحدة أكبر عدد ممكن من بلدان آسيا فى نظام الاحلاف العسكرية ، قاصدة بذلك الحيلولة دون انتشار الشيوعية ·

وقد نجحت هذه السياسة نجاحا ضئيلا ، وكانت فيتنام الشمالية هى البلد الآسيوى الوحيد الذى أصبح شيوعيـا منذ النصر الشيوعى فى الصين ·

ثالثا : أوحت الولايات المتحدة بالشعور بأنهـــا تستطيع مساندة القومية الآسيوية ، طالما أن هذا لا يثير عليها حفيظة الاوروبيين ·

رابعا : أقرت الولايات المتحدة فى أذهان الآسيويين أنهـــا تعضد الحكومات «القوية» المعادية للشيوعية فى البلدان الآسيوية ، حتى لو كان ذلك يعنى قيام دكتاتوريات عسكرية أو حكم فردى من جانب « رجال من حديد » بدلا من النظم الديمقراطية التى يسمح فيها للشيوعيين بالعمل شرعيا وجهارا ، وكان ذلك هو الاتجاه الامريكى فى بورما ، وأندونيسيا ، وسيلان .. وكانت الهند هى البلد الوحيد الذى لم تطبق فيه أمريكا هذه السياسة ·

خامسا : قدمت الولايات المتحدة مساعدات اقتصادية متزايدة دوما، للبلاد الآسيوية بالرغم من أن معظم المساعدات ذهبت الى الدول المتحالفة مع أمريكا عسكريا ·

سادسا : لم تستطع الولايات المتحدة ، فى عهد دالاس ، أن تتقبل سياسة عدم الانحياز كقوة ايجابية ، وتباينت اتجاهاتها نحو الدول غير المنحازة من صداقة الى عقبات مدبرة تحول دون تقدم هذه الدول ، وهكذا لم يوقف دالاس تهريب الاسلحة الامريكية الخاصة الى أندونيسـيا خلال الحرب الاهلية التى نشبت عام ١٩٥٨ ، وفى حالة الهنـــد لم يتردد فى تأييد الادعاءات البرتغالية فى جوا ·

أما فى افريقيـــة ، فان دالاس تصرف بطريقة أكثر حذرا ، وذلك لأنه كان يدرك أن لخصمه النهائى هو الاتحاد الســـوفيتى . وبالنسبة للتفرقة العنصرية فى جنوب افريقية لم يسمح لوفود الولايات المتحدة فى دورات الامم المتحدة بتأييد وجهة النظر الافرو ـ آســـيوية ، وان كانت عواطفه معهم · بيد أنه كان يعلم أن جنوب افريقية البالغ الحيوية للدفاع عن منطقة المحيط الهندى خارج منطقة النفوذ السوفيتى فى افريقية · وقد رضى بأن يترك الامور فى شرقى وأواســـط افريقية بين يدى الحكومة البريطانية ، وهو يعلم جيدا أن بريطانيا سوف تدخل بالتدريج اصلاحات

متحررة • وفي غربي افريقية كان يتوق الى اقامة علاقات وثيقة مع غانا وغينيا ، وكذلك مع نيجيريا التي كان يعقد عليها كثيرا من الآمال • وفي الشمال كان مدركا للقيمة الاستراتيجية التي تتمتع بها تونس والمغرب ، وكانت سياسته تتجه نحو توطيد روح الصداقة مع كليهما ، حتى لـو تسبب هذا فيإغضاب فرنسا ، ولم يؤيد جهارا قضيةالاستقلال الجزائرية في الامم المتحدة ، ولكنه كان يحث فرنسا في السر على انتهـاج سياسة تحررية •

وقد شرح دالاس بنفسه موقفه من مسألة ترك الـدول الحديثة الاستقلال وحدها ، في كلمات تعكس السياسة الامريكية تجاه مسألة من أكثر المسائل الحساسة التي تواجه حكومة الولايات المتحدة ، قال دالاس: « قد يتحول عهد الاستقلال الجديد الى مجرد فترة انتقالية قصيرة بين حكم الاستعمار ودكتاتورية الشيوعية الدولية العنيفة ، ولا ينبغي علينا بسبب هذا الخطر ، أن ننبذ ايماننا الاساسي بحق الشعوب وقدرتها على حكم نفسها بنفسها ، اننا بحاجة الى تأكيد هذا الايمان عاقدين العزم على مساعدة الامم الحديثة على حل مشاكلها في ظل الحرية ، وبذلك تحافظ على استقلالها الذي حصلت عليه أخيرا •

وعندما اكتشف الاطباء أن دالاس مصاب بالسرطان ، كانت المشكلة الرئيسية التي تواجه الدول الغربية هي التهـديد السوفيتي بطردهم من برلين الغربية • وكان خروشوف قـد أعلن عن اقتراحه من أجل حل مشكلة برلين في نهاية عـام ١٩٥٨ ، وكان دالاس يعد آن ذاك فكرته الخاصة الرامية الى تخفيف حدة التوتر حينما أنهى الموت حياته الحافلة بالاحداث • ومنذ وفاته ، والعالم مشغول بالمسألة الرئيسـية الخاصة بتفاهم الدول الكبرى • وقد قام ماكميلان برحلته الى موسكو ، قبل وفاة دالاس بوقت قصير ، فانتشرت اشاعات بعقد مؤتمر قمة جديد ، وبدأت تحدث أشياء لم يكن أحد يتوقع حدوثها • وقام رئيس الوزراء السوفيتي بزيارة صاخبة لا تنسى (لاسباب كثيرة) للولايات المتـحدة ، وتردد أن الرئيس أيزنهاور سيرد المجاملة في ربيع عام ١٩٦٠ • وتراجعت الحرب الباردة فجأة ، لفترة قصيرة ، بعيدا عن الخطوط الامامية لميدان الصراع بين الدول الكبرى (١) •

---

(١) انهار مؤتمر القمة في باريس يوم ٨ من مايو عام ١٩٦٠ بسبب حادثة الطائرة (ى ــ ٢) ، حتى قبل أن يجتمع رسميا ، ودخلت الحرب الباردة في الحال مرحلة تحت الجليدية ، ولكن من الواضح أن الدول الكبرى قد تصادمت خلال عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ ، لا بسبب برلين أو المانيا وانما بسبب لاوس والكونغو وكوبا ، وساد بعض الهدوء في برلين الغربية ، بالرغم من أن خروشوف كان قد اخبر وولتر ليبمان ، في ربيع عام ١٩٦١ أنهـا من أكثر المسائل الحرجة التي تسبب الحرب الباردة ، ومن ناحية اخرى اجتاحت آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية حرب باردة ضروس •

ولكن التوتر زاد فى آسيا ، وكان مركز التـــوتر الرئيسى هنا هو الصين ٠٠ فقد كان من الواضح أن الصين غير مســـــتعدة لقبول اقتراح بتخفيف حدة التوتر ، ما دام هذا الاقتراح لا يذيب جليد الحرب الباردة فى منطقة الباسفيكى أيضا ، وتمكنها من الاستيلاء على فورموزا ، والسماح لها بالجلوس على مقعد بالامم المتحدة ٠٠ ولم تكن الولايات المتحدة مستعدة للنزول أمام هذا المطلب ، فكانت أمريكا مستعدة للوصول الى تفاهم مع روسيا ، ولكنها لم تكن على استعداد للتفاهم مع الصين – على الاقل – لفترة من الزمن ٠

وقام خروشوف بزيارة الصين فى أكتوبر ، بعد عودته مباشرة الى موسكو من زيارته للولايات المتحدة ، وأجرى محادثات لمدة ثلاثة أيام مع ماوتسى تونج وغيره من الزعماء الشيوعيين وبالرغم من أن الصينيين رضوا بزيارته للولايات المتحدة ، كمساهمة منه لتخفيف حـدة التوتر فانهم لم يعترفوا بأن الحكومة الامريكية تكن أية نيات سلمية .

وبالمثل أصرت الولايات المتحدة على وصم حكومة الصين الشعبية بالعدوان ، ومعاداة السلام ، ومن ثم فانها لاتستحق عضوية الامم المتحدة. وفى تعلق الولايات المتحدة بسياستها السلبية تماما تجـاه الصين ، عزلت نفسها عن الجزء الرئيسى للرأى العام العالمى .

وقد أصبحت هذه العزلة واضحة للغاية حينمـا ناقشت الجمعيـة العامة للامم المتحدة فى أكتوبر عام ١٩٦٠ ، مرة أخرى مسألة تمثيل الصين فى الهيئة العالمية . فقد أوصت اللجنة التوجيهية ، كما حدث فى السنوات السابقة ، بحفظ المسألة سنة أخرى .

وجاءت هذه التوصية بناء على أساس اقتراح امريكى ، وحيثما عرض الامر على الجمعية العامة ، تمت الموافقة على اقتراح الولاياتالمتحدة بأغلبية لاتعدو ثمانية أصوات . فقد صوتت أربع وثلاثون دولة على أنه يتعين مناقشة المسألة بالتفصيل فى الجمعية العامة ، وأيدت اثنتان وأربعون دولة وجهة النظر الامريكية . وقد كانت الدول التى صوتت عام ١٩٥٩ من أجل عرض مسألة تمثيل الصين بالتفصيل على الجمعية العامة ، تسعا وعشرين دولة ، ومن بين الاصوات الخمسة الجديدة التى أضيفت عـام ١٩٦٠ أربعة أصوات من أفريقية وصوت من أمريكا اللاتينيـــة ، هو كوبا ، وقد امتنعت معظم الدول الافريقية الحديثة الاستقلال عن التصويت ، وقد اتفق المراسلون على أن هذه قد تكون السنة الاخيرة التى تنجح فيهاالولايات المتحدة فى منع مناقشة الهيئة العالمية لمسألة تمثيل الصين . وقـد خطب مستر نهرو ، بنفسه أمام الجمعية العامة فى ٢٦ من سبتمبر مؤيدا قبول حكومة الصين الشعبية وذكر للمراسلين بانه يعتقد أن هذا آخر عام تمنع

فيه مناقشة احدى المسائل فى الجمعية . وان الوقت ليس ببعيد كى تؤيد غالبية الوفود قضية تمثيل حكومة الصين الشعبية .

وقد بدا أن الوفود الغربية قد « صدمت » بهذا القدر الضئيل الذى فازت به الولايات المتحدة فى الجمعية العامة عام ١٩٦٠ . وقد نشطت المناقشة وطالت ، ومن بين أحداثها الطريفة الصدام الذى وقع بين مندوب الهند كريشنا مينون ، والمندوب الامريكى جيمس وادزويرث ، وقد وصفه المراسلون بأنه أسوأ احتكاك هندى ــ أمريكى فى الجمعية العامة خلال الدورة الحالية .

وقد وقع الصدام ــ قبل كل شىء ــ حول تفسير التاريخ الامريكى ، فقد كان مستر مينون يحاول أن يدلل بأن تاريخ ودستور الولايات المتحدة يؤيدان ترشيح العهود الثورية لعضوية الامم المتحدة . وقال : ان الولايات المتحدة « لم تكن فى أى يوم داعية الى المفهوم الشرعى سواء كان ذلك فى موضوع الامبراطورية النمسوية ــ المجرية ، أو فردريك بربار وسا ، ومن باب الاحترام لصديقى مستر وادزويرث لن أخوض فى نواحى الصراع الاخير التى تحاول فرض سلطة الحكومة على هذه القارة بأكملها . وسوف أشير فقط الى عمليات شراء « الاسكا » ، وفلوريدا ، ولويزيانا ، وجزيرة رود ، حيث لايستخدم طرف معين القوة ضد طرف آخر ، فاذا كنتم تعارضون الحكومات الثورية ، فانكم بكل بساطة تحاولون دحض فكرة التقدم كلها ، لقد آلمنى أن أسمع مستر وادزويرث يتحدث ، دون جميع الناس ، يتحدث عن التراجع عن فكرة السماح بدخول الصين الشعبية (للامم المتحدة) لانها جاءت من بلاد صديقة ، أن بلادى صديقة له ولكننا لم نستبعد من صداقتنا اعتناق الحقائق . اننا لانعتقد أن صداقتنا فى حاجة الى النزول عن مبادئنا ونحن لم نقصد بالصداقة أن تكون وسيلة لعدم الصراحة حين يحتاج الامر الى صراحة » .

وقد طلب مستر وادزويرث ، فى رده ، من مستر كريشنا مينون «أن يدرس التاريخ الامريكى بقليل من التوسع » . وطلب مستر مينون ، بدوره ، من مستر وادزويرث « ان يقرأ اعلان الاستقلال الامريكى » ويرى ماقيل عن حق الشعب فى قلبه الحكومة التى لايرضى عنها » (١) .

---

(١) بعد أن تولى الرئيس كنيدى الحكم في يناير عام ١٩٦١ ، كان هناك أمل في أن تشق الولايات المتحدة اراضي جديدة ، وتذيب ثلوج علاقاتها مع الصين وقد تذكر كثير من الاحرار المبادرة الجريئة التى أقدم عليها فرانكلين روزفلت في أكتوبر عام ١٩٣٣ حينما دعا الرئيس كالينين الى ارسال مبعوث الى واشنطن لمناقشة طريقة تحسين العلاقات السوفيتية ــ الامريكية ، وقد تحدث مستر كنيدى في مؤتمر صحفى عقد في مارس عام ١٩٦٢ فقال : انه يرغب في أن « يرى تخفيفا في حدة التوتر » ولكنه أسرع يقول « ولكننا غير مستعدين للاستسلام حتى تحقق تخفيف حدة التوتر .

وقد كان هذا السجال بين الهند والولايات المتحدة على المنبر الدولي مناسبا تماما لانه يبين كيف تنظر الشعوب المختلفة الى التاريخ من زوايا مختلفة . فبلدان آسيا وافريقية ، التى حصل كثير منها على حريتها بعد صراع طويل مع الدول الاستعمارية تكن عطفا طبيعيا نحو التغيرات الثورية . أما الولايات المتحدة التى اغتصبت استقلالها بعد كفاح دام ، منذ مايزيد عن قرنين من الزمان ، فقد أصبحت ، بمرور الوقت ، هى نفسها دولة استعمارية ، واتخذت موقفا متراخيا تجاه الوضع الراهن . وفى آسيا وافريقية يسود اعتقاد بأن الثورة الامريكية فقدت الكثير من سلطانها فى الجيل الامريكى المعاصر . لذلك فان من السخرية الى حد ما ، أن كثيرا من الشعوب فى افريقية وآسيا مازالت تشعر ببعض الامتنان نحو الافكار الثورية المتضمنة فى « اعلان الاستقلال لامريكا » . ونادرا ماتموت الافكار ، لان انطفاء شعلتها فى بلد ما ، يقابله اشتعال جديد فى بلد آخر .

وقد قرر المؤرخون الامريكيون أنفسهم أن الولايات المتحدة لم تصبح قوة عالمية الا بعد أن باشرت مغامراتها الاستعمارية خارج نصف العالم الغربى . « والمؤرخون متفقون على أن عام ۱۸۹۸ — وهو العام الذى وقعت فيه أحداث الحرب الكوبية — الاسبانية — الامريكية — هو العام الذى يحدد ظهور أمريكا كدولة عالمية »(۱) .

فقد جعل الصراع بين أمريكا وأسبانيا من الولايات المتحدة قوة استعمارية ، لا فى القارة الامريكية فقط ، بل وفى الباسفيكى أيضا غير أنه يتعين علينا أن نلاحظ أن أى ممتلكات استعمارية لامريكا ، فى مطلع هذا القرن ، لم تكن تعادل ، فى حماستها وفى حدود المنطقة ، ممتلكات الدول الاوروبية الرئيسية فلم تكن الاسكا تضم سوى ٦٠٠ ألف ميل مربع من الاراضى ، فقد بلغت المناطق الاخرى التى حصلت عليها الولايات المتحدة

= وقال دين راسك وزير الخارجية ، مخاطبا مؤتمرا صحفيا ، في الوقت نفسه تقريبا : ان العلاقات الصينية — الامريكية قد دخلت مرحلة من الصعب الخروج منها ، فأمريكا ليست مستعدة لان تهجر شيانج كاى شيك وفورموزا ، كما أن بكين ليست مستعدة لتقبل نظرية شطر الصين الى شطرين ، فقد اوضح الزعماء الصينيون انهم ليسوا في حالة تسمح لهم بالتفاهم حول مشكلة فورموزا ، برغم أن شين يى وزير خارجية الصين قد قال في جاكرتا ، في أبريل . ان الحكومة الصينية قد تعتبرها اشارة ودية اذا سحبت الولايات المتحدة اسطولها السابع من مضايق فورموزا .

وفي المؤتمر الذى انعقد بجنيف عام ١٩٥٤ للنظر في مشكلة الهند الصينية التقى دالاس بشواين لاى ، غير أنه لم يكن لقاء محمودا ، وقد تعددت مقابلات راسك وشين يى في جنيف في مايو عام ١٩٦١ ، ولكنهما لم يتقابلا ، على انفراد ، ولو مرة واحدة .

(۱) «الولايات المتحدة كدولة عالمية — تاريخ دبلوماسي ١٩٠٠ — ١٩٥٥» بقلم صمويل فلاج بيميس الطبعة المنقحة — نيويورك عام ١٩٥٥ ص ٥ .

فى الباسفيكى ، وفى الكاريبى مالايزيد عن ٤٠٠,٠٠٠ ميل مربع .. « غير أن الاستيلاء على بعض أجزاء المناطق المستعمرة مهما كانت ضـآلتها فى البحر الكاريبى والباسفيكى ، كان العامل الاول المسئول عن حشر الولايات المتحدة فى السياسة العالمية ، ورفع البلاد الى مركز قوة عالمية وهو مركز مشحون بالمخاطرات والمسئوليات » (١) .

وقد كان تيودور روزفلت ، وسيناتور بيفردج ، والادميرال ماهان ، النسخ الامريكية من دزرائيلى ، وجـوزيف تشـامبرلين ، والمركيز أوف سالزبيرى فى انجلترا ، وجول فيرى ، وثيو فيل ديلكاس فى فرنسا ، وقيصر ويلهيلم الثانى ، والادميرال فون تيربيتز فى ألمانيا ، فاذا كان لدى بريطانيـا سيسيل روديس ، فلدى الولايات المتحدة ستانلى .

وقد أرست الولايات المتحدة ، خلال النصف الاول من القرن العشرين دعائم تفوقها الاقتصادى فى القارة الامريكية ، واكتسبت مصالح اقتصادية ضخمة فى الشرق الاقصى ، والشرق الاوسط ، وجنوبى افريقية ، وشرقى افريقية ، ، والكونغو (البلجيكى) ، وحينما قامت الحـرب الباردة تعين على الولايات المتحدة اجراء تعديل سريع فى أنماط التاريخ المتغيرة ، وكانت عملية صعبة تستلزم اعادة تقدير سريع لوجهات النظر والسياسات القائمة وقد تعقدت العملية من جراء قيام القوة الشيوعية ، والمنافسة القاسـية المرتبطة بهذه القوة من أجل سيادة العالم .

ولاينبع اتجـاه أمريكا السلبى نحـو الصين الشـيوعية كلية من الاختلافات الايديولوجية فكما ذكرنا من قبل تشكل الصين الشـيوعية تهديدا كامنا لسيادة أمريكا فى منطقة الباسفيكى ــ ولم تكن الولايات المتحدة قد اعتادت ، خلال تاريخها كله ، على وجود قوة منافسة فى الباسفيكى ، قوة قادرة على التأثير على عقول الناس ، ومســار التاريخ فى مسـاحات واسعة تعتبرها أمريكا حيوية لتأمين حدودها ، وتأمين طريقـة الحيـاة الامريكية ، وهو الاهم .

---

(١) « الولايات المتحدة في التاريخ العالمى » بقلم جون . ب . راى وتوماس . هـ . د . ماهونى ــ نيويورك عام ١٩٥٥ ص ٤٥٣ .

الفصل السابع

السوفييت فى آسيا

حدث خلال الحرب الباردة ، أن رجحت كفة الدول الغربية اى كفة الولايات المتحدة فى اوروبا ، مثلما رجحت كفة الاتحاد السوفيتى فى آسيا وقد دخلت الدولتان فى اشتباك عنيف وقع فى الكونغو ، على أرض القارة الافريقية حيث تبدو ورقة الحساب متعادلة حتى هذه اللحظة (١) .

وحينما بدأت الحرب كانت الشيوعية قد تقدمت بالفعل الى قلب اوروبا ، وكان الانتصار الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا هو الذى هز الولايات المتحدة وجعلها تسرع فى ايجاد اجراءات لمواجهة الموقف . وقد ظلت الدولتان تتصارعان : حتى عام ١٩٤٩ ، حول المسائل الاوروبية . ولم تسترجع الدول الغربية مركزها فى المانيا فقط ، وانما أقامت ايضا منظمة حلف شمالى الاطلنطى ، وشرعت فى دعم اقتصاديات الدول الاوروبية الغربية باكسير مشروع مارشال . ولاشك انه كان لدى الاتحاد السوفيتى عدد من الدول المرتبطة به أو « التى تدور فى فلكه » فى أوروبا ، غير أن هذه « الدول التى تدور فى فلكه » كانت أكثر منها رصيدا . وقد فشلت الحركة الشيوعية فى اليونان ، وانسلت يوغوسلافيا بعيدا عن الاسرة الشيوعية . وقد جاء اقتراح تسوية أزمة برلين من جانب الاتحاد السوفيتى نفسه ، وفى عام ١٩٤٩ كان هناك تطور ملحوظ فى السياسة السوفيتية وهو تأييدها الرسمى « لحركة السلام » ونداءات مارشال ستالين وغيره المتكررة التى تؤيد التعايش بل تعتبره حتميا . وعلى حين فجأة انتصرت الشيوعية فى الصين ، وكانت مفاجأة لواشنطن وموسكو ، وصاحب هذا تغلغل روسيا فى آسيا ، تغلغلا تبعه انسحاب من جانب أمريكا . « ولاول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح للاتحاد السوفيتى حليف سواء فى الواقع أو بالاسم . وقبل ذلك كان المعسكر الروسى يتالف من دولة واحدة من الدول الكبرى وعدد من

---

(١) وقف الكاتب عند هذه المرحلة وظهر الكتاب قبل التطورات التى اعقبت ذلك .

الاتباع الذين لا يمكن التكهن بمدى حماستهم . واستطاع المعاقون الغربيون ان يؤكدوا ان الصين قوية جدا حتى أنها لن تصبح دولة تابعة تماما ولاجل غير مسمى للاتحاد السوفيتى ، ووجدوا بعض السلوى فى مستقبل قد يجلب معه شقاقا بين الحليفين الجديدين ولكن مهما كانت الآمال المرجوة ، فان التحالف الصينى الروسى كان مصدر قوة للاتحادالسوفيتى وأكثر مما لو كان الاتحاد السوفيتى قد استولى على بلد جديد يدور فى فلكه ، لان الدولة التابعة — فى الوضع الطبيعى للامور — لاتزيد عن كونها دولة مرتبطة لايمكن الاعتماد عليها على حين نجد الحليف أكثر من مجرد ضمان ، نجده حاضرا فى المتاعب ،سواء أكانت هذه المتاعب من صنعه أم من صنع شخص آخر » (١) .

وقد كان لدى الدول الغربية قدر كبير من المتاعب فى أماكن أخرى من آسيا ، فى الملايو ، وفى الهند الصينية ، وفى أندونيسيا — وقد أدى الاتحاد السوفيتى دوره التقليدى فى تشجيع الحركات الوطنية ، وقد اندفع الشيوعيون فى عدة بلاد آسيوية الى المعارضة المسلحة لحكومات الدول الحديثة الاستقلال — وقد أوقع ذلك بورما فى حرب أهلية ، وشتت بشكل سىء من قوة الحركة الوطنية الاندونيسية .

وفى الشرق الاوسط لم يكن لموسكو أى أثر كبير على عقول العرب ، فقد انضم الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة لخلق دولة اسرائيل اليهودية ، على أمل أن يمده ذلك بقاعدة فى الشرق الاوسط ، غير أن هذه السياسة قد طاش عيارها ، فبمجرد أن اندلعت الحرب فى فلسطين ، وبدأ العرب يصفون الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بأنهما دولتان استعماريتان ، فترت همة موسكو نحو الدولة اليهودية ، وسحبت تأييدها لها بالتدريج .

غير أن سياسة ستالين فشلت فى أحد جوانبها ، ذلك أنه لم يستطع أن يدرك أن عدم الانحياز الآسيوى يمكن أن يكون قوة ايجابية فى الشئون العالمية الا فى المراحل السياسية فى الحرب الكورية ، وقد فشل ستالين خلال فترة زعامته كلها فى أن يوجد تحالفا ثوريا بين الشيوعية السوفيتية والقومية الآسيوية .

وقد تصور لينين ان النصر النهائى للشيوعية سوف يأتى عن طريق تحالف ثورى بين الاتحاد السوفيتى وشعوب آسيا وافريقية الخاضعة للاستغلال ، ويقول : « سنجد فى آخر الامر أن ثمة حقيقة بارزة ستحدد المصير ، وهى أن روسيا والصين والهند تضم أغلبية ساحقة من شعوب العالم » .

---

(١) دراسة للشئون الدولية ، ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ، لندن ص ٤٢ .

وقد بدأ النظام السوفيتي ، في سنواته الاولى ، في محاولة منظمة ــ على نطاق واسع ــ بخلق تحالف مع الحركة الوطنية في آسيا ، وقداثر كثير من انجازاته على عدد من الزعماء الآسيويين الذين لم يكونوايوافقون بالضرورة على الاساليب الشيوعية ، ولكن بمرور السنين ، وبينما كان مارشال ستالين يركز جهوده حول بناء الاشتراكية في داخل بلد واحد ، استبدت به نظرة أوروبية ، وقد انتهى دور الكومنتيرن القديم ، في الشئون الآسيوية ، بانشقاق تام يمتد عبر الثلاثينات كلها وأوائل الأربعينات ،بين الحركات والاحزاب الوطنية وبين المنظمات الشيوعية الشابة التي لم يكن لها مفعول كبير .

وهكذا لم يكن لبعض الزعماء الآسيويين الثوريين ، أمثال : المهاتما غاندي ، وزغلول باشا ، وأحمد سوكارنو ، وآخرين أي مكان من التشريف في النشرات السوفييتية ، بل لقد تجاهلوا جواهر لال نهرو تماما ان لم يكونوا قد نددوا به، ويعزى فشل الثورة الصينية في عشرينات القرن الحالي الى معالجة ستالين والكومنتيرن الضيقة الافق والمتزمتة للشئون الآسيوية ، بل وحتى في أوائل الاربعينات كان الشيوعيون الهنود معزولين كلية عن التيار الرئيسي للحركة الوطنية . والأكثر من هذا أن الشيوعيين ــ بايحاء واضح من الخارج ــ قاموا بحركات تمرد في بورما ، وسيلان ، والملايو ، والهند . وقد حاولت الدعاية السوفييتية في السنوات الأولى من استقلال الهند أن تبطل الانجازات الوطنية ، وأن تسلط الاضواء على الاضطرابات الصناعية والزراعية . وقد كان استقلال البلاد الآسيوية ــ في راي موسكو ــ مجرد بضاعة صورية ، وخيانة للجماهير ، وكان نهرو « كلب صيد للاستعمار » ، وسوكارنو « خائن الشعب الاندونيسي » ، وأونو « عميل الاستعمار » .

واذا كان ستالين قد فضح فشله في تفهم ديناميكية القومية الآسيوية ، فان ماوتسي تونج انضم اليه عام ١٩٤٩ ليستنكر فكرة قيام قوة ثالثة أو حياد في العلاقات الدولية . وقد كتب ماوتسي تونج في يوليه عام ١٩٤٨ بحثه الشهير « حول الدكتاتورية الديمقراطية للشعب » بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لانشاء الحزب الشيوعي الصيني . ويعتبر هذا البحث مفتاحا بليغا للنظرة الدولية التي انتهجها زعماء الصين الشيوعيون وهم يرسمون مصير بلادهم .

وقال ماوتسي تونج : ان الحرب الثانية قد أسفرت عن سقوط ثلاث دول استعمارية من الدول العظمى واضعاف دولتين أخريين « وقد تركت دولة استعمارية عظيمة واحدة في العالم ، وهي الولايات المتحدة ، التي لم تعان من أية خسائر وعلى أية حال فان أزمة أمريكا الداخلية كانت جد هائلة ، وقد أرادت استعباد العالم . كما أنها ساعدت على

ذبح عدة ملايين من الصينيين عن طريق امدادها شيانج كاى شيك بالأسلحة ، وقد استمر الشعب الصينى تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى بعد أن طرد الاستعمار اليابانى ، فى حرب التحرير ثلاث سنوات ، وأحرز نصرا هائلا ».

ومضى ماوتسى تونج يقول : « انه يتعين علينا أن نتحد فى كفاح مشترك مع شعوب الدول جميعها ، ومع الامم المتحدة التى تعاملنا كأنداد لها ، وهذا يعنى تحالفنا مع الاتحاد السوفييتى ، ومع كل دولة ديمقراطية جديدة ، والبروليتاريا ، وجماهير الشعب فى جميع البلاد الاخرى . ويعنى هذا تشكيل جبهة دولية متحدة » .

وقد ظهر بحث ماو فى وقت لاحت فيه بارقة أمل تراود الولايات المتحدة فى ألا يقف الزعماء الشيوعيون الصينيون بجانب موسكو تماما ، وانما يسيرون على نمط مشابه للاتجاه التيتوى المستقل .

وقد أعلن دين أتشيسون وزير الخارجية الامريكية ، فى كتاب أبيض صدر فى ٥ من اغسطس عام ١٩٤٩ حول السياسة الامريكية فى الصين ، ان السياسة الأساسية التى يتعين على الولايات المتحدة أن تستمر فى الاسترشاد بها هى « تشجيع الصين ، بكل الوسائل ، كدولة مستقلة ومستقرة ، قادرة على أن تؤدى دورا فى الشئون العالمية يتلاءم مع شعب حر عظيم ، وخلق ظروف اقتصادية وسياسية تحمى مثل هذا التطور ، ومعارضة خضوع الصين لأية دولة أجنبية أو أى نظام للحكم يخدم مصالح دولة أجنبية أو تقسيمها من جانب أية دولة أجنبية بوسائل واضحة أو سرية » (١)

كم كانت حكومة الولايات المتحدة متخلفة عن ركب الحقائق بطريقة مؤلمة ! .. ففى أقل من ثلاثة شهور من هذا البيان الرنان دخلت الصين فى ظل الشيوعية !

وقد رفض ماوتسى تونج ، بطريقة قاطعة ، فى مقالته ، فكرة جعل الصين قوة ثالثة بين العالمين الشيوعى والرأسمالى ، وبهذا رفض كلية فكرة الحياد فى الشئون الدولية ، فقد أعلن أنه « يتعين على الشعب الصينى اما أن يميل الى جانب الاستعمار أو الى جانب الاشتراكية ، ولا يمكن أن يكون هنالك استثناء لهذه القاعدة : **ان من المستحيل أن نقف موقف المتفرج ، ليس هناك طريق ثالث** ، اننا نعارض عصابة شيانج كاى شيك الرجعية التى تميل الى جانب الاستعمار ، كما أننا نعارض الأوهام التى تشير الى طريق ثالث ، وليس فقط فى الصين ،

(١) دراسة للشئون الدولية ، ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ، لندن ص ٣٢٤ — ٣٥٥ .

وانما فى جميع انحاء العالم دون استثناء يميل المرء اما نحو الاستعمار أو نحو الاشتراكية .. اما الحياد فهو مجرد ستار « وليس هناك طريق ثالث » (١)

وقد جاء أول ذوبان للجليد المتجمد حول الموقف الصينى ــ السوفييتى تجاه الاستقلال الآسيوى ــ الافريقى ، وعدم الانحياز خلال الحرب الكورية ، فى السنتين أو الثلاث الأخيرة من حياة ستالين ، فقد أدرك ستالين ان بلاد آسيا وافريقية الحديثة الاستقلال ليست مجرد أتباع فى معسكر الغرب ، وانما كانت تواقة الى السلام ، فان قوميتها القوية تخطت الحدود الوطنية واستطاعت أن تصبح قوة من مصلحة موسكو أن تهذبها ، وخاصة لأن الولايات المتحدة كانت تصم أذنيها عن فكرة عدم الانحياز الجديدة . ووجد ستالين فى هذا التطور بداية انشقاق عظيم فى العالم غير الشيوعى .

وقد شاهدنا بداية اتجاه آسيوى جديد فى موسكو فى أوائل عام ١٩٥٢ : ففى يناير من ذلك العام ارسل ستالين رسالة بمناسبة ابتداء السنة الجديدة الى الشعب اليابانى ممتدحا كفاحهم الجرىء لاخراج المحتلين الامريكيين وفى الشهر نفسه كرس بوسبيلوف رئيس تحرير جريدة « برافدا » جزءا كبيرا من خطبته فى ذكرى وفاة لينين للشئون الآسيوية . وفى ابريل اتخذ مارشال ستالين خطوة غير عادية باستقباله رادا كريشنان السفير الهندى ، وقد كانت هذه هى مقابلة الوداع بالنسبة للسفير الهندى ، وهى المقابلة الوحيدة له مع ستالين ، وقد قال فيها الزعيم السوفييتى : انه ليست هناك مشكلة بارزة لا يمكن اخضاعها للتسوية عن طريق المناقشة .

وفى عام ١٩٥٢ انتهج الاتحاد السوفييتى علاقات طيبة مع الهند « وأصبح مرور الناس والسلع بين البلدين اكثر سهولة . وقوبلت وفود الهند من جميع الأنواع بترحيب حار فى موسكو والمدن الأخرى . وفى الهند ، رعى الاتحاد السوفييتى بسخاء سوقا صناعية دولية ، ومهرجانا دوليا للافلام ، وظهرت الكتيبات والكتب الروسية بأعداد ضخمة وبأسعار منخفضة للغاية ، وكان هناك ترحيب بالعروض الروسية للتجارة فى نيودلهى » .

وفى ١٧ من يناير حطم الاتحاد السوفييتى صمته حول مشكلة كشمير ، وهو الصمت الذى استمر لسنوات ، وأيد المندوب السوفييتى تماما الموقف الهندى فى خطبة له فى مجلس الأمن . وفى أكتوبر عام ١٩٥٤

---

(١) « الدكتاتورية الديمقراطية للشعب » بقلم ماوتسي تونج ــ بكين ــ ١٩٥٩ .

دعت حركة السلام العالمى الى مؤتمر آسيوى فى بكين قيل ان أكثر من ٢٦٠ شخصا من بلاد مختلفة قد حضروه .

وفى يناير عام ١٩٥٢ أشارت جريدة الكومنفورم الى الهند ، وفيتنام ، والملايو ، وبورما ، والفليبين ، وأندونيسيا ، وأمريكا اللاتينية ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر ، وجنوب افريقية ، وكينيا ، وايران ، والعراق ، ومصر ، كمناطق للتقدم فى الصراع بين الحرية والاستعمار .

وكان ذلك بداية ، وان كانت بداية بطيئة ومترددة ، لاتجاه روسى جديد نحو الدول غير الملتزمة بيد أنه يتعين علينا أن نذكر هنا أن الكرملين لم يفكر فى عهد ستالين فى هذه الرغبة التى تجتاح الاتحاد السوفييتى اليوم للتعامل مع الاقطار غير المنحازة .

وفى المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى السوفييتى ، لم يكن لدى مالينكوف ، الذى القى التقرير السياسى الأساسى ، أى شىء تقريبا ليقوله فى مدح دول آسيا وافريقية الحديثة التحرر . كما لم يكشف مقال ستالين الشهير حول « المشاكل الاقتصادية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى » والذى نشر قبل انعقاد مؤتمر الحزب بوقت قصير ، والذى حدد جو المناقشات فى المؤتمر، لم يكشف عن أى تقدير للدور الايجابى الذى تؤديه الدول غير الملتزمة فى الشئون العالمية . وخلال عام ١٩٥٢ ، بل وأوائل عام ١٩٥٣ ، أخذ راديو موسكو يهاجم الحكومة الهندية لتقبلها المعونة الامريكية و « عزى نجاح حزب المؤتمر ، ونشاط الحزب الشيوعى المخيب للآمال فى الانتخابات التى انتهت فى الحادى والعشرين من فبراير الى النظام الأنتخابى غير الديمقراطى » (١) .

غير أن التغير الحقيقى الكبير فى السياسة السوفيتية نحو البلاد الآسيوية ــ الافريقية ، بدأ بعد وفاة ستالين وأخذ شكله النهائى فى عام ١٩٥٥ بعد مؤتمر باندونج .

وكانت السياسة الجديدة ذات جوانب أربعة ، وكانت تنبع أساسا من اتجاه نظرة الاتحاد السوفيتى الدولية بعد حكم ستالين ، وهجر الاتجاه المتزمت نحو الشيوعية نفسها .

وما أن أصبح من المعترف به انه من الممكن أن يكون هناك أكثر من طريق واحد يؤدى الى الشيوعية ، وأن من حق كل دولة أن تنظم ثورتها تبعا لمقدرتها التى تتمشى مع المبادىء الاساسية للماركسية واللينينية ، حتى صار من المحتم اضفاء شىء من المرونة على موقف روسيا من الحركات الوطنية فى آسيا وافريقية .

---

(١) دراسة للشئون الدولية ــ ١٩٥٢ ــ لندن ــ ص ١٧٢ ــ ١٧٩ .

وكان المظهر الأول للسياسة الجديدة انما هو اقامة علاقـات شخصية بين زعماء روسيا ، وزعماء آسيا وافريقية . وكان ستالين قد عقد العزم على عدم مغادرة شواطىء الاتحاد السوفيتى ، وكانت رحلته الهامة الوحيدة التى قام بها فى أواخر حياته الى طهران . اما خلفاؤه فقد سافروا الى جميع أنحاء العالم . وفى أواخر عام ١٩٥٥ قام بولجانين الذى كان رئيسا للوزراء فى ذلك الوقت ، وخروشوف الذى كان السكرتير الاول للحزب الشيوعى السوفيتى ، برحلة تاريخية الى آسيا زارا فيها أفغانستان ، والهند ، وبورما ، واندونسيا . وكان ذلك بداية للسوفييت فى الدبلوماسية الشخصية .

وقبل ذلك ، فى شهر يونيه ، قام نهرو بزيارة الاتحاد السوفيتى بدعوة من الحكومة السوفييتية ، واستقبل استقبالا حافلا . وفى خطبة له فى استاد دينامو ، فى موسكو فى ٢٢ من يونية عام ١٩٥٥ ، هنأ نهرو « حكومة الاتحاد السوفييتى على الخطوات الكثيرة التى اتخذتها فى الشهور القايلة الماضية ، والتى ادت الى تخفيف حدة التوتر العالمى ، وساهمت فى قضية السلام » .

وفى حفلة عشاء فاخرة أقيمت تكريما لبولجانين وخروشـوف فى نيودلهى ، فى ٢٠ من نوفمبر ، أعلن رئيس الوزراء الهنـدى « إن الحوادث قد أثبتت أن هناك صداقة عميقة وتفاهما بين شعبى بلدينا العظيمين ، وهى صداقة أبرز من الترحيب الرسمى ، وقد نما هذا التفـاهم والترحيب باطراد ، برغم أن الطرق التى نقتفيها فى بلدينا تختلف بعضها عن بعض . ولكن بالرغم من هذا الاختلاف فى الاتجاه فى معالجة مشاكلنا ، التى حتمتها الظروف التى شكلت بلدينا وشعبينا ، فليس هناك أى عنصر من عناصر الصراع بيننا ، وكان هناك تقارب بيننا فى محاولات هامة كثيرة من مجالات النشاط الانسانى ، اننا دولتان متجاورتان ، ومن المناسب أن يكون هناك شعور بالجيرة والصداقة بيننا من أجل المصالح المتبادلة الخاصة ببلدينا وشعبينا »

وكان المظهر الثانى للسياسة السوفيتية الجديدة ، أنها اعتمدت بقوة على الاستغلال المثمر للصراع بين القومية الآسيوية ـ الافريقية والاستعمار الغربى . ووضح هذا ـ بصفة خاصة ـ فى الشرق الاوسط (وفى افريقية فيما بعد) ، فهناك ، وفى أعقاب أزمة السويس وما تلاها من أحداث ، وجد الاتحاد السوفييتى أن بامكانه أن يظهر بمظهر الحامى والمدافع عن الحقوق القومية للبلاد العربية ، معترضا على اعتداءات الدول الغربية .

ويتمثل المظهر الثالث فى كون السياسة الجديدة قد وجدت الثمرة الغنية فى رفض آسيا وافريقية الانضمام الى الاحلاف العسكرية الغربية ،

ولم تطلب الحكومة السوفيتية مساندة ايجابية لسياستها الخاصة ، وانما كانت تتوقع فقط أن تتمسك البلاد التى كانت ستدخل معها فى تعاون اقتصادى ، بسياسة عدم الالتزام فىالحرب الباردة. وكان ذلك يناسب البلاد الاسيوية الافريقية للغاية لدرجة انها وجدت فى الاتحاد السوفييتى مدافعا مستحبا عن استقلالها وسيادتها .

أما المظهر الرابع فكان طابعه اقتصاديا ، فلأول مرة فى تاريخه أصبح الاتحاد السوفيتى فى مركز يسمح له بمساعدة الدول الآخذة فى النمو فى آسيا وافريقية ، على تنمية اقتصادها . وكما ذكرنا آنفا ، كان الزعماء السوفييت قد بدءوا ، منذ عام ١٩٥٥ ، يعلقون أهمية متزايدة على المظهر الاقتصادى لسياستهم تجاه آسيا وافريقية . وأصبحت المعونة السوفيتية لدول آسيا وافريقية فىمدى اربع سنوات، ضخمة جدا ، وباتت تشكل تحديا للولايات المتحدة .

وهناك بعض الملامح الاخرى لسياسة الاتحاد السوفيتى الجديدة تجاه آسيا وافريقية ، وهى ملامح تستحق الذكر .

ونخطىء حين نتصور ان السياسة الجديدة كانت ابتعادا مفاجئا فى النظرة الماركسية — الراسخة — الى التاريخ والحركة الجماعية ، فمنذانتهاء الحرب العالمية الثانية والاتحاد السوفييتى يعقد الامل على قيام أزمة داخلية داخل العالم الرأسمالى .

وقد تكهن واضعوا النظريات السوفييت بأن البلاد الرأسمالية ستجد نفسها أسيرة صراع بشع من اجل الاسواق ، وأنها سوف تواجه مجتمعة اضخم ازمة اقتصادية . غير أن شيئا من هذا لم يحدث — بطريقة ما . فعلى العكس أظهرت الرأسمالية الامريكية نشاطا مستمرا أصاب الزعماء السوفييت بالدهشة . وقد كانت الخطط السياسية والاقتصادية التى رسمها خروشوف وغيره ترنو الى الاهداف التى قصدها ستالين تماما .كل ما فى الامر أن الخطط الجديدة كانت أكثر ملاءمة للظروف المتغيرة ، وانها كانت تجنى ثمارا اضخم .

وكان الهدف السياسى للسوفييت . فى آسيا وافريقية ، هو أرغام الغرب على الانسحاب . وقد تحقق ذلك جزئيا ، فى الجزء الاكبر منجنوب شرقى آسيا ، وفى غربى آسيا على نطاق أوسع .

أما السياسة الاقتصادية للسوفييت ، فكانت ترنو نحو الهدف نفسه . لذلك كانت المعونة السوفيتية تمنح أساسا لاقامة صرح الصناعات الاساسية مع هدف طويل الاجل يرنو الى جعل البلاد المتلقية للمعونة مستقلة عن الاقتصاد الامريكى الاوروبى ، بل ومنافسة له .

وبدا أن الزعماء الروس الجدد قد سلموا بالحقيقة التالية وهى انه ليست هناك أية فرصة فى المستقبل القريب ، كى يصبح أى بلد من البلدان الحديثة الاستقلال فى آسيا شيوعية . كما لم تكن روسيا تواقة الى التعجيل بسرعة انتشار الشيوعية . وقد سببت التطورات التى وقعت فى العراق عامى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ قدرا كبيرا من القلق فى الغرب.

وكانت السياسة السوفييتية الجديدة تقتضى التراجع المؤقت عن فكرة وحدة البروليتاريا فى الحركة الوطنية فى الشرق ، ومن ثم اعادة اكتشاف الدور التقدمى الذى تؤديه البرجوازية الوطنية .

وأعاد الاتحاد السوفيتى كتابة تاريخ الكفاح الوطنى البورجوازى فى آسيا . وأفسح المجال لرجال من أمثال غاندى ونهرو بين المصلحين التقدميين، ان لم يكونوا الثوريين . ولم يبتهج الاتحاد السوفيتى كثيرا «للاشتراكية» التى حاولت اقامتها البورجوازية الوطنية فى الهند ، والجمهورية العربية المتحدة ، وسيلان ، وبورما .

وبدأت النشرات السوفييتية تشير ، منذ عام ١٩٥٩ الى أن هـــذه الجهود لن تؤدى على أكثر تقدير ، الا الى رأسمالية الدولة .

وظهر فى عام ١٩٦٠ اختلاف بين تقـدير موســـكو ، وبكين لدور البورجوازية الوطنية فى البلاد غير الشيوعية، وبخاصة فى الهند التى تتمتع بأقوى رأسمالية وطنية فى آسيا وافريقية.

ولكن السوفييت استمروا فى وضع الهند فى قائمة الدول التقدمية المصممة على بناء اقتصادياتها والمحافظة على استقلالها وتقدموا بعروض سخية لمعاونة الهند اقتصاديا من أجل تمويل مشروع الســـنوات الخمس الثالث .

ومن الواضح ان رغبة الاتحاد السوفيتى فى تقـــديم أكبر قدر من المساعدة الى حكومات آسيا وافريقية البورجوازية الوطنية لا تعنى أنه يعتقد ان هذه الحكومات والقوى التى تمثلها قادرة على أن تؤدى دورا تقدميا لفترة طويلة فى شئون البلاد .

ويبدو ان واضعى النظريات من السوفييت بعد عهد ستالين يؤمنون بأن الزعامة الوطنية، ستفقد ان عاجلا أو آجلا ، مضمونها التقدمى، وان الشيوعيين ، فى مرحلة الصراع التالية ، سيتسلمون مقاليد الأمور .

وقد استخلص وولتر زلاكير فى كتابه «السوفييت والشرق الاوسط» ان السوفييت قد أقدموا على مساعدة القومية العربية مساعدة ضـخمة ، لانهم من الواضح مقتنعون بأن هذه الحركة لن تستطيع أن تقيم أساســا اقتصاديا واجتماعيا سليما يستطيع أن يقوم ، بطريقة ما ، بدور الحاجز أمام الشيوعية .

وقد ظهر تلهف الحكومة السوفييتية الى المحافظة على علاقاتها الودية مع بعض البلاد مثل الهند واتضح هذا بصفة خاصة ، فى أثناء الازمة الصينية ـ الهندية التى تبعت انتهاك القوات الصينية للحدود الهندية . ولم يتوقف الامر بروسيا عند حد سلوكها سلوكا محايدا ، وانما تقدم الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية بمزيد من العروض للمساهمة فى تمويل مشروع السنوات الخمس الثالث فى الهند .

وبذلك استطاع الاتحاد السوفييتى أن يوقف الشعور بالشك تجاه الشيوعية وهو الشعور الذى اجتاح الوطنيين فى آسيا .

ونعم الزعماء السوفييت بجائزة اضافية ، فى صورة ثناء عاطر فى الهند وغيرها من أقطار آسيا وافريقية .

وقد صدر الثناء الاكبر من نهرو الذى قال ، وهو يعقد مقارنة بين وجهتى نظر الاتحاد السوفييتى والصين المعاصرتين فى أثناء خطاب له فى مجلس النواب فى ٧ من نوفمبر عام ١٩٥٩ :

لقد مر الاتحاد السوفييتى بعملية اعادة الامور الى نصابها « وليس هناك اليوم دولة أكثر تلهفا الى السلام من روسيا » .

الفصل الثامن

الولايات المتحدة فى افريقية

انتهت الحرب العالمية الثانية وما زالت قلة من الامريكيين فقط تدرك أهمية افريقية . وكانت افريقيــة التى سمعوا بها أو عرفوا عنهــا القليل هى افريقية التى وصفها شستر بولز بأنها « أراض بعيدة وغريبة تحتوى على ارساليات ، ووطنيين ، والباحثين عن الصيد الثمين ، ولحسن الحظ أن مصالحنا تبدو فيها محدودة للغاية » .

ولكن حدث خلال خمسة عشر عاما أن هبطت أفريقية عـلى الولايات المتحدة مثل جرف أسود مخيف ، وقد ظهرت آفريقية ليس فقط بشــعبها القلق ، النافد الصبر الذى يبلغ مائتى مليون نسمة يطالب بالاســـتقلال وحياة أفضل ، وانما أيضا بمشاكلها الملتوية الفجة التى كانت نتيجة لبعثة أوروبا التى استمرت قرنا من الزمن ، من أجل صبغ أفريقيـــة بالصبغة الحضارية .

ولم تبد الولايات المتحدة ، حتى منتصف القرن ، أى اهتمام سياسى مباشر فى أفريقية ، ولكنها أدخلت مصالح اقتصادية كبيرة الى القـــارة ، وأدركت أهميتها الاستراتيجية .

وقد كانت الولايات المتحدة راضية تقريبا . من الناحية السياسية عن ترك أفريقية لسادتها الاوروبيين ، واثقة بأنهم سيقودون شعوبها الى تقدم سياسى منظم تدريجيا .

وقد ظلت السياسة الخارجية الأمريكية تميل ، حتى عام ١٩١٤ ، الى مراعاة الفروق الجغرافية التى أكد ماهان أهميتها : السيادة فى منطقة الكاريبى ، و « التعاون » أى الاشتراك فى سياسات الشرق الاقصى ، والابتعاد عن المشاكل السياسية الاوربية . وكانت «المشاكل السياسية الاوروبية» تغطى أفريقية ، ووافقت أمريكا على الادعاء بأن حدود أوروبا فى أفريقية .

وقد أظهر الشعب الامريكى اهتماما عابرا ، وهو فى معظمه اهتمام

ذو طبيعة انسانية وعلمية ، بفتح أبواب القارة الافريقية أمام المدنية .

غير ان الولايات المتحدة لا تتحمل أية مسئولية سياسية فى التقسيم الاوروبى للمناطق الافريقية الشاسعة الاطراف ، كما أنها لم تشترك فى المنافسات الاستعمارية بين الدول للسيطرة على هذه القارة .

وقد بدأت المصالح الامريكية ـ كما هو معروف جيدا ـ فى أفريقية بانشاء الجمعية الاستعمارية الامريكية ـ فى عام ١٨٢١ ـ لمستعمرة الزنوج المحررين فى ليبيريا على ساحل غينيا .

وقد حظى المشروع بتأييد سلاح البحرية الامريكى ، أما الحكومة الامريكيةنفسها فلم تؤيده ، غير أنها أهتمت ـ بطريقة واعية ـ بتطوير المستعمرة : فقد رفضت حكومة الولايات المتحدة أن تعلن الحماية الامريكية على المستعمرة ، ولكنها تقدمت لحماية وحدة ليبيريا حينما هددت ألمانيا بالتدخل .

وفى الحقبة الاخيرة من القرن الماضى ، حدث شىء هام للغاية فى قلب أفريقية ، وكان أحد الصحفيين الامريكيين المكتشفين ، هو المسئول عن هذا الحدث العظيم . فالى الجنوب الشرقى من ليبيريا أقاليم افريقية الاستوائية الواسعة التى يكتسحها نهر الكونغو العظيم .

فقد كان معروفا ان ديفيد ليفنجستون قد شرد عن المدينة فى مكان ما فى هذه المنطقة .

وفى عام ١٨٧٠ أوفدت جريدة « نيويورك هيرالد » هنرى مورتون ستانلى للبحث عن ليفنجستون . واكتسب ستانلى شهرة قائمة على أنه أول رجل يكتشف حوض الكونغو . وقد عبر القارة من الغرب الى الشرق واكتشف نهر الكونغو وشلالات ستانلى . وبعد أن عاد الى المدينة بعد ذلك بثمانية أعوام ، وضع كتابه الشهير « خلال القارة السوداء » .

وقد أثارت جهود ليفنجستون وستانلى اهتماما كبيرا فى أوروبا وبخاصة فى بلجيكا حيث كان ليوبولد الثانى ، الالمانى المولد ، تواقا الى تحقيق شىء مثير فى ميدان التوسع الاستعمارى ، وجند ستانلى لخدمته .

وقد وافق ستانلى على أن يكتشف حوض الكونغو تحت راية ليوبولد

وألف ليوبولد جماعة أطلق عليها اسم « المنظمةالدولية » وعينستانلى رئيسا لها ، وتلخصت مهمتها فى اكتشاف وادى الكونغو . وكانتالولايات المتحدة هى الدولة الاولى ، التى اعترفت بهذه المنظمة .

وحذت دول أوروبية حذوها وبدا فى الحال ما عرف فى التاريخ بالدفع بالمناكب على أفريقية .

فأرسل الفرنسيون بعثة استونلت على افريقية الاستوائية الفرنسية ، واختطفت البرتغال انجولا ، وتحركت بريطانيا نحو الداخل ، والغرب وفيما وراء البوير .

وأصبح من الضرورى تسوية المصالح المتصارعة الخاصة بالدول المختلفة ، وكانت النتيجة هى عقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥

وقد أدت حكومة الولايات المتحدة دورا ايجابيا فى اكتشاف حوض الكونغو لمصلحة الملك ليوبولد ملك بلجيكا .

وقد تعرضت المطالب الاقليمية لمنظمة ليوبولد الدولية للأفول حينما اعترفت أمريكا فى ٢٢ من ابريل عام ١٨٨٤ ، بعلم المنظمة على أنه علم « خاص بحكومة صديقة » وأخذت تتفاوض لعقد معاهدة صداقة وتجارة معها .

وكانت المبادرة الامريكية هى التى أقنعت فرنسا وألمانيا لان يحذوا حذوها ، ودعا بسمارك ، مستندا الى اقتراح برتغالى ، الدول الاوروبية الى عقد مؤتمر برلين للموافقة على ثلاثة مبادىء هى :

١ ـ حرية التجارة فى حوض الكونغو ومصبات نهر الكونغو .

٢ ـ حرية المرور فى نهر الكونغو والنيجر .

٣ ـ تحديد الشكليات التى تراعى حتى يمكن اعتبار المستعمرات الجديدة على ساحل افريقية ذات مفعول .

« وبهذا الاعلان ، وباحتلال الاقاليم الساحلية فى توجولاند ، والكاميرون ، وفى شرقى أفريقية وجنوبغربيها أيضا ، أعلنت ألمانياللعالم عن تصميمها على استشارتها فى أى تقسيم للاجزاء المتبقية من القارة التى لا يمتلكها أحد » .

ووافقت الدول ، بما فى ذلك من الولايات المتحدة ، على الدعوة الى انعقاد مؤتمر برلين .

وقد أرسل فريدريك فريلنجويسن توجيهاته الى جون كاسون،ممثل الولايات المتحدة لدى ألمانيا ، بالموافقة علىالدعوة على أساس حصرالمناقشات تماما فىنطاق الموضوعاتالثلاثة المذكورة دون أن يقرر أىمطالباقليمية، وأن تعرض جميع التنظيمات التى يتوصل اليها على جهات الاختصاص ، على قدر ما يتعلق ذلك بالولايات المتحدة .

ويرجع هذا التحذير الى عدم الرغبة فى ترك سياستها التقليدية الخاصة بعدم التدخل فىالمشاكلالأوربية ، ومعذلك فانوزير الخارجية

قد أبدى في التعليمات نفسها ، أنه يفضل قبل كل شيء تحييد حوض الكونغو بأن توضع تحت الوصاية مصالح جميع الشعوب ۰

أليس هذا هو منبع الفكرة القائلة بوضع جميع المناطق المتخلفة تحت الانتداب الدولى ؟۰

ومن دواعى السخرية ان هذا الحوض العظيم الذى بأفريقية الاستوائية ، والذى أصبح بلجيكيا بعد عام ١٩٠٨، قد أفلت من أى اقتراح لوضعه تحت الانتداب الدولى عام ١٩١٩ (١)

وهكذا تم جر الولايات المتحدة ، أرادت أم لم ترد ، الى فتح داخل أفريقية ۰ وكان اهتمام أمريكا الرئيسى يكمن فى حرية التجارة والملاحة ۰

وفى السنوات التالية حينما أصبحت دولة الكونغو الحرة ملكية شخصية لليوبولد ، وحينما تسربت وسائل القمع التى استخدمها ملك بلجيكا فى معاملة السكان الوطنيين ، كانت هناك غضبة كبيرة فى الولايات المتحدة ، كما كانت فى بريطانيا وفرنسا ۰

وأرسل البريطانيون لورد كرومر من مصر الى هناك ليستقصى الحقائق ۰

وقد أثبت لورد كرومر صدق تقارير الأعمال الوحشية التى ارتكبت ۰

وفى ابان هذه الجلبة الضخمة التى تبعت هذه الاحداث، كتب الشاعر الامريكى فاشيل لندساى قصيدته الجارحة « الكونغو » ۰

ويذكرنا هذا بالخبل الذى استشعره مارك توين عن وجه حق حينما اشترت أمريكا جزر الفلبين واحتلتها ۰

وفى عشرات السنين التالية انجذبت الولايات المتحدة الى ساحل أفريقية المواجه للاطلنطى فى أعقاب الاحتلال الفرنسى لشمالى افريقية ۰

ولكن الولايات المتحدة تركت مصير أفريقية باطمئنان بين أيدى الدول الاوروبية خلال الفترة التى توسطت الحربين برمتها ۰

وقد أتاح الغزو الايطالى للحبشة عام ١٩٣٥ فرصة ضائعة للولايات المتحدة كى تؤكد نفوذها على مجرى التاريخ الافريقى ۰

فقد فشلت عصبة الامم فى العمل وسلطت جميع العيون على الولايات المتحدة

ولم تتخذ الحكومة الامريكية أية خطوة غير توجيه تحذير الى

(١) « الولايات المتحدة كدولة عالمية » بقلم بيميس — نيويورك عام ١٩٥٥ ص ٤٠٦ ۰

موسولينى على شكل نصيحة ، وبالطبع وجدت هذه النصيحة آذانا صماء

وفى صيف عام ١٩٣٥ ذهب الرئيس روزفلت الى حد التصريح بأن الصراع لا يشكل أية أهمية مباشرة للولايات المتحدة ، وبعدالغزو الايطالى للحبشة ، بوقت قصير ، فى أكتوبر من ذلك العام أعلن روزفلت رسميا حياد أمريكا بأن اعترف رسميا بحالة الحرب .

وقد طلب من الامريكيين عدم شحن أية مواد حربيـــة الى أى من الجانبين المتحاربين ، ولكن من الناحية الواقعية ، كانت « المواد الخام ، وتشمل البترول ، تشحن باستمرار ، وعن طيب خاطر : الى المنـدوبين الايطاليين فقط » .

ووصلت السياسة الامريكية ، فى الواقع ، الى حد تشجيع المعتدى « وأصبحت نتائج هذا الموقف واضحة تماما اذا ما نظرنا اليها من زاوية ممتازة ، زاوية النظرة من بعيد .

وبالاختصار تم تشجيع المعتدين على الاعتقاد بأن الولايات المتحدة مصممة على البقاء خارج نطاق الحرب وليحدث ما يحدث » (١) .

غير ان الحرب العالمية الثانية أثارت اهتمام أمريكا بأفريقيـــة من جديد . وأدركت الحكومة الامريكية ، فجأة ، الاهمية الاستراتيجية التى يتمتع بها الساحل الافريقى الواسع الذى يمتد من المحيط الاطلنطى الى المحيط الاطلنطى الهندى فى أسفل القارة .

وقد انطوت حملة شمالى افريقيـة التى كان يقودها جنرال دوايت أيزنهاور على بعض الاعتبارات السياسية والعسكرية الدقيقة .

فقد واجهت أمريكا ، لاول مرة ، على التربة الافريقية عامـــلا لم يكن معروفا من قبل : وهو رغبة الشعب الوطنى فى الحرية ورفضه الحكم الفرنسى .

وقد سافر روزفلت بنفسه الى الدار البيضاء كى يعقد مؤتمرا مع تشرشل . ولكن المناقشات كانت تتعلق بأوروبا فقط ، ولم تتبـادل أية كلمة عن مصير أفريقية بعد الحرب .

وحينما تأسست الامم المتحدة فى دومبارتون أوكس عام ١٩٤٥ ، كانت أربع دول أفريقية فقط ممثلة فيها وهى : مصر، وأثيوبيا وليبيريا، واتحاد جنوب أفريقية .

واذا ما تجاوزنا جنوب أفريقية ، التى كانت حكومتها معـــادية

---

(١) « الولايات المتحدة في التاريخ العالمى » بقلم راى ماهونى ـ نيويورك ص ٦٦٩ .

للافريقيين جهارا ، نجد أنه لم تكن هناك دولة واحدة من الدول الثلاث الأخرى متمتعة تمتعا كاملا بحقوق السيادة الخاصة بها ٠

ولكن الامم المتحدة ، بعكس عصبة الأمم ، تورطت فى الشئون الافريقية منذ اللحظة الأولى لمولدها ، وكان الرجل الذى يتحمل أكبر قدر من المسئولية فى ذلك الوقت أمريكى الجنسية ، فقد لعب مستر كورديل هل دورا رئيسيا فى خلق مجلس الوصاية وأصبحت الولايات المتحدة ، التى كانت هى نفسها وصية ، أحد الأعضاء الدائمين فى هذا المجلس . وكان يتعين على المجلس أن يتعامل أساسا مع افريقية حيث وضعت مناطق كثيرة تبلغ ثمانى مناطق تحت الوصاية . وواجهت السياسة العنصرية التى ينتهجها اتحاد جنوب افريقية ، الامم المتحدة منذ أول دورة للجمعية العامة ، وفى السنوات التالية ، طغت المشكلة الخاصة بالاستعمار على معظم تدابير المنظمة العالمية .

وقد ظلت الولايات المتحدة لعدة سنوات ، حتى فى فترة التغير السريع هذه ، بلا سياسة افريقية . وكان هناك جانب ضخم من الرأى العام فى أمريكا يؤيد هذا الفراغ السياسى . فقد كان يقال : انه نظرا لأن افريقية المستعمرة ترتبط بأوروبا الغربية ، التى تعتبر صداقتها وتعاونها من الأمور الحيوية للولايات المتحدة فى جهودها العالمية لتطويق الشيوعية ، فان أفضل سياسة لامريكا انما هى سياسة الارتجال ، وعلاج كل مشكلة على ضوء الظروف المتطورة .

واذا اشتدت حدة الحرب الباردة ، بدأت السياسة الامريكية فى افريقية تخضع لما أسماه تشستر بولز ب « الانجذاب الى نشاط الاتحاد السوفييتى » ، وأصبحت أفريقية مهمة لا لشىء الا لأن الاتحاد السوفييتى قد يبسط نفوذه عليها .

وصرح دالاس فى أول خطاب له كوزير للخارجية ، ان الاتحاد السوفيتى يخلق اضطرابات ثورية فى افريقية ، تجعل أجزاء كبيرة من القارة فى حالة غليان . واستحالت السياسة الامريكية الى استجابة ارتجالية للمناورات والمبادرات السوفيتية الحقيقية منها والوهمية . ويقول تشستر بولز : « ان الحرب الباردة بالاضافة الى المشاعر والتاريخ قد جعلت من أمم الاطلنطى ، حلفاءنا الضروريين من الناحية العسكرية والسياسية . ونظرا لأن هذه الدول تهيمن على معظم افريقية ، فقد شعرنا بالاضطرار الى التخفيف من غرائزنا التقليدية المعادية للاستعمار ، وفى اتجاهنا ، هكذا ، نحو افريقية عن طريق عواصم الدول الاوروبية الاستعمارية أصبحنا نمثل فى أعين كثير من الافريقيين اللون الرجعى لهذه العواصم . وعندما كنا نؤيد حلفاءنا فى الاطلنطى

فى المسائل الاستعمارية على كره منا وضمائرنا تعذبنا . لم يرض حلفاؤنا عن موقفنا تماما » (١)

وبينما كانت حكومة الولايات المتحدة تتردد ، بسبب بعض العوامل السياسية ، فى القيام بدور الزعامة السياسية فى أفريقية استطاع الامريكيون أن يتغلغلوا بنجاح فى السوق الافريقية كشريك منافس للرأسمال الاوروبى

ويبلغ اجمالى الاستثمارات الامريكية فى افريقية ، الآن ما يزيد على ثلثمائة مليون دولار . وهناك مصالح امريكية فى عدد من هذه البلاد . وتملك المؤسسة الانجلو ــ أمريكية ، التى تعتبر شركة المناجم والبيت المالى الرئيسيين فى جنوب افريقية أغنى مناجم للذهب فى الاتحاد ، ومناجم الفحم الفنية فى روديسيا الجنوبية ، التى تنتج مايزيد على ثلاثة ملايين طن من الفحم سنويا ، كما تمتلك أكثر من نصف حقول النحاس الفنية فى روديسيا الشمالية ، وتمتلك تقريبا ــ أيضا ــ جميع حقول الماس فى افريقية ، كذلك تحتكر سوق الماس فى العالم الغربى . ويبلغ اجمالى رأس المال المستثمر فى صناعة تعدين الذهب فى جنوب افريقية حوالى ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى ، منها ١٠٪ أموال امريكية ، وتبلغ قيمة انتاج حقول النحاس فى روديسيا الشمالية التى يستثمر فيها قدر كبير من راس المال ، حوالى ١٠٠ مليون جنيه سنويا . وتعمل فى جنوب افريقية وحدها مؤسسات أمريكية ضخمة تبلغ ١٢٨ مؤسسة .

وفى عام ١٩٥٠ كانت مجموعة من المؤسسات الأمريكية تمتلك ٦٠٠٫٠٠٠ سهم فى شركة أمتيازات تنجانيقا البريطانية ذات المسئولية المحدودة ، ولهذه الشركة فروع على نطاق واسع فى روديسيا الجنوبية ونياسالاند وكينيا . وتعتبر هذه المؤسسة أيضا صاحبة أسهم بارزة فى اتحاد مناجم الماس فى كاتانجا . وهناك أيضا شركات أمريكية تستغل مستودعات البترول فى الكونغو ، وقد حصل أحد الأمريكيين على حقوق استخراج البوكسيت فى غينيا . وتحتكر مؤسسة الصلب الأمريكية حق استغلال المنجنيز فى نهر أوجوى على حين تستغل مؤسسة صلب أمريكية أخرى مستودعات خام الحديد فى جابون الشمالية .

وقد أعلن مستر ج. واتس رئيس فروع بنك نشيس ــ مانهاتان فى افريقية والذى قام بجولة فى عدة بلاد من القارة عام ١٩٦٠ فى صحبة مستر ديفيد روكفيلر عن عزمه على افتتاح عدد من الفروع الجديدة للبنك فى جنوب افريقية وروديسيا وغانا ونيجيريا وأثيوبيا والسودان.

---

(١) « تحدى أفريقية لامريكا » بقلم تشستر بولز ــ عام ١٩٥٦ ــ ص ٥٧ .

وكان الهدف من جولة روكفيلر هو استكشاف امكانيـــات استثمار راس مال أمريكى جديد فى افريقية من أجل موارد القـــارة الطبيعية الغنية .

وفى افريقية البرتغالية ، حصلت شركة زيت موزامبيق الامريكية على امتياز منطقة اكبر من البرتغال نفسها مرة ونصف مرة .

وتعطينا هذه الاحصائيات فكرة عن المصالح المـــالية الامريكية الواسعة فى القارة الافريقية

ومن الأمور الدالة على أن هذا التغلغل الاقتصادى لقى معارضة من جانب المصالح الاوروبية ما أشار اليه مراسل صحيفة « نيويورك تايمز » فى واشنطن عام ١٩٥٩ من أن الخطط الامريكية الخاصة بعرض برنامج المعونة على افريقية قد قوبلت بمعارضة « من جانب البـــلاد الاوروبية التى استنكرت التدخل فى مملكتها » (١) .

---

(١) وقد أعطانا لورانس .ك.هوارد في كتابه « أفريقية – كما يراها زنوج أمريكا » الذى نشرته دار (برايزانس أفريكان) في نيويورك تفصيلات تثير الاهتمام عن النشـاط الامريكى والاستثمارات التجارية في افريقية :

قسم هوارد افريقية أربع مناطق : أفريقيا الاسلامية ، وتشـمل مصر وشـمالى افريقية ، أفريقية السوداء وتتألف من منحنى خط الاستواء ، أفريقيـة المتعددة الاجناس، وتمتد من أراضي أثيوبيا العالية وخليج عدن جنوبا حتى نهر ليمبوبو ، وتشـغل معظم أفريقية البريطانية والبرتغالية والبلجيكية . وأخيرا افريقية التى يسيطر عليها البيض ، وتتكون من اتحاد جنوب أفريقية وروديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ..

ويقول هوارد : اننا اذا نظرنا الى الامور من وجهة النظر الاقتصـادية وجـدنا أن الحرب العالمية الثانية كانت فرصة تعيد فيها أمريكا اكتشـاف افريقية ، فقد كان اجمالى التجارة الامريكية السنوية مع افريقية لا يزيد قبل الحرب على ٢٥٠ مليون دولار. وبحلول عام ١٩٤٥ ارتفع الى ألف مليون دولار . وأرسلت أمريكا بين عام ١٩٥٢ – ١٩٥٦ الى أفريقية سلعا تقدر قيمتها سنويا بحوالى ٥٧٧ مليون دولار ، واستوردت من أفريقية سلعا تقدر بحوالى ٦٠٤ ملايين دولار .

وقد قدر الاستثمار الامريكى الاجمالى في أفريقية عام ١٩٥٥ بحوالى ٧٧٤ مليـون دولار ، معظمها ، وهو نحو ٤٥٪ ، في جنوب أفريقية . وقد كان الجزء الافـــريقى الذى يسيطر عليه البيض هو الذى حظى بمعظم الاستثمارات الامريكية ، وذهب القليل الى مصلحة الانسان الإسود في افريقية .

ويقول لورانس هوارد : « ان صورة العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحـدة وأفريقية ، التى تظهر من هذه الدراسة ، ذات جانبين : الجانب الامريكى والجـــانب الافريقى :

فمن ناحية الولايات المتحدة ، يشير هذا العرض الى نجاح رجال الاعمال الامريكيين في دخول حلبة الاقتصـاد الافريقى من جديد ، ومما يؤكد هذا النجاح أن ثلاثة أرباع بليون دولار ذهبت في الاستثمارات الخاصة . كما ذهب بليون دولار – سنويا – في تجارة السلع. وبالاضافة الى ذلك نجد أن السلع التى تحصل عليها الولايات المتحدة ، من خلال هذه العلاقات الاقتصادية، لازمة لاستمرار مستوى المعيشة الامريكى على معدله الحالى. فما =

وقد أخذت الولايات المتحدة تدرك ، بصورة متزايدة ، اهمية المواد الخام الافريقية من أجل الصناعات الحربية فى أراضيها . وتستورد الولايات المتحدة اليوم نصف مطالب صناعتها من المواد الخام ، وبعض السلع ذات الأهمية الحيوية البالغة من افريقية . وتشمل هذه المواد خام الحديد من ليبيريا ، واليورانيوم من الكونغو وجنوب افريقية ، والكروم والمنجنيز والنحاس والفالاديوم والبوكسيت.

وخلال الحرب العالمية الثانية رسا العطاء على الولايات المتحدة وبريطانيا (عام ١٩٤٤) بالنسبة لكل اليورانيوم والثوريوم اللذين فى الكونغو .

وقد تمت عمليات الشراء هذه عن طريق وكالة التنمية المشتركة التى وقعت عقودا مع مؤسسة المعادن الافريقية بالنيابة عن اتحاد مناجم كاتنجا العليا .

وبعد ذلك باحدى عشرة سنة ، أى فى عام ١٩٥٥ ، وقعت الولايات المتحدة على اتفاقية مع بلجيكا ، اتفاقية تقضى بأن « توافق بلجيكا على الا تنقل الى أية دولة أخرى سوى الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أية مواد ذرية تنتج فى بلجيكا ، أو الكونغو البجيكى أورواندا أوراندى اللهم الا اذا تلقت الحكومة البلجيكية تأكيدات بأن هذه المواد لن تستخدم فى الأغراض العسكرية .

وتوافق الحكومة البلجيكية على التشاور مع الولايات المتحدة حول الأهمية الدولية لأي اقتراح بتحويل خام اليورانيوم أو الثوريوم أو أية مواد ذرية خاصة . لأية دولة غير المملكة المتحدة »

وقد شرح الرئيس آيزنهاور بنفسه للكونجرس الامريكى أهمية هذا الاحتكار الامريكى ، الفعالى ، لخام اليورانيوم والثوريوم فى الكونغو .

= بالك باعتبارات الامن العسكرى. ويبدو أن الاهتمام الرئيسي منصب على النقطة التالية: كيف تتخطى أمريكا حواجز التجارة كى تتوسع في هذه الاوضاع التى تعتبرها مواتية ؟.

اما الصورة فتختلف تماما ، من وجهة النظر الافريقية، ذلك أن افريقية التى يسيطر عليها البيض تتمتع بأفضل وضع ويساعد نمط التجارة والاستثمار مع الولايات المتحدة على تقدم هذه المنطقة بدرجة أكبر . وتمثل افريقية الاسلامية صورة مختلطة لهذا الموقف فبينما تحصل هذه المنطقة ، عامة ، على نسبة كبيرة نوعا من السلع الانتاجية من الولايات المتحدة ، فان صورة الاستثمار ليست بهذه الدرجة من الاشراق أما أفريقية السوداء ، وافريقية المتعددة الاجناس فتمثل صورة مخالفة ، فقد وجدت كميات محدودة من السلع الانتاجية الامريكية طريقها الى هذه المناطق . واذا استثنينا الكونغو البلجيكى وجدنا أن المستثمر الامريكى لم يجد ما يغريه في هذه المنطقة » .

وقال ، فى معرض شرحه : ان أهم مافى الامر أن وكالة التنمية المشتركة سيكون لها حق شراء ٩٠ ٪ من خامات اليورانيوم والثوريوم عام ١٩٥٧ و ٧٥ ٪ عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ٠

وذكر بعد ذلك أن بلجيكا وافقت على أن تقدر احتياجاتها من هذه الخامات بعد عام ١٩٦٠ ، وأن تتشاور مع الولايات المتحدة حول وضع اتفاقية لهذه المواد تكون الأولوية فيها للوكالة لشراء ما يلزمها بعد هذه السنة ٠

وفى مقابل هذا تبيع وكالة الطاقة الذرية الامريكية لبلجيكا اليورانيوم الممتاز لاستخدامه فى المفاعلات البلجيكية فى أغراض البحث السلمية ٠

وقد كانت الولايات المتحدة ، حتى وقت قريب ، تجد انه من دواعى رضاها أن تضع الترتيبات الخاصة بالتعاون مع مصالح أوروبا الغربية فى أفريقة بدلا من التعاون مع المنظمات الافريقية والشعوب الافريقية ٠

غير أن الامتيازات والاحتكارات التى حصلت عليها أمريكا فى القارة الافريقية لم تكن تتمتع بموافقة السكان المحليين ٠

والواقع أنه كانت هناك أمثلة كثيرة ، كما حدث فى الكونغو حيث حدث صراع بين المصالح الاقتصادية الامريكية ومدرسة القوميين الذين هم أكثر تطرفا ٠

وجدير بالذكر أن وجود تغلغل اقتصادى يفتقر الى المسئولية السياسية قد وضع أمريكا فى موقف محير داخل أفريقية وحلفائها الأوروبيين ٠

واذا كانت ثروة أفريقية البكر قد اجتذبت المستثمر الامريكى فان أهميتها الاستراتيجية قد جرت حكومة الولايات المتحدة الى تورط فى شئونها لامخرج منه ، ذلك أن الجزء الواقع فى أقصى الغرب من أفريقية أقرب قاعدة ينطلق منها أى هجوم مسلح على نصف الكرة الغربى ٠

كما أن سلامة خطوط الملاحة حول ساحل أفريقية ذات أهمية كبيرة اذا حدث ، لأى سبب ، أن أقفل البحر الابيض المتوسط أمام الملاحة ٠

وأفريقية تربط أوروبا بآسيا ٠ وانه لمن الصعب على الغرب ان لم يكن من المستحيل ، أن يمنع النفوذ السوفييتى ــ الصينى من الانتشار فوق المحيط الهندى دون السيطرة على الساحل الجنوبى ، والجنوبى الغربى لأفريقية ٠

ان ساحل افريقية المواجه للمحيط الاطلنطى ذو أهمية كبيرة للدفاع عن أوروبا وحوض البحر الابيض . واذا تركنا ذلك جانبا وجدنا أن

المواد الخام الهامة التى تستطيع ان تقدمها أفريقية مطلوبة للمحافظة على الصناعات الحربية فى أوجه نشاطها • واذا حرمت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية من المواد الخام الافريقية فانها ستكون فى وضع غير ملائم من الناحية الاستراتيجية •

وتحتفظ الولايات المتحدة ، حاليا ، بقواعد عسكرية فى مراكش ، وتمارس نفوذا ضخما على حكومة تونس • كما تربطها اتفاقيات عسكرية ـ اقتصادية ـ سياسية ـ مع ليبيا ، وليبيريا ، وأثيوبيا •

وتعتمد ، بالنسبة لباقى أجزاء القارة ، على بريطانيا وفرنسا والدول الأوروبية الصغرى ، من أجل حماية افريقية من الخطط السوفيتية •

وقد أوضحت الولايات المتحدة استعدادها للدفاع عن المصالح الأوروبية اذا حدث بينها وبين الاتحاد السوفييتى صدام

وتود الولايات المتحدة ، من الناحية السياسية ، ان تحصل أفريقية على استقلالها بطريقة منظمة ومرتبة ويؤثر تعاطف الولايات المتحدة القديم مع الشعوب المستعمرة ، والمعارضة الامريكية التقليدية للاشكال القديمة للاستعمار ، كل هذا يؤثر الى حد ما ، على موقف أمريكا السياسى من المشاكل الافريقية •

أما من الناحية الايديولوجية ، فيميل الاتجاه الامريكى نحو السلبية : فالولايات المتحدة لا تريد أن تصبح أفريقية شيوعية أو موالية للشيوعية • كما أنها لا تريد من الدول الأوروبية أن تحتفظ بقبضتها على أفريقية •

انها تود أن تسير أفريقية على أسس ديمقراطية، ولكنها لا تعرف الطريق الى تحقيق ذلك. ان واقع الموقف الاجتماعى والسياسى الافريقى يحير الامريكيين الذين لا يجدون فى نصوص كتب العلوم السياسية ما يستطيعون وصفه للاعضاء الجدد فى المجتمع الدولى :

وقد تلقى عدد من الزعماء الوطنيين الافريقيين تعليمهم فى الولايات المتحدة ، نذكر اربعة منهم : دكتور نكروما ، ودكتور ازيكوى ، ودكتور هاستنجز باندا ، ومستر أودنجا •

ولذلك فهناك أساس معين للتبادل الفكرى بين الولايات المتحدة وزعماء افريقية الوطنيين .

غير أن فشل أمريكا فى تقدير حتمية الثورة الافريقية قد يدفع هؤلاء الزعماء الى البحث عن المساعدة من الكتلة السوفييتية •

وظهرت دلائل هوة سياسية بين الولايات المتحدة وهؤلاء الزعماء

بدلا من التعاون السياسى المتزايد بين الطرفين وكانت هذه الهوة سحيقة حتى أن شخصية كبيرة هى مستر كريستيان هيرتر لم يتورع ، خلال الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ، عن وصف دكتور كوامى نكروما بأنه مؤيد للشيوعيين ٠

وحينما أخذت المشاكل الافريقية فى التزاحم على الدورات المتتابعة للجمعية العامة للامم المتحدة ، بدأت حكومة الولايات المتحدة تلمس الطريق بحثا عن سياسة أفريقية ، ولم تكن قد وجدت هذه السياسة بعد حتى الشهور الاخيرة من عام ١٩٦٠ ٠

وترغم حدة الثورة الافريقية المتصاعدة ، وتراجع الدول الاوروبية والخوف من النفوذ السوفيتى ، ترغم الرئيس الحالى للولايات المتحدة على وضع سياسة أفريقية ذات مضمون ايجابى ٠

ولم تأخذ هذه السياسة شكلا الا منذ فترة وجيزة ، وهى تركز اهتمامها على مسألة التعاون مع القومية الافريقية بدلا من المصالح الاستعمارية الاوروبية ٠

وتعتمد حكومة كنيدى ، كثيرا ، على الامم المتحدة فى تنفيذ هذه السياسة الجديدة ٠

وقد ظلت الولايات المتحدة ، لسنوات عدة ، تذعن لمعارضة الدول الغربية الشديدة لمناقشة مشاكل الاستعمار فى أفريقية فى مجلس الأمن ٠

وصوتت الولايات المتحدة ضد مناقشة الامم المتحدة لمشكلتى تونس والمغرب حتى عام ١٩٥٤ وبرغم انها كانت تمارس ضغطا من وراء الستار لحض فرنسا على الوصول الى تسوية مشرفة مع دولتى شمالى أفريقية ٠

غير أن الولايات المتحدة تعاونت بعد ذلك مع بريطانيا العظمى على مد تونس بالاسلحة ، مثيرة بذلك سخط فرنسا ٠

والسبب فى هذا الاجراء الغريب هو خوف الولايات المتحدة من أن يتجه الحبيب بورقيبه شطر الاتحاد السوفيتى طلبا للأسلحة ، كما فعل الرئيس ناصر فى مصر ٠

وحتى بالنسبة للمسائل الاخلاقية الكبرى ، كمشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية ، امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت فى الجمعية العامة فى أثناء دوراتها المتتابعة حتى أرغمها ظهور أعمال العنف المفجعة البشعة التى ارتكبها البيض عام ١٩٦٠ الى أن تتخذ موقفا ايجابيا معاديا للتفرقة ٠

وما زال امام الولايات المتحدة ان تصوت فى مصلحة مناقشة الامم المتحدة لمشكلة الجزائر(١) ·

واذا أعرضت الولايات المتحدة عن استعداء حكومات أوروبا الغربية واثارة غضبها فقدت عطف العناصر الوطنية الافريقية المكافحة ، الممثلة فى رجال مثال نكروما ، وناصر وسيكوتورىوفرحات عباس · الذين ليس بينهم من هو شيوعى أو يريد لبلاده أن تصبح شيوعية ·

ولم تبد الولايات المتحدة ميلا كبيرا لفهم حركة الوحدة الافريقية والعطف عليها ، وقد آثار استقلال غانا بعض الآمال الكبار فى أمريكا ، ولكن هذه الآمال خمدت حينما بدأ الدكتور نكروما فى العمل بنشاط من أجل خلق « شخصية افريقية » قوية .

وانتقلت الآمال التى كانت معقودة يوما على غانا الى نيجريا · حيث ظن المسئولون أن وجود اتحاد فيدرالى مزعزع ، وشيوع نفوذ رؤساء القبائل ، سيكون بمثابة قوة مضادة لشعار الوحدة الافريقية الذى ينادى به نكروما وتورى وتوم موبويا .

وبالمثل شاعت أمريكا فى الكونغو ، أن تساند الحركات الانفصالية التى قام بها كازافوبو وتشومبى بدلا من تأييدها لحملة لومومبا المركزية وهى سياسة عرضت الولايات المتحدة لمعارضة الدول الافريقية المستقلة التى هى أكثر تطرفا ·

وفيما يتعلق بميدان المعونة الاقتصادية ظهر أن الولايات المتحدة تتوقف ، وتتردد ، وتمتنع عن البذل بسخاء للمشروعات التى أعطتها الحكومات الافريقية الحرة الأولوية وكان اجمالى المعونة الامريكية المقدمة لافريقية حتى عام ١٩٦١ يقل بكثير عن المساعدات التى قدمت الى منطقة واحدة فى الشرق الأقصى وهى فرموزا .

وقد وجدت الولايات المتحدة نتائج سارة ، على مسرح الأحداث الافريقى السريع التغير ، حينما كانت تستطيع أن تقف على قدميها ، كما فعلت فى تونس عام ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ ، ولكن سياسة الولايات المتحدة ، فى معظم الاحيان ، كانت تعرقل من جراء عدم رغبتها فى الاساءة الى الحلفاء الغربيين .

وهذه السياسة السلبية تتعارض - بشدة ، مع الحملة الشاملة التى شنها الاتحاد السوفييتى والصين من أجل عقد أواصر الصداقة ، والتأثير على الشعوب فى افريقية . وسرعان ما أصبح واضحا أن

---

(١) حصلت الجزائر على استقلالها بعد ظهور هذا الكتاب مباشرة .

الولايات المتحدة لا تستطيع أن تؤدى دورا بارزا فى الشئون الافريقية دون أن تعيد تشكيل سياستها تماما فيما يتعلق بمشـــاكل افريقية الثلاث الملتهبة : الاستقلال ، والمعونة الفنية والتربوية ، والمســـاعدات الاقتصادية .

وكانت الأزمة التى اندلعت فى الكونغو فى يولية عام ١٩٦٠ هى التى أدت الى أكبر تحول فى السياسة الامريكية نحو افريقية غير أن هـذه السـياسة لم تظهر من تلقاء نفســها ، وانما كانت ردا على محاولة سوفييتية ناجحة تقريبا للهبوط على نطاق واسع على الكونغو الذى هو قلب افريقية تماما .

وقد رأينا كيف أن مصالح الولايات المتحدة المالية والاستراتيجية فى الكونغو كانت ترتبط بالحكم البلجيـــكى فيها ، وشاطرت حكومة الولايات المتحدة ، الحكومة البلجيكية الرأى فى أن أفضـل نظام يلائم الـكونغو هو الاتحاد الفيدرالي البسـيط ، الذى تمارس فيه الاقاليم ، بما فى ذلك من اقليم كاتنجا الغنى باليورانيوم ، استقلالا ذاتيا كاملا فى الداخل .

وقد اتخذت الولايات المتحدة ، منذ البداية ، سياسة عدم الموافقة على سياسة مستر باتريس لومومبا والقوى الوطنية الداعية للتـكامل التى يمثلها .

ولم تواجه الولايات المتحدة مشكلة عدم وجود ســياسة واقعية لها فى افريقية الا بعد أن اندلعت أزمة الكونغو ، وطالمـا ظلت هناك دولة أوروبيـة اسـتعمارية تضطلع بمسئولياتهـا ، بات فى مقـدور الولايات المتحدة أن تقنع نفسها بالركون الى هذه الدولة والوثوق بأنها ستسير بمستعمراتها الافريقية نحو الحكم الذاتى . وكان البريطانيون ينتهجون سياسة مستنيرة فى افريقية برغم الصعوبات ولم تجد الحكومة الامريكية أدنى عناء فى الاعتماد على حكمة بريطانيا ومذهبها التحررى . وكانت حكومات الجمهورية الرابعة فى فرنسا واقعة تحت ضغط خفى ، وكانت الترتيبات التى تم الوصول اليها أخيرا بين باريس والمغرب وتونس ، مرضية على وجه العموم . واذا ما استمرت الحرب فى الجزائر (١) ، على كره واشنطن التى كانت تدفع ، فى الواقع الحســـاب نيابة عن فرنسا ، فانه من الممكن الاعتماد على جنرال ديجول فى ايجاد حل يتمشى مع الكبرياء الوطنى لفرنسا ، والمطامح الدولية ، والتقاليد المتحررة .

---

(١) سبقت الاشارة الى أن هذا الكتاب ظهر قبل استقلال الجزائر .

غير أن المتاعب ظهرت بسبب الدول الاستعمارية التى هى أصغر وأكثر عنادا. مثل بلجيكا والبرتغال . فبعد عشرات السنين من الحكم الأبوى المجدب ، قرر البلجيكيون ، فجأة أن يعلنوا انسحابهم السياسى من الكونغو فى يولية عام ١٩٦٠ ، ولم يتركوا وراءهم زعامة سياسية أفريقية مدربة أو نظما سياسية مجربة أو أحزابا سياسية ذات جذور عميقة تستطيع أن تتولى السلطة ، وتحدد فترة انتقال سلمية نحو الحرية

والواقع أن انسحاب البلجيكيين المفاجىء كان فى ذاته خطة استعمارية ، الهدف منها اجبار الكونغو المستقل على طلب الرعاية البلجيكية ، على نطاق واسع، وأن البلجيكيين سيخرجون من الباب الامامى، كى يدخلوا ، من جديد ، من الباب الخلفى .

غير أن هذه التقديرات قد طاش صوابها ، وهوى الكونغو فى وهدة سياسية فى صبيحة يوم الاستقلال . فقد استغلت حكومة بروكسل حركة العصيان التى حدثت بين أفراد القوات العامة ، والتى وضع تصميمها ، الى حد ما ، القائد العام البلجيكى ، وقامت بتدخل عسكرى على نطاق واسع وذلك بشكل واضح من أجل معاونة السكان الاوروبيين وتشجيع حكم كاتنجا الذى يترأسه مويس توشومبى على الانفصال عن الحكومة المركزية . وطلبت الحكومة المركزية التى يترأسها كازافوبو كرئيس للجمهورية ، وباتريس لومومبا كرئيس للوزراء ، معونة عاجلة من الامم المتحدة من أجل ضمان انسحاب القوات البلجيكية والمحافظة على استقلال الكونغو ووحدته .

واستدعيت الامم المتحدة ، لأول مرة فى تاريخها ، من أجل رعاية دولة افريقية حديثة الاستقلال حتى تستطيع أن تقف على قدميها .

وقد أيدت الولايات المتحدة نشاط هيئة الامم وذلك الى حد كبير ، بسبب خوفها من التدخل السوفيتى فى الكنغو لمصلحة حكومة لومومبا . ولم تكن أمريكا ، فى المراحل الاولى من أزمة الكنغو مستعدة للمطالبة بانسحاب البلجيكيين العاجل ، أو استنكار الحركة الانفصالية فى كاتنجا . وكادت الدبلوماسية الامريكية تستغل كل امكانياتها داخل الأمم المتحدة لمنع الاتحاد السوفييتى من اتخاذ خطوة منفردة فى الكونغو، ولو اقتضى الامر اقدام أمريكا على تدخل مضاد .

وبينما كانت أزمة الكونغو تتعمق جذورها ، وغزت تقريبا الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة، خسرت الحكومة الامريكية بالفعل تأييد الدول الافريقية التى هى أكثر أهمية مثل : غانا والجمهورية العربية

المتحدة ، والمغرب ، وغينيا ، واعتمدت على الاعضاء الذين هم أكثر تحفظا من المجموعة الفرنسية ، وعلى حلفائها التقليديين مثل تونس .

وهكذا نجد أن الولايات المتحدة قد أدت دورا ليس بالصغير فى وضع تقسيم سياسى فى أفريقية المستيقظة من سباتها ، تقسيم بين الدول غير المنحازة وتلك التى كانت مستعدة للتعاون مع الغرب .

ومن الامور المؤسفة لكل من افريقية والولايات المتحدة أن تجد الدول الافريقية فى مجموعة الدار البيضاء نفسها مضطرة الى اندفاع عن مصالح القارة ضد الارتباط الامريكى بالعناصر الافريقية التقليدية والقبلية وغير الثورية . وقد ظهر هذا الارتباط اكثر وضوحا حينما أرسل الرئيس كنيدى رسالة يعرب فيها عن أمانيه الطيبة الى مؤتمر مونروفيا لزعماء الدول الافريقية اليمينية فى ربيع عام ١٩٦١ .

وفى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة اقترح أيزنهاور تحييد الكونغو بعيدا عن صراع الدول الكبرى . ففى خطبة له أمام الجمعية العامة فى ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٦٠ قدم أيزنهاورمشروعا من خمس نقاط خاص بتحييد أفريقية . وكانت النقاط الخمس هى : « عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الافريقية ، والمساعدة على ضمان أمنها دون التنافس على تسليحها بطريقة خطرة،وتقديم معونات استثنائية الى الكنغو،واسهام الدول فى تشكيل برامج التنمية الافريقية الطويلة الاجل ، وتقديم مساعدات من طرف الامم المتحدة من أجل التعليم » .

واذا ما أخضعنا مشروع أيزنهاور هذا للمعايير المطلقة ، نجد أنه مشروع جيد ولكنه ، كما حدث فى الشرق الاوسط خلال أزمة عام ١٩٥٨ ، فشل فى أن يأسر لب الافريقيين أو أن يثير عقولهم وذلك لأن الحكم على الولايات المتحدة يصدر عن أعمالها لا عن أقوالها .

وكانت النيات الامريكية موضع اختبار فى الكنغو : فحينما راقب الوطنيون الافريقيون ، الحكومة الامريكية وهى تتسبب فى اسقاط لومومبا ، ومساندتها الواضحة لاقتراح الاتحاد الكونفيدرالى ، وحينما فشلوا فى رؤية بريطانيا تطلب انسحاب البلجيكيين وتصر عليه ، فقدوا ايمانهم فى الكلمات الوقور والنيات الطيبة . وتشكك كثير من الافريقيين فيما سيكون عليه الوضع الامريكى اذا ما فقدت زعامتها للامم المتحدة ، هل ستأتمن حينئذ الامم المتحدة على الوصاية الفعلية على أفريقية ، تلك الوصاية التى كانت جوهر مشروع أيزنهاور ؟

وكانت أزمة الكونغو بعيدة تقريبا عن أى علاج حتى قبل أن يتمكن جون كنيدى من الاستقرار فى البيت الابيض . فقد تم أغتيال لومومبا.

واتخذ مجلس الأمن فى ٢١ من فبراير عام ١٩٦١ أول قرار حول الكنغو بصعوبة بالغة بفوض فيه قيادة الامم المتحدة حق استخدام القوة كملاذ أخير ، لمنع قيام الحرب الأهلية . وحاول الرئيس كنيدى ومستشاروه ، بعزيمة محمودة ، وضع سياسة جديدة خاصة بأفريقية وكانوا يدركون أن الكلام لن يفيد ، فانه يتعين أن تظهر السياسة الجديدة فى العمل (لا الكلام)

وفى الكونغو حاولت الحكومة الامريكية تعيين كازافوبو وحكومته بوصفهما الحكومة المركزية لدولة اتحادية . وقد تمت ممارسة ضغط على كازافوبو من أجل أن يعمل باتفاق مع قيادة الامم المتحدة . وكان راجيشوار دايال — الهندى — قد أوفد الى الكنغو ممثلا للامم المتحدة. غير أن كازافوبو طالب باستدعائه ، فأعيد الى نيويورك فى هدوء ،وهناك تركوه لثلاثة أشهر ثم نحوه عن منصبه فى نهاية شهر مايو عام ١٩٦١ فى أثناء بذل الجهود ، فى الكونغو ، من أجل الوصول الى تسوية بين كازافوبو وقيادة الأمم المتحدة . ووضع تشومبى رهن الاعتقال فى كوكيلهاتفيل وكان قد ذهب لحضور مؤتمر للزعماء الكنغوبين وكان هذا الاعتقال صادرا عن اسلوب من اساليب الحزب السياسى ، الذى يمثل بحق نوع السلوك السياسى القائم فى الكنغو .

وفى مايو عام ١٩٦١ ظهر أن سياسة الولايات المتحدة الجديدة فى الكنغو على وشك النجاح . فقد كان أفضل شىء فى الكنغو ، بعد غياب لومومبا عن المسرح انما هو اقامة اتحاد فيدرالى فى ظل حكومة مركزية محافظة وضعيفة ، وكان هذا هو الهدف المباشر للسياسة الامريكية ، وبدا أنه على مرمى البصر : ففى الاسبوع الثالث من مايو ، وافق مؤتمر الزعماء الكونغوبين على اقامة اتحاد فيدرالى يتكون من عدد كبير من الولايات تبلغ تسع عشرة ولاية بدلا من الاقاليم الستة القائمة .

وبدا ، للحظة عابرة ، أن الاهداف الرئيسية لسياسة أمريكا ازاء الكونغو قد باتت على مرمى البصر . وتم الوصول الى اتفاق ، نتيجة لمشاورات هادئة بين الولايات المتحدة وبعض البلاد الاسيوية-الافريقية البارزة ، بما فى ذلك الهند ، ويقضى بأن تساعد الحكومة الامريكية بطريقة فعالة على تمكين البرلمان الكونغوى من الاجتماع وانتخاب حكومة وحدة وطنية ، وعلى انهاء تحدى تشومبى .

وقد ادركت واشنطن أن أية سياسة متطرفة فى الكونغو، لن تؤدى الا الى دعم القوى المتطرفة ، وأنه اذا أمكن استعادة سيادة الكنغو الوطنية ووحدته عن طريق مساعى أمريكا الطيبة ، تم احراز نصر حاسم ضد محاولة الشيوعية الدولية التغلغل الى قلب أفريقية ، وبهذه النظرة المتحررة ، قامت الولايات المتحدة بدور فعال فى تمهيد الطريق

لاجتماع برلمان الكونغو الذى طال انتظاره ، والى الوصول ، فيما بعد ، الى اتفاق بين مستر ادولا رئيس الوزراء الجديد ، وهو معتدل ، وبين مستر جيزنجا الزعيم المناصر للومومبا ، والذى اعترفت بنظام حكمه فى ستانلى فيل نحو اثنتى عشرة دولة ، على أنه يمثل حكومة الكونغو، والذى كان يتلقى معونات عسكرية واقتصادية من بعض الحكومات الافريقية بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى ، وكان يسيطر على أكثر من نصف البلاد تحت سلطته .

وقد تم تشكيل حكومة ائتلافية أصبح فيها جيزنجا نائبا لرئيس الوزراء وذلك نتيجة لاتفاق أدولا — جيزنجا الذى صدقت عليه الامم المتحدة . وكان الاتفاق يحمل فى طياته اتجاها لومومبيا قويا . واعترف الاتحاد السوفيتى بالائتلاف الوطنى الجديد بعد موافقة جيزنجا على الانضمام اليه .

وبعد ان تم تخطى أول عقبة كبيرة فى الكونغو ، حاولت الولايات المتحدة اقناع كاتنجا بنبذ سياستها الانفصالية وانضمامها الى الجمهورية . وحينما رفض تشومبى أن يذعن ، قامت قيادة الامم المتحدة — بموافقة من أمريكا على ما يبدو — بمحاولة مفاجئة فى ١٣ من سبتمبر للاستيلاء على اليزابيث فيل وانهاء انفصال كاتنجا بالقوة . وقد وجدت « الحرب الصغيرة الكريهة » ، التى تبعت ذلك ، قوات الامم المتحدة مهزومة من جيش كاتنجا الاكثر تفوقا ، والذى قامت بتدريبه وتزويده بالاسلحة ، وتمويله ، وقيادته ، عناصر أوربية . وقد قيل : ان مقاتلة نفاثلة وحيدة تابعة لكاتنجا بقيادة طيار بلجيكى ، لا تلقى أية مقاومة ، قد قامت بقذفه وتدمير مواقع الامم المتحدة ، وكانت عاملا رئيسيا فى نكسة الامم المتحدة ، وذلك ما قالته جريدة النيويورك تايمز .

واندفع مستر همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الى ليوبولد فيل قادما من نيويورك ، ورتب بسرعة مقابلة مع تشومبى من أجل اجراء محادثات للسلام فى ندولا ، فى روديسيا الشمالية . وقد عارضت الحكومة البريطانية بشدة أعمال الامم المتحدة العسكرية فى كاتنجا ، وهدد حكام روديسيا الشمالية والجنوبية البيض بالتدخل المسلح لمصلحة تشومبى . وفى ١٨ من سبتمبر قام همرشولد برحلة ليلية بالطائرة الى ندولا . واشتعلت النيران فى طائرته وتحطمت على بعد ثمانية أميال من المطار وأسلم السكرتير العام الروح من أجل السلام فى الكنغو . وكانت ظروف تحطيم الطائرة يحوطها الغموض بدرجة جعلت الدول الافرو — آسيوية تطلب اجراء تحقيق سريع فى الحادث . وقد أرجعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الفضل الاكبر اليه فى أكثر من الامور ، ولكنهم لم يكترثوا

على الاطلاق لاجراء تحقيق فى ظروف وفاته . ولم يكن لدى معظم النـاس فى جميع أنحاء العالم أدنى شك فى أن طائرته قد أسقطت .

وقد وضعت وفاة مستر همرشولد . سياسة الولايات المتحدة فى الكونغو ، من جديد ، فى مأزق . وكانت اتفاقية وقف اطلاق النار التى وقعتها قيادة الامم المتحدة مع تشومبى فى ٢١ من سبتمبر انتصارا واضحا لزعيم كاتنجا . وقد قضت وفاة همرشولد على الوسـيلة الوحيـدة التى كانت تأمل الولايات المتحـدة أن تنفـذ عن طريقهـا ، سياسة متحررة نوعا فى الكونغو . وأصبحت الامم المتحدة ، فى ذلك الوقت ، بلا زعامة . ولم يكن أحد يعلم كيف ومتى يمكن الحصول على سكرتير عام جديد ؟ ومن يكون ؟ وكيف سيعالج مشكلة الكونغو ؟ وفى الوقت نفسه بدأت المصالح الاستعمارية الكامنة فى كاتنجا فى الاستعداد لمواجهة عسكرية كبيرة . وفى ليـوبولد فيل أصبحت القوة المناصرة للومومبا أكثر قوة .

لقد أيدت الولايات المتحدة ، مستر همرشـولد ، فى يولية عام ١٩٦٠ ، من أجل القيام بمهمة الامم المتحدة فى الكونغو . ولم يكن لدى المنظمة الدولية المتطلبات المادية أو الفكرية للقيام بهذه المهمة . وقد كان الجهاز العسكرى غير المنسق الذى أقامته الامم المتحدة عاجزا حتى أمام قوات كاتنجا ، وقد حرمت الحرب الباردة الامم المتحدة من أى هدف حازم فى الكونغو . ومع ذلك تحملت الولايات المتحدة ، عبئـا ماليا ضخما من أجل مهمة الامم المتحدة . وقد خسرت قدرا كبيرا من حسن النية فى افريقية . وبدا كشف الحساب ، فى النهاية ، فى صورة عزاء تافه اذا ما قيس بهـذا الثمن البـاهظ . ولم تكن الولايات المتحـدة عاجزة فقط عن ابعاد السوفييت عن الكونغو ، وانما دلت الظواهر على أن الاتحاد السـوفييتى سوف يكون لديه الكثير ليفعله مع حكومة الكونغو فى السنوات التـالية ، وحضر وفد كونغوى يتكون من أدولا وجيزنجا مؤتمر القمة فى بلجراد للدول غير المنحـازة ، وكانت خطب الزعيمين حملة شعواء على دور الدول الغربية فى بلدهما .

وفى الشهور التى تبعت وفاة همرشولد ، أخذت الولايات المتحدة تراقب بقلق متزايد موقف جيزنجا وأتباعه وهو يقوى ، والقوى المعتدلة وهى تتراجع الى الخلف ، واتسـعت الأزمة بين الحكومة المركزية وكاتنجا الى حد بدا فيه أن صداما مسلحا ، على نطاق واسع تقريبا ، سوف يقع لا محالة . واذا كان هناك من يفيد من مثل هذه الكارثة فهو الاتحاد السوفييتى .

وخلال ازمة الكونغو ، كرسـت حكومة كنيدى جهودها ، بعد أن واجهها التأثير العاطفى القوى الناتج عن الدعاية الشيوعية ، للقيام بالعمل

الاكثر أهمية الخاص بالتأثير العاطفى على الفكر الافريقى . ونظرا لأن معاداة الاستعمار أكبر سلاح سوفيتى لتغلغل الى عقول الافريقيين ، اتخذت حكومة الولايات المتحدة وقفة جديدة مفاجئة معادية للاستعمار .

وحينما اثيرت المشكلة الانجولية فى مجلس الامن من جانب وفد ليبيريا فى مارس عام ١٩٦١ ، ألقى ادلاى ستيفنسون خطبة — ينبغى أن نعتبرها من الوثائق الهامة عن سياسة الولايات المتحدة فى افريقية — فى النصف الأخير من القرن الحالى .

لقد ولت الايام التى كان يمكن للبرتغال أن تعتمد فيها على المساندة التى لا شك فيها من جانب حليفتها الكبرى أمريكا ، فقد تدفق طوفان كبير من قناطر العالم منذ أن وصف دالاس جوا جهارا بأنها اقليم برتغالى . وقد قضى ستيفنسون على الاسطورة القائلة بأن اقاليم البرتغال عبر البحار ليست الا جزءا لا يتجزأ من الدولة الموحدة، وطلب من الحكومة البرتغالية أن تقود المستعمرات الى الحكم الذاتى أو الاستقلال على مراحل . وصوت وفد الولايات المتحدة لمصلحة الاقتراح الليبيرى الذى يطالب البرتغال بادخال الاصلاحات فى انجولا ، واقترح ارسال بعثة لاستقصاء الحقائق فى المستعمرة . ولم يصوت أى واحد من أعضاء مجلس الامن ضد القرار ، ومع ذلك فان القرار لم ينجح من خلال فشله فى الحصول على سبعة أصوات مؤيدة . فقد حصل المشروع على ستة أصوات (الدول الآسيوية الثلاث ، والاتحاد السوفيتى ، وبولندا ، والولايات المتحدة) .

ومن الواضح أن المندوب الامريكى آلى على نفسه الا يمر القرار . (لابد انها — أى أمريكا — اقنعت المندوب « الصينى » بالامتناع عن التصويت !) . غير أن حقيقة التصويت الامريكى المؤيد ذاته ، تعتبر حادثة بارزة . وقد وافقت الجمعية العامة فيما بعد ، فى شهر ابريل على الاقتراح وبتأييد من أمريكا مرة ثانية . وحينما اجتمع المجلس الوزارى لمنظمة حلف شمال الاطلنطى فى أوسلو فى شهر مايو لم تنضم الولايات المتحدة الى كورس النقد الموجه ضد الاستعمار البرتغالى ، ولكنها ضغطت سرا على لشبونة من أجل تعديل سياستها الاستعمارية، وقدمت مساعدات اقتصادية لتعويض أية خسارة قد تحدث نتيجة لمنحها الاستقلال لانجولا . ولأول مرة أيضا صوتت الولايات المتحدة ضد التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ، وانضمت الى أغلبية الوفود فى المطالبة بادخال الاصلاحات السياسية فى مناطق جنوب غربى افريقية الخاضعة

للانتداب ، والتى ضمتها حكومة جنوب افريقية الى الاتحاد دون موافقة الأمم المتحدة .

وقبل أن توضع هذه الاعمال الجريئة والمستحبة موضع التنفيذ، تلقت حكومة الديمقراطيين من ثلاثة شيوخ (فرانك تشرشى نائب اداهو، وجيل مـاك جى نائب ديومنج ، وفرانك موسى نائب أوتـاه ، وجميعهم ديمقراطيون) نقدا صريحا ومخلصا للسياسة الامريكية فى افريقية وقد دعا هؤلاء الشـيوخ الذين قاموا بجولة فى سـت عشرة دولة افريقية فى شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٦٠ ، دعوا فى تقريرهم الى اعادة تقويم لسياسة أمريكا فى افريقية .

وقد نشر تقريرهم فى واشنطن فى شهر فبراير ، وانتقد التقرير سياسة الولايات المتحدة ، لانها تحاول « أن تلتزم بحذر طريقا وسـطا بين التعبير عن تعاطفها الفاتر نحو القومية الافريقية بطريقة لا تؤذى أحدا ، والتأييد الايجابى لحركة الاستقلال الذى تخشى أن يسـتعدى علينا ــ بلا مبرر ــ بعض حلفائنا فى منظمة حلف شمال الاطلنطى » ان السياسة الامريكية تجاه افريقية ، كما ظهرت فى الامم المتحدة ، تتجه الى استنفاد « رصيدنا من النية الحسنة ، والتفاهم فى افريقية »

ويقول التقرير : ان هذا ينطبق ، بصفة خاصة على « موقفنـا السياسى من الجزائر » .

وأشار الشيوخ الى أن امتناع أمريكا عن التصويت على الاقتراح الذى قدمته ثلاث وأربعون دولة حول مشكلة الاستعمار فى الامم المتحدة فى ١٤ من ديسمبر قد « ضاعف من حدة شكوك الافريقيين فى أن أمريكا ترفض أن تلتزم تصريحاتها الصادرة عن ايمان ، وأنها تضع علاقاتهـا الطيبة مع حلفائها الاوروبيين فوق مصالحها فى افريقية .

وقد لخص الشيوخ الثلاثة الذين يمثلون ثلاث لجان هامة من لجان الكونجرس ، والذين كان يصحبهم ــ خلال جزء من جولتهم فى افريقية ــ ادوارد كنيدى الاخ الاصغر للرئيس كنيدى ، لخصوا انطباعاتهم بالطريقة التالية :

« ان الانطباع الشامل السائد الذى خرجنا به من افريقية هـو أن الولايات المتحدة تواجه صراعا شاقا لاقناع الافريقيين بأن أمريـكا تعطف ــ بايجابية ــ على آمالهم فى الاستقلال ، واننا لانحاول توريطهم فى الحرب الباردة ، واننا نريد صداقتهم ، ولا أكثر من هذا »

وقد أشار تقرير الشيوخ الثلاثة الى نقطة ضعف أخرى فى فكرة الافريقيين عن أمريكا . فقد ذكر أن التفرقة العنصرية داخل الولايات

نفسها « قد تكون أحد الحواجز الطبيعية الهامة التى تقف أمام خلق تفاهم أفضل بين افريقية وهذه البلاد » وقال الشيوخ : « لقد ، بذلت جهود مستمرة من أجل توضيح الحقيقة ، تلك الحقيقة التى تقول : أن السياسة القومية الرسمية تعارض كلية أية تفرقة ، وان حكومتنا تبذل جهودا ضخمة كى تعجل بالعمل فى هذا المجال . وبقيت الحقيقة الاساسية وهى أنه حتى هؤلاء الافريقيين الذين يفهمون مشاكلنا ويحترمون جهودنا لا يملكون ، بطبيعة الحال ، الا أن يتأثروا عاطفيا للامثلة التى تنشر على نطاق واسع عن التعصب واعمال العنف العنصرية فى هذه البلاد ، وتزداد حدة رد الفعل هذا بوجه خاص ، حينما تلحق اهانة بدبلوماسى افريقى أو شخصية كبيرة زائرة » .

الفصل التاسع

السوفييت فى افريقية

نشر وولتر ليبمان ، عند عودته من الاتحاد السوفيتى فى نوفمبر عام ١٩٥٨ ، سلسلة من المقالات فى الصحافة الامريكية عن الشكل الجديد للصراع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وقد بذل مجهودا كبيرا فى الاشادة الى الكيفية التى انتشر بها الصراع فوق قارتى آسيا وافريقية ، وأشار ليبمــان ، الذى كان قد اجتمع بخروشوف وغيره من الشخصيات السوفيتية البارزة ، الى أن المسألة الاساسية القائمة بين الدولتين القويتين تنبع من الحقيقة الآتية : وهى أن الاتحاد السوفيتى ـ وبجانبه الآن الصين ـ قد قطعا شوطا كبيرا فى الفوز بزعامة آسيا وافريقية » .

والقوة الخفية المحركة لشكوك السوفيت فى الغرب هى « الاعتقـاد بأن الولايات المتحدة وحكومات الدول غير الشيوعية لن تدع روسيا والصين تستمران حتى النهاية فى الثورة التى تقودانها فى آسيا وافريقية ، الا اذا أرغمت على ذلك ، وهم يؤمنون فى قرارة انفسهم بأنه ستكون لهم الاسبقية فى افريقية وآسيا ، ولن يكون ذلك عن طريق الحرب ، وانما عن طريق تجنب أية حرب قد تدمر انجازاتهم الاقتصادية » ويشرح ليبمان الشكوك الامريكية المقابلة فيقول : انها تنبع « من الاعتقاد بأنه طالما حقق الاتحاد السوفيتى والصين الحمراء انتصارات فى مجال القوة العسكرية ، فانهما لا محالة سيستخدمون هـذه الانتصارات كأداة لسـياستهما التى ترمى الى تكملة سيطرتهما على آسيا وافريقية » وأنهى ليبمان كلامه بقوله : « لقد عدت الى الوطن وأنا مقتنع بأن المسألة الرئيسية الملحة هى التحدى الروسى والصينى من أجل زعامة آسيا وافريقية » (١)

وربما كان من أبرز مظاهر السياسة السوفيتية فيما يتعلق بافريقية أنها ظاهرة جديدة تماما ، وأنها هبطت على القارة الافريقية مثلما يهبط انهيار جليدى من مكان لا يعرف كنهه .

---

(١) « العالم الشيوعى وعالمنا » وولتر ليبمان ـ لندن ـ ١٩٥٩ .

فمن الواضح أن البلاشفة الذين اقاموا أول دولة اشتراكية عام ١٩١٧ على أنقاض روسيا القيصرية ، لم يكن لديهم الوقت ليفكروا فى افريقية على الاطلاق . فحينما كانوا يتحدثون عن الاستعمار ، فانهم كانوا يقصدون الشرق الادنى والهند والصين .

والواقع أن كارل ماركس نفسه لم يفكر ، على الاطلاق ، فى المشاكل الافريقية ، ولم تشر كتابات لينين عن الاستعمار الى افريقية الا لماما كما لم تشر جميع الدراسات المناهضة للاستعمار ، والتى كان يوزعها الكومنتيرن الا بطريقة عابرة الى افريقية . وقد أدت الحكومة الروسية الامبراطورية نفسها دورا صغيرا للغاية فى اندفاع أوروبا بالمناكب نحو افريقية بالرغم من أن « الحكومة القيصرية قد وافقت ، فى فترة ما ، على خطط ايطاليا فى شمالى افريقية ، ووعدت ايطاليا — فى مقابل ذلك — أن ترحب بسعى سانت بطرسبرج الجاهد نحو القسطنطينية » (١)

ولم يكن لدى ماكس بيلون فى دراسته الاكاديمية عن سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية ، مايقوله عن أى هجوم ايديولوجى أو سياسى من جانب الاتحاد السوفيتى لطرد الدول الاوروبية من افريقية أو لخلق نظرة ثورية بين الافريقيين حتى الثلاثينات .

غير أن الاتحاد السوفيتى عارض بقوة الغزو الايطالى للحبشة فى منتصف الثلاثينات . بيد أن الخطب التى ألقاها ليتفينوف فى عصبة الأمم كادت تخلو من أية جاذبية ايديولوجية للقومية الافريقية ، ومع ذلك كان النزاع الايطالى — الحبشى هو الذى بذر بذور سياسة الاتحاد السوفييتى المقبلة نحو افريقية لتترعرع بعد ذلك فى النصف الأخير من القرن ، وكان الاتحاد السوفيتى مهتما بالسلام فى أوروبا ، ذلك السلام الذى كان يعتمد عليه سلام العالم . كما أدرك أن تشجيع السياسة العدوانية فى ايطاليا سوف يؤدى — فيما بعد — الى تعويض سلام وأمن أوروبا نفسها للخطر . غير أنه برفعه راية مناهضة الاستعمار عالية فى افريقية ، كان يهدف بالفعل الى كسب الولاء العاطفى لهذه الانسانية السوداء المعذبة التى لم تتبلور بعد من الناحية السياسية .

ويقول مستر بيلوف وهو يعرض لموقف الاتحاد السوفيتى من النزاع الايطالى — الحبشى : « الواقع » أن الاتحاد السوفيتى كان الدولة الوحيدة — من بين دول العصبة الرئيسية — التى لم تهتم بالشئون الافريقية بطريقة مباشرة ، وكان له اهتمام ثانوى بمنطقة الأزمة فى البحر المتوسط ، ولكن كانت هناك عوامل أخرى ينبغى أن نضعها فى الاعتبار ، بالاضافة الى رغبة

---

(١) « السوفييت في حقل الشئون العالمية » بقلم لويس فيشر — المجلد الثانى ص ٨٢٧ .

السوفيت العامة فى دعم العصبة ، فقد كان من الضرورى ان يلتزم اتجاها يمكن تبريره على أساس مناهضته للاستعمار ، وهو اتجاه لا يستطيع أن يتركه الاتحاد السوفيتى جهارا .

ومن ناحية أخرى كان الاتحاد السوفيتى يرتبط بايطاليا بمعاهدة عدم اعتداء وقعت فى الثانى من سبتمبر عام ١٩٣٣ ولم يكن يرغب ــ شأنه فى ذلك شأن فرنسا ــ فى أن يلمس تردد ايطاليا فى السياسة الخارجية يتحول فى النهاية الى انضمام الى الكتلة الالمانية التى تدين بمذهب اعادة النظر » (١) .

وقد قال ليتفينوف نفسه، فى احدى خطبه «أن الاتحاد السوفيتى لم يكن مهتما بطريقة مباشرة بالنزاع الافريقى ، ولم يكن هدفه أن يؤثر على الشعوب المستعمرة بوقفة الاتحاد السوفيتى المناهضة للاستعمار، قدر ما كان تذكيرا للدول الاستعمارية بأن هذا الاندفاع الجديد بالمناكب نحو المستعمرات فى افريقية وفى الشرق الاقصى ، قد يضع العالم ــ اذا لم تقم العصبة بردعه ــ بين براثن كارثة أخرى » . وقد فشلت جهود ليتفينوف ، كما نعرف جميعا ، وراقب المجتمع الدولى ــ عاجزا ــ اغتصاب ايطاليا للحبشة .

وقد أكد مولوتوف ، الذى كان وزيرا للخارجية فى ذلك الحين ، أن جهود السوفيت كانت ذات مضمون مناهض للاستعمار .

وقد أراد بذلك أن ينفى صفة العقم عن هذه الجهود ، وفصل ذلك فى تقرير رسمى عام ١٩٣٦ ، وبقيامه بهذا العمل وضع ، فى خطوط واضحة ، أسس السياسة الافريقية المستقبلة التى صاغها الكرملين بعد ذلك بحوالى عشرين عاما .

وفى خطبة ألقاها فى ١١ من يناير عام ١٩٣٦ شرح الموقف السوفيتى من المسأله الحبشية ، قال فيها : « كان الاتحاد السوفيتى فى اثناء الحرب الايطالية الحبشية الدولة الوحيدة التى اتخذت موقفا مغايرا من حيث المبدأ ، وهو مبدأ يناوىء أية فكرة للاستعمار، ويخلو من كل نية للغزو الاستعمارى ، لقد كان الاتحاد السوفيتى هو الوحيد الذى أعلن جهارا أنه يأخذ كنقطة بداية بمبدأ المساواة واستقلال الحبشة التى تتمتع بالعضوية فى عصبة الامم ، وان الاتحاد السوفيتى لايمكن ان يساند أى عمل للعصبة أو لاية دولة رأسمالية يقصد به تحطيم هذا الاستقلال وهذه المساواة » .

---

(١) « سياسة روسيا السوفيتية الخارجية » ماكس بيلوف ــ المجلد الاول ــ لندن ــ ص ١٩٦ ــ ٢٠٠ .

وهكذا نجد أن أزمة الحبشة كانت من المعالم الهامة فى سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه افريقية ، فقد جعلت الكرملين يعالج لأول مرة مشكلة افريقية ، وبرغم أن اهتمامه كان ما يزال محصورا أساسا فى أوروبا . فاننا نرى الحكومة السوفيتية تخطو خطوة أولية فى افريقية . وكان السوفيت ينظرون ، بالفعل ، الى كفاح الحبشة على أنه « حرب ثورية لشعب متخلف شبه مستعمر من أجل الحصول على حريته الوطنية» وعلى هذا الاساس يثير اهتمام البروليتاريا الدولية (١) .

غير ان الحرب العالمية الثانية قد جعلت الاتحاد السوفيتى ، مثلما جعلت الولايات المتحدة ، على اتصال أوثق بالوضع فى افريقية ، وخاصة فى شمالى افريقية . وقد أفسح انشاء الامم المتحدة ، بعد الحرب ، مجالا أمام الاتحاد السوفيتى كى يعود مرة ثانية كمدافع عن الشعوب المستعمرة ، وكانت الخطب التى ألقاها المندوبون السوفيت فى دومبارتون أوكس، وسان فرانسيسكو، تحتوى على اشارات متكررة الى افريقية. وقد هاجم الاتحاد السوفيتى الدول الأوروبيه ، فى لجنة الوصاية ، بسبب اخفاق النظم الاستعمارية . وكان الاستنكار الشديد للنظم الاستعمارية الافريقية مصحوبا بدراسة أكاديمية جادة ودقيقة للمشاكل الافريقية .

وقام الحكام السوفيت بدقتهم المعهودة بفتح أقسام للدراسة الأفريقية فى الجامعات المختلفة وبتشجيع المرشحين للعمل فى السلك الدبلوماسى بتعلم اللغات الافريقية، والعادات والتقاليد وتاريخ القوميات الافريقية المختلفة ؛ وبانشاء معاهد بحث عدة خاصة بأفريقية . وقد أثار المتحدثون السوفيت ، فى مجلس الوصاية ولجنتها ، دهشة زملائهم الغربيين بتفهمهم الذى يثير الدهشة للأوضاع الافريقية ، وبالمامهم التام للاحصائيات الخاصة بافريقية .

وفى منتصف القرن تركت أعمال السوفيت فى لجنة الوصاية ، وموقف السوفيت من المسائل الافريقية المختلفة التى كانت تعرض على الجمعية العامة للامم المتحدة — تركت أثرا عميقا على الرأى العام الافريقى، وقد أخبر (الامير) عبد الكريم الخطابى الزعيم المغربى الاسطورى الذى كان قد ثار على الفرنسيين فى أوائل العشرينات أخبر مستر فينسنت شين عام ١٩٥١ أن «الشعوب المستعمرة والمظلومة تجد الآن أن الاتحاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة التى تعلن عن اعتقادها فى قدرتها على الوقوف على أقدامها» (٢) .

---

(١) الحرب والسلام في الدبلوماسية السوفيتية » بقلم تاراقوذيو ص ١٩٧ — ٢٠٤، ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٢) فينسنت شين في « فيرجينيا كوارترلى ريفيو » عدد الشتاء عام ١٩٥١ .

وفى الوقت الذى بدأ فيه عرض المشاكل الافريقية ، واحدة بعد الاخرى ، على الامم المتحدة ظهرت سياسة جديدة للاتحاد السوفيتى نحو افريقية. ففى البداية بينما كان الاتحاد السوفيتى يؤيد الاستقلال الافريقى ، ويلح فى المطالبة بانسحاب الحكم الاستعمارى ، كان يمتنع عامة عن التنديد الكامل بالغرب ، وعن تشجيع الشعوب على التمرد ، كما أن الاتحاد السوفيتى لم يكن مستعدا للدخول الى مسرح الاحداث الافريقى نفسه ، فقد كان واضعو السياسة السوفيتية فى عهد ستالين يرتابون فى زعماء آسيا وافريقية « البورجوازيين » ، وكانوا يكنون قليلا من العطف نحو ناصر أو توبمان أو هيلاسلاسى أو ملك المغرب وكانوا يتجهون نحو ظاهرة مجهولة تدعى بالشعوب الافريقية ، وحاولوا أن يتجاهلوا الزعماء الجدد ، وكانت السياسة السوفيتية ماتزال تبحث بلا جدوى عن بروليتاريا أفريقية ، ولم تخطب ود القومية الافريقية .

وقد جاء أول خروج عن هذه السياسة بعد مؤتمر باندونج الذى اشترك فيه عدد من الوفود الافريقية ، كى يبشروا بمولد افريقية الجديدة . وقد اكتشف الاتحاد السوفيتى ، والصين ، التى كان يمثلها فى باندونج رئيس وزرائها شواين لاى بنفسه ، فى هؤلاء الشبان الغاضبين تربة خصبة لدعايتهما التى تدعو الى الشعب . وخضعت الاستراتيجية الشيوعية المتعلقة بافريقية لعملية اعادة تقويم سريع فى كل من موسكو وبكين . ومع ذلك استطاع جون جنتر أن يكتشف ، فى عام ١٩٥٦ ، قدرا ضئيلا من النفوذ السوفيتى الفعلى فى داخل افريقية ، وان كان قد حذر أن هذا النفوذ قد يزداد فى السنوات التالية ، وقال : « ان افريقية لا تحتل مركز الاولوية لدى السوفيت فى هذه اللحظة » .. ولكنه أسرع ليقول : « ولكنها قد تصبح فى ذلك المركز فيما بعد » .

وفى الفصل الاخير من كتابه « فى داخل افريقية » لخص جنتر المشكلة الشيوعية فى افريقية، فقال : « انه لا توجد للاتحاد السوفيتى سفارة رسمية او قنصلية فى اى مكان فى شمالى افريقية أو على انساحل الغربى . وكانت القاهرة ، واديس أبابا ، وبريتوريا ، هى البقاع الوحيدة من دون أنحاء افريقية التى تحتفظ فيها روسيا بمراكز دبلوماسية ، كما لايوجد اى حزب شيوعى صريح ذو وزن فى أى مكان فى افريقية باستثناء الجزائر (وتم حل الحزب بعد استقلال الجزائر) وتونس وافريقية الغربية الفرنسية » .

واعتقد جنتر أن الاتحاد السوفيتى يترقب حصول الدول الافريقية على استقلالها الوطنى قبل أن يضع موضع التنفيذ برنامجا افريقيا تكون له الأولوية ، غير انه لاحظ ان هناك ، فى معظم أجزاء افريقية ، دلائل كثيرة تشير الى وجود نفوذ شيوعى ، فالحزب الشيوعى الفرنسى

القوى يمارس بعض السيطرة على سكان الاقاليم الافريقية الفرنسية ، وكان هناك على الاقل . زعيم افريقي بارز واحد هو جومو كينياتا فى زيارة لموسكو ، وكانت الاذاعات السوفيتية تسمع فى بعض أجزاء افريقية، وكان رجال الدعاية السوفيتية يلقنون الطلبة الافريقيين فى لندن وباريس وبعض المدن الاوروبية الاخرى تعاليمهم .

وأخيرا كانت هناك الامم المتحدة التى قدمت الى الاتحاد السوفيتى منصة جاهزة لكى تفضح من فوقها شرور الاستعمار ، ويمنح تأييده الكامل شكايات الافريقيين .

ولاحظ جنتر « شعورا ايجابيا بين كثير من الافريقيين ، وخاصة بين الشباب منهم » بأن روسيا والصين الشيوعية قد تفوزان فى الصراع العالمى من أجل النفوذ وهما « يريدان أن يكونا فى الجانب الفائز » .

ومن بين العوامل التى لاحظ جنتر أنها تعمل ضد التغلغل الايديولوجى السوفيتى فى افريقية صغر حجم البروليتاريا الافريقية التى تكمن فيها بعض فضائل « الشيوعية البدائية » ووجود الاسلام ، وأخيرا ــ وهو أمر يثير السخرية ــ نظم الحكم القوية لبلجيكا ، والبرتغال ، وبيض جنوب افريقية حيث « لاتتاح للشيوعية فرصة كبيرة فى أن تصبح قوة فعالة لان السلطات لديها السيطرة الكاملة لاخمادها » .

وفى الوقت الذى كان فيه واضعو السياسة الغربية ورجال الصحافة يزنون الاحتمالات الايجابية والسلبية لأى « وصول » شيوعى الى افريقية ، كان هناك ــ فى الاتحاد السوفيتى نفسه ــ برنامج شامل من اجل افريقية ، من الناحية الايديولوجية والاستراتيجية ،يوضع فى الفترة بين ١٩٥٤ ــ ١٩٦٠ . وكانت المقالات الايديولوجية عن افريقية المنشورة فى المجلات السوفيتية المتخصصة ، تحمل تشابها وثيقا مع مقالات كتبت منذ سنوات مضت عن آسيا المستعمرة . وقد وجد الكتاب السوفيت ان الشكل التقليدى من الاستعمار مازال سائدا فى افريقية ، تسانده الولايات المتحدة التى دأبت على استغلال أفريقية بطريقة استعمارية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها . وفى الوقت نفسه ارجعوا الفضل فى تحرير المستعمرات الافريقية وظهورها كدول مستقلة الى نجاح المعسكر الاشتراكى وقوته المتزايدة .

وفى عام ١٩٦٠ نشر بحث مطول عن افريقية بقلم ك . ايفانوف فى المجلة السوفيتية الشهرية « الشئون الدولية » . ويعتبر البحث مفتاحا مفيدا للرأى السوفييتى فى المسائل الافريقية وقال ايفانوف :

« ان الاستعمار الحديث ذا الاشكال التقليدية مازال قائما فى افريقية أساسا حيث مايزال ١٥٠ مليون نسمة « تكبلهم أصفاد الاستعمار » .

وقد رسم صورة قاتمة للغزو الاوروبى للاقاليم الافريقية ، ولدعم الحكم الاوروبى القائم ، واعتبر الاصلاحات التى حاولتها الدول الاستعمارية أعمـــالا سخيفة لا تهـــدف الا الى « خلق صـــمام أمان تتجنب به الانفجار » .

وحاول ايفانوف أن يظهر ـ معتمدا على قدر هائل من الاحصائيات ـ قبضة رأس المال الاوروبى والامريكى « الشبيهة بقبضة الأخطبوط » على اقتصاد المناطق الافريقية . وأظهر كيف أن الدول الاوروبية قد رعت بعناية النظم والقيم القبلية كسد يحول دون اندفاع القوى والاقطار الثورية . وقد أدت سيطرة رأس المال الاروبى والامريكى الاحتكارية على الاسواق والاقتصاديات الافريقية أدت الى انهيار الشعوب الافريقية الى حالة من الفقر التام ، بل وانكرت على هذه الشعوب الحقوق الانسانية والسياسية الرئيسية .

وثمة تطور جديد اهتم ايفانوف بابرازه وهو «الاستعمار الجماعى» الذى يحل ، بسرعة كبيرة ، محل الحكم الاستعمارى الفردى فى أجزاء كبيرة من القارة .

« وينبغى علينا أن نلاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية اضطرت الدول الاستعمارية القديمة ، تحت ضغط الولايات المتحدة ، ومن بعدها ألمانيا الغربية ، الى أن تزيل الى حد كبير ـ الحواجز التى منحتها مركزا احتكاريا فى المستعمرات ، وأن تسمح بدخول الاحتكارات الامريكية وغيرها من الاحتكارات وكذلك بضائع هذه الدول ، وقد منحت السوق المشتركة الخاصة بالدول الاوروبية الغربية ، على وجه الخصـــوص ، منحت الاحتكاريين من ألمانيا الغربية فرصا كبيرة فى هذا المجال . وتشير جميع الدلائل الى أن افريقية السوداء تأخذ بشكل متزايد صـورة معقـــل الاستعمار الجماعى الذى تفرضه الدول الاســـتعمارية التى دابت احتكاراتها الضخمة على استغلال السكان ، واستغلال ثروة افريقيـــة الطبيعية ، تحرسها أسنة رماح الدولة الاستعمارية التى تحكم هذا البلد المستعمر » .

وتعكس قضية ايفانوف التغير الهام الذى طرأ بالفعـــل على السياسة الســـوفيتية فى موقفها من الزعامة البورجوازية فى البلاد الآســـيوية ـ الافريقية ، فبدلا من الفكرة الســـائدة قبل فترة مؤتمر باندونج ، أصبح هناك اعتراف بالدور التقدمى الذى تؤديه الزعامة البورجوازية الوطنية ، برغم الادعاء بأن جزءا من الفضل فى تحويل المستعمرات الى دول مستقلة ، وفى التقهقر العام للاستعمار كان يعزى الى التغير الاساسى فى العلاقات بين الدول الكبرى ، والى ظهور الكتلة الاشتراكية .

« ان حروب التحرير الوطنية المناهضة للاستعمار ، والتى تشنها الشعوب ، انما تتم فى ظل التأثير العظيم للنظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، والنظام الاشتراكى فى الديمقراطيات الشعبية ، كما تتم أيضا بتأثير من النجاح الذى أحرزته الاقطار المتحررة فى آسيا والشرق العربى ، وهى تهز الآن الاسس التى يقوم عليها النظام الاستعمارى العتيق فى البلاد الافريقية جنوب الصحراء أيضا ، وماتزال الاحتكارات الضخمة تجرف أرباحا ضخمة هناك ، غير أنها تتعرض فى هذا السبيل لمزيد من المتاعب ، ويجد المستعمرون أنفسهم ، بمرور الوقت ، يعيشون فى عزلة داخل الامم المتحدة ، وذلك حين تتم مناقشة المشاكل الاستعمارية » .

وأراد ايفانوف أن يوضح لمصلحة الزعماء الافريقيين فيما يبدو أن الاستقلال السياسى لن ينهى مشكلتهم الحقيقية الخاصة ببناء افريقية الجديدة ، وانما سيبدؤها فقط ، فقد يبقى رد الفعل قويا حتى بعد الاستقلال ، وقد تأتى معارضة الاجراءات المتطرفة من جانب المصالح الافريقية الراسخة ، وهى فى أغلب الاحيان مصالح قبلية ، بل قد يظهر اتحاد بين المصالح الاقطاعية المحلية والقوى الاستعمارية المتقهقرة « كثيرا ما ترتبط مصالح الغالبية العظمى من النبلاء الاقطاعيين والقبليين بمصالح الاستعماريين ، وبطريقة وثيقة » . ويجد الاتحاد السوفيتى دلائل التقدم المشجعة فى أية منطقة تتخذ فيها خطوات فعالة لازالة هذه المصالح الاقطاعية والقبلية ، مثلما حدث فى جمهورية غينيا .

وانتهى بحث ايفانوف بهجوم عنيف على جهود الحكومات الاوروبية والامريكية والمصالح التجارية الرامية الى انعاش الاقتصاد الافريقى عن طريق انشاء الصناعات واصلاح نظم الزراعة ، وذكر الوطنيين الافريقيين بالاخطار الكامنة فى عروض الغرب الخاصة بالمساعدات الاقتصادية ، وقال محذرا ان الرأسمالية الغربية تحاول استمالة البورجوازية الافريقية عن طريق عرضها بالمشاركة فى المشروعات الاقتصادية بالجزء الاكبر . ولكن ايفانوف أشار باصرار الى ان « الطبقة البورجوازية ، على وجه العموم ، فى البلاد الافريقية ، وخاصة جنوب الصحراء ، أضعف بكثير منها فى الاقطار الآسيوية المتقدمة أو الجمهورية العربية المتحدة ، على حين نجدها معدومة كلية تقريبا فى غينيا » (١)

ومع ذلك ما تزال دلائل التغلغل السوفيتى فى افريقية بسيطة للغاية ، ولم تنظر الصحافة الامريكية ، بسبب انهماكها المفرط فى الحرب

---

(١) « الاستعمار المعاصر » بقلم ك . ايفانوف ـ مجلة (الشئون الدولية) ـ موسكو ـ فبراير ويونيه عام ١٩٦٠ .

الباردة ، لم تنظر الى الاتحاد السوفيتى حتى عام ١٩٦٠ على أنه اكثر من مجرد منافس قد يصبح قويا فى القارة الافريقية .

وفى عام ١٩٥٤ زود الاتحاد السوفيتى مصر بالاسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا ، ولكن بالرغم من أن مصر تنتمى الى افريقية ، من الناحية الطبيعية ،فان هدف الكرملين المباشر كان يرمى الى التأثير على مجرى الاحداث فى غربى آسيا ، ومنحت أزمة السويس (عام ١٩٥٦) السوفيت فرصة ضخمة لكى يرتدوا مسوح المنافح عن حقوق البلاد العربية ، وقد تم دعم الثمار السياسية الضخمة التى جناها الاتحاد السوفيتى من حادثة السويس فى السنوات التالية ، عن طريق تقديم معونات اقتصادية ضخمة لمصر وسورية والعراق ، وغيرها من الدول العربية .

ولا شك أن المساعدات الاقتصادية التى قدمت لمصر ، قد اكسبت السوفيت تأثيرا كبيرا على العقليات الافريقية ، وخاصة أن هذه المساعدات قد قدمت دون أية ارتباطات سياسية واضحة ، وبشروط لا يمكن أن تفكر فيها أية حكومة غربية ، فما بالك بالاجهزة الخاصة ، كما قدمت المعونة من أجل مشروعات رفضها الغرب لانها طموح اكثر من اللازم .

وكان الانتقال من مصر الى شمالى افريقية بمثابة تقدم طبيعى ، ففى يونية عام ١٩٥٦ ، اعترف الاتحاد السوفيتى بسيادة تونس والمغرب ، وعرض تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما ولكن العلاقات الدبلوماسية مع المغرب تمت بعد ذلك بعامين ، وذلك فى اغسطس عام ١٩٥٨ ، وفى ابريل عام ١٩٥٦ قدم الاتحاد السوفيتى عرضا بالمعونة الاقتصادية الى ليبيا ، وهو العرض الذى رفضه مصطفى بن أحمد رئيس الوزراء(١) .

ولكن هذا الرفض لم يأت قبل أن يتمكن من الحصول لبلاده على مساعدات اقتصادية ، ومساعدات أخرى متزايدة من الحكومة الامريكية . وحدث قبل ذلك فى يناير عام ١٩٥٦ ، أن قام وفد سوفييتى كبير بزيادة مرنروفيا عاصمة ليبيريا لحضور حفل تنصيب الرئيس توبمان رئيسا للجمهورية . وقد أجرى الوفد محادثات مع الرئيس توبمان . وفى موسكو فى الاول من فبراير صرح مستر فولجوف رئيس الوفد انه بالرغم من عدم اجراء أية مفاوضات بشأن المعونة التجارية أو الفنية ، فان الاتحاد السوفيتى يعتقد أن انشاء العلاقات الدبلوماسية العادية سوف يتيح الفرص لامكان الوصول الى اتفاق حول

(١) التسمية الصحيحة هى : مصطفى بن حليم (المترجم .

اشكال العلاقات الاخرى ،وتشمل المعونة الفنية ، والعلاقات التجارية والثقافية .

وفى يناير عام ١٩٥٨ تم الوصول الى اتفاقية مع غانا لانشاء علاقات دبلوماسية ، وفى أبريل تم توقيع اتفاق تجارى مع المغرب جعل الاتحاد السوفيتى يتمتع بمركز الدولة الاثيرة للغاية . وفى فبراير عام ١٩٥٩ قام وفد سوفيتى بزيارة غينيا ووقع اتفاقا تجاريا معها . وفى صيف العام نفسه قام الامبراطور هيلاسلاسى بزيارة رسمية استغرقت أسبوعين للاتحاد السوفيتى ، أجرى فيها محادثات طويلة مع الزعماء السوفيت ووقع على اتفاقية بالمعونة التجارية والفنية وبين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٠ قدمت عروض المعونة الاقتصادية والفنية الى غانا ، وجدد العرض المقدم الى ليبيا .

ولم تكن المساعدات الاقتصـــادية الحقيقية التى قدمت أو تم الوعد بتقديمها بالمساعدات الضخمة ،وذلك حتى منتصف عام ١٩٥٨ ، بالرغم من أن مقارنتها بالمعونة الاقتصادية الامريكية ستكون فى مصلحتها فقد منح الاتحاد السوفيتى غينيا معونة قدرها ٤٢ مليون دولار يقابلها مليونا دولار من أمريكا ، وتلقت أثيوبيا ١١٢ مليون دولار يقابلها ٥٧ مليون دولار من الولايات المتحدة .

وبينما كانت المساعدات العسكرية التى قدمت لمصر تصل الى الى ٣١٥ مليون دولار وصلت المعونة الاقتصادية لها الى مايزيد على ٧٠٠ مليون دولار ، وبوعد بتقديم المزيد ، وأرسل الى غانا من يجس النبض ويعلن عن استعداد الحكومة السوفيتية للتفكير الجدى فى مســـاعدة دكتور نكروما على اقامة مشروع الفولتا الضخم المتعدد الاغراض . وكانت السياسية السوفيتية تتركز فى افريقية مثلما تركزت فى آسيا ، حول عدد من الدول الرئيسية ، وبخاصة مصر وأثيوبيا وغينيا وغانا والكونغو ، اذا أمكن . وفى الوقت نفسه ازدادت الدعاية الموجهة الى افريقية ، وبحلول منتصف عام ١٩٦٠ كان راديو موسكو يذيع اثنتين وثلاثين ساعة من البرامج يوميا الى افريقية مقابل ٨٠ ساعة الى جنوب شرقى آسيا و ١١٩ ساعة الى شرقى آسيا و ١٩٨ ساعة الى الشرق الاوسط .

وأتاحت الازمة فى الكونغو ،فى يولية عام ١٩٦١ ، للاتحاد السوفيتى فرصة كبيرة أخرى لكى يكسب أصدقاء . ويؤثر على الشعوب فى افريقية فقد وجد الاتحاد السوفيتى تشابها فى الظروف بين أزمة السويس عام ١٩٥٦ ؛ وأزمة الكونغو عام ١٩٦٠ ، ففى كلتا الحالتين كان الاستعمار يريد أن يجرب العودة ثانية عن طريق الباب الخلفى ، وعن طـــريق استخدام وسائل الحرب ضد شعب ضعيف ، غير مستعد ، شـــعب

يتوق الى المحافظة على استقلاله . ونظر الاتحاد السوفييتى الىالكونغو على أنه ضحية « الاستعمار الجماعى » الذى تتزعمه الولايات المتحدة ، أما اذا تبنت الولايات المتحدة ، من ناحية أخرى طريقا قد يمهد السبيل بأية وسيلة — أمام عودة الاستعمار ، أو يتغاضى عن هذه العودة . أو يفتح الطريق أمام المصالح الامريكية ، فان الاتحاد السوفيتى لن يتردد فى اتخاذ أى اجراء بمفرده ، خارج الامم المتحدة ، على شريطة أن يحظى هذا الاجراء بموافقة الحكومة الوطنية ، وبشريطة أن ترضى عنه .

وفى مصر أطلق الاتحاد السوفيتى تهديدا مستترا باستخدام الصواريخ للانتقام من البريطانيين والفرنسيين ، ان لم ينهوا عدوانهم فى الحال ، وقد أطلق هذا التهديد بمفرده ، خارج الامم المتحدة ،وفى الكونغو بدأت الحكومة السوفيتية بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الى الحكومة المركزية برياسة لومومبا على أساس أن الامم المتحدة كانت تنتهج سياسة تهدئة الدول الاستعمارية ، وقد فشلت السياسة السوفيتية بسبب نجاح الانقلاب العسكرى الذى قام به كولونيل موبوتو قائد الجيش ، بمساعدة العناصر الموالية للغرب ، وبتشجيع سافر من الدول الغربية ، ومن بين الاجراءات الاولى التى أقدم عليها كولونيل موبوتو طرد البعثات السوفيتية والتشيكوسلوفاكية من ليوبولدفيل . وحينما أحبطت خططهم فى الكونغو ، نقل السوفيت الحرب الى الامم المتحدة حيث هاجم خروشوف بنفسه همرشولد السكرتير العام ، بسبب اتباعه سياسة « مؤيدة للاستعمار » فى الكونغو . وكانت غالبية الدول الآسيوية — الافريقية نفسها توجه انتقادا كبيرا للطريقة التى حاولت بها الامم المتحدة معالجة شئون الكونغو ، وبرغم أنهم لم ينضموا الى خروشوف فى تشهيره بهمرشولد ، فانهم أوضحوا أنهم يتوقعون من السكرتير العام أن يبدأ بداية جديدة .

وكان الموقف السوفيتى فى الكونغو ، من ناحية النقاط الاساسية ، متشابها فى خطوطه العريضة مع الموقف الافرو — آسيوى .

والواقع أن الاتحاد السوفيتى وضع سياسته نحو الكونغو بغرض واضح يهدف الى التقرب من العقلية الافرو — آسيوية .

لذا لم يكن من الصعب على الاطلاق أن يساند الاتحاد السوفيتى أى اجراء تقترحه الكتلة الافرو — آسيوية لحل أزمة الكونغو . غير أن هذه الاجراءات كانت تقصر بكثير عن الطريقة التى كان من الممكن أن يطبقها الاتحاد السوفيتى فى الكونغو لو ترك وشأنه ، أما هذه الآجراءات فكانت بالنسبة له حلا وسطا . وقد ساند السوفيت الاقتراح الافرو — آسيوى باعادة احياء برلمان الكونغو ويجعل الوفد الممثل لأومومبا يحتل مقعد الكونغو فى الجمعية العامة للامم المتحدة ، لضمان الانسحاب الكامل

للموظفين البلجيكيين ، بما فى ذلك من العدد الضخم من البلجيكيين الذين يعملون فى كاتنجا ، وفى الاقاليم الاخرى ، مختفين تحت ستار المستشارين والاداريين والفنيين .

وحينما رفضت قيادة الامم المتحدة فى الكونغو الاعتراف بالنظام العسكرى الذى يرأسه كولونيل موبوتو ، ورفضت وزارة الخارجية الامريكية تقرير نوفمبر الذى وضعه مستر دايال ممثل الامم المتحدة فى الكونغو ، بسبب نقده للدور الذى يؤديه البلجيكيون ، كان من الواضح أن الاتحاد السوفيتى سعيد من جراء ذلك وان كان قد لزم الصمت .

وهكذا نجح السوفيت دون انفاق دولار واحد ، ودون اراقة قطرة دم واحدة فى جنى محصول سياسى وافر من أزمة الكونغو .

وفى الوقت الذى جاهد فيه ساسة الغرب وصحافيوه فى اظهار كيف أن الخطط السوفيتية قد « فشلت » فى مجالات عدة ، كشفوا بذلك عن احساسهم بالارتياح لان الكرملين لم يحرز المزيد .

ومن بين الاهداف الرئيسية لقرار خروشوف حضوره الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة التأثير على الدول الافريقية الحديثة الاستقلال التى ظهرت كأكبر كتلة فى الامم المتحدة وبخلاف مما كان يحدث فى الفترة السابقة عام ١٩٥٥ ، أصبح الاتحاد السوفيتى يعرض الاعتراف السياسى على كل دولة افريقية حديثة الاستقلال فى عام ١٩٦٠ فى صبيحة يوم الاستقلال تقريبا ، وفى نيويورك لم يكتف خروشوف برفع راية افريقية الحرة عالية ، وانما كانت حماسته وغيرته تحير احيانا الوفود الافريقية ، بل وتخيفهم . ولم يكتف بهذا ، وانما بذل ما فى وسعه لاقامة علاقات شخصية مع زعماء الدول الافريقية الحديثة . واذ طلب رسميا من على منصة الجمعية العامة منح الاستقلال السريع لجميع الاقاليم المستعمرة ، ابرز دور الاتحاد السوفيتى كأكبر مدافع — لا تلين له قناة — عن حرية وسيادة جميع الشعوب ، وأرغم الجمعية العامة تقريبا على تبنى قرار افرو-آسيوى حول هذا الموضوع . وقد حسبت هذه الجهود الدبلوماسية ، التى ظهرت أمام أعين الدول الغربية ، على انها مجرد أعمال تفاخرية تؤثر — كثيرا — على العقلية الافريقية .

وفى ١٢ من اكتوبر عام ١٩٦٠ ، أقام خروشوف مأدبة عشاء فى نيويورك تكريما لوفود عدد من الدول الافريقية الحديثة وقبرص التى كانت تصوت دائما تقريبا الى جانب الدول الغربية فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة . وقد حضر المأدبة رؤساء وفود نيجيريا ، والكاميرون ، وداهومى ، وفولتا العليا ، وقبرص ، ورؤساء وفود توجو ، وساحل العاج ، وجمهورية مالاجاس ، والصومال ، كما حضرت وفود تشاد ،

ومالى والسنغال . وكان الخطاب الذى القاه مستر س . أوكالا وزير خارجية الكاميرون صورة للاثر الذى تركه الاتحاد السوفيتى فى اذهان الافريقيين :

« حينما نعود الى أوطاننا سوف نتذكر ، لفترة طويلة ، كيف جلسنا هنا الى جانبكم ، ونتذكر سلوككم البسيط ، وشعوركم الودى . ان ذلك يبدو كحكاية خيالية . فالآخرون يعتبروننا أطفالا ، غير أن الذى يتمتع بموهبة الخطابة لم يعد طفلا ، كما أن البالغين ليسوا بالغين على الدوام ، والاطفال لايظلون أطفالا دائما » .

« اننا نشكركم على جهودكم فى سبيل تأييد حريتنا ، واننا نعلم فى أواسط افريقية أنه لولا الاتحاد السوفيتى لفقدنا ايماننا حتى فى الله . واذا كنا قد منحنا الاستقلال فى أثناء وجودنا على ظهر الارض ، فانه لم يكن بنية خالصة . لقد كان يتعين علينا أن نستبدل بعبوديتنا السابقة الاستعمار الاقتصادى الحديث . اننى لست شيوعيا ، ولكننى لا أهتم ان كان العمل يتم بالشيوعيين أو لا ، انما الذى يهمنى هو نوع العمل نفسه ، وان جوهر جهودكم لمن الأمور القيمة للغاية » .

« وأود أن أذكر مثلا من أمثلتنا ان العرفان بالجميل لا يأتى من القلب ، انما من المعدة . فاذا حدث فى هذه اللحظة انه حينما يمنح بلد ما الاستقلال ، وتدبر الخطط من أجل بث الفوضى فيه ، فان هذا العمل لا يمكن أن يثير العرفان بالجميل . ان علاقتنا معكم هى علاقة الند للند ، دون أى اعتبارات أنانية أو دوافع آخرى . وقد اثبتم أن القوى يستطيع أن يساعد الضعيف باخلاص » .

« لقد شعرنا بحزن ممض ، ولو كان حكمنا على البيض على ضوء المعاملة التى مارسها طغاتهم ، لكنا فقدنا الايمان فى البيض . ان لدينا قولا مأثورا يقول : ان الرجل الذى تصيبه عضة ثعبان مرة واحدة ، يأخذ حتى قطعة الدوبار الملقاة فى الطريق على أنها ثعبان . ولكننا احتفظنا بتجاوبنا مع الذين يدافعون عن افريقية وأنتم تدافعون عن افريقية ، ولذلك سيكون النجاح حليفكم ، وسيكون ملايين من الناس فى صفكم . أما ذلك الذى يعتمد على القوة ، فسيخسر فى النهاية ، ولا تنسوا أن افريقية تقف بين الكتلتين » .

واذا ما ألقينا نظرة طويلة على المسرح الافريقى ، وجدنا أن بعض العوامل قد ظهرت ، ويبدو انها اكثر ملاءمة للاتحاد السوفيتى منها للكتلة الغربية .

فان جميع الشعوب الافريقية ، بسبب ماضيها فى الاستعمار . تكن شكوكا عميقة نحو أوروبا ، والولايات المتحدة مرتبطة ارتباطا

اقتصاديا وعسكريا بأوروبا . وعاجزة عن آن تتبع سياسة افريقية مستقلة عن الدول الاوروبية الاستعمارية . وهذا يجعل الافريقيين يشكون في السياسة الامريكية أيضا . وأصبح الاتحاد السوفيتي ، الذي لم يؤد دورا استعماريا في افريقية طوال تاريخه حتى في العهد القيصري ، أصبح في مركز يبدو فيه في دور الدافع المنزه عن الغرض ، الذي يؤيد خروج افريقية من الحكم الاستعماري .

وبينما نجد ان الولايات المتحدة اعتادت النظر الى افريقية من الزاوية العسكرية أكثر من أية زاوية أخرى ، نرى الاتحاد السوفيتي في مركز يسمح له بتكريس أكبر اهتمام نحو احتياجات افريقية الاقتصادية . وسوف تكون المعونة السوفيتية من أجل اقامة صرح الصناعة في افريقية أكثر جاذبية للحكومات الافريقية من المعونة الغربية التي مازالت توجه حتى الآن ، في البلاد المتخلفة ، نحو الخدمات الاجتماعية والزراعة أكثر مما توجه نحو الصناعة .

والغرب - بما في ذلك الولايات المتحده - يعتمد على المواد الخام الافريقية أكثر من اعتماد الاتحاد السوفيتي عليها . وقد اهتم خروشوف في الخطاب الذي القاه في أثناء المأدبة التي ذكرناها آنفا ، اهتم بصفة خاصة بتأكيد ما يلي :

ان الاتحاد السوفيتي بموارده الضخمة من خام الحديد ، والفحم ، والزيت ، وبمناطقه الشاسعة الأطراف ليس بحاجة الى « استغلال » ثروة أفريقية الطبيعية .

ومن أكبر المؤثرات التي تجذب الافريقي الى الاتحاد السوفيتي عدم وجود تفرقة عنصرية في روسياالسوفيتية ، فليس هناك ما يثير حفيظة الافريقي أكثر من موقف التفوق العنصري الذي يقفه الرجل الأبيض ، ومن المحتمل أن يحرز الاتحاد السوفيتي انتصارات كبيرة في هذا المضمار .

والشعوب الافريقية أبعد ما تكون عن الشيوعية ، ولا يعتقد الاتحاد السوفيتي أن هناك دولة أفريقية ستصطبغ بالصبغة الشيوعية في القريب العاجل ، وفي الوقت نفسه نجد أن الافريقي لا يهاب الشيوعية ، وأقل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أنه لا يعرف ما الشيوعية ؟ . ومن ناحية أخرى نجده يكن لفكرة الاستعمار شكا ورهبة شديدين . لذلك فان الدعاية الغربية التي تؤكد شرور الشيوعية لا تؤثر مطلقا على العقلية الافريقية ، وعلى عكس ذلك نجد أن المجتمعات القبلية في أفريقية تحمل بعض ملامح الشيوعية البدائية ، مما يجعل عددا من النظريات الشيوعية يجذب - الى حد ما - الافريقي المثقف . فالملكية الجماعية للارض ، على سبيل المثال ، قائمة في كثير من المجتمعات القبلية .

ومن المشكوك فيه جدا أن تزدهر النظم الديمقراطية فى المجتمعات الافريقية ، ذلك أنغالبية الاقطار الافريقية التى تحصل اليوم على استقلالها لم تتعود الحكم النيابى ، وحتى اذا جربت النظام البرلمانى فانها قد تجد الزاما عليها أن تلتجىء الى الوسائل الاستبدادية كى تستطيع أن توقف العناصر المخربة عند حدها . وحتى فى غانا ، اضطر الدكتور نكروما إلى اقرار حكم فردى الى حد كبير ، كى يقوم بقمع العناصر الداعية الى تبديد الشمل . ولا شك أن المحاولات الهزلية التى تبذل لادخال النظم البرلمانية قد تبوء بالفشل فى البلاد التى لا تتمتع بأية خبرة فى هذا المجال .

وقد يكون البديل لذلك اقامة نظم عسكرية أو ممارسة درجات مختلفة من السلطة الدكتاتورية على يد الزعماء والاحزاب الوطنية التى تتمتع بثقة الشعب ، غير أن الحكم العسكرى ربما لا يكون مستحبا لأن الجيش ضعيف فى معظم البلاد الافريقية .

ويبدو أن النظام الشمولى هو النظام السياسى الذى يحتمل ان يظهر فى معظم الدول الافريقية ، حتى لو قام هذا النظام على أساس الحكم الحزبى ، واذا اعتاد الشعب الافريقى النظم الشمولية فان استجابته للقيم السامية الكامنة فى الديمقراطية البرلمانية قد تكون ضئيلة . وحينما تنقد الصحف الغربية دكتور نكروما لممارسته سلطات « دكتاتورية » يفوتها أن تدرك حقيقة الواقع الافريقى ، وحينما يصف وزير خارجية أمريكا ، كما حدث فى سبتمبر عام ١٩٦٠ ، دكتور نكروما بأنه يقتفى أثر الخط السوفيتى لمجرد أن آراءه حول الكونغو تشابه الى حد كبير مع آراء الاتحاد السوفيتى ، فان الغرب بذلك يجعل الشيوعية أكثر جاذبية للشباب الافريقيين والطبقة الافريقية المثقفة (١) .

---

(١) بعد مصرع لومومبا ، والنجاح الظاهرى لامريكا في الكونغو بدأ المعلقون السياسيون الامريكيون في الحديث عن « هزيمة » السوفييت في أزمة الكونغو . وبرغم أن الاتحاد السوفيتى فشل في كسب الحرب الباردة في الكونغو ، فانه خرج منها بحصاد أفريقى طيب فليس هناك من دولة أفريقية اليوم لا تدرك تماما السلطان السوفيتى ، ولا تدرك استعداد السوفيت لمساندتها ضد الغرب ، ومساندتها في مجال التنمية الصناعية مقابل ثمن زهيد هو عدم الانحياز الفعال .

ويقوم عدد من الشباب الافريقى بالدراسة في جامعات روسيا ، وقد أعيد تسمية أبرز هذه الجامعات باسم جامعة باتريس لومومبا ، وحينما يعود هؤلاء الشباب الى وطنهم قد يصبحون عاملا قويا في مصلحة الاتحاد السوفيتى . وعلى المستوى الدبلوماسي والسياسي ، يعتبر الاتحاد السوفيتى صديقا للدول الافريقية التى هى أكثر أهمية ، ومدافعا عن الحياد الافريقى ، والزعماء من أمثال ناصر ، ونكروما ، وتورى ، والملك الحسن ملك المغرب ، وكيتا رئيس مالى ، وعبود رئيس السودان ، بعيدون عن الشيوعية بعد سوكارنو ، ونو ، ومسز بندرانيكة ، ونهرو في آسيا ، ومع ذلك فهم أكثر زعماء افريقية شعبية ، وهم صناع افريقية اليوم وغدا . فاذا أمكن اعتبار الاتحاد السوفيتى صديقا=

ويمكننا أن نضيف اليوم الى اندفاع الاتحاد السوفيتي نحو آفاقية الآمال الافريقية الضخمة التي تعلقها شعوب هذه القارة على جمهورية الصين الشعبية . والواقع أن الحكومة الصينية تبدو الآن وكأنها تركت وراءها الاتحاد السوفيتي نفسه في سباقها من أجل الاستحواذ على ولاء شعوب افريقية المذهب ، فقد كانت الصين بحكم عدم ارتباطها بأي تعهدات نحو الأمم المتحدة ، ولمجرد حرصها على تأكيد قدرتها الهائلة على ايقاع الأذى وتحقيق الخير في المجتمع الدولي ، تشجع العناصر الوطنية ذات النزعة المحاربة في افريقية وتساعدها بشكل فعال . وكان الزوار الافريقيون للصين يستقبلون بحماس جماهيري هائل ، وكانت الجهود تبذل في أثناء الاحتفالات الرسمية الكثيرة التي يحضرها كبار رجال الحكومة وزعماء الحزب ، لاقناعهم بأن الصين تقف صامدة وراء كفاحهم من أجل التحرر السياسي والانعاش الاقتصادي .

ومن اللفتات ذات المغزى أن حكومة الصين الشعبية كانت أول حكومة غير عربية تعترف بحكومة الجزائر المؤقتة التي شكلت في القاهرة ، واستقبلت بكين مبعوثا من قبل هذه الحكومة بضجة كبيرة عام ١٩٦٠ ، ووعدته بجميع أنواع المساعدات ، بما في ذلك من الاسلحة والمتطوعين من أجل الحرب في الجزائر . ولم يقدم خروشوف اعترافه بالامر الواقع للحكومة المؤقتة الا بعد ستة أو ثمانية أشهر من اعتراف بكين ، حينما قابله بعض زعماء هذه الحكومة في الامم المتحدة في شهر سبتمبر .

وفي مجال السعي الشيوعي وراء افريقية ، نجد الصين اليوم شريكا مساويا للاتحاد السوفيتي . ففي جميع دعاياتهم الموجهة الى افريقية ، يؤكد الصينيون في الحاح نظرية « الاستعمار الجماعي » ، ويحاولون اقناع الشعوب الافريقية بأن السبب الرئيسي للبؤس والعذاب اللذين يعيشون فيهما لا يتمثل في « أوروبا المحتضرة » وانما في زعيمة « المعسكر الاستعماري » الولايات المتحدة ، ومن أجل هذا تحاول الصين الشيوعية أن تخلق ارتباطا بين صراعها مع الولايات المتحدة ، وصراع شعوب افريقية من أجل التخلص من القيود السياسية والاقتصادية .

= لهؤلاء الزعماء أصبح من السهل التأثير على العقول الافريقية الشابة بشدة .

أما حلفاء الولايات المتحدة في افريقية ، فهم رجال يمكن أن يجرفهم تيار الاستقلال غدا أو بعد غد .. وعلى أية حال فان هذا النوع من الناس : من أمثال كازافوبو ، وبورقيبة ، وزعماء المجموعة الفرنسية ، لا يلهم الشباب الافريقيين أو يثير حميته ولا يعتبر رمزا للبعث الافريقي .

وكانت هناك اشاعات عن زيارة محتملة يقوم بها رئيس الوزراء السوفيتي الى افريقية في أثناء وضع هذا الكتاب ، واختار الرئيس أيزنهاور مدينة الرباط كمحطة له في افريقية خلال جولته حول العالم قرب نهاية عام ١٩٥٩ ، وكان من المتوقع أن يتوغل خروشوف عام ١٩٦١ أو ١٩٦٢ الى أغوار القارة الافريقية ، وكان من المحتمل أن يكون لزيارته تأثير هائل .

الفصل العاشر

الصين فى الأسرة الافرو-آسيوية

يثير وضع الصين فى الاسرة الآسيوية ـ الافريقية مشاكل معقدة ومتشابكة ، مبعثها ان الصين من الدول الكبرى من حيث امكانياتها ، ونظرا لأنها تحقق المقومات الاقتصادية والسياسية للدولة الكبرى ، فان تأثيرها على آسيا سيكون عميقا لامحالة .

وقد خلق ظهور النظام الشيوعى فى الصين بعض المشاكل لآسيا يمكن مقارنتها بتلك المشاكل التى ظهرت فى طريق أوروبا عام ١٩١٧ ، حينما قام الاتحاد السوفيتى على انقاض روسيا القيصرية وفى غضون أربعين عاما ظهر الاتحاد السوفيتى كأحد دولتين كبريين فى العالم ، وأدى هذا الى قلب ميزان القوى فى أوروبا تماما وسوف يكون تأثير الصين على آسيا أعظم فى المستقبل ، اذ لايحتمل أن تظهر فى هذه القارة دولة أخرى تستطيع أن تنافس الصين من ناحية القوة الاقتصادية او العسكرية .

والصين تشغل الآن ما يسميه واضعو الاستراتيجية الغربية بفراغ القوى فى آسيا ، والهند هى الدولة الوحيدة الاخرى التى يمكن آن تشابه الصين كدولة من الدول الكبرى فى آسيا ، وقد بدأ بالفعل احساس بالمنافسة الحامية بين الدولتين من أجل الزعامة فى آسيا وافريقية . وتتمتع الصين ، فى هذا الصراع المستتر ببعض المميزات الواضحة ، فان الاقتصاد الصينى ينمو ، فى ظل النظام الشمولى ، بمعدل أسرع من معدل الهند ، كما أن موارد الصين التى هى اكبر نسبيا يتم استغلالها من أجل بناء قوة اقتصادية وعسكرية ، وبالاضافة الى ذلك تنتمى الصين الى الكتلة الشيوعية ، وقد أصبحت بالفعل شريكة للاتحاد السوفيتى تقف معه على قدم المساواة . أما الهند فلا تزال غير منحازة ، وبينها وبين الغرب خلافات كثيرة .

وتمثل قوة الاتحاد السوفيتى والصين مجتمعة ـ سواء فى الميدان

العسكرى أو الاقتصادى ــ صورة مهيبة امام الدول غير الشيوعية فى آسيا وافريقية ، ولا تتفوق عليها تماما قوة الغرب مجتمعة ، ولذا نجد انه من الطبيعى أن تحرص الدول الصغيرة ، وخاصة تلك التى على حدود الصين على العيش فى سلام وود مع الحكومة التى تسيطر على أكبر بلاد العالم اكتظاظا بالسكان وقد برز النظام الشيوعى فى الصين، فى غضون عشر سنوات من عمره ، بعيدا وراء حدوده ، كمدافع عن القضايا الثورية ، وكقوة قادرة وراغبة فى مد المساعدات الاقتصادية الى الدول التى هى أقل تقدما .

والدعاية الصينية توجه اليوم ضد الاستعمار والسيطرة الغربية فى افريقية، وضد الحكومات البورجوازية فى البلاد الآسيوية غير الشيوعيه الى حد ما ، وقد أصبحت بالفعل تخاطب معظم شعوب القارتين ومن النذر الخطيرة أن الصين الشيوعية بتقديمها المعونة الاجنبية الى الدول الآسيوية المجاورة ، والى بعض الدول الافريقية فى السنوات العشر الاولى اعطت أكثر مما تلقت من الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية وأصبح وضعها الايديولوجى اليوم ، فى الاسرة الشيوعية ، معادلا اوضع الاتحاد السوفيتى . ويعتقد البعض أن مركز القيادة النظرية فى هذه الاسرة قد انتقل بالفعل من موسكو الى بكين .

ويقوم الصينيون الآن بانشاء جهاز حكومى قوى وشامل فى بلادهم يكون قادرا على تجنيد موارد البلاد البشرية والطبيعية من أجل تنمية قوة الاقتصاد فى أسرع وقت ممكن، ولأول مرة فى تاريخ الصين، خضعت البلاد برمتها لحكومة مركزية قوية ، وتمت تصفية الجذور السياسية والعسكرية لتجار الحروب والنزعات الأقليمية المحلية ، واصبحت السلطة المركزية تتغلغل الآن فى القوى النائية فى الاطراف المترامية للدولة الصينية الهائلة وأضحت السلطات السياسية جميعها فى يد الحزب الشيوعى الذى يوجه ويسيطر على الحكومة والجيش وجميع المنظمات السياسية الهامة . ويربو عدد أعضاء الحزب الشيوعى الصينى على ثلاثة عشر مليونا ، ويعتبر اضخم منظمة سياسية فى العالم ، اما عصبة الشباب الشيوعيين ــ وهم نسخة صينية من الكومسومول الروسى ــ فيضم ثلاثة وعشرين مليونا من الاعضاء ، وكذا نجد ان ٥٪ من اجمالى سكان الصين يشتركون فى صفوف الحزب الشيوعى ، وهو عمل لم يسبق له مثيل فى ميدان التنظيم السياسى .

وقد التزم الحزب الشيوعى الصينى ، مسلحا بهذا التركيز غير العادى فى السلطة السياسية ، هدفا لا يحيد عنه دون اعتبار للتكاليف البشرية ، ويتمثل الهدف فى بناء اقتصاد حديث ونظام اجتماعى فى جميع أنحاء البلاد . وقد أخضع البلاد كلها لشبكة من الكوميونات من أجل

« الوثبة الكبرى الى الامام » . وقد أدخلت الكوميونات لأول مرة فى أبريل عام ١٩٥٨ كنموذج ، وبانتهاء العام تقريبا كانت جميع المزارع الجماعية فى الصين ، والتى يزيد عددها على ٧٠٠،٠٠٠ ، قد تحولت الى حوالى ٢٦،٠٠٠ كوميون ضخم . وكانت العيوب التى تلاحظ على نظام تشغيلها يتم اصلاحها على الفور ، وتم مد الكوميونات الى المناطق الحضرية عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ، ويغطى كل كوميون الآن جميع السكان داخل المدينة الواحدة ، ويبلغ متوسط العضوية فيه حوالى ٥٠٠٠ عائلة .. ويدير الكوميون ويشرف على شئون الزراعة ، والتجارة ، والمالية ، والتعليم ، بل والشئون العسكرية . وهناك مراعاة شديدة لنظام ذى طابع عسكرى ، اذ يتم تنظيم الاعضاء فى « فرق الانتاج » للعمل فى الزراعة والصناعة .

وقد قامت الكوميونات بالاستيلاء على جميع الممتلكات الخاصة فى القرى ، وتم استغلال الكوميونات من أجل تحقيق التنمية فى مجال الزراعة والصناعات الريفية بأسرع وقت ممكن ، وايضا من أجل احداث تغيير ثورى فى المجتمع الصينى الذى تكبله التقاليد . وتم تحرير قوة النساء من دورها التقليدى فى الاسرة حتى يمكن تشغيلها فى الزراعة والصناعة . ومن الواضح أن الصين هى الدولة الوحيدة فى آسيا التى لا تنظر الى كثافة سكانها على أنها عبء مقيد برغم الاهتمام ، الى حد ما ، بالتحكم فى عدد السكان عن طريق تحديد النسل . وقد حفزت الصين الى حد كبير جميع سكانها من أجل الأغراض الانتاجية ، وفى الوقت الذى ربما لا يفكر فيه الزعماء الصينيون مليا فى احتمال أن عليهم أن يضحوا بعدة ملايين من رجالهم من أجل قضية الشيوعية فى الداخل والخارج ، فانهم لا يبدو عليهم الخوف من مسئولية اطعام ستمائة مليون فم .

ومنذ أن أعلن عن قيام الجمهورية الشعبية فى اكتوبر عام ١٩٤٩ . حظيت عملية صياغة البنيان الاقتصادى بالاولوية المطلقة ، وغالبا ما كانت الوسائل التى تم تطبيقها فى الصين تختلف عن تلك التى تمت تجربتها فى الاتحاد السوفيتى فى اثناء سنوات البناء خلال الثورة السوفيتية ، وكانت بعض الوسائل الاخرى ، وخاصة الكوميونات لاتلقى أى تأييد من جانب الزعماء السوفيت . غير أن الصينيين لم يوجهوا أدنى اهتمام للاعتراضات التى اثيرت داخل الأسرة « الشيوعية » فانهم كانوا يسيرون قدما فى طريقهم الخاص نحو الاشتراكية . وقد مروا فى السنوات الثلاث الاولى بفترة « اعادة البناء » ، وتبع ذلك فترة «البناء» فى بداية عام ١٩٥٧ .

وقد كانت الأولوية المطلقة فى الخطة الخمسية الاولى لتكوين رأس

المال ، وبلغت الاستثمارات الرأسمالية الاجمالية أكثر من ١٨ بليون دولار (امريكى) ، هذا عدا ما يزيد على ٣٢ بليون دولار خصصت لنفقات « البناء الاقتصادى » وتشمل نفقات التخطيط الثقافى والتربوى بل لقد أصبحت الخدمات الاجتماعية والثقافية جزءا من البناء الاشتراكى . وقد تضمنت الخطة الخمسية الاولى ما يقرب من ٨٠٠٠ مشروع بناء . وقد تم الوصول الى كثير من أهداف الخطة . وبعضها فاق الحد المقرر فى نهاية فترة الخطة ، وادعت الحكومة الصينية أن الدخل القومى قد ارتفع من ٨ر٢٥ من بليون الدولار (الامريكى) عام ١٩٥٢ الى ٥ر٤١ بليون دولار عام ١٩٥٧ على أساس الاسعار الحالية ومن ٨ر٢٥ من مليون الدولار عام ١٩٥٢ الى ٥ر٣٩ بليون دولار عام ١٩٥٧ بالنسبة للاسعار الدائمة ، وكان عام ١٩٥٢ أساسا لهذه التقديرات .

وفى أواخر عام ١٩٥٧ ذهبت الحكومة الصينية الى حد تعبئة جميع السكان من أجل « الوثبة الكبرى » وخلال عام ١٩٥٨ ترددت ادعاءات خيالية عن زيادة فى الانتاج ، غير أنها خضعت بعد ذلك لاعادة نظر كبيرة . وكان الغرض من وراء « الوثبة الكبرى الى الأمام » هو تعبئة جميع موارد الصين البشرية على قدر الامكان من أجل تنمية الزراعة الى جانب تنمية الصناعة .

وقد تم تنظيم ما يزيد عن مائة مليون فلاح بين أكتوبر عام ١٩٥٧ ويونيو عام ١٩٥٨ من أجل انشاء مشروعات الرى، وتم امداد ٨٠ مليون اكر من الاراضى بامدادات جديدة من المياه ، وتم حل مشكلة الغذاء تقريبا .

وفى مجال الصناعة ، كانت الاولوية المطلقة لمصانع بناء الآلات والحديد والصلب . وقد قيل ان الصين أصبحت تضاهى بريطانيا العظمى فى حجم الانتاج الصناعى .

ويخلق نمو القوة الاقتصادية الصينية ، المشاكل للدول الغربية وبلاد آسيا وأفريقية أيضا . وقد أصبحت الصين منافسا قويا لتلك البلاد التى فى آسيا ، والتى تتمتع بتجارة خارجية ضخمة ، وخاصة اليابان والهند ، فعلى سبيل المثال تنافس المنسوجات الصينية المنسوجات الهندية واليابانية فى عدد من البلاد الآسيوية ـ الأفريقية ، ويتهم الصينيون بتهمة اللجوء الى بعض الاساليب التجارية غير الشريفة ، ويساعد النمو السريع فى الاقتصاد الصين على تقديم المساعدات الاقتصادية الى البلاد الآسيوية والأفريقية ، ومن ثم ارساء زعامتها فى الأسرة الأفريقية الآسيوية .

وإذا نجحت الصين فى ايجاد الحلول لمشكلة الفقر الجماعى ، وهى المشكلة الشائعة فى آسيا ، وفى اقامة صرح مدنية صناعية ، وهو حلم جميع الدول الآسيوية ـ الأفريقية ، فانها سوف تمارس تأثيرا أعظم على الملايين الفقيرة فى كلتا القارتين .

غير أن النمو الاقتصادى للصين يثير المشاكل أمام الولايات المتحدة الامريكية ، وهى مشاكل تتصل بالحرب الباردة فالسلطان الاقتصادى سيساعد الصين على دعم قوتها العسكرية وبذلك تفرض زعامتها العسكرية على شرق وجنوب شرقى آسيا الهامين من الناحية الاستراتيجية ، ويضع على خريطة العالم دولة باسيفيكية ثانية . ولا يمكن أن تنظر الولايات المتحدة الى هذا المستقبل دون أن يخامرها شك خطير . وقد قال كاتب أمريكى : « ان التنمية الاقتصادية فى الصين سوف تدعم بانتظام من قاعدة بكين من أجل القوة العسكرية ، وبذلك يتحسن مركزها القوى الذى تحتله فى حقل الشئون العالمية ـ وقد تتسع الهوة ، الكبيرة بالفعل ـ بين قوة الصين الشيوعية ، وقوة الدول الآسيوية الاخرى ، هذا اذا ما استمرت الاتجاهات الحالية على ما هى عليه وفاقت قوة الصين اليابان فى مجال الصناعات الثقيلة فى غضون فترة قصيرة نسبيا ، وقد يكون لهذا نتائج خطيرة على ميزان القوى فى آسيا ، وقد يكون لمعدل النمو الاقتصادى المذهل فى الصين الشيوعية تأثير سيكولوجى عميق فى بقية آسيا ، وفى أماكن أخرى بين شعوب البلاد المتخلفة ، واذا ما استمر الشيوعيون الصينيون فى اقامة صرح اقتصادهم بمعدل يفوق معدل البلاد المتخلفة الاخرى فى آسيا فان هذا التفاوت قد يضاعف من جاذبية الاسلوب الشيوعى فى التنمية الاقتصادية ، وقد يولد أيضا كثيرا من الخوف من الصين ذات الحيوية الجديدة يتبعه انسياق مستسلم نحو قوة بكين المتزايدة (١) .

وتعتبر قوة الصين العسكرية سببا آخر يدعو لقلق الولايات المتحدة الكبير ـ وفى الوقت الحالى لاتعتبر الصين دولة ذرية برغم ما قيل من أنها على وشك أن تكون كذلك ، وتفكير الصين فى هذا المجال غير معروف تماما للعالم الخارجى ، ولكن قد يقال انه اذا تبنت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى سياسة توسيع « النادى النووى » فانه لن يمضى وقت طويل الا تظهر فيه الصين أيضا كدولة نووية (٢) وتعتبر الصين فى

---

(١) «آسيا والصين الشيوعية ـ التحدى الذى يواجه السياسة الامريكية » بقلم أ . روك بارنيت ـ صدر عن مجلس العلاقات الخارجية ـ الناشر هاربر بروس ـ نيويورك ١٩٦٠ ص ٦٣ .

(٢) هناك دولتان أخريان بآسيا تستطيعان اذا شاءتا أن تصبحا من الدول النووية بدون معونة خارجية وهما اليابان والهند ، غير أن الهند قد عكفت على استخدام الطاقة النووية في الاغراض السلمية فقط .

هذه اللحظة قوة عسكرية بالمعنى التقليدى للاصطلاح ، ويبلغ عدد أفراد جيش انتحرير الشعبى مايزيد عن مليونين ونصف مليون الرجل يعملون بالفعل فى القوات البرية والبحرية والجوية ــ وتضم القوات البرية مايزيد على ١٥٠ فرقة تتكون كل منها من ١٠ الى ١٢ ألف جندى ، وهناك ، بالاضافة الى ذلك ، أكثر من نصف مليون من القوات فى وحدات الامن العام ، ويعهد اليها بدوريات الحدود والامن الداخلى ــ كما أن هنـاك منظمة ميلشيا هائلة . ويقدر مجموع السكان الصينيين ، الذين تتردد اعمارهم بين ١٥ الى ٤٩ عاما بحوالى ١٦٠ مليونا ، منهم حوالى ٨٠ مليونا يسرى عليهم قانون الخدمة العسكرية .

وتقدر قوة القوات الجوية بحوالى ٢٥٠٠ طائرة منها ١٨٠٠ طائرة نفاثة .

اما عن الاسطول فمن الممكن اهماله على ضوء الاعتبارات الحديثة، غير انه تم اقامة عدد من القواعد البحرية على طول الساحل ، وما زالت الصين تملك أكبر قوة بحرية وطنية فى الشرق الاقصى . وفى السنوات العشر الماضية تم تحسين المواصلات البرية بطريقة كبيرة .

وبالاضافة الى قوة الصين العسكرية ، نجد أن لدى كوريا الشمالية ٣٥٠٫٠٠٠ رجل تحت السـلاح ، وسـلاحا جويا قوامه أكثر من ٧٠٠ طائرة نفاثة . ولدى جمهورية فيتنام الديمقراطية قوة مقاتلة قوامهـا ٣٠٠٫٠٠٠ رجل .

واذا ماعقدنا مقارنة بين القوة العسكرية الشيوعية ، والقوات المقاتلة التابعة للبلاد غير الشيوعية فى شرق وجنوب شرقى آسيا ، نجد أن الاخيرة اقل بكثير . ففى منتصف عام ١٩٦١ أصبح لدى اليابان ٢٠٠٫٠٠٠ رجل تحت السلاح ، وسلاح جوى قوامه ١٣٠٠ طائرة وأسطول بحرى تبلغ حمولته ١٢٤٫٠٠٠ طن ــ وفى الهند نجد نصف مليون رجل تحت السلاح، وفى أندونيسيا ١٩٠٫٠٠٠ ، وفى كوريا الجنوبية ٦٠٠٫٠٠٠ ، وفى فيتنام الجنوبية ١٥٠٫٠٠٠ ، وفى تايلاند ٨٠٫٠٠٠ ، وفى بورما ٦٥٫٠٠٠ ، وفى الفلبين ٣٥٫٠٠٠ ، وفى فورموزا ٦٠٠٫٠٠٠ ــ وبذلك يظهر من مجـرد التقديرات العسكرية أن جمهورية الصين الشعبية تتفوق تفـوقا كبيرا على الدول غير الشيوعية فى شرق وجنوب شرقى آسيا ــ فاذا كانت هناك حرب دون تدخل من الدول الخارجية ، فانه لن يكون من الصعب على الصين أن تستولى على مناطق شاسعة الاطراف .

وقد أتاح امتداد السيطرة الصينية الى التبت فرصة لسيطرتها على منطقة ذات أهمية استراتيجية عظيمة ، ذلك لأن « سقف العالم » يمثل حصنا طبيعيا هائلا يربض فى قلب آسيا ، ولا يتسنى الوصول اليه عن طريق البر . فالتبت تشرف من جميع الجهات على أكثر ثلاث منـاطق

ازدحاما بالسكان فى العالم وهى : الصين ، والهند ، والاتحاد السوفيتى، لذا فان اية دولة قوية ترابط فى التبت تستطيع أن تسيطر على « قلب آسيا » (١) .

وقد تدخلت الولايات المتحدة بشكل كبير فى المنطقة الواسعة الممتدة من اليابان حتى الباكستان كى تتحكم فى قوة الصين العسكرية والاقتصادية ، وقد أخذ هذا التدخل شكل سلسلة من المعاهدات الثنائية ، والجماعية مع عدة بلاد فى المنطقة ، وقبول عدة التزامات بعيدة المدى مثل الدفاع عن فورموزا ، وجزر البسكادور ، والدفاع ايضا عن الفلبين واليابان ، وادخال عدد ضخم من القوات الامريكية الى المراكز الاستراتيجية « وتعتمد الاستراتيجية الامريكية على قوة ضاربة متحركة تعمل من القواعد القائمة فى سلسلة الجزر الممتدة من جزر اليوتيان الى الفلبين ، وفى حالة استعداد لمواجهة مجموعة الاحداث الطارئة وقتما وأينما تظهر .

وتتكون هذه القوة المتحركة أساسا من القوات الجوية والبحرية المجهزة بالاسلحة التقليدية والذرية . ويمثل الاسطول السابع نواة القوة البحرية فى المنطقة ، وقد تم دعم هذا الاسطول عام ١٩٥٨ ليضم ٧٠ر٠٠٠ رجل ، وحوالى ٥٠ بارجة كبيرة ، منها ٦حاملات للطائرات ؛ و ٤٠مدمرة. وتستطيع القوات الجوية الاستراتيجية الامريكية ــ من عدد من القواعد الاستراتيجية مثل جوام ــ أن توجه ضرباتها الى أية قاعدة فى الشرق الاقصى (٢) .

والى جانب هذا التطويق العسكرى للصين ، تواصل الولايات المتحدة عزل جمهورية الصين الشعبية عن الاسرة العالمية ، فقد ظلت الصين خارج الامم المتحدة من أحد عشر عاما بسبب معارضة أمريكا لذلك .

وقد وصمت بـ (العدوان) بعد تدخلها فى الحرب الكورية من جانب مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ، وقد أخضعت نتيجة اقتراح من الولايات المتحدة للعقوبات الاقتصادية والتجارية .

وتستمر الولايات المتحدة فى الاعتراف بنظام شيانج كاى شيك فى فرموزا على أنه الحكومة الشرعية للصين ، وبرغم أن معظم حلفاء أمريكا لايوافقونها على هذه السياسة غير الواقعية ، فانهم وقفوا بجانب زعيمة

---

(١) يناقش كتاب « العالم المفقود ــ التبت مفتاح الى آسيا » بقلم أمورى دى رينفورت ، أهمية التبت الاستراتيجية .

(١) « الصين الشيوعية وآسيا ــ التحدى الذى يواجه السياسة الامريكية » بقلم أ . دوك بارنيت .

كتلتهم ، وان تضاءل ايمانهم بجدوى هذه السياسة . وكانت حكومة الصين الشعبية ، من ناحية أخرى ، تحاول أن تنفذ من خلال الحاجز الذى وضعته الولايات المتحدة عن طريق كسبها لاصدقاء جدد فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية .

وقد تقدمت بلاد كثيرة ، فى فترة السنوات الخمس الاخيرة ،لمساندة قبولها عضوا فى الامم المتحدة فى دورات الجمعية العامة للامم المتحدة المتعاقبة ــ وكما ذكرنا من قبل ، تمت الموافقة فى الدورة الخامسة عشرة على اقتراح أمريكى يقضى بعدم ادراج مشكلة تمثيل الصين فى جدول الاعمال ، بأغلبية ضئيلة للغاية ، فقد كانت الموافقة بأغلبية ٤٢ صوتا ضد ٣٤ وامتناع ٢٢ دولة عن التصويت ــ وفى عام ١٩٦١ كانت الدول الافريقية الجديدة عامة تؤيد تمثيل بكين فى الامم المتحدة .

وقد أعرب سير أبو بكر توافا باليوا رئيس وزراء نيجيريا الاتحادى عن الشعور الافريقى العام حينما تحدث فى البرلمان الاتحادى فى لاجوس فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩٦٠ ليقول : ان نيجيريا سوف « تبذل كل مافى وسعها » كى ترى الصين الشعبية تحتل مقعدها فى الامم المتحدة ، ومما أكد التكهن الذى تردد فى الدورة الخامسة عشرة فى الجمعية العامة للامم المتحدة أن موضوع تمثيل الصين نوقش فى دورة ١٩٦١ للجمعية العامة للامم المتحدة . وحتى اذا صوتت الغالبية لمصلحة الولايات المتحدة ،فان الصين ستسجل نجاحا كبيرا فى طلبها لمقعد فى الامم المتحدة .

ولا ينافس العداء الامريكى للحكومة الشيوعية فى الصين غير عداء الصين نحو الولايات المتحدة . ويدرك زعماء الصين تماما انه لولا تدخل أمريكا العسكرى لكانوا قد طردوا شيانج كاى شيك من فورموزا منذ وقت طويل ، وأقاموا نظاما جديدا للعلاقات الدولية فى جميع أنحاء شرق وجنوب شرقى آسيا ، ولكانت الصين قد احتلت مقعدا دائما فى مجلس الامن ، وفازت بوضع الدولة العالمية الكبيرة . ونظرا لأنالولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تمنع تحقيق هذه الاهداف المرغوبة ، فان السياسة الصينية الخارجية والداخلية قد تلوثت بتحيز ضد الامريكيين على طول الخط .

وجدير بالذكر أن موقف كل من الصين والاتحاد السوفيتى من الولايات المتحدة كان سببا فى أى خلافات كبيرة أو صغيرة قد تنشب بينهما (تلك الخلافات التى دأبت الصحافة الغربية على المبالغة فى تصورها على الدوام تقريبا) .

وكانت هناك مناسبات عارض فيها الزعماء الشيوعيون الصينيون جهود خروشوف للوصول الى تفاهم مع أمريكا لايضع الصين موضع الاعتبار الكامل ، وقد توافق الحكومة الصينية لأسباب مفهومة على مثل

هذه التسوية اذا ما أمكنها ذلك من احتلال مركزها الشرعى فى حقل الشئون الدولية .

وفى داخل الاسرة الشيوعية نفسها ، لم تكن الصين على الاطلاق دولة تابعة للاتحاد السوفيتى ، وكانت دائما شريكا يقف موقف الند للند . وبعد ستالين نجد أن ماوتسى تونج يحتل مركزا لاينافسه فيه أحد فى الاسرة الشيوعية ، ويعتبر اليوم الرأس المفكر فى حقل الدراسات النظرية . وكان اصطلاح « ديمقراطية الشعب » نفسه من صنع ماو ، وكان لمبحثه «حول دكتاتورية الشعب الديمقراطية » تأثير عميق على اعادة البناء فى أوروبا الشرقية بعد الحرب . ومنذ وفاة ستالين والزعامة الشيوعية الصينية تمارس من النفوذ ، فى الاسرة الشيوعية ، ماتمارسه الزعامة الشيوعية السوفيتية ، برغم أن الصين كانت تسلم دائما بأن الاتحاد السوفيتى هو « الاخ الاكبر » وهو زعيم البعث الشيوعى . وكما سبق أن أشرنا فان من أكبر الخدمات الفريدة التى قدمها الحزب الشيوعى الصينى فى حقل الدبلوماسية الدولية اعتراف الصين ، خلال الحرب الكورية ، بأهمية الدول غير المنحازة كوسيلة لاضعاف الوضع الدولى للكتلة الغربية .

وفى عام ١٩٥٢ بدأت حكومة الصين الشعبية فى الدعاية بحذر لنظرية التعايش والتعاون الدوليين ، وكان الهدف واضحا : الفوز بمكان فى الاسرة العالمية . وأدت الوفود الصينية دورا فعالا فى المؤتمر الاقتصادى الدولى الذى عقد فى موسكو فى ذلك العام . وفى شهر يونية من عام ١٩٥٢ وقعت الصين على اتفاقية تجارية غير رسمية مع اليابان ، وأعقبتها صفقة تجارية هامة مع سيلان . وفى أكتوبر من عام ١٩٥٢ انتهج الزعماء الصينيون أسلوب التعايش السلمى فى مؤتمر السلام الخاص بالدول الآسيوية التى على المحيط الباسيفيكى الذى عقد فى بكين .

ثم جاءت الهدنة فى كوريا فى يونية من عام ١٩٥٣ ، وأعقبتها ثورة عارمة فى الهند الصينية . وقد أتاح مؤتمر جنيف فى أبريل من عام ١٩٥٤ لحكومة الصين الشعبية أول فرصة عظيمة للقيام بدور فى حقل الدبلوماسية الدولية ، وقام شواين لاى بدور هام فيه ، وأثر على الجميع بمهارته الدبلوماسية الفائقة . وأكسبت محادثات جنيف الزعماء الصينيين قدرا كبيرا من الثقة فى مجال العلاقات الدولية ، وأدركوا اهمية الدول غير الملتزمة فى المجتمع الدولى . ومن جنيف سافر شواين لاى الى نيودلهى لينشىء أول اتصال بين الصين الشيوعية والعالم غير الملتزم .

ووجد شواين لاى فى الهند رصيدا عظيما من النية الطيبة والصداقة نحو بلاده ، واستطاع من جانبه ان يوحى بأنه بالرغم من أن الصين قد

سارت على الدرب الشيوعي ، وانها لم تنس ميراث آسيا العظيم والتعاون الحضارى القديم بين الجارتين الآسيويتين الكبيرتين . وقد كرر البيان المشترك الذى وقعه مع نهرو المبادىء الخمسة الخاصة بالتعايش السلمى المعروفة بـ « بانتشيل » التى سبق ورودها فى ديباجة الاتفاقية الصينية ـ الهندية حول التبت . وأعلن رئيس الوزراء الصينى فى خطبة له فى نيودلهى ، أن « فى مقدور جميع دول العالم أن تعيش فى سلام بعضها مع بعض ، بصرف النظر عن كبرها وصغرها وقوتها وضعفها ، وبصرف النظر عن نوع النظام الاجتماعى فى كل واحدة منها ، ومن حق الشعب فى كل دولة أن يختار نظامه الخاص ، دون تدخل من الدول الاخرى ، وأن الثورة لايمكن استيرادها » .

وسافر شواين لاى من نيودلهى الى رانجون . ومن الآن فصاعدا أصبحت المبادىء الخمسة نغمة متكررة فى الدبلوماسية الصينية . ومنذ أواخر عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ تبادلت بكين التمثيل الدبلوماسى مع دولتين فقط هما باكستان وفنلندا . ولكن حدث بعد عام ١٩٥٤ أن توسعت بكين فى العلاقات الدبلوماسية على وجه السرعة . ففى عام ١٩٥٤ أنشأت علاقات مع المملكة المتحدة والنرويج وهولندة ، وفى عام ١٩٥٥ أنشأت علاقاتها مع يوغوسلافيا وأفغانستان ونيبال ، وفى عام ١٩٥٦ مع مصر وسورية واليمن ، وفى عام ١٩٥٧ مع سيلان ، وفى عام ١٩٥٨ مع كمبوديا والعراق والمغرب والسودان ، وفى عام ١٩٥٩ مع غانا وغينيا ، وفى عام ١٩٦٠ اعترفت الصين بجميع الدول الافريقية الجديدة تقريبا ، ممن حصلت على الاستقلال ، وأقامت علاقات دبلوماسية مع كوبا ، وأعلنت اعترافها بحكومة الجزائر المؤقتة .

وفى الوقت نفسه حضر شواين لاى ، عام ١٩٥٥ ، مؤتمر باندونج للدول الآسيوية الافريقية .. وهناك نجح الى حد كبير فى رسم صورة للصين المسالمة الحسنة النية ، المستعدة لاحترام استقلال وسيادة جميع بلاد آسيا وأفريقية والدفاع عن قضية حريتها ورخائها . وقد بذل جهدا كبيرا كى يؤكد انه بالرغم من أن الصين قد اعتنقت الشيوعية ، فانها متضامنة مع بقية دول آسيا وافريقية فى مناهضة الاستعمار ، ومستعدة للتعاون مع جميع أقطار القارتين على أساس المبادىء الخمسة . وكانت مستعدة لانهاء الدعاية المعادية ، وتوجيه النصح الى الصينيين عبر البحار بالنزول عن جنسيتهم المزدوجة ولتسوية حدود الصين غير المحدودة مع البلاد المجاورة بطريقة سلمية ، وعلى أساس الحقائق القائمة .

واذ مضت الايام بالمؤتمر ، وقع شواين لاى على اتفاقية مع أندونيسيا يحدد فيها المبادىء التى يجب تسوية مشاكل الجنسية المزدوجة للصينيين

عبر البحار على أساسها . وكان مؤتمر باندونج انتصارا لمهارة شوإنلاى الدبلوماسية ، وأكسب حكومة الصين الشعبية وضع الدولة الكبرى فى المجموعة الافرو — آسيوية .

وفى السنوات التالية ، بذلت الصين قصارى جهدها كى تحتفظ بوضعها كدولة من الدول الكبرى . وفى عزلتها الاجبارية بعيدا عن الامم المتحدة ، وقفت وقفة المحنق العدوانى ، وانتهجت سياسة العداء المستحكم تجاه الولايات المتحدة ، وفى الداخل شدت كل عصب فيها من أجل زيادة سرعة البناء الاقتصادى ، وأقامت قوة عسكرية ،وسارت قدما الى الامام فى توسيع مجال مساندتها السياسية والاقتصادية لبلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

ومن الناحية السياسية دافعت عن قضية مناهضة الاستعمار بحمية ثورية غالبا ما أخافت الشعوب المستعمرة نفسها . وعلى وجه العموم ، كانت معارضة الصين للاستعمار وللمصالح الغربية عامة أكثر عدوانا من معارضة الاتحاد السوفيتى .

ولم تقنع الصين بمد الدول التى تكافح السيطرة الغربية بالمساندة السياسية فقط . ذلك أنها شرعت فى تقديم العون الاقتصادى لبلاد آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية ، حتى لو كان هذا على حساب تنميتها الخاصة .

وقد كانت تبذل جهودا حازمة للتوسع فى تجارتها مع الأقطار الافرو — آسيوية ، ومع أمريكا اللاتينية أيضا .

وطبقا للاحصائيات الامريكية الرسمية بلغت تجارة الصين مع جميع الدول غير الشيوعية فى آسيا وأفريقية ٧١٦ مليون دولار عام ١٩٥٦ .

ونستطيع أن نقول بصفة عامة : ان ثلثى اجمالى التجارةالخارجية مع الدول غير الشيوعية كان مع الدول الافرو — آسيوية . ويمكننا التعرف على سرعة نمو هذه التجارة اذا عرفنا أن تجارة الصين مع المنطقة الواسعة الممتدة من اليابان الى باكستان وصلت الى ٤٢٥ مليون دولار عام ١٩٥٤ ، وارتفعت الى مايزيد على ٦١٠ ملايين دولار عام ١٩٥٧ .

أما فيما يتعلق بكل دولة على حدة فانا نجد أن التجارة مع بورما ارتفعت من ٢٠ مليون دولار عام ١٩٥٥ الى ما يزيد على ٣٠ مليون دولار عام ١٩٥٧ .

وكانت الزيادة فى التجارة مع اندونيسيا أكثر بكثير من ذلك ، ففى

عام ١٩٥٣ كانت تجارة الصين مع هذه البلاد تقدر بمليونى دولار فقط ، ولكنها ارتفعت فى عام ١٩٥٧ الى ٥٣ مليون دولار .

وبلغت التجارة مع سيلان ٧٠ مليون دولار عام ١٩٥٧ ، حينما وقعت اتفاقية تجارية تحدد أقل حد للتجارة بينهما بـ ٢٠ مليون دولار .

لكنا نستطيع أن نقول اجمالا : ان البلاد الآسيوية توجه نسبةمئوية صغيرة من تجارتها الاجمالية الى الصين فى الوقت الحالى تبلغ فى بورما ٤٪ ، ولا تزيد فى أندونيسيا عن ٥٪ ، وفى سيلان ٧٪ . غير أن هذه النسبة قد تكون أكبر نسبة مئوية للتجارة الخارجية لهذه البلاد مع أية دولة آسيوية اخرى .

وفى الوقت الذى زادت فيه تجارة الصين الخارجية ، شرعت حكومة الصين فى تقديم المساعدات الاقتصادية الى الدول الضعيفة فى آسيا وافريقية . فقد قال مستر دوك بارنيت فى كتابه الذى أشرنا اليه من قبل فى عبارة بارزة للغاية .

« من الملاحظ أن بكين تقدم اليوم معونة خارجية أكثر بكثير من تلك التى تتلقاها بالرغم من الوضع الاقتصادى المجهد داخل الصين :

فمنذ عام ١٩٥٣ حين بدأت برامج المعونة الخارجية حتى عام ١٩٥٦ كانت معونة بكين الخارجية تقدم كلها للدول الشيوعية المجاورة ، غير انها منذ عام ١٩٥٦ توسعت فى معونتها لتشمل عددا من بلاد « العالم الحر » ومارست دورا بارزا باطراد فى ذلك المصدر من مظاهر التنافس الاقتصادى فى المناطق المتخلفة من العالم ، كما مارست دورها فى المنافسة التجارية بين الدول الشيوعية وغير الشيوعية » .

وكفلت الخطة الخمسية الاولى فى الصين برنامجا للمعونة الخارجية تبلغ نفقاته حوالى ٦٥٠ مليون دولار .

ومع ذلك اعلن رسميا أن الصين قد منحت معونة اقتصادية بين عام ١٩٥٣ ، وعام ١٩٥٧ تبلغ حوالى ٧٧٩ مليون دولار ذهبت جميعها الى البلاد الشيوعية باستثناء ٥٠ مليون دولار .

والدول الشيوعية التى تلقت المعونة هى : كوريا الشمالية ، وجمهورية فيتنام الديمقراطية ، ومنغوليا ، والمجر .

أماالدول الافرو ــ آسيوية التى تلقت المعونة فهى : كمبوديا ونيبال وسيلان ومصر ، ولكن ينبغى علينا أن نلاحظ أن جميع المساعدات الخارجية التى منحت خلال الخطة الخمسية الاولى كانت عبارة عن منح بلا مقابل

أكثر منها ديونا وقروضا ، برغم أن الصين نفسها كانت تتلقى المعونة السوفيتية على شكل ديون وقروض فى معظمها .

وفى السنوات التالية امتدت المعونة الى نيبال واندونيسيا واليمن والعراق ولاوس والبانيا وغينيا . ووعدت الصين بارسال المعدات والفنيين اللازمين لاقامة أربعة مصانع فى كمبوديا ، وفى عام ١٩٥٩ قدمت عرضا بانشاء مصنع للنسيج وآخر للصلب فى أندونيسيا . وفى أوائل عام ١٩٥٨ منحت الصين بورما قرضا للتوسع فى صناعة المنسوجات فيها .

وفى الوقت نفسه تقريبا وقعت اتفاقية مع اليمن لتعبيد طريق للسيارات وانشاء مصنع للنسيج ومصنع للسجاير وبعض المصانع الاخرى . وتلقت كوبا مساعدات صينية ضخمة بعد معركتها مع أمريكا .

وقد منحت الهند طبقا لمشروع كولومبو قدرا كبيرا من المساعدات للدول الآسيوية الشقيقة ، وكانت معظم هذه المعونات تقدم ــ ما عدا نيبال ــ على شكل خدمات تدريبية للموظفين .

وتعهدت الهند باعداد برنامج لتعبيد الطرق فى نيبال بالاضافة الى مساعدة الحكومة بعدد من الخبراء .

ووافقت الهند أيضا على مساعدة سيلان فى انشاء أول مصنع للصلب فيها بالمعونة السوفيتية .

وخلق التمرد الضخم الذى نشب فى التبت عام ١٩٥٩ موقفا مفاجئا للصين ، ووجدت نفسها توصف من جانب زعماء آسيا بأنها « دولة استعمارية » عاكفة على سياسة توسعية ، وكان هؤلاء الزعماء مستعدين منذ سنوات قلائل مضت للاعتراف بها كقوة تقدمية .

وقد صدمت الطريقة القاسية التى تم بها قمع الثورة الرأى العام الحر فى جميع أنحاء العالم ، وعلى الأخص فى البلاد المجاورة للصين ، وخلقت موقفا لبكين يشابه تقريبا الموقف الذى كان على الاتحاد السوفيتى أن يواجهه بعد أزمة المجر عام ١٩٥٦ .

وقد أصر الصينيون على أن التبت كانت دائما جزءا لا يتجزأ من الدولة الصينية وانهم غير مستعدين لتقبل أى شكل من اشكال التدخل من جانب الدول الخارجية فى معالجتهم لتمرد التبت .

وقد وجدت حكومة الهند ، التى اعترفت بسيادة الصين المطلقة على التبت طبقا لمعاهدة عام ١٩٥٤ نفسها فى موقف حرج .

فمن ناحية كانت الجماهير الهندية تكن عطفا كبيرا نحو آمال شعب التبت . وكانت مدركة للروابط القديمة العميقة الجذور بين التبت والهند .

ومن ناحية اخرى كانت حكومة نهرو عاجزة عن تخطى القيود التى حددتها لها اتفاقية عام ١٩٥٤ .

وقد دمرت القضية الكبرى التى ثارت بين الهند والصين خلال عام ١٩٥٩ ، الى حد كبير ، شعور الود والصداقة القديمة بين الجارتين الآسيويتين الكبيرتين ، وأدت الى حدوث اضطراب عام فى علاقتهما .

وبدأ الشعب الهندى يتشكك فى نوايا الصين ، وقد زادت هذه الشكوك حينما علم أن الصين قد توغلت كثيرا الى داخل الاراضى الهندية على طول الحدود التى تبلغ ٢٥٠٠ ميل ، وادعاء الصين أن المناطق المحتلة جزء من الدولة الصينية .

وقد ادت اعتداءات الحدود هذه الى مشادة طويلة وشرسة بين الدولتين ، وتحولت فى نهاية عام ١٩٦٠ الى أزمة متجددة ، وأخذت كلتا الدولتين موقفين لا تحيدان عنهما وتلخصت وجهة النظر الصينية باختصار فى أن الحدود الصينية الهندية لم يجر تخطيطها من قبل ، وانه يتعين على الدولتين أن تتوصلا الى اتفاقية عريضة حول تخطيط الحدود ، وتعيين لجان مشتركة للقيام بهذه المهمة . وتعتقد الهند من ناحية أخرى أن الحدود قد تم تحديدها عن طريق المعاهدات والاتفاقيات والعرف والتقاليد ، وانه يمكن أن يكون هناك ، على أكثر تقدير ، تعديلات طفيفة فى قطاعات معينة .

وبعد تبادل عدد كبير من المذكرات الدبلوماسية مع نيودلهى ، وصل شواين لاى الى العاصمة الهندية فى أبريل عام ١٩٦٠ من أجل اجراء محادثات مع نهرو ، وعرض ضمنا الموافقة على خط ماكماهون على أنه خط الحدود فى القطاع الشمالى الشرقى على شريطة أن تعترف الهند بالاحتلال الصينى لحوالى ١٢٫٠٠٠ ميل مربع فى الاراضى التى تقع فى القطاع الشمالى الغربى .

وقد رفض نهرو هذا العرض ، وأقصى ما استطاعه رئيسا الوزراء اللذان كانا فى يوم من الايام عمادا للتضامن الآسيوى هو تعيين وفدين رسميين لاستخلاص المعلومات المتعلقة بالحدود ، ولتحديد المناطق المتفق عليها ، والتى تختلف الآراء حولها ، ثم وضع تقرير لحكومتيهما(١)

---

(١) لدراسة القضية الصينية الهندية حول التبت ، والتمرد الكبير والوضع الدولى للتبت ، أنظر كتاب « التبت تختفى » بقلم تشاتا كياسن ، الصادر عن دار آسيا للنشر ، بومباى ١٩٦٠ . وهو يعالج أيضا النزاع الصينى الهندى حول الحدود .

وقدم الوفدان تقريريهما المنفصلين قرب نهاية العـام ، ولم يؤد التقريران الا الى تأكيد الأزمة المتجددة .

وقد انفجرت مشكلة حدود الصين مع الدول المجاورة وتحولت الى مشكلة رئيسية بعد حركة قمع التمرد فى التبت ، وامداد السـيطرة الصينية الى التبت .

ويزعم الصينيون أن حدودهم الحالية مع الهند وبورما ونيبال قد استمدت شرعيتها من ماضى هـذه الدول الاسـتعمارى ، وانه يتعين تسويتها من جديد عن طريق المشادات والاتفاق المشترك .

وقد أعطى شواين لاى فى باندونج تأكيدا بأن الصين سوف تحاول تخطيط حدودها مع البلاد المجاورة عن طريق الوسائل السلمية فقط ، وانها لن تتخذ خطوة من جانبها وحدها لتغيير الحدود القائمة .

وقد قال فى حديثه الى اللجنة السياسية للمؤتمر الآسيوى الافريقى فى ٢٣ من ابريل عام ١٩٥٥ « ان بيننـا وبين أربعة أقطار حـدودا مشتركة ، غير أننا لم نخطط حدودنا مع بعض هذه الاقطار بصفة نهائية ، واننا مستعدون لأن نفعل ذلك مع الدول المجاورة لنا ، ولكنا حتى قبل اتخاذ هذه الخطوة على استعداد للمحافظة على الوضع الراهن باعترافنا بأن هذه الأجزاء من حدودنا انما هى أجزاء لم يتم البت فيها بعد ، واننا مستعدون لأن نمنع حكومتنا وشعبنا من أن يتعدوا حدودنا ولو خطوة واحدة . واذا ما حدث مثل هذه الاشياء فاننا على استعداد للاعتراف بخطئنا ، أما عن تقرير الحدود المشتركة الذى سوف نضعه مع البـلاد المجاورة لنا ، فاننا سوف نستخدم الوسائل السلمية فقط ، ولن نسمح بأى نوع آخر من الوسائل . وعلى أية حال فاننا لن نغير هذه (الحدود القائمة) » .

غير أن هذا التأكيد لم يحترم . فبين عام ١٩٥٥ وعـام ١٩٥٩ عبر الصينيون الحدود القائمة مع الهند ، واحتلوا أجزاء كبيرة من الاراضى .

كما خلقوا منازعات حول الحدود مع نيبال وبورما ، وتم تسويتها فى عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦١ بالوصول الى اتفاقيات . وقد عاملوا نيبال بكرم ، على حين نجد فى حالة بورما أن النزاع قد تم تسويته على أسس الحدود التقليدية . اما النزاع مع الهند فانه ظل دون حل خـلال أعوام ١٩٥٩ ــ ١٩٦١ ، واتهم كل جانب الجانب الآخر باختراق أراضيه ومجاله الجوى عدة مرات .

وقد كان للنزاع الصينى ــ الهندى أصداء كبيرة فى آسيا وأفريقية ، كما أضر بمركز البلدين الدولى . وقد راقب جانب كبير من الرأى العام

فى الهند قوة الصين المتزايدة بقلق بالغ ، وأدت اللهجة العدوانية المتزايدة في الدعاية الصينية ، بالاضافة الى ما قيل عن وجود خلاف بين الصين والسوفييت حول مسألة الحرب ، أدت الى تحول أصدقاء الصين فى وقت ما الى الشك فى نياتها وخططها النهائية .

وقد أدى رفض حكومة الهند الدفاع عن قضية استقلال التبت الى تعرضها لنقد عنيف من جانب عدد من الاحزاب السياسية الهندية ، بل لقد اقترح بعض الزعماء السياسيين ضرورة انحياز الهند الى الغرب كي تستطيع أن تحرس حدودها ضد أى عدوان صينى فى المستقبل .

غير أن حكومة نهرو رفضت فى الحال مثل هذه الافكار ، وقوى من موقفها الى حد ما الحياد السليم العاقبة الذى طبقته الحكومة السوفيتية بالنسبة للنزاع الصينى الهندى(١) .

---

(١) بدأت الصحافة الصينية وراديو بكين في عام ١٩٦٠ في انتقاد السياسات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية الداخلية في الهند . وكان من بين التقارير التى نشرت عن التنمية الهندية في الصحافة الصينية ، التى اذاعها راديو بكين : أن حكومة الهند كانت تتبع اتجاها مؤيدا للرأسمالية ومؤيدا للولايات المتحدة ، ومناوئا للشعب، بشكل متزايد ، وانها أصبحت حكومة رجعية بمرور الوقت. وخلال الاضراب غير الناجح الذى قام به موظفو الحكومة المركزية في الهند في يولية عام ١٩٦٠ ، نشرت الصحافة وأذاع الراديو الصينى تقارير تنتقد انتقادا كبيرا قمع الحكومة للاضراب ، واتخذت الحكومة الهندية اجراء حاسما ازاء هذه التقارير وألغت تأشيرة مراسل وكالة أنباء الصين الجديدة في نيودلهى .

غير أن الأنباء المعادية للهند استمرت في الصدور في الصحافة الصينية والاذاعة من راديو الصين .

وعند نهاية عام ١٩٦٠ سحب الصينيون قواتهم من لونج جو وهى مركز حدود ، على خط ماكماهون بعد آسام ، ولم تتحرك القوات الهندية الى هذه النقطة ، طبقا لاتفاق نهرو ــ شو اين لاى الخاص بجعل الموقف على ما هو عليه في ابريل من ذلك العام، ووجدت بعض الانباء غير المؤكدة عن انسحاب الصينيين من بعض مناطق الحدود المحتلة في لاداخ ، طريقها الى الصحافة الهندية . وقد قال شين يى وزير الخارجية في جاكرتا في ابريل عام ١٩٦١ للمراسلين : ان الصين سوف تجد ، في القريب العاجل، حلا لنزاع الحدود مع الهند . ولكنه لم يدخل في تفاصيل .

وفي مؤتمر جنيف حول لاوس ، حدثت اتصالات بين شين يى وكريشنا مينون ، ولكن حتى وقت وضع هذا الكتاب لم يعرف هل كانا قد ناقشا وسائل حل نزاع الحدود ؟

وتوقف مستر ر . ك . نهرو السكرتير العام لوزارة الخارجية الهندية ، فيما بعد، في بكين ، في طريق عودته الى نيودلهى من منغوليا ، وأجرى محادثات مع الزعماء الصينيين .

وقد كانوا كرماء معه ، ولكن المحادثات لم تكن مثمرة .

أما في حالة نيبال ، فان الصينيين وافقوا على معظم الحدود التقليدية . ولكنهم، لم يخضعوا لوجهة النظر الهندية .

وكانت الحكومة الصينية في جميع مراسلاتها الدبلوماسية مع نيودلهي تؤكد باستمرار أهمية الصداقة الصينية الهندية ، ولكنها كانت تطالب بدعم هذه الصداقة على اساس قبول الهند للقاعدة الصينية ، القاعدة التي تنص على اعادة تخطيط الحدود عن طريق اتفاقية .

وبذل الصينيون جهودا جبارة لاقناع الحكومة الهندية بأن الذين يدعون الى أي طريق آخر ويتحدثون عن عداء بين الصين والهند انما هم في الحقيقة « أعوان للاستعمار » ويعملون بايعاز من النفوذ الامريكي .

ولا شك أن الحكومة الهندية لم تقتنع بذلك . مهما يكن الأمر فان مستر نهرو ، رئيس الوزراء بذل جهوده المستمرة من أجل النظر الى الأمور بطريقة موضوعية ، وكي لا يجعل أهمية مبالغا فيها لحوادث الحدود الصغيرة ، وفي الوقت نفسه يدعم من دفاع الحدود .

وقد تلقت الهند مساعدات من روسيا للقيام بهذا العمل عن طريق ارسال معدات تعبيد الطرق ، والطائرات الهليوكبتر . وقد انتهت الحكومة الى أنها كي تكسب احترام الصين ، يتعين عليها أن تدعم من وضع الهند الاقتصادي والعسكري وفي الوقت نفسه بات من الواضح أنه يتعين عدم السماح بتدهور العلاقات الصينية الهنديه الى حد اليأس وانه ينبغي المحافظة على الصداقة بينهما على أساس المساواة في القوة . وقد شرح مستر نهرو سياسة حكومته في مجلس النواب في ٢٣ من نوفمبر عام ١٩٦٠ ، في الكلمات الآتية :

اذا حدث بسبب الحظ العاثر ، وقامت حرب بين الهند والصين فسوف تكون أمرا فظيعا . ان الصين لن تتغلب على الهند ، كما ان الهند لن تتغلب على الصين . وقد تكون احداهما أقوى أو أضعف من الأخرى ، لكن الدولتين كبيرتان ، وسيكون أي صراع بينهما امرا جسيما ، والمشكلة الرئيسية هي موقف الصين ، وما قد يدور في ذهن الحكومة الصينية ، وما قد تفكر فيه ، في الحاضر وفي المستقبل

= وفي غضون عام ١٩٦٠ مرت الصين بأزمة غذاء عنيفة ، ونبعت هذه الازمة من فترة جفاف طويلة في بعض المناطق ، ومن فيضانات مدمرة في مناطق اخرى .

وبينما نجد أن سرعة الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية قد أبطأت بعض الشيء ، نجد أن الصناعات الثقيلة قد استمرت في التمتع بالأولوية المطلقة .

واشترت الصين كميات ضخمة من الحبوب من كندا ، واستراليا ، والبلاد الآسيوية المجاورة لها ، ولكنها رفضت . باحتقار ، عرضا أمريكيا سخيا ، بأن ترسل الولايات المتحدة الطعام بدافع انساني .

وخلال وضع هذه السطور ، هناك أنباء غير مؤكدة عن أن سرعة تحويل التبت الى الشيوعية قد تباطأت ، وان هناك تحركات واسعة للجيش من التبت الى أراضي الصين مما يوحي بانسحاب القوات .

وإعتقد أن من الاهمية القصوى بالنسبة لنـا ، أن نكون على علاقات ودية مع الصين . لـكن هذا لا يعنى « ولست أرى هـذا الرأى » أن العلاقات الودية يمكن أن تقوم عن طريق انتهاج موقف ضعيف نحو بلد قوى .. ان احترامنا لأنفسنا يقتضى منا الا نعتنق وجهة نظر ضعيفة فى هذا الأمر . ومع ذلك يتعـين علينا أن نذكر الحقيقة التالية : ان من الأمور ذات الاهمية القصوى فى الوقت الحاضر ــ وهى اكثر أهمية اذا نظرنا اليها من الناحية التاريخية ــ الا يكون هناك صراع دائم بين هاتين الدولتين الكبيرتين : الهند والصين ، لأن هذا النزاع يسـبب خلافات واسعة فى آسيا والعالم ، وسوف يؤدى الى حرب عالمية .

الفصل الحادى عشر

ضـــرورة عدم الانحيـــاز

ما يزال عدم الانحياز برغم ما يواجهه من طعن كثير فى الغرب هو الموقف الآسيوى الافريقى السائد تجاه تقسيم العالم الى معســكرين متحاربين فى الميادين السياسية والاقتصــادية والأيديولوجية . لقــد نبتت فلسفة عدم الانحياز من جذور آسيوية ، وانتشرت الى القــارة الافريقية مع انتقال ركب الحرية من بلد الى آخر . وهناك اشــكال مختلفة لعدم الانحياز ، ففى بعض البلاد تجد الدوائر الحاكمة أن هذه الفلسـفة تفتقر الى القوة ، والى مقومات الحياة ، ولذا تنضم الى الكتلة الغربية اما جهارا عن طريق الاحلاف العســكرية أو سرا من خــلال التفاهم حول عديد من الموضوعات . غير أن الرد التلقائى الذى وجهته الاغلبية العظمى من الشعوب الآسيوية الافريقية نحو الحرب البــاردة هو الابتعاد عنها . والسبب فى ذلك بسيط : فان الحرب الباردة تبدو للعقلية الآسيوية الافريقية ، على انها شأن يخص النظامين القائمين فى الدولتين الكبيرتين . لقد ظهرت هذه الحرب لأن الغرب والسوفييت قد شغلا نفسيهما فى مناقشة حامية من أجل القوة والوضع العالميين . ولا تظهر آسيا وافريقيــة فى الصورة الا كلعبتــين فى أيدى الدول الــكبرى .

واذا ماأردنا أن نفهم منبع فلسفة عدم الانحياز الآسيوية وتطورها: تعين أن نتفهم العقلية الآسيوية غداة الاستقلال . فليست آسيا ذات اتجاه واحد ، انما لها عدة اتجاهات .. فهناك كثير من الاختلافات : الجغرافيــة ، والاقتصادية ، والعنصرية ، والحضارية فى القــارة الآسيوية . وتستهين آسيا بهذه الاختلافات ، على حين يبالغ الغرب فى تصويرها . كما أن التعاون الآسيوى فى الاثنتى عشرة سنة الاخيرة لم يتحقق آمال آسيا الجديدة ، فقد كانت كل دولة آسيوية مشــغوله تماما فى مشاكلها الخاصة . وقــد قام صراع ومنــازعات بين الدول الآسيوية ، وكانت هناك منافسة اقتصادية ومصادمات مسلحة محلية .

وعلى الرغم من هذه الاختلافات ، فان هناك قيودا حقيقية تربط بلاد آسيا بعضها ببعض . فلم تكن الحضارات الآسيوية الثلاث العظيمة .. الصينية ، والهندية ، والعربية .. متباعدة بعضها عن بعض على الاطلاق . وقد جلب ركب الحرية معه قدرا معينا من احياء الماضى وهناك جهود واعية لاعادة احياء العلاقات القديمة ودعمها .

وقد نبع الدفع الأعظم الى الوحدة الآسيوية من ماضى القارة الاستعمارى ، فدول أوروبا الاستعمارية جمعت شمل آسيا ، وبينما كانت حركة التحرر تنمو ، ظهرت روابط راسخة من الأخوة بين الشعوب الأسيوية ردا على الوحدة الأوروبية . فبالرغم من الاختلافات الكثيرة بين الدول فى أوروبا ، والتى غالبا ما كانت تؤدى الى الحرب فان الدول الاستعمارية أظهرت وحدة عجيبة فى المصالح حينما واجهتها القلاقل فى آسيا . وبالمثل سرى ونما فى الشعوب الآسيوية بمرور الوقت ، شعور بأنه مهما كانت الخلافات بينها ، فان عليها أن تقف وقفة رجل واحد فى مواجهة بلاد أوروبا المسيطرة والمستغلة .

فاذا كانت هذه المشاعر الآسيوية لم تقدر حق التقدير فى أوروبا المعاصرة ، فان ذلك يعود فى معظمه الى أن سكان أوروبا لم يعرفوا قصة الاستعمار الأوروبى كاملة ، فقد اطلعوا على صورة صناعية تماما للمظاهر الطيبة للحكم الاستعمارى لثلثى الجنس البشرى . كما أن الأحرار الأوروبيين والاشتراكيين الاوروبيين الذين لم يكونوا يعرفون تماما كيف تسير الأمور فى المستعمرات ، يشعرون غريزيا ، بالفخر « ببعثة أوروبا لنشر الحضارة » فى آسيا وافريقية . لذلك فان بعض « التقدميين » الأوروبيين أنفسهم يعبرون عن ضيقهم من غلبة الطابع الآسيوى على صناع آسيا الجديدة .

وكان هذا هو شعور «تريجفى لى» أول سكرتير عام للأمم المتحدة ، حينما قابل نهرو فى باريس فى ١٨ من يناير عام ١٩٥١ ، ووجد أن الزعيم الهندى يختلف اختلافا كبيرا مع اتجاهه نحو الشئون العالمية وقد سجل « لى » انطباعه عن المحادثات معه بقوله : « كانت نقطة البداية عند نهرو تختلف تماما ، فهى آسيا أولا ، انه يتعين على شعوب آسيا نفسها أن تقرر مستقبل آسيا ، وكرر « نهرو » هذا الكلام » .

وكان غرض « لى » هو اقناع نهرو بأنه يتعين على بلاد آسيا أن تختار ، فى الصراع العالمى ، بين الشيوعية الدولية والغرب . ولكن نهرو لم يتأثر بالاشارة الى الاهداف العالمية للشيوعية أو الى اعتماد جميع القارات بعضها على بعض واهتمام « الامم المتحدة » بها جميعا . وبدا أن ذهنه كان مشدودا الى فكرة آسيا ككيان خاص قائم بذاته

وحينما تتبعت هذا الاتجاه الضيق للتفـــكير ، واشرت الى التفــوق العسكرى الغالب للصين والاتحاد السوفيتى فى القارة الآسيوية ، ظل يقول : انه لايهتم بأمن بلاده ، انما كان يهتم باقرار السلام فى كوريا وتسوية الخلافات بين الولايات المتحدة والدول الشيوعية ، وأن هدفه المباشر هو اقناع بكين بالانسحاب من كوريا . وعندئذ تحصل بــكين على فورموزا » .

وقد حاول «لى» أن يثير مسألة احتمال سيطرة قوات روسيا والصين مجتمعة على آسيا . وقد وجد « أنه لا يوجد أى التقاء فى العقول . واستمرت آراؤنا فى الاختلاف » .

غيرأنه بمجرد أن اتجه الحديث نحو المســـائل الاقتصادية ، ظهر بسهولة « أساس مشترك » فقد كان اهتمام نهرو المباشر ينصب على فقر الهند الهـــائل « وما اعتبره قصورا فى الفهم من جانب « الدول الفنية » . وكان انطباع « لى » الاجمالى عن زعيم عـــدم الانحيـــاز الآسيوى هو أن اشتغاله برخاء شعبه قد منعه من اعادة النظر أو تقويم الموقف العالمى فى اعرض اطار له(١) .

وكان السكرتير العام يشير بكلمة « اعرض » الى الاطار الأوروبى .

ان الاختلاف فى الرأى بين نهرو ، ولى يعتبر مفتـــاحا لتقـــدير الدوافع التى تدعو الى انتهاج سياسة عدم الانحياز وضرورة هـــذه السياسة ، وعجز الغرب عن تقلبها كقوة ايجابية فى مصلحة السلام الدولى .

ان الغرب يعتبر الحرب الباردة صراعا بين ايديولوجيتـــين ، بين العالم الشيوعى والعالم « الحر » بين (عقيدة ملحدة) ، وقيم التحرر والحرية الأثيرة .

وترفض العقلية الآسيوية هـــذا التعريف ، ومن الأمور التى هى اكثر واقعية انها ترى فى الحرب الباردة صراعا من أجـل القوة بين الـــكتلتين . وتجد آسيا بلاد الغرب تتـــكاتف لا لأنهـــا تؤمن بميثـــاق البرامج الايجابية من أجـــل رخاء البشرية وانما بسبب خوفهـــا من الاتحاد السوفيتى . وكما قال بروفسور مايو ، المؤرخ القدير ، وأحد الأوروبيين القلائل الذين يحاولون تفهم العقلية الآسيوية : « انه ليس من الصحيح على الاطـــلاق القول بأن الحرب البـــاردة صراع بين ايديولوجيتين محدودتين تحديدا كاملا ، احـــداهما تتضمن الغـــرب جميعـــه » .

---

(١) « من اجل السلام » بقلم تريجفى لى ص ٣٥٩ — ٦٢ .

ان العالم يبدو مختلفا تماما حينما ينظر اليه من العواصم المختلفة، وحتى من الناحية الجغرافية نجـــد أن للعالم صورا شتى فى نظـر مختلف الشعوب . ان«الشرق الأوسط» بالنسبة للبريطانى هو «غربى آسيا » بالنسبة للهنــدى ، وما يعتبر « الشرق الأقصى » بالنســـبة للرجل الانجليزى هو «الغرب الأقصى» بالنسبة للمواطن فى كاليفورنيا «وشرقى آسيا» بالنسبة للهندى .

وبالمثل نجد أن للحرب الباردة صورا شتى باختلاف الشعوب . فحتى الأمريكيون والبريطانيون لاينظرون اليهـــا بالأعين نفســـها تمـاما . ويعتبرهـــا الاتحـــاد السوفيتى محـــاولة لتطويق البــلاد الشيوعية والحد من زحف القــوى الشيوعية ، كما يعتبر الحـــرب الباردة مظهرا من مظاهر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وصورة من سياسة التدخل التى كانت قائمة بعد الحرب العالمية الاولى . وتنظر الولايات المتحدة الى الحرب الباردة على أنها تهديد ضخم لتفوق أمريكا بحكم مركزها كدولة « رقم واحد » فى العالم . وتعنى بالنسبة لبـلاد أوروبا الغربية طوفان الشيوعية الآخذ فى الاقتراب .

أما بالنسبة لشعوب آسيا فهى لا تعنى شيئا من ذلك كله . انها معركة متجددة من أجل السيطرة على العالم من جانب الدولتين كل منهما بمجموعتها من الدول التى هى أقل والتى تعتمد عليها من أجل سلامتها ، وحصولها على مقومات الحياة .

واذا كان هناك عامل واحد يدفع البلاد الآسيوية الى الابتعاد عن المعسكر الغربى ، بل ويدفعها الى انتقاده انتقادا شديدا ، فان هـــذا العامل هو مسألة الاستعمار . وقد عبر رابندرانات طاغور عن الشعور الآسيوى « والافريقى » العام حين قال : « نظرا لأننا آسيويون ، يبدو أن معارضتنا لأوروبا تسرى فى دمائنا » وأن المعســكر الغربى الذى يفترض أنه مشغول فى قتال ضد « قوى الشيوعية الشريرة » والذى يعلن عن مناصرته للحرية ، عبارة عن تكتل غريب لعدة دول ذات ملامح سياسية مختلفة ، ومعظمها بعيد تماما عن معبـــد الحرية : فالولايات المتحدة ، الزعيمة ، تتحالف مع بريطانيا وفرنسا وهولندا ، وبلجيكا وهى من الدول الاستعمارية ، والبرتغال واسبانيا وهمـــا من الدول الفاشية ، كما أنها ترتبط بدول اسكندناوة الاشتراكيـــة . وأدخلت كلمة « حر » لتكتسب معنى غريبا وغـير عادى ، فان كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية ، وتايلاند ، وتركيا من الدول «الحرة» ، أما الصين وفيتنام الشمالية وكوريا الشماليـــة فهى ليست كذلك . وقد قال بروفسور بترفيلد بحق : «ابعدوا التهديد الروسى ، واستبعدوا الحاجة الى المساعدة الامريكية ، وسرعان ما تتداعى مظاهر الاحمـاء الحمــلة

فى بقية أوروبا وتخلف وراءها مرارة وفوضى » وسوف يحدث المثل لمجموعة البلاد الملتزمة فى آسيا .

لقد نبعت فلسفة عدم الانحياز الآسيوى من تيـــارات سلبية ، وتيارات ايجابية ظلت تسرى طويلا فى أعماق العقلية الآسيوية .

لقد نبعت من كراهية الاستعمار الأوروبى ، ذلك أن وجود الدول الاستعمارية فى معسكر « العالم الحر » كانت كفيلة باقنـــاع البلاد الآسيوية بأن هذا المعسكر ليس معســكرها . كذلك نبعت من ادراك عميق لمدينة آسيا العظيمة ، ومن الايمان بأن آســيا التى ظلت مهملة ومهانة زمنا طويلا ، لديها جديد تريد أن تقدمه للبشرية « مثلما قدمت للعالم دياناته الهامة » ونبعت أيضا من رفضها تقسيم العـــالم الى معسكرين واعتبار هــذا التقسيم شيئا نهائيا . وكانت أمم آســـيا تدرك جيدا أن الحرب العالمية الثانية قد أحدثت تغيرا عظيما فى ميزان القوى ، وأن انتهاء النظام الاستعمارى القـــديم ، فى آسيا نفسها ، يؤدى الى « فراغ فى القوى » وعرفت أن الدولتين المتحاربتين سوف تتنافسان من أجل ملء هذا الفراغ . ولـكنها لا تريد لهذا الفراغ أن يملأه أحد منهما . أرادت آسيا الجديدة أن تملأ هذا الفراغ بنفسها .

وفى الســـنوات الأولى تم الطعن فى عـــدم الانحياز من جانب معسكرى الحرب الباردة . وقد تصادف أن وجدت دول عدم الانحياز نفسها متفقة فى الاتجاه ـ داخل الأمم المتحدة ـ مع الاتحاد السوفيتى حول عديد من المسائل العالمية ، مثل مناهضـــة الاســتعمار ، ونزع السلاح ، والتكتلات العسكرية . ومن أجـل ذلك نددت بها الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى على أنهـا تخفى اتجاهات شيوعية ، وتقف مكتوفة الأيدى . ومن ناحية أخرى تعرضت البـلدان الآسيوية غير المنحازة ، فى العـواصم الشيوعية ، للطعن برغم تبعيتها للغـرب وذلك بسبب فشلها فى اتخاذ موقف أكثر صلابة ضد بعض التطورات، مثل الحرب الأهلية فى الملايو .

وهكذا نجد أن عدم الانحياز كان موضع شـك فى كلا المعسكرين لأنه لم يكن على استعداد للتمادى من أجل ارضاء أى من الطرفين .

وصاغ نهرو هذا الأسلوب فى شـكل دبلوماسية ، فى شكل أداة جاهزة من أدوات الدبلوماسية : « لقـــد كانت الدوافع والضرورات موجودة ، ولـكن تطبيقها على المواقف العالمية الفعلية كان موضع تردد وحذر فى أول الأمر ، وكانت الهند ، لأســـباب عدة ، لا ترغب حتى اندلاع الحرب الـكورية فى الاساءة كثيرا الى بريطانيا العظمى ، وكان شعور الحكومات الاستعمارية بالضيق من جراء رفض نهرو الاقتراب

من الخط الغربي سببا في اشعار نهرو بالقلق . وقد أخذت فلسفة عدم الانحياز شكلا أكثر اكتمالا نتيجة للتطورات العالمية ، وفي الوقت نفسه أصبح موقف الدول الآسيوية نفسها أقوى عن ذى قبل » .

لقد صاغ نهرو هذا الأسلوب في شكل دبلوماسية ، ولكنه لم يكن خالق هذا الأسلوب . وفيما يتعلق بالهند ، تعتبر فلسفة عدم الانحياز تطورا منطقيا للسياسة الخارجية التي وضعها « المؤتمر الوطني » : فبالنسبة للمجموعة الآسيوية كان عدم الانحياز هو النظرة الدولية المنطقية الوحيدة حتى في مؤتمر العلاقات الآسيوية الذى انعقد في نيودلهي في مارس عام ١٩٤٧ قبل انسحاب الدولة البريطانية من شبه القارة الهندية بستة أشهر . وأجمعت الآراء في المؤتمر على أنه يتعين ألا تقبل آسيا الناهضة وصاية الرجل الأبيض في أى شكل وقد رسم نهرو الاتجاه وسط استحسان المندوبين قال : « لقد ظللنا فترة طويلة ، نحن شعوب آسيا . نقدم التماسات الى محاكم الغرب وحكوماته . واليوم ينبغي أن نسدل على هذه القصة أستار النسيان . اننا ننوى الوقوف على أقدامنا نحن ، والتعاون مع كل من يعلن استعداده للتعاون معنا . غير أنه ليس في نيتنا أن نصبح ألعوبة في يد الآخرين»

وقد شاركت معظم الوفود في هذا الشعور ، وحث مستر باندرانيكة الراحل ، الذى كان يتزعم وفد سيلان ، حث دول آسيا الناهضة على أن تنمى قوتها ووحدتها قال : « ان العلاج الوحيد أمامنا هو أن نبذل جهدا هائلا لتحقيق الوحدة والانسجام في آسيا بالوحدة داخل كل بلد على حدة والوحدة مع البلدان الاخرى » .

وهنا من جديد كان الاتجاه هو رؤية آسيا قوية ومتحدة ككيان قائم بذاته . وقد ردد أبو حنيفة رئيس الوفد الأندونيسي ، أصداء هذا الشعور بقوله : « اننا نحب بالفعل العيش في سلام مع الدول الأخرى التي تحترم حقنا في أن نكون أحرارا مستقلين » .

وفي عام ١٩٤٧ لم تكن هولندا وهي عضو هام في المعسكر الغربي مستعدة بعد تماما للموافقة على استقلال اندونيسيا الكامل . بل ان المندوب الصيني « ولم تكن الصين قد أصبحت شيوعية بعد » . قد رأى أن مؤتمر العلاقات الآسيوية عبارة عن « جسر بين آسيا وبقية العالم » .

وقد بدا عدم الانحياز كوجهة نظر دولية في آسيا الجديدة حينما اصبحت أندونيسيا أول بلد آسيوى ينفض عن نفسه الوضع الاستعمارى بمجرد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

وفي الاول من يونيه عام ١٩٤٥ أعلن الرئيس سوكارنو مبادئه

الخمسة الشهيرة ، تلك المبادىء الخمسة الرئيسية التى وضعت كى تسترشد بها جمهورية أندونيسيا المستقلة الوليدة. ومن هذه المبادىء النزعة الدولية التى يقصد بها الأندونيسيون التعاون مع جميع الدول على أساس المساواة .

ومنذ عام ١٩٤٥ حدثت تغييرات كثيرة فى أندونيسيا ومرت البلاد بكثير من المحن والانتكاسات ، ولكن كما قال سوكارنو لمواطنيه فى السابع عشر من أغسطس عام ١٩٥٢ : « تعاقبت وزارة بعد أخرى وجرت أحداث مختلفة الأشكال فى الداخل والخارج ، ولكن سياستنا الخارجية التى تعتمد على عدم اختيار جانب ما ، وعلى دعم التعاون مع آسيا ، لم يجر عليها أى تغيير . وتعرف هذه السياسة بأسلوب واضح هو سياسة مستقلة فعالة موجهة نحو السلام . وطبقا لهذه السياسة يتم فحص كل مسألة فى الشئون الخارجية ذات صلة بالمصالح الأندونيسية على ضوء طبيعتها ومضمونها ، فما هذا المقياس الذى يتم به الحكم على هذه المسائل ؟ المقياس هو هل أى تصرف من تصرفاتنا فى مجال الشئون الخارجية يمكن أن يتوافق مع مصالحنا القومية ، ومع روح المبادىء الخمسة ؟ » .

واذا كانت الهند قد فوضت لتطوير فلسفة عدم الانحياز لتأخذ شكلها الكامل ، وأن تشحذها لتصبح وسيلة من وسائل الدبلوماسية الدولية ، فذلك بسبب الوضع الجغرافى المميز للهند والموقع الممتاز الذى كانت الهند تحتله فى خطة بريطانيا الاستعمارية على الرغم من من ارادة شعبها .

فقد كانت امبراطورية بريطانيا فى آسيا تعتمد على الهند . فقد امتدت الامبراطورية ، بسبب الهند ، من غربى آسيا الى شرقى آسيا. وقد اعلن ذلك بوضوح لورد كوروزوف ،وهومن كبار بناة الامبراطورية حينما سجل ان « السر فى المركز (البريطانى) بأكمله ، فى الجزيرة العربية ، وايران وافغانستان والتبت ، وشرقا حتى سيام « هو اننا » لا نرغب فى احتلالها ، ولكنا لا نستطيع أيضا أن نرى خصومنا وهم يحتلونها » وعلى حد قول مستر ك . م . بانيكار ، المؤرخ الهندى الكبير « لقد بدأ حجم الهند وأهميتها ومواردها ومركزها الجغرافى تؤكد نفسها شيئا فشيئا ، وسرعان ما أصبحت مصالح الامبراطورية البريطانية فى الهند العامل الرئيسى فى تشكيل سياستها الاستعمارية» وقد تحدد كثير من مظاهر السياسة البريطانية فى الصين وايران ، وافغانستان على ضوء ، « اعتبارات سلامة الهند أو ما اعتبرته بريطانيا مصالح هندية » .

ولم يكن هناك مفر من أن ينظر الى الجندى الهندى فى مصر وافغانستان ، وبورما ، والملايو ، وسنغافورة ، أيام الاستعمار الانجليزى على انه رمز لهذا الاستعمار . فقدكان البريطانيون يستخدمون القوات الهندية فى قمع الحركات الوطنية فى البلاد الآسيوية المجاورة ، بل وحدث فى مؤتمر العلاقات الآسيوية أن بلغ من صراحة وفد بورمانه ذكر (فى أحد اجتماعات المائدة المستديرة) أن الهند قد استخدمت « اداة فى ايدى الاستعمار البريطانى لاخضاع البلاد التى تحوطها » وعبر عن أمله فى ألا تسمح الهند ، بعد نيل حريتها ، فى استخدام جيشها فى قمع حركة الحرية فى أى بلد .

وكأنما أراد حزب المؤتمر الوطنى أن يعتذر عن هذه الزلة وأن يعوض ، بسخاء ، ما فعله السادة المعادون حينما استغلوا موارد الهند بطريقة شريرة ، فرسم سياسة خارجية فى نحو ثلاثين عاما تقريبا . ولم تكن هذه السياسة تتخيل آسيا حرة ومرتبطة بعضها ببعض بروابط قوية ، من التعاون ، والدوافع التى تدعو الى التقارب ومن المثل العليا والمساعى الحميدة فحسب ، وانما تخيلت أيضا قارة آسيوية تؤدى دورها الفعال فى الشئون الخاصة بالبشرية .

وتمر النغمة المناهضة للاستعمارخلال تاريخ المؤتمر الوطنىالهندى بأكمله — فحتى فى أثناء دورته الاولى عام ١٨٨٥ « استهجن المؤتمر ، وكان وقتها هيئة تقدم العرائض والالتماسات ، تحت رعاية رجل انجليزى ، ضم بورما » وفى عام ١٨٩٢ تبنى المؤتمر قرارا ينتقد سياسة الضم البريطانية التى يتم تنفيذها بأموال وموارد هندية . وتمت الموافقة على قرارات مشابهة فى عام ١٨٩٥ و ١٨٩٧ و ١٨٩٨ و ١٨٩٩ و ١٩٠٢ .

وفى عام ١٩٠٤ ندد المؤتمر ببعثة لورد كورتزوف الى التبتالتى وصفها بانيكار بانها ذروة الاستعمار البريطانى فى الهند . وقد عبر هذا القرار عن الخوف من الا تكون حملة التبت سوى جزء من سياسة تقدم عامة ، تضافرت مع بعثتى أفغانستان وايران ، فى توريط الهند فى التزامات خارجية ستثقل لا محالة كاهل الرجل الهندى بطريقة لا تطاق وتسفر فى النهاية عن تنافيها الكامل مع مصالح البلاد .

وفى العشرينات أصبحت نظرة الهند المناهضة للاستعمار أكثر قوة ، وأوسع مدى ، وأعمق أثرا . وفى عام ١٩٢٢ أرسل المؤتمر رسالة تأييد الى الشعب التركى ، وفى عام ١٩٢٣ أرسل رسالة الى الشعب المصرى يندد فيها بـ « موجة الارهاب التى فى بلاده » . وفى عام ١٩٢٧ طالب المؤتمر بانسحاب القوات الهندية التى تخدم الأغراض الاستعمارية فى الصين ، وبلاد ما بين النهرين ، وايران . وبالمناسبة

وصف هذا القرار الشعب الصينى بأنه « رفيق للشعب الهنـدى فى كفاحه المشترك ضد الاستعمار » . وفى السنة التالية عبر المؤتمر عن وقوفه مع اربع دول عربية هى مصر وسورية وفلسطين والعراق « فى كفاحها من أجل التحرر من قبضة الاستعمار الغـربى » . وفى عام ١٩٢٨ ربط المؤتمر الهندى كفاح الهند من أجل الحرية بكفاح الشعوب الآسيوية الأخرى :

« ان كفاح الشعب الهندى من أجل الحرية جـزء من الـكفاح العالمى ضد الاستعمار ومظاهره ويتعين على الهند أن تقيم علاقات مع الدول والشعوب الاخرى التى تعانى أيضا من وطأة الاستعمار، وترغب فى مقاومته » .

وقبل ذلك أى منذ عام ١٩٢١ ، أخبر المؤتمر الوطنى الهندى البلاد المجاورة أن الهند لا تشارك فى سياسات التقدم التى تنفذها القوى البريطانية بمساعدة الجنود والموارد الهندية ، فان « الهند كدولة تتمتع بالحكم الذاتى ليس لديها ما تخشى عليه من الدول المجاورة أو من أية دولة حيث أن شعبها لاينوى تدبير أى مؤامرات ضدها » .

وقد أصبح المؤتمر الوطنى الهندى أحد أوائل المنظمات السياسية الشعبية فى العالم التى أدركت خطر الفاشـيـة . فقد نظر المؤتمر ، بريبة ، الى ظهور هتلر وموسولينى على القارة الاوروبية ، وظهور قـوة اليابان العسكرية فى شرقى آسيا . ففى الوقت الذى كانت فيه الدول الديمقراطية فى العالم تساير الدول الفاشية ، وتبذل المحـاولات من أجل ايقاع ألمانيا النازية فى صراع مع الاتحاد السوفيتى ، انتهج المؤتمر الوطنى الهندى سياسة محدودة تتمثل فى التأييـد المعنوى لضحايا النزعة التوسعية العسكرية فى أوربا ، وافريقية وشرقى آسيا. فندد المؤتمر بالعدوان الايطالى على أثيوبيا فى قرار أصدره فى دورة لوكنو عام ١٩٣٦ ، كما أعلن عن تعاطفه العميق مع شعب اسبانيا ، وعبر عن شعوره بالدهشة من اتباع بريطانيا سياسة عدم التدخل التى « أدت فى الواقع الى مساعدة هؤلاء المتمردين الذين تؤيدهم جهـارا الدول الفاشـيـة » .

وفى عام ١٩٣٧ ندد المؤتمر بشدة بالهجوم اليابانى على الصـين بل وطلب من شعب الهند « الامتناع عن استخدام البضائع اليابانية كدليل على تأييده لشعب الصين » . وصـدر قرار آخر عام ١٩٣٨ بادانة « العدوان الاستعمارى الوحشى على الصين » . وفى العـام نفسه قرر المؤتمر ارسال بعثة طبية الى الصين كتعبير عن عطف الهند. كما أبدى قلقه نحو مؤامرات ألمانيا ضد استقلال تشيكوسلوفاكيا .

وقد عقد المؤتمر دورة حاسمة فى هاريبورا عام ١٩٣٨ حينماوقف العالم بكل ثقله على حافة الاشتعال . وكان القرار الذى صدر حول الموقف الدولى فى هذه الدورة يحمل لهجة السياسة الخارجية التى اعتنقتها الهند المستقلة بعد ذلك بعشر سنوات . وكان نص القرار :

« يرغب شعب الهند فى العيش بسلام وود مع جيرانه ، ومع جميع الدول الاخرى ، ومن أجل هذا الغرض ، يرغب فى ازالة كل أسباب الصراع بينهم . ووسط نضاله من أجل الحرية والاستقلال كامة . يؤمن احترام حرية الآخرين ، وبناء قوته على أساس عن حسن النية . والتعاون الدولى . ويتعين اقامة مثل هذا التعاون على أساس نظام عالمى ،وسوف تربط الهند الحرة نفسها ، راضية ، بأى نظام كهذا ، وتدعو الى نزع السلاح والى الامن الجماعى . ولكن التعاون الدولى بعيد عن التحقيق طالما بقيت جذور الصراع الدولى كما هى ، وطالما ظلت دولة تسيطر على دولة أخرى ، على حين يتمسك الاستعمار بنفوذه . ولهذا يتعين القضاء على الاستعمار ، واستغلال شعب لشعب آخر حتى يمكن اقامة صرح السلام العالمى على أساس راسخ » .

وهكذا نجد ان القومية الهندية ، منذ بدايتها ، كانت تتجه الى العالم ببعض المبادىء الاساسية . وأول هذه المبادىء هى أنه يتعين القضاء على الاستعمار اينما وجد ، وفى جميع أشكاله .

ثانيا ـ تريد الهند العيش فى سلام وود مع البلاد المجاورة لهاومع جميع الدول الاخرى ، وليس لديها ما تخشاه من أحد ، حيث أنهالاتكن أى خطط عدوانية لأية دولة أخرى .

ثالثا ـ ستحاول الهند أن تتجنب أى تورط خارجى وخاصة حينما لا يكون هذا التورط فى مصلحتها الوطنية .

رابعا ـ تؤمن الهند ، وتعلن عن تأييدها التام لنظام دولى ، وتؤمن أيضا بالامن الجماعى .

خامسا ـ ستحاول الهند الحرة التخفيف من حدة التوتر ، وتهدئة الصراع العالمى ، والعمل بقوة من أجل السلام الدولى .

وهكذا نجد حلقة متصلة فى تطور سياسة الهند الخارجية .ويتعين أن يكون ذلك واضحا امام أى دارس جاد لتقدم القومية الهنديةوتطويرها وعلى حد قول كاتب أمريكى : « ان أى بحث فى بيانات السياسة الخارجية الكثيرة الصادرة عن المؤتمر الوطنى الهندى فى الماضى ، يكشف عن عنصر قوى من عناصر الاستمرار فى سياسة الهند الخارجية الحالية(١) .

---

(١) « الحياد فى آسيا » مقال بقلم د.ا. سكالبين « أمريكا بوليتيكان ساينس ريفيو » عدد مارس عام ١٩٥٤ .

وقد اعترف جورج كاهن وهو مؤلف امريكى شهير ، بهذا الاستمرار في كتاب حديث بعنوان : « حكومات آسيا الرئيسية ، قال :

« على الرغم من المشاكل الداخلية العاجلة ، وسياسة عدم الانحياز ادت الهند ، منذ عام ١٩٤٧ ، دورا فعالا ومستمرا على وجه العموم في الشئون الخارجية ، ويعتمد هذا الدور على تأيد اغلبية كبيرة فى الداخل . ومهما كانت الانتقادات الخارجية الموجهة الى سياسة الهند الخارجية ، فانها كانت ذات قيمة بالنسبة لمعظم الهنود الذين يفهمون فى مثل هذه الامور . فقد منحت هذه السياسة فى الهند نفوذا فى العالم اكبر بكثير مما توحى به قوة الهند الحقيقية ، وهى السياسة الوحيدة التى يمكنها الفوز بمثل هذا التأييد الكبير فى داخل البلاد تقريبا .

« فالهند ، بالاسلوب السياسى للقوة ، بلد ضعيف ، لا تتحلى الا بالقليل من المميزات التى يجب أن تتمتع بها دولة ما لتكون ذات نفوذ فى الشئون العالمية ، ومن المؤكد أنها أكثر البلاد الديمقراطية ازدحاما بالسكان ، ولكن نظرا لمستوى المعيشة المنخفض للغاية ، وانتشار الامية ، والشقاق الاجتماعى فان السكان قد يكونون عاملا من عوامل الضعف لا القوة فى الوقت الحالى . فالهند تحتل منطقة شاسعة الاطراف فى بقعة من العالم ذات أهمية استراتيجية ، ولكن مواردها محدودة ، وهناك عقبات مؤلمة فى طريق وحدتها الداخلية . ومع ذلك فان الهند اكبر دولة غير شيوعية فى آسيا ، وأكبر دولة فى العالم « غير الملتزم »، وهى المتحدث الرئيسى باسم الدول الناهضة حديثا وخاصة دول المجموعة الاسيوية الافريقية فى الامم المتحدة . وتعتبر الهند نفسها جسرا رئيسيا بين الشرق والغرب وبالرغم من أن موقف الهند من عدم الانحياز قد يبدو للصين المتحيزة مدعاة للانزعاج أو دليلا على ضيق النظرة فانه حقق من النفوذ فى المحافل الدولية ما لا يحقق ارتباط الهند بالغرب » .

غير أن جذور النظرة العالمية التى ترفض ان تتحكم فيها القواعد الجامدة ، والتى ترفض ان ترى الجنس البشرى مقسما الى شيع ايديولوجية متزمتة ، هذه الجذور اعمق بكثير حتى من مراحل تكوين القومية الهندية . والواقع أن مبادىء الفلسفة الهندية تحتم بعض التسامح مع التصرفات والسلوك الانسانى المتنوع ، وغالبا ما يتجاهل الساسة والدارسون الغربيون للشئون الاسيوية هذا المظهر من المظاهر غير المباشرة على عمليات الفكر الهندى لأجيال عدة ، والتى أثرت بطريقة غير مباشرة على عمليات التفكير فى عديد من بلاد آسيا المجاورة وتحث على روح البحث ، والمغامرة الفكرية ، وتدفع الى اكتشاف حقيقة الامور برغم أن البحث عن الحقيقة هنا ليس عن طريق الوسائل الموضوعية التى ابتدعها العلم الحديث . ولكن لم تترك الفرصة أمام اى مبدأ متزمت

ليقف فى الطريق . وتجمع هذه الفلسفة بين النزعة الفـردية القوية ، والتسامح الكبير مع العقائد والمذاهب والمسالك المختلفة . وهى أساسا فلسفة توازن وتوحيد : ذلك أن شتى سبل البحث عن الحقيقة تتجـه نحو الوحدة ، والروح الانسانية فى بحث دائب عن وئام يسود الكون ، ولا يكاد يوجد زعيم هندى ، حتى نهرو لم تتأثر اتجاهاته الفكرية بعمق بهذه الفلسفة القديمة .

وقد كان من الطبيعى مع هذا الاساس الفلسفى ، وبالنسبة لسياسة المؤتمر الوطنى الهندى الخارجية ، أن تحاول الهند المستقلة ، منـذ البداية اتباع طريق فى معاملاتها الاولى مع بلدان العالم ، يضمن لهـا الحد الأمثل من النية الطيبة والتعاون من جانب الجميـع ، ويجنبها التورط فى منازعات ليست لها فيها أية مصـالح مباشرة وأصبحت هذه المهمة ملحة وصعبة فى الوقت نفسه نظرا لان الهند لم تر النور فى عالم موحد وانما فى عالمين ، فقد جلبت الحرية فى أعقابها مشاكل داخليـة ضخمة ، واستخدمت معظم طاقات الزعامة الوطنية فى الهجوم الشديد عليها . فقد أدى تقسيم شبه القارة الى دولتى الهند وباكستان ، وماتبع ذلك من مذابح جماعية ، الى أكبر انتفاضات سكانية شهدها التاريخ . لقد عبر نحو اربعة ملايين نسمة الحدود الى الهند من الجناح الغـربى لباكستان وحدها ، ورحل نحو مليونى مسلم ، وتركوا الهند الى البلاد المجاورة . وقد كان انعاش هذه الانسانية التىاستئوصلت من جذورها، مهمة صعبة .

ومن المهام الصعبة أيضا مهمة التكامل الجغرافى للهند ، الـذى قضى بالاندماج السلمى فى البيـان السياسى لما يزيد على خمسمائة من الامارات التى تركها البريطانيون ، بعد أن جعلوا كل واحدة منها تتمتع بسلطات كبيرة . وكان يتعين تحويل خريطة الهند الممزقة فى ظل الحكم البريطانى الى خريطة بلد متحد ومتماسك . وقد تمت هذه المهمة الهائلة بطريقة سلمية تقريبا،برغم انها تطلبت عملا بوليسيا قصيرا فى حيدرآباد وأدت الى ظهور مشكلة كشمير التى لم تحل بعد .

واذا كانت الهند القاعدة التى كانت تعتمد عليها بريطانيا الاستعمارية فى الشرق فان انهيار هذه القاعدة كان يعنى انتهاء الطراز القـديم من الاستعمار الاوروبى فى آسيا . وقد تبع استقلال الهنـد ، مبـاشرة ، استقلال سيلان . وكان هناك شعور متزايد بالغليان فى الغرب العربى « غربى آسيا » وفى ايران . وفى الملايو كان الشيوعيون يخوضون حرب الاحراج . وبدأ الصراع فى الهند الصينية يزعج الفرنسيين .

وبرغم أن الامر قد اقتضى مرور عدة سنوات قبل أن تقتنـع الدول الاستعمارية بأن أيام الاستعمار قد ولت ، كانت المرحلة الجـديدة من

مراحل التاريخ الاسيوى واضحة للزعماء الاسيويين الجدد ، كانوا يعرفون أن اسيا الجديدة سوف تؤدى دورا جديدا فى الشئون العالمية . وكما أعلن نهرو فى مؤتمر العلاقات الاسيوية «سوف تؤدى آسيا بالضرورة دورا حيويا فى الازمة التى ألمت بتاريخ العالم ، فلا يمكن أن تستغل بلاد آسيا ، بعد الآن ، كمخالب قط للأخرين ، فمن المحتم أن ترسم سياستها الخاصة بها تجاه الشئون العالمية » .

واذ أصبح عدم الانحياز الاسيوى وسيلة للسياسة الخارجية بات يرمى الى أربع غايات رئيسية :

أولا : سعى لكى يضمن لآسيا وضعا يتسم بالعزة والحرية فى علاقتها بأوربا .

ثانيا : سعى لان يجعل اسيا بمنجاة ، على قدر الامكان عن الصراع النابع من صراع المصالح بين الدول غير الاسيوية وذلك حتى تتمكن الدول الحديثة العهد بالحرية من تكريس نفسها لمهمة اعادة البناء الملحة .

ثالثا : يهدف الى بذل المساعى الاسيوية الحميدة لتحقيق مزيد من التفاهم بين الطرفين المتنازعين ، وعن طريق تخفيف حدة التوتر سوف تفيد بلاد اسيا من جزء كبير من موارد الدول المتقدمة من أجل الجهود الرامية الى البناء فيها .

رابعا : يسعى الى تحقيق التعاون بين دول اسيا ، وبينها وبين افريقية ، ويسعى أيضا الى خلق فلسفة دولية للتعايش السلمى الذى تتضافر فيه جهود الدول .

وفى الدول الغربية نجد ان هناك اتجاها الى معادلة عدم الانحياز بسياسة الحياد . وبالرغم من انه لا فارق بين الكلمتين ، فى الحديث العادى ، فان هناك اختلافا جوهريا بينهما فى الدوائر الدبلوماسية .

وفى الجمهورية العربية المتحدة يوصف عدم الانحياز بأنه حياد ايجابى ، ومعنى هذا أن ماتعتبره الدوائر الدبلوماسية الغربية عادة حيادا ، تعتبره الدول الاسيوية الافريقية سلبيا ، الى حد كبير .

وقد سأل مراسل امريكى ناصر ذات مرة : كيف يستطيع أن يبرر من الوجهة الادبية ، وقوفه موقف الحياد بين الغرب الديمقراطى والعالم الشيوعى المستبد ؟ وكان رد ناصر :

((اعتقد اننا نرتكب خطأ باستعمال كلمة ((حيادى)) ، ان اللفظ الافضل هو : غير منحاز . ذلك أن الحياد كلمة وضعت لاستخدامها

زمن الحرب ، فلسنا حياديين من الناحية الادبية . لكنا نلتزم مبدأ عدم الانحياز ، وبذلك نستطيع أن نحكم على كل مشكلة دولية على ضوء ظروفها ، لا على أساس الأحلاف . ولو كانت أمريكا غير منحازة،لاستطعتم ان تقفوا موقفا أكثر جرأة من المشكلة الجزائرية غير أنه لكونكم مرتبطين بفرنسا ، لا تستطيعون أن تؤيدوا القومية فى الجزائر »(١) .

ان الدراسة الموجزة للحياد كما مارسته الدول الاوربية والولايات المتحدة فى الماضى قد يساعدنا على تفهم عدم الانحياز ، من ناحية الشكل والمضمون . لقد ظل الحياد سياسة امريكا الخارجية لما يربو على مائة عام . وقد طبقت هذه السياسة ، فى معظمها ، تجاه أوروبا ، وسارت جنبا الى جنب مع سياسة حسن الجوار فى القارة الامريكية .

لقد ظهرت فى الولايات المتحدة مسئولية رسم الحياد الامريكى والمحافظة عليه فى حالة قيام أى صراع أوروبى ، لاول مرة ، عام ١٧٩٣ ، حينما افتتح هاملتون وماديسون مناقشة كبيرة تتعلق بالحرب الانجلو ــ فرنسية . وكان الرئيس جورج واشنطن قد أذاع بالفعل ، اعلانه المشهور الذى ينص على الحياد . وفى التاريخ الامريكى اصدر الكونجرس تشريعا يقضى بالحفاظ على الحياد الامريكى خلال الحروب الاوروبية ، نظرا لان الدستور لم ينص على سياسة حيادية .

ويحسن بنا أن نتذكر ان الولايات المتحدة كانت الفائزة بكل شيء ولم تخسر شيئا من اتباعها لسياسة الحياد بالنسبة للصراع الاوروبى. ذلك ان التدهور المتزايد لحيوية العالم القديم ، كانت تقابله زيادة فى قوة امريكا الاقتصادية . وأصبح بمقدور الولايات المتحدة أن تجنى ثمارا اقتصادية ضخمة من وراء الحروب الاوروبية دون ان تدفع الثمن الذى تقتضيه أية حرب . وظلت الولايات المتحدة محايدة فى الحرب بين ايطاليا واثيوبيا وفى أثناء الحرب الاهلية الاسبانية وخلال المراحل الاولى للحربين العالميتين .

غير أن سياسة الحياد هذه لم تطبق فى الباسفيكى ، فان كانت أوروبا بعيدة جدا ، فالباسفيكى ليس كذلك ، ومن هنا كانت الولايات المتحدة ، منذ بداية علاقاتها الخارجية أشد اهتماما بالتطورات فى الباسفيكى منها بالتطورات فى أوروبا : ففى فترة معينة وقفت الولايات المتحدة مع اليابان ضد روسيا من أجل المحافظة على ميزان القوى فى الباسفيكى . غير أن ظهور اليابان خلق عدم توازن ، وقد خلقت الحرب الصينية اليابانية ردود فعل فى الولايات المتحدة أقوى من أى صراع مشابه يتعلق بالدول الاوروبية .

وان أية دراسة للعلاقات الخارجية الامريكية فى منطقة الباسفيكى

---

(١) « ناصر مصر ــ السعى وراء الكرامة » بقلم ولتون وين ص ٥٩ .

تدل على أن اشتغال الولايات المتحدة بشئون الشرق الاقصى أكبر بكثير من اشتغالها فى شئون أية منطقة أخرى باستثناء امريكا اللاتينية . وقد ظهرت تفسيرات عدة لهذا الاشتغال : فقد اكد البعض أن الجـــــذور الامريكية الرئيسية فى الشرق الاقصى جذور تجارية ، غير أن تجـارة أمريكا مع أوروبا كانت أكبر بكثير من تجارتها مع اليابان أو الصين وقد قال ولتر ليبمان : ان سياسة الباب المفتـــوح كانت أكثر من سياسة تجارية ، لقد كانت تعبيرا عن « العقيدة السياسية الامريكية » ، ورد فعل تلقائى ضد التوسع الاستعمارى وقد أشار كينيث سكوت لاتوريت الى « اتجاه الحدود الامريكية المنطقى ناحية الغرب » .

وقد زجت ثلاثة عوامل رئيسية بالولايات المتحدة فى مجال شئون منطقة الباسفيكى ، وحدث ذلك فى القرن التاسع عشر نفسه .

والعامل الاول هو التجمع التدريجى للمشاعر التاريخية .

ثانيا : كان هناك خوف من اليابان .

أما العامل الثالث فهو الاحداث التاريخيـــة الطارئة . وقد بدأت المشاعر التاريخية بالعلاقات التجارية ، ودعمتها الارساليات العاملة فى الصين : « ومن هذا النفوذ المزدوج نبع الاهتمام باســتقلال الصـــين واستقرارها السياسى » . وقد كان قدر كبير من الالتزامات الاقليميـة التى تعهدت بها أمريكا نتيجة لظروف طارئة أو كانت عارضة بالنســبة للحركات السـياسية فى أماكن اخرى .

ومن الواضح أن من بين العوامل الرئيسية التى جعلتنا نقبل تحدى اليابان الخوف من خضوع موارد اسيا لسيطرة دولة صناعية عسكرية واحدة . وفى هذه الحالة سوف تكون الولايات المتحدة عرضة للهجوم حقا ، فمن الممكن حينئذ قطع الامدادات الاستراتيجية عنا ، وقطع نقاط دفاعنا فى الجزر ، ولذا فقد تؤدى التعبئة الفعالة للســـكان والثروة المعدنية فى الشرق الى جعل الهجوم على الـــولايات المتحدة غير ذى موضوع .. فما على الولايات المتحدة الا ان تقف جانبا وترى مصالحها وهى تخضع للتغلغل اليابانى » .

« وقد كانت المعارضة المحلية للتدخل الامريكى فى اســـيا شيئا مستمرا ومثيرا للضجة من حين لآخر ، غير أن هذه المعـــارضة لم تكبح جماح السياسة المتبعة ، فلم يحدث ان أشار رئيس أمريكى على الشرق الاقصى بأن يقبع فى فنائه الخلفى على أن تحذو الولايات المتحدة حذوه ، ولم يكن هناك اطار تاريخى يربط امريكا الشابة بالضرورة بأوهام الحروب الشرقية ، ولم يحدث ايضا أن تجاهل الامريكيون الاقطار الام فى اسيا

ومن ثم لم يكن هناك أساس حقيقي يستطيع أن يرتكز عليه أى حزب ينادى بعدم التدخل فى شئون الشرق الاقصى الخارجية »(١) .

ولذلك فان الحياد كان مظهرا أساسيا فى سياسة الولايات المتحدة تجاه أوروبا . لكن هذا الحياد لم يطبق على أمريكا اللاتينية أو الشرق الأقصى ، وبمعنى آخر لم يتأثر واضعوا السياسة الامريكية بالرأى القائل بأن على الولايات المتحدة ألا تتدخل فى سياستها فى شئون الشعوب الاخرى . فقد وجدت الولايات المتحدة ، على أحسن الفروض ، أن من المناسب والمفيد لها أن تنأى بنفسها عن التطورات التى تعتقد انها لا تؤثر عليها بصورة حيوية . ويطبق هذا أيضا على أفريقية فالولايات المتحدة لم تنضم الى الاندفاع الاوروبى بالمناكب نحو أفريقية ، ولكنها لم تغمض عينيها عن الشئون الافريقية ، فقد أدت دورا فى المؤتمرات الدولية الكبيرة حول افريقية فى القرن التاسع عشر ، والقرن الحالى ، وحصلت لنفسها على امتيازات اقتصادية كبيرة .

فاذا درسنا الامر من هذه الناحية ، سهل علينا ان نفهم نفاد صبر امريكا وضيقها تجاه عدم الانحياز الاسيوى .. فقد تركت الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة كأكبر قوة عسكرية واقتصادية ، وألقت على كاهلها عبء زعامة عالمية تشمل أوروبا وآسيا وافريقية . ولكن قبل الحرب لم يكن لامريكا الا علاقة بسيطة بجنوب شرقى اسيا وغربى اسيا ، ولم تكن لها أية علاقة حقيقية بافريقية . وقد قامت الحرب الباردة بسبب احتمال اندفاع السوفييت عبر البحر المتوسط الى تركيا والشرق الاوسط . ولكن لم تبدأ السياسة الامريكية بالفعل فى الكشف عن دلائل التوتر العصبى الا حينما أدركت الولايات المتحدة انها بددت الجهود الطويلة التى قامت بها الدبلوماسية من أجل المحافظة على ميزان مرضى للقوى فى منطقة الباسفيكى والقضاء الكامل على قوة اليابان جعل من الاتحاد السوفيتى منافسا للولايات المتحدة فى الباسفيك . وكان أملها الوحيد اقامة نظام ديمقراطى قوى متحد فى الصين ، يكون على علاقة ودية بالولايات المتحدة . ولكن هذا الأمل تحطم تماما بانتصار الشيوعيين فى الصين . وواجهت الولايات المتحدة، فى منطقة الباسفيكى ، تجمعا قويا للقوى الشيوعية . . وكانت الولايات المتحدة تعرف أن الاقطار الآسيوية غير الشيوعية تواجه ، أيضا ، الموقف نفسه فقد وجدت أن الدول الاستعمارية القديمة قد رحلت أو فى طريقها الى الرحيل ، وأن الولايات المتحدة بعيدة عنها بعيدا

(١) « السياسة الخارجية الامريكية » بقلم لورانس هـ . تشمبرلين وريتشارد س . سيندر ص ٦٥٧ — ٦٢ .

شاسعا ، أما الاتحاد السوفيتى والصين فكانا قريبين منها ، لذا توقعت الولايات المتحدة أن تقاوم الدول الآسيوية غير الشيوعية وجود تجمع الدول الشيوعية الكبير بالطريقة التى قاومته بها هى نفسها . وحينما لم يبد أن هذا وشيك الوقوع ، شعرت الولايات المتحدة بالضيق والسخط .

وقد دعت الاسباب التي دفعت الى حياد الولايات المتحدة تجاه أوروبا ، وتدخلها فى منطقة الباسفيكى ، دعت الاتحاد السوفيتى الى الدعوة لسياسة التعايش فقد وجدت الدولة الاشتراكية التى أقامها لينين ، نفسها وسط عالم رأسمالى ، لا تتحمس فيه الدول الكبرى لقيامها أو نموها ، لذا فان ضرورة التعايش اصبحت واضحة تماما أمام لينين : ففى مؤتمر الحزب الشيوعى عام ١٩١٩ ، دعا لينين الى فكرة التعايش . وقد تكهن بوقوع سلسلة من المنازعات المنتظرة بين الدول الاشتراكية الوليدة ، والعالم الشيوعى ، ولكنه لم يرغب فى أن يرى الدولة الاشتراكية الوحيدة وهى تختنق فى مهدها .

وبعد وفاة لينين ترك الأمر لستالين لبناء الاشتراكية فى بلد واحد. وقد كرس ستالين نفسه ، اذ أخذ التدخل الاجنبى يضمحل شيئا فشيئا ، لتحقيق التكامل والتطور القومى . وقد سعت سياسته الخارجية الى الفوز باعتراف أكبر عدد ممكن من الدول بالاتحاد السوفييتى . وبرغم أن ستالين لم يستطع أن يقضى على مخاوف لينين من أن الدول الرأسمالية سوف تنقض على الدولة الاشتراكية فى أقرب فرصة ممكنة ، فانه أدرك أيضا التناقضات القائمة داخل المعسكر الراسمالى ، ونمو الحركات الثورية فى البلاد المستعمرة .

وأصبح التعايش ، فى ظل ستالين ، النغمة الرئيسية لسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية فى أوائل الثلاثينات حينما تطلعت الفاشية الى أوروبا . وقبل ذلك ، فى المدة بين عامى ١٩٢٢ — ١٩٣٠ كان الاتحاد السوفيتى قد أعاد علاقاته مع ألمانيا الى حالتها الطبيعية ، وحقق له انتهاء التدخل استقرارا نسبيا .

غير أن ظهور موسولينى فى ايطاليا ، وهتلر فى المانيا هدد بقلب هذا الاستقرار — فقد اعلن هتلر جهارا ، أنه يتعين على المانيا السعى للاستيلاء على بعض المناطق على حساب الاتحاد السوفيتى . (قد آن أوان انهيار الامبراطورية الضخمة فى الشرق) . وشكلت اليابان المعتدية تهديدا جديدا لحدود الاتحاد السوفيتى الشرقية . وكان رد ستالين على هذا الوضع الجديد ، هو الحصول على عضوية السوفييت لعصبة الامم عام ١٩٣٤ والى دعوته ، بشدة ، عن طريق ماكسيم

يتفينوف وزير الخارجية الى مبدأ التعايش والامن الجماعي . بل وحتى حينما وقع ستالين معاهدة عدم الاعتداء مع المانيا في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان هدفه الرئيسي هو منح الاتحاد السوفيتي فترة للراحة .

وقد جلبت الحرب العالمية الثانية معها تغيرا في ميزان القوى لم يسبق له مثيل . فحينما وضعت هذه الحرب اوزارها ، لم يكن الاتحاد السوفيتي من الدول العظمى فحسب ، وانما كان أيضا زعيم مجموعة من الدول الشيوعية . ولم يعد الدولة الشيوعية الوحيدة التي يحوطها بحر معاد من الراسمالية . وأصبح العالم نفسه الآن مقسما الى كتلتين متنافستين ، يقف على رأس احداهما الاتحاد السوفيتي . وحينما بدأت الحرب الباردة ، لم يدرك ستالين المغزى الكبير لهذا التغير في ميزان القوى — فقد اعتاد النظر الى العالم من وجهة نظر دولة يحوطها الأعداء من كل جانب ، لكنه أدرك بالفعل أن الوضع قد تغير كثيرا حتى أن القاعدة اللينينية التي تقضي بحدوث دورة من الحروب داخل معسكر الراسمالية قد اصبحت عقيما .

وبعد وفاة ستالين ، كان خلفاؤه اكثر منه ادراكا للقوة الكامنة في العالم الشيوعي . وكان هؤلاء ، أيضا ، يرغبون في التعايش السلمي والتعاون مع جميع الدول ، ولكنهم كانوا مدركين أنهم في وضع يكاد يسمح لهم بفرض التعايش على منافسيهم . وقد اعلن مالينكوف، الذي أصبح رئيسا للوزراء بعد وفاة ستالين ، في خطبة وجهها الى مجلس السوفييت الأعلى في أغسطس عام ١٩٥٣ : « اننا نعتقد بشدة انه لا توجد في اللحظة الحاضرة أية مسألة كبيرة لا يمكن تسويتها بالطرق السلمية على اساس من الاتفاق المتبادل بين البلاد المعنية .. وينطبق هذا ايضا على المسائل التي يدور حولها النزاع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . لقد ناضلنا ، ونناضل من أجل التعايش السلمي بين النظامين . واننا نعتقد أنه ليس هناك من أساس موضوعي لأي صدام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . فان من الممكن ضمان مصالح الامن في البلدين ، بالاضافة الى الامن الدولي ، ومصالح تنمية التجارة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، على اساس العلاقات العادية بين البلدين » .

وكان التعايش الذي عرضه مالينكوف ، تعايشا بين نظامين متساويين ، فقد أضاف قائلا : « حري بنا أن ندرك انه على ضوء التعادل الحالي بين القوى، وعلى ضوء عزم الاتحاد السوفيتي وبلاد المعسكر الديمقراطي الأكيد (بشعوبه التي يزيد عددها عن ثمانمائة مليون نسمة) للدفاع عن مصالحهم الحيوية في الحلبة الدولية ، يبدو

تنفيذ سياسة التعايش السلمى بين النظامين لزاما ليس فقط على دول المعسكر الديمقراطى ، وانما على جميع الدول ايضا ، وسوف يكون اي طريق آخر ، طريق مغامرة يائسة وفشل حتمى .

وبمرور الوقت تورطت الكتلتان الشيوعية والرأسمالية فى سباق رهيب فى ميدان الاسلحة النووية . فكل منهما تنافس الاخرى فى الوصول الى وضع أكثر تفوقا من ناحية القوة النووية .

واستمر الاتحاد السوفيتى فى عرض التعايش على حين كانت الولايات المتحدة عاكفة على تنفيذ سياستها الخاصة بالتطويق . وكان الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية الاخرى يعتبران ان فترة طويلة من السلم ضرورية لبناء نظام اقتصادى قوى وانشاء ترسانة ضخمة من الاسلحة النووية . واعتقد الزعماء الشيوعيون أن الوقت قد حان لكى تتطلع الكتلة الاشتراكية الى فترة طويلة نوعا من اعادة البناء الاقتصادى والسياسى ، فترة قد تؤدى فيها المتناقضات الكامنة فى الاقتصاد الرأسمالى الى اضعاف التحالف الغربى .

وفى فبراير عام ١٩٥٥ أعلن مولوتوف وزير الخارجية السوفيتى، فى مجلس السوفيت الاعلى ان سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية تعتمد على مبادىء لينين التى تقضى بالتعايش بين النظم الاجتماعية المختلفة . أننا نعتنق هذه المبادىء لأننا نريد أن تعيش الشعوب فى سلام وهدوء ، اننا نعتنق هذه المبادىء لان التعايش يستطيع حقا أن يضمن لحقبة تاريخية كاملة ، السلام والحرية للشعب ، وعلاقات سليمة بين الدول واستمرارا للتقدم الانسانى ، اننا نناضل من أجل مبادىء لينين التى تقضى بالتعايش ، ونحن نناضل من أجلها لاننا واثقون من قوى الاشتراكية ، نحن على ثقة بأننا اخترنا الطريق السوى نحو الشيوعية»

وبمعنى آخر كان الاتحاد السوفيتى يطالب بالتعايش السلمى لانه كان مقتنعا بأن هذه السياسة تستطيع من ثم ان تساند قوة العالم الشيوعى فى الداخل والخارج . فقد كان مايزال يخشى قيام قوة معادية معادلة له فى القوة ، ان لم تكن أكثر تفوقا تهدد بتطويقه من كل جانب. ولكن الاتحاد السوفيتى وجد فى قارتى آسيا وافريقية سلسلة من البلاد الجديدة تتولى زمام أمورها وأن الدول الاستعمارية تفقد مستعمراتها بسرعة — وكان ذلك قوة ايجابية ضد الكتلة الرأسمالية المنافسة ، ومنح هذا الوضع السوفييت راحة كبيرة وشجعهم على الدعوة الى مبدأ التعايش بصوت أكثر علوا .

وقد ربط الاتحاد السوفيتى التعايش بتسوية المنازعات الدولية

عن طريق المفاوضات ، وهو يعلم تمام العلم أن اعادة بعض « المآزق » الى حالتها الطبيعية سوف يزيد من نفوذه ويؤدى الى فقدان الـكتلة الغربية كثيرا من ماء وجهها ، ان لم يسبب لها كثيرا من النكسات فى الصراع من أجل القوة.

فعلى سبيل المثال قديعنى التعايش اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الصين الشعبية ، وتسليم فورموزا الى حكومة بكين وسوف يكون ذلك انتصارا كبيرا للكتلة الشيوعية .

وفي عام ١٩٥٧ نشر كتيب صغير فى موسكو بعنوان « التعايش السلمى للدول والامم والقانون الدولى » . وقدأعده أستاذان فىمعهد العلاقات الدولية هما : س.ب.كريلوف ، و.ف.ن. دوردينيفسكى . وهدف الكتاب فى مقالاته الخمس الى تقديم دراسة للمظهر القانونى للتعايش السلمى للدول والامم .

وقد افتتحت المقالة الاولى بالمبادىء الخمسة للتعايش السلمى التى صممتها الصين والهند فى ديباجة الاتفاقية المعقودة بين البلدين والتى سلمت الهند بمقتضاها بسيادة الصينيين على التبت ، ووافقت الصين على الاعتراف بالتبت اقليما يتمتع بالحكم الذاتى . وأشارت هذه المقالة الى أن هذه المبادىء الخمسة (قد دخلت فى تشكيل نظرة الانسان الى القانون وأصبحت جزءا من علم الفقه المتعارف عليه) . وتكمن أهمية المعاهدة الصينية الهندية فى تحويلها العرف والمبدأ الى خمسة فروض عامة للعلاقات الدولية .

وأكدت المقالة الثانية فى الـكتاب أن تقرير مصير الأمم هو المطلب الأساسى للتعايش السلمى ، وسعت مؤلفة هذا المقال ـ وهى أستاذة ـ الى وضع نظرية تقول : « ان مبدأ تقرير المصير الوطنى ، فى تاريخ الفكر الاجتماعى كان من وضع وتطوير ماركس وانجلز » وتجاهلت كلية دور حركات التحرر الوطنية . وتلاها مقال آخر يعالج مبدأ الحياد ودوره فى توسيع « منطقة السلام » . وقد وجد ل . أ . موجارايان كاتب المقال فى سياسة الحياد ، فى جميع الاحوال ، شكلا من أشكال التعايش السلمى . وقد عنفه على هذا الرأى عضو من أعضاء أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفييتى الذى قال فى معرض عرضه لهذا الكتاب :

« لكن المؤلف يهون من شأن الحقيقة التى تقول بأن مبدأ التعايش السلمى اداة لدعم العلاقات السلمية بين الدول ذات النظم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، ولكنها لا تشمل تماما النمط الجديد من العلاقات بين الدول داخل النظم الاشتراكية ...

وهكذا نجد أن دعوة حكومة امرى ناجى الى سياسة الحياد لم تجعل الامن يستتب مطلقا ، وانما كانت بمثابة تآمر مباشر مع دعاة الحرب من الرأسماليين » .

وقد رفض الناقد ، بالمثل ، الفقرة التالية التى ذكرها الكاتب « حينما يتخذ أي بلد طريق الحياد طريقا له ، فمعنى هذا ان منطقة السلام قد اتسعت رقعتها على حين يحدث تقلص فى المنطقة التى تسيطر عليها القوة المعتدية :

كذلك لم يقتنع بما أكده الكاتب من أن سياسة الحياد هى احدى مراحل اقامة نظام أمن جماعى واحد ، قادر على تأكيد استمرار السلم العالمى ، وفى رأى الناقد أن « نظام الأمن الجماعى لا يفترض اتباع الدول الاعضاء سياسة الحياد الجماعى ، وانما يعنى عزمها واستعدادها للقضاء على العدوان عن طريق جهدها المشترك » .

وتكمن أهمية هذه النشرة السوفييتية فى أنها تظهر ، أكثر مما تظهر البيانات الرسمية ، قصور التعايش السلمى كأداة من أدوات الدبلوماسية ، ويعتبر تحرير المناطق المستعمرة أو الشبيهة بالمستعمرة كشرط أساسى للتعايش السلمى .

ومن الطبيعى أن تختلف الدول الاستعمارية وان كانت وجهة النظر السوفييتية هذه ستلقى تأييدا سريعا فى آسيا وافريقيا .

واهم من هذا المبدأ الذى عرضه الناقد فى الكتاب ، والذى يقول ان « الحياد أو عدم الانحياز قد يسمح بقيامه بين نظامين مختلفين فقط وليس داخل المعسكر الشيوعى » .

وبمعنى آخر أنه بينما نجد أن الاتحاد السوفييتى يرحب بأن تعتنق أية دولة غير شيوعية لسياسة الحياد ، فان اعتناق هذه السياسة من جانب أى بلد شيوعى قد يعتبر « تواطؤا مباشرا مع المستعمرين تجار الحروب » .

ويفسر هذا رفض الاتحاد السوفييتى الموافقة على سياسة عدم الانحياز التى تعتنقها يوغوسلافيا كما يفسر انزعاج السوفييت حين رأوا أن آسيا تعتبر التدخل المسلح فى المجر على أنه انتهاك من جانب الاتحاد السوفييتى لمبادىء التعايش السلمى .

واذا طبقنا منطق الحجج السوفييتية من أن نظام الأمن الجماعى لا يقضى باعتناق الدول الاعضاء كلها سياسة الحياد الايجابى وانما

عزمها واستعدادها للقضاء على أى عدوان عن طريق جهودها المشتركة اذا طبقنا هـذا المنطق على الاحلاف العسكرية الغربية فان ذلك يبرر الاهمية التى تضعها الولايات المتحدة على الحفاظ المستمر على نظام الامن الجماعى الغربى، فان ذلك سوف يعنى المواجهة المزدوجة للرأسمالية الجماعية والشيوعية الجماعية من أجل التعايش المشترك أو الفناء المشترك .

وقد يبدو أن الاتحاد السوفييتى مستعد للتعايش مع النظام الرأسمالى بشرط أن يتم حل المشاكل الدولية عن طريق المباحثات والمفاوضات ، وأن يفسح المجال أمام البلاد المستعمرة كى تقرر مصيرها بنفسها دون أى عائق ، والا يكون هناك أى تدخل من أى جانب فى المحافظة على وحدة الكتلة الشيوعية المتماسكة .

والاتحاد السوفييتى مستعد للتعايش والتنافس مع العالم الرأسمالى بشروط اقتصادية متعادلة ، وهو مقتنع بالنصر النهائى للشيوعية فى جميع انحاء العالم عن طريق المنافسة السلمية .

ولم تعد النظرية اللينينية التى تقول بأن الحرب بين الشيوعية والرأسمالية حتمية ، مقبولة كقاعدة .

ومن ناحية أخرى وضع خروشوف نظرية جديدة نوعا تقول بأن الشيوعية سوف تنتصر حتى بدون حرب .

والواقع أن الحرب كأداة من أدوات السياسة الدولية قد عفى عليها الزمن تقريبا فى عصر الذرة . ويظهر اتجاه تفكير خروشوف على نحو أفضل ، فى الفقرة التالية من خطاب الزعيم السوفييتى أمام الدورة الحادية والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى التى انعقدت فى موسكو فى يناير عام ١٩٥٩ :

« حينما يصبح الاتحاد السوفييتى الدولة الصناعية الرئيسية فى العالم وحينما تصبح جمهورية الصين الشعبية دولة صناعية قوية ، وتنتج جميع الدول الاشتراكية مجتمعة ما يربو على نصف الانتاج الصناعى فى العالم ، فان الموقف العالمى سوف يتغير بطريقة جوهرية .

وسوف يكون ميزان القوى الجديد هذا واضحا بقوة حتى أن أصعب الاستعماريين مراسا ، سيلمس بوضوح عبث أية محاولة لشن حرب ضد المعسكر الاشتراكى .

وحينئذ سوف تستطيع الدول المحبة للسلام ، بمساندة قوة المعسكر الاشتراكى ، أن ترغم الجماعات الاستعمارية المعتدية على ترك

خططها الخاصة بشن حرب عالمية جديدة ، وبهـذا يصـــبح فى الامكان حماية المجتمع من الحرب العالمية حتىقبيل الانتصار العالمى للاشتراكية ومع وجود الرأسمالية فى جزء من العالم » .

ولذا ، فان مواجهة الرأسمالية الجماعية للشيوعية الجماعية على نطاق عالمى هو العامل المرغم الاول الذى يفرض على دول آسيا وافريقيـة التى فى المنطقة الوسطى ، الدفاع عن فلسفة عدم الانحياز .

ان المعسكرين قادران على محو كل للآخر ومعهما حضارة الانسان بأكملها .

والطريقة الفعالة الوحيدة لابعادهما بعضهما عن بعض انما هيانشاء منطقة واسعة بينهما .

وهذا هو هدف عدم الانحياز ، انه ليس حيادا ، الواقـع ان عدم الانحياز مبدأ ايجابى فى اتجاهه ومضمونه .

والسبب الوحيد الذى حدا بالدول الجديدة فى آسيا وافريقية الى اعتناق فلسفة عدم الالتزام هو انه يستحيل قيام حياد فى عالم قرب بين أجزائه العلم ، والتكنولوجيا ، والذى تحاول أن تبتلعه هـذه الكتلة أو تلك من الكتل المتنافسة .

ويعنى عدم الالتزام الحرية فى الحكم على المسائل حكما موضوعيا والعمل فى المصلحة القومية والعالمية .

ان عدم الانحياز لا يعنى عدم التورط ، انما هو نابع من حتميـــة التورط .

وعندما تكون القضايا الكبرى والحاسمة فى خطر كل يوم تقريبا فمن ذا الذى يستطيع ان يكون محايدا ومن ذا الذى يستطيع ان يكون غير متورط .

الفصل الثاني عشر

قيود التعايش

لم تأت مبادئ التعايش السلمى الخمسة، المعروفة باسم البانششلا بجديد ، فقد دخل أحد هذه المبادىء ، وأكثر ، الى المفاوضات والمعاهدات الدولية طوال الخمسين عاما الماضية .

فاذا كانت الامم قد راعت هذه المبادىء باخلاص ظاهرى فقط فلأن الصراع والحرب كانا ، فى الماضى ، أقل تكلفة واجهادا للنشاط البشرى منها فى العصر النووى .

واذا ما جمعنا المبادىء الخمسة فى صعيد واحد ، كوسيلة تتحكم فى العلاقات الدولية ، وجدنا انها تتميز بالفضيلة التالية :

انها تتمشى مع الوقائع الاساسية لعصرنا . هذه الوقائع هى :

١ ـ ان الحرب الحديثة قادرة على التدمير الشامل مما قد يتسبب فى القضاء على الجنس البشرى بأكمله .

٢ ـ انتشار السيادة القومية فى انحاء العالم .

٣ ـ حاجة الامم الملحة للتعايش والتعاون مع بعضها .

٤ ـ تقسيم العالم الى«الذين يملكون » و « الذين لا يملكون »وحينما اصبح العالم ذا كيان اكبر مع قيام البحار العالية بدور الحواجز بين الدول

وحينما أصبح هناك تفاوت كبير فى القوة العسكرية بين البلاد المختلفة ، لم يعد من المحتم على الدول التى هى اكثر قوة ان تسعى الى التعاون مع الدول الضعيفة ، وتحترم وحدتها وسيادتها .

فمن ناحية كانت السيادة وقفا على العالم الغربى ، وعلى عدد ضئيل من دول آسيا وأفريقية فأكثر من ثلثى العالم يعيش فى الأسر والعبودية الآن .

ومن ناحية أخرى كانت فكرة المساواة ، والنفع المشترك . كقوة فعالة فى العلاقات الدولية مجرد نزعة مثالية عابرة .

وتستطيع الدول أن تتعايش وقت الحرب كالحال وقت السلم .

فتاريخ أوروبا كله عبارة عن تاريخ بلاد تتعايش فى حالة صراع تكاد تكون دائمة .

وقد تعرض بنيان العلاقات الدوليةالكامل لتغيير جوهرى فى العصر النووى ،الذى ظهر فى العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وقد اكتسح مد القومية العالى قارتى آسيا وافريقية ، وبدأت أمة اثر أخرى تنهض فى ظل الحرية والسيادة ، متطلعة الى مركز الند فى المجتمع الدولى .

وقد محا العلم والتكنولوجيا المسافات ، وتقلص العالم وتحول الى مجتمع انسانى كبير يسكن كوكبا صغيرا،وألقيت على كاهل الامم اتصالات تجارية ، وسياسية وثقافية ، ودبلوماسية .

ولم يعد بمقدور أحد أن يعيش فى عزلة ، وأصبحت أفكار الحياد والابعاد عن مراكز الصراع ، شيئا عفى عليه الزمن .

ولم يحدث شيء فى أى جزء من أجزاء العالم دون ان تتعرض أجزاء كثيرة لردود فعل .

وقد بات واضحا أن موارد العالم ، الذى ابتلى بحربين عالميتين فى جيل واحد ، موزعة بطريقة غير عادلة تماما بين دول الغرب المتقدمة ، ودول آسيا وافريقية الحديثة الاستقلال .

فاذا كانت المساواة هى امنية البلاد التى حصلت على حريتها بعد كفاح طويل ، وتضحيات باهظة ، فان تبادل المنفعة هى الحاجة الملحة فى وقتنا هذا.ولا يمكن أن يكون هناك أى أساس للعلاقات السليمة بين الدول سوى الاحترام المتبادل لسيادة ووحدة كل منها ، والاتفاق التلقائى على عدم التدخل فى الشئون الداخلية فى كل منها. والبديل الوحيد للتعايش السلمى هو التدمير العنيف كل للأخرى .

من أجل هذا عبرت المبادىء الخمسة عن المطالب الملحة للعصر النووى . لقد لمت شمل معيار السلوك الدولى ، وكان واضعو النظريات السياسية يدعون اليه منذ وقت طويل ، لكن الساسة لم يعيروه أذنا مصغية . ومن الأمور البارزة أن المبادىء الخمسة صيغت وتمت الموافقة عليها بفضل الجهود المشتركة للهند والصين ، وذلك فى ديباجة الاتفاقية التى وقعت بين البلدين حول التبت فى ٢٨ أبريل عام ١٩٥٤ .

فقد نزلت الهند عن بعض حقوقها فى التبت ، وكانت قد ورثت هذه الحقوق عن البريطانيين ، نزلت عن هذه الحقوق عن طواعية ، ولكنه كان نزولا لحكام شيوعيين فى الصين كانوا سيستولون على هذه الحقوق بأى شكل .

وكانت الهند تسعى الى تنسيق علاقاتها مع الصين فى ظل النظام الشيوعى ، واقامة هذه العلاقات على اسس مستقرة .

فقد كان التأثير الهائل للصين الناهضة قد بدأ يفرض وجوده ، وكان نهرو يسعى ، بادراكه التاريخى ، الى اكتشاف الأساس الذى يمكن اقامة بنيان التعاون الصينى الهندى عليه .

وكان نهرو يعلم ان الصين ، كدولة شيوعية ، تقف فى أحد جانبى الحرب الباردة ، وانها تنتسب الى حلف سياسى وعسكرى وتؤمن بفلسفة هدفها النهائى هو ادخال العالم كله حظيرة الشيوعية .

لكن الصين كانت أيضا أكبر دولة فى آسيا ، وقد عانت من الاستعمار ردحا طويلا ، ولديها مشكلات كثيرة تشترك فيها مع الهند والدول الآسيوية الاخرى .

وقد كانت روابط العلاقات الودية التقليدية القديمة بين الصين والهند ذات أثر عميق على تفكير رئيس وزراء الهند الذى اعتقد أن من المستحيل على دولة عريقة من الصين (أو الهند) ، أن تنتزع نفسها تماما من الماضى حتى لو كان ذلك عن طريق هزات عنيفة تسببها الشيوعية .

يضاف الى هذا أنه اذا استطاعت الصين الشيوعية والهند الديمقراطية غير المنحازة ، وهما أكبر دولتين متجاورتين فى العالم من الناحية الجغرافية ، ان تتوصلا الى أساس مستقر للتعاون والتعايش ، استطاعتا ، كما يعتقد نهرو ، أن تكونا أنموذجا لبقية أجزاء العالم .

ولم يتصور نهرو الذى اعترف بسيادة الصين على التبت ، ونزل عن الامتيازات التى احتفظ بها البريطانيون فى هذا « البلد المحرم » ، لم يتصور حدوث صراع سريع بين الصين والهند ، بل انه تطلع الى فترة من التعاون العاطفى والاقتصادى ، والثقافى ، والبناء التدريجى لشخصية آسيوية تستطيع أن تؤكد نفسها فى الحقل الدولى الواسع .

واذا ما وضعنا هذه الاعتبارات المثالية جانبا ، وجدنا أن رئيس الوزراء الهندى يسترشد أيضا بمقتضيات المصالح الوطنية الهندية المباشرة كما يراها .

واعتقد نهرو بشدة أن من مصالح بلاده الحيوية الابتعاد عن الحرب الباردة والأحلاف العسكرية .

وشعر بالخوف من أن تؤدى مسألة التبت الى توريط الهند فى الحرب الباردة

فقد زحف الصينيون على التبت عام ١٩٥٠ ، فى غضون أشهر قلائل من اندلاع الحرب الكورية ، وفى وقت كانت فيه العلاقات بين الهند والولايات المتحدة أبعد ما تكون عن الاشراق .

وتفاقمت مشكلة كشمير أمام مجلس الأمن ، وكان لدى الهند من الاسباب ما يجعلها ساخطة على الموقف الذى اتخذته أمريكا وبريطانيا لمصلحة باكستان .

وكان الاعتبار الاول فى نظر نهرو هو ابعاد الحرب الباردة عن حدود الهند ، فقد وجد أن من الأفضل أن يرى سيادة الصين قائمة على التبت ، من أن يشاهد بلاد الدالاى لاما تصبح مخلب قط فى سياسة القوى التى تلعب بالحرب الباردة .

وقد القى فى روع نهرو أن اختفاء التبت كدولة حاجزة سوف يستغرق وقتا طويلا نظرا لأن الصينيين سوف يتباطئون فى اصلاحاتهم السياسية .

وقد استولت ثورة محدودة على نيبال . غير أن نهرو استطاع ان يحولها الى مسالك بناءة ، بأن توصل الى تسوية ايجابية بين الملك والعناصر الثورية ، وكانت القلاقل السياسية تغلى فى امارتى بهوتان وسيكيم اللتين على سفوح الهملايا ، على حين كان رجال قبائل ناجا المثيرون للقلاقل على الحدود الشرقية للهند يشنون حربا من أجل اقامة وطن منفصل لهم .

وكانت الباكستان فى وضع هجومى بسبب كشمير ، وكانت كما قيل من قبل ، تتمتع بثمار العطف والتأييد الانجلو ـ أمريكى .

ووسط هذه الظروف ، والتمشى مع سياسة نهرو الاساسية فى عدم الانحياز فى مواجهة الكتل العسكرية لم يكن منطقيا فحسب بل طبيعيا أن يسعى رئيس الوزراء الهندى الى اقامة علاقات حسن الجوار مع الصين عن طريق الوصول الى ترتيبات بشأن التبت ، ترتيبات تتمشى مع الواقع القائم بالفعل .

وكان الصينيون قد زحفوا بالفعل على التبت عام ١٩٥٠ ، ولم تكن الهند فى وضع يسمح لها بطردهم منها ، وحتى لو قامت بمثل هذه

المغامرة المتهورة ، فانه كان من المشكوك فيه ، الى حد كبير ، أن تهرع الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى لمساندتها .

فاذا كانت كوريا قد زجت بالصين فى صراع مع أمريكا ، فان تدخل الولايات المتحدة فى التبت قد يدفع بالاتحاد السوفييتى الى تصرف قد يتطور فيما بعد ليصبح حربا عالمية .

ومهما يكن من طبيعة شعور الهند نحو التبت ، فان السبيل الذى اتخذه نهرو عام ١٩٥٠ وفى السنوات التالية كان السبيل الواقعى الوحيد الذى يستطيع اتخاذه . وكان أى سبيل آخر قمينا بأن يؤدى الى كارثة وقد يجعل من الهند أداة لحرب عالمية ثالثة .

وقد قضت الهند والصين أربع سنوات فى التفاوض من أجل الوصول الى معاهدة حول التبت ، ووضع المبادىء الخمسة للتعايش السلمى ، وحينما حان وقت توقيعها ، وضعت المبادىء الخمسة فى العبارات التالية :

«ان المبادىء والاعتبارات التى تتحكم فى علاقاتنا المتبادلة واتجاه بلدينا كل للآخر كالآتى :

١ ـ الاحترام المتبادل لوحدة وسيادة مناطق كل منهما .

٢ ـ عدم الاعتداء المتبادل .

٣ ـ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لكل منهما .

٤ ـ المساواة والنفع المتبادل .

٥ ـ التعايش السلمى .

وقد وجه نهرو نظر البرلمان الهندى الى هذه المبادىء الخمسة فى خطبته التى ألقاها فى ١٥ من مايو عام ١٩٥٤ والتى قال فيها :

« ان هذه المبادىء توضح السياسة التى تتبعها فيما يتعلق بهذه الامور مع أية دولة مجاورة أو أية دولة فى العالم ، وليس مع الصين وحدها .

وأكثر من هذا انها بيان بمبادىء شاملة ، ويخيل لى أنه اذا تم تطبيق هذه المبادىء فى علاقات الدول المختلفة بعضها مع بعض ، فان قدرا كبيرا من متاعب عالم اليوم ستختفى » .

وكان المغزى الحقيقى لاول بيان برلمانى لنهرو حول المبادىء الخمسة هو تقويمه الجديد لوضع الصين فى مجتمع الامم ، وخاصة بالنسبة للهند .

وقد اشار الى انه يتعين على الدولتين اللتين يبلغ طول حدودهما حوالى ١٨٠٠ ميل (تختلف البيانات الهندية حول طول الحدود ، بشكل بارز ، من وقت الى آخر) أن تعيشا فى ظل السلام والصداقة ، وعليهما أن تحترم كل منهما سيادة ووحدة الأخرى ، وتوافق على عدم التدخل فى شئون الاخرى بأية وسيلة ، وألا تشن احداهما عدوانا على الاخرى ، وقد ضمنا بهذه الاتفاقية السلام الى حد كبير فى منطقة معينة من آسيا ، واننى أرجو مخلصا أن تمتد منطقة السلام هذه حتى تغطى بقية أجزاء آسيا ، بل وبقية أجزاء العالم » .

وقد ترك ظهور الصين كدولة قوية ومتحدة ، لأول مرة فى هذا القرن ، اثرا عميقا فى تفكير نهرو ، وسعى الى التطلع الى مستقبل تتبدى فيه صورة ميزان جديد تماما للقوى فى هذا العالم ، فقد خلا العالم لقوتين كبيرتين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى . وقال نهرو لأعضاء البرلمان : « ان الصين الشيوعية قد دخلت الى الصورة بقوتها الكامنة الضخمة ، وان كانت لا تتمتع بقوة حقيقية كبيرة » . وأضاف قائلا : « انه لاشك فى أن الصين سوف تخطو قدما بسرعة . وان اراضى الصين الهائلة التى تشكل قوة كبرى ، والتى تعتبر قوية اليوم ، ما تزال تحمل فى طريقها قوة أكثر . واتركوا هذه الدول الثلاث الكبرى — الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتى ، والصين — جانبا الآن ، وانظروا الى العالم .

هناك بلاد متقدمة للغاية وذات حضارة راقية . غير أنكم اذا اختلستم النظر الى المستقبل ، اتضح لكم أن الهند هى الدولة الرابعة ، هذا اذا لم يحدث شيء مكدر ، كالحروب وما شاكلها » .

وفى يونيو عام ١٩٥٤ وصل شواين لاى رئيس الوزراء الصينى نيودلهى فى زيادة تستغرق ثلاثة أيام .

وفى بيان مشترك صدر فى ٢٨ من يونيو أشار رئيس وزراء الصين والهند الى المبادىء الخمسة للتعايش السلمى التى تضمنتها ديباجة الاتفاقية الخاصة بالتبت ، وأعلنا :

« انه اذا طبقت المبادىء لا بين مختلف الميادين فحسب وانما فى العلاقات الدولية أيضا ، فانها قد تشكل دعامة للسلام والأمن ، وتجعل محل المخاوف والهواجس الحالية شعورا بالثقة ، كما سيساعد تطبيق هذه المبادىء على خلق منظمة للسلام يمكن توسيعها كلما سنحت الظروف ، ومن ثم التقليل من فرص الحرب ودعم قضية السلام فى جميع أنحاء العالم » .

وقد كرس نهرو فى العامين التاليين جانبا كبيرا من جهوده

الديبلوماسية لادخال مبادىء التعايش السلمى الى مجرى العلاقات الدولية . ففى ٢ من مايو عام ١٩٥٤ أشار نهرو الى المبادىء الخمسة فى اذاعة له من كولومبو بعد أول مقابلة له مع رؤساء وزارات خمس دول فى جنوب شرقى آسيا وقال :

« انه اذا تم الاعتراف بهذه المبادىء فى العلاقات المتبادلة بين جميع الدول ، فحينئذ لن يكون هناك أى صراع تقريبا ، ولن يكون هناك أى حرب بالتأكيد . ان هذه الاتفاقية الخاصة بالتبت لم تسو فقط بعض النقاط البارزة بين دولتى الهند والصين الكبيرتين وتقيم علاقتهما الراسخة على أساس سلمى ، وانما أعتقد أنها ستساعد أيضا على المحافظة على السلام فى آسيا ، وعلى ضوء هذه النظرة العريضة بالذات رحبت بهذه الاتفاقية ، واطلب منكم ايضا أن تفكروا فيها فى نطاق هذا الاطار العريض » .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٤ زار نهرو الصين ردا على زيارة شواين لاى ، وفى احدى خطبه فى بكين أطرى من جديد مبدأ التعايش السلمى .

وفى شهر نوفمبر رد رئيس الوزراء الهندى على سلسلة من الاسئلة وجهها اليه مراسل هيئة الاذاعة البريطانية فى نيودلهى . وقد سأله المراسل : هل الصينيون قد وافقوا على امكانية قيام تعايش سلمى مع جيرانهم الحميمين وحدهم أم مع هؤلاء الذين لم تكن علاقتهم معهم فى هذه اللحظة ودية ؟ . فرد نهرو قائلا : « لا شك فى قيام تعايش سلمى بين الأصدقاء ، فذلك أمر حتمى ، وحينما تشير الى التعايش ، فانت تعنى تعايشاً سلميا مع هؤلاء الذين لا يتفقون معك ، وليس هناك شك حول ما يعنيه الزعماء الصينيون لانهم أخبرونى بطريقة محدودة وحاسمة انهم يودون قيام تعايش سلمى مع هؤلاء الذين لديهم الاستعداد لاقامة علاقات ودية معهم واقامة علاقات دبلوماسية مع جميع الدول بما فى ذلك من الدول التى تعارضهم » .

وكانت بورما أول دولة تعتنق مبادىء التعايش خارج نطاق الهند والصين . فقد قام شواين لاى بزيارة قصيرة لبورما فى اثناء عودته من الهند ، وعند انتهاء هذه الزيارة أصدر هو وأونو بيانا مشتركا فى رانجون يؤيدان فيه المبادىء الخمسة ، وفى سبتمبر جاء دور اندونيسيا فى اعتناق هذه المبادىء ، وفى اكتوبر دعا نهرو لمبادىء التعايش السلمى فى سايجون ، وفى ديسمبر حصل على تأييد الرئيس تيتو لهذه المبادىء . ففى بيان مشترك أذيع فى نيودلهى فى ٢٣ من ديسمبر اعلن نهرو والرئيس تيتو أن العلاقات بين الهند ويوغوسلافيا قائمة ، ويجب أن تستمر فى القيام على مبادىء اعتراف كل منهما بسيادة

واستقلال ، ووحدة أخرى ، وعلى مبدأ عدم الاعتداء ومبدأ المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لكل منهما أو الخاصة بالبلاد الاخرى ، وعلى دعم اتجاه وشروط التعايش السلمى ، من أجل نفسيهما ومن أجل العالم . ويتعين أن يتحكم هذا المفهوم الاساسى فى العلاقات الدولية ، وأن يكون عنصرا بارزا فى سياسة الأمم المتحدة ونشاطها » .

وخلال المناقشة التى دارت حول خطاب الرئيس تيتو فى فبراير ١٩٥٥ فى مجلس النواب استطاع نهرو أن يشير الى وجود استجابات مشجعة لمبادىء التعايش :

« ان المجلس يعرف بعض البلاد التى تعتبر من أصدقائنا المخلصين فى آسيا ، مثل بورما وأندونيسيا ، اللتين كانتا تتبعان سياسة متشابهة فى الشئون الدولية . ومنذ عهد قريب حينما جاء رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الى هنا أصدرنا أنا وهو بيانا أشرنا فيه الى مبادىء التعايش السلمى ، ويوضح هذا الطريقة التى انتشرت بها هذه الفكرة واستطيع ان اؤكد للمجلس أنه بالرغم من أن حكومات كثيرة لا توافق ، جهارا ، على البنششيلا ، فان شعوب بلاد كثيرة تجذبهم (هذه الفكرة) أكثر باطراد » .

وفى ابريل عقد مؤتمر باندونج وبذل نهرو كل مافى وسعه — وان لم يصادف ذلك نجاحا كاملا — لاقناع الدول الآسيوية — الافريقية التسع والعشرين الممثلة فى باندونج بتأييد المبادىء الخمسة ، وقد كانت هناك معارضة من جانب بعض الدول ، وخاصة تلك الدول الموالية للغرب ، مثل باكستان وسيلان والفلبين وتايلاند . وفى النهاية تضمن اعلان باندونج عشرة مبادىء من بينها المبادىء الخمسة الخاصة بالتعايش السلمى التى وضعتها الهند والصين . وحينما تحدث نهرو الى البرلمان الهندى عن مؤتمر باندونج قال :

« لقد وضعت الدول المجتمعة المبادىء التى ينبغى أن تتحكم فى العلاقات بينها ، بل ومع دول العالم كله ، ويمكن تطبيق هذه المبادىء على المستوى العالمى ، وهى تاريخية فى مغزاها . وقد سعينا ، نحن فى الهند ، فى الشهور الماضية الى تشكيل المبادىء التى ينبغى أن تحكم علاقاتنا مع الدول الاخرى ، وكثيرا ما تحدثت عنها أنها المبادىء الخمسة . وفى اعلان باندونج وجدنا التجسيد الكامل لهذه المبادىء الخمسة ووجدنا اضافات أو تعديلات لها ، من شانها دعم هذه المبادىء

ان لدينا من الأسباب ما يجعلنا سعداء لأن هذا المؤتمر الذى يمثل ما يزيد على نصف سكان العالم ، قد أعلن عن التزامه بالمبادىء التى

يجب أن ترشد سلوكهم وتتحكم فى العلاقات بين دول العالم اذا كانت هناك رغبة فى تحقيق السلم والتعاون العالميين . وحكومة الهند توافق تماما على هذه المبادىء التى وضعت فى اعلان باندونج ، وسوف تمجد هذه المبادىء لأنها لا تحتوى على شىء ضد مصالح بلادنا أو المبادىء القائمة التى تسير على هديها سياستنا الخارجية » .

وفى يونيو عام ١٩٥٥ قام نهرو بزيارة الاتحاد السوفييتى وأشار بيان مشترك وقعه هو ومارشال بولجانين ، الذى كان رئيسا للوزارة السوفييتية فى ذلك الوقت الى أن العلاقات بين البلدين « تعتمد ، لحسن الحظ ، على أساس متين من الصداقة والتفاهم المشترك » ، وأنه يتعين على هذه العلاقات أن تستمر فى التشبع والاسترشاد بمبادىء التعايش السلمى . وأضاف البيان أن اعتناق هذه المبادىء بطريقة أوسع سوف يوسع من رقعة السلام ، ويدعم الثقة المتبادلة بين الدول ويمهد الطريق للتعاون الدولى على نطاق أكبر .

واذ رحب البيان بمؤتمر باندونج قال : ان اعلان باندونج « تجسيد وتفصيل لمفهوم التعايش السلمى » . وأعلن رئيسا الوزراء حينئذ : « الواقع أن جوهر التعايش الحقيقى هو أن تستطيع الدول ذات الانظمة المختلفة العيش جنبا الى جنب فى سلام وتوافق وتعمل من أجل المصلحة المشتركة » .

وقد أحيا تأييد الاتحاد السوفييتى لمبادىء التعايش الآمال فى الهند والدول الآسيوية ـ الافريقية الاخرى . غير أن عواصم الغرب ـ المتحذلقة فى تفكيرها ـ نبذت هذا البيان باعتباره خطوة لا معنى لها من جانب بلد أخضع ـ فى نظر الغرب ـ ملايين من شعوب أوربا الشرقية ، وغير مستعد لأن يمنحها الحرية فى تقرير مستقبلها ، وقد قال متحدث رسمى فى واشنطن : ان الخطوة السوفييتية ليست الا لعبة دعائية .

بيد أن الاتحاد السوفييتى نقل مبدأ التعايش السلمى الى مؤتمر القمة فى جنيف الذى انعقد فى يوليو عام ١٩٥٥ ، كما نقله الى الجمعية العامة للامم المتحدة التى اتخذت قرارا اجماعيا عام ١٩٥٩ بتأييد فلسفة التعايش السلمى .

وبعد مضى شهرين من عقد مؤتمر جنيف فى يوليو عام ١٩٥٥ خاطب نهرو البرلمان الهندى بلهجة اكثر تفاؤلا فقال :

« منذ أن ذكرت مبادىء التعايش السلمى لاول مرة وذاع صيتها ، لم تنتشر هذه المبادىء فى العالم وتؤثر على عدد متزايد من البلدان فحسب وانما اكتسبت أيضا ، بمضى الوقت ، عمقا أعظم ومعنى اكبر . أى انها

انطلقت من مجرد كلمة غامضة ، الى أن اكتسبت معنى ومغزى دقيقين في الشئون العالمية . ان هذا التأكيد على عدم التدخل من أى نوع – سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو أيديولوجيا – عامل هام فى الموقف العالمى اليوم ، والواقع أنه لايهمنا اذا كان هذا المبدأ لن يعمل به بدقة هنا وهناك » .

وفى نهاية عام ١٩٥٥ قام مارشال بولجانين ومستر خروشوف بزيارة الهند وبعض الدول الآسيوية الاخرى وكررا تأييدهما ، فى خطبهما وبياناتهما ، لمبادىء التعايش السلمى .

وتعتبر لاوس وكمبوديا وجمهورية فيتنام الديمقراطية وسيلان ومصر وسورية وأثيوبيا من البلاد التى اتخذت مبادىء التعايش السلمى أساسا تهتدى به فى علاقاتها الخارجية . وبنهاية عام ١٩٥٦ كان نحو خمس وعشرين دولة تؤمن بهذه المبادىء .

وفى عام ١٩٥٦ جرت حادثتان جسيمتان تضمنت تدخلا جماعيا من جانب دول كبيرة فى الشئون الداخلية لدولتين ضعيفتين . وكان أول هاتين الحادثتين هو العدوان الثلاثى على مصر والاخرى التدخل السوفييتى فى المجر .

فقد كانت حكومة الثورة فى مصر قد تولت الاشراف على قناة السويس وادارتها ، واذ استشاطت بريطانيا وفرنسا غضبا تواطآتا مع اسرائيل وقامت ثلاثتهما بغزو السويس وانتهكت بذلك الرأى العام العالمى ، بل وتجاهلت المعارضة الامريكية .

واذا ماتحدثنا من الناحية القانونية نجد أن مصر كانت تمارس حقوقها فى الاشراف على القناة . وكانت المصالح الوحيدة التى انتهكتها هى المصالح الاستعمارية . وقد حرك غزو السويس مشاعر عميقة فى جميع انحاء آسيا وافريقية وفى بعض دول أمريكا اللاتينية أيضا . وكانت هناك مظاهرة رائعة من جانب الدول الصغيرة فى العالم تؤيد مصر فى الامم المتحدة وفى كل مكان آخر . وانتصرت هذه المظاهرة الجماعية للكرامة الانسانية فى النهاية . فقد أوقف الغزو واجبرت القوات المعتدية على الانسحاب من الاراضى المصرية .

ولا شك أن معارضة أمريكا ، والدور الذى أداه حزب العمال فى بريطانيا والتهديد السوفييتى بالتدخل المضاد ، كانت كلها عوامل أثرت بشدة على لندن وباريس ، وأقنعت حكومتى بريطانيا وفرنسا بالتقهقر ، غير أن الرأى العام العالمى لم يؤد دورا ضئيلا فى فرض هذا التطور الهام .

بيد أن المشكلة فى المجر كانت تختلف عن ذلك . وكانت استجابة

الرأى العام العالمى لها محدودة . والاحداث معروفة ولا داعى لسردها من جديد .

ففى بداية «التمرد» كانت الحكومة السوفييتية على استعداد للنزول عن أشياء كثيرة على شريطة الا يكون هناك نقض للطريقة الشيوعية فى الحياة . وبدأت بالفعل عملية التآلف بين القومية والشيوعية ، وان كانت بخطى بطيئة فى الاتحاد السوفييتى نفسه بالاضافة الى عدد من دول أوربا الشرقية . وكان خروشوف على استعداد للوصول الى تسوية مع زعماء المجر الجدد الذين قد يتمكنون من حمل البلاد قدما الى الامام نحو الشيوعية دون تكرار التجارب المؤلمة والفشل الباهظ التكاليف الذى مرت به الشيوعية منذ الحرب العالمية الثانية . غير أن سرعة التطور قد أدت الى تمرد قوى يعتبره الاتحاد السوفييتى مناهضا للثورة ، واختلط الامر كله بالحرب الباردة . وكانت النتيجة تدخلا عسكريا من جانب الاتحاد السوفييتى وقمعا لا رحمة فيه لهذا التمرد · وقد أدانت الأمم المتحدة الاتحاد السوفييتى . ولم تؤد هذه الادانة الا الى تقوية عزم الروس فى تصفية بقايا التمرد .

وقد كان هناك تباين واضح بين وجهة نظر الهند ووجهة نظر الدول الاخرى غير المنحازة تجاه غزو السويس ، والتدخل فى المجر : ففى الدول الغربية اتهمت الهند باتباع سياسة ذات وجهين ، وفى الداخل حملت عدة احزاب معارضة على الحكومة لاتخاذها موقفا غامضا بالنسبة للمجر . وقد صوتت الهند فى الامم المتحدة ، فى مصلحة أحد القرارات الاربعة فقط التى اتخذت حيال المجر . وكان هذا القرار يدعو الى سحب القوات الاجنبية . ولم تتمكن الهند من التصويت فى مصلحة القرارات الاخرى التى كانت تدعو الى اجراء انتخابات تحت اشراف الامم المتحدة . وقد شرح كريشنا مينون ممثل الهند سياسة حكومته فى هذه الكلمات :

« ان حكومتى لاتود ، على ضوء الظروف القائمة فى العالم وبرغم أنها لاتتمشى مع سياستها أن تتدخل فى مسالة انسحاب القوات الاجنبية بمعنى القوات المرتبطة بالاحلاف الدفاعية داخل هذا الاطار . اننا نعتقد أن وجود القوات الاجنبية فى أى بلد يتنافى مع حرية هذا البلد ، ويمثل خطرا على سلام العالم وتعاونه . ولكن فى ظل الظروف الحالية ، هناك أحلاف مختلفة تقف بعضها فى مواجهة بعض على سياسة ميزان القوى التى تدفع بالعالم ، بسرعة نحو حافة الحرب ، لذا فاننا نرى الموقف فى ظل هذا الاطار الضيق الذى يلجأ فيه الاتحاد السوفييتى الى القوة تجاه الشئون الداخلية للمجر . واذا كان هناك ثمة تبرير ، فان التبرير الوحيد هو انه تم استدعاء القوات السوفييتية لمساعدة السلطة المدنية اذا كان هناك محاولة لانقلاب عسكرى .

وحكومتي مقتنعة بأن التردد الاصلى الذى قام ضد الحكم المجرى الذى كان قائما ، كان حركة من حركات التحرر القومى ، والمقصود هنا بالتحرر القومى لا كدولة مستعمرة ، وانما حركة للاطاحة ، أو بالأخرى لتحقيق نوع التغيرات الجارية الآن فى أوربا الشرقية » .

وقد نظرت الحكومة الهندية الى التطورات فى المجر من خلال اطار الحرب الباردة . فقد كانت أوربا مقسمة بين كتلتين عسكريتين مجهزتين تجهيزا كاملا . فاذا دعت الحكومة الهندية الاتحاد السوفييتي الى سحب قواته من المجر ، والسماح باجراء انتخابات حرة فى تلك البلاد تحت اشراف الامم المتحدة ، دون طلب انسحاب مماثل للقوات الاجنبية من غربى أوربا ، فمعنى هذا أنها تتخلى عن مبدأ عدم الانحياز . كما رفضت حكومة الهند الاعتراف بالمجر كدولة مستعمرة برغم اعترافها بوجود تمنيات قومية لم تتحقق فى هذه البلاد . وقال نهرو فى بيانات عدة عام ١٩٥٦ وما بعده : ان ريح التغير تهب الآن بالفعل على الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية ، وان أى تصرف نابع من الحرب الباردة لن يؤدى الا الى تأخير هذه العملية .

ومع ذلك كانت السويس والمجر ضربتين شديدتين موجهتين الى عقيدة التعايش السلمى الذى يعتمد على المساواة بين الدول وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لكل . وتعتبر الحكومة السوفييتية ، كما شرحنا من قبل ، التعايش فلسفة بين العالم الشيوعى وغير الشيوعى ، فانه لايمكن قيام تعايش داخل الكتلة السوفييتية مثل التعايش الذى يقوم بين دولتين أو أكثر تتمتع كل بالسيادة وتتبع نظمــا اجتمــاعية مختلفة . ولم يكن الاتحاد السوفييتى على استعداد للسماح لأية من دول الكتلة بالانحراف عن طريق الشيوعية ، فلم يكن الاتحاد السوفييتى فى حالة تسمح له بمشاهدة مولد نظام تيتوى آخر كالقائم فى يوغوسلافيا .

وقد تركت مصر والمجر آثارا عميقة على مجرى التطورات الدولية فى السنوات التالية . فقد خلقت المشاكل التى خلفناها سلسلة من ردود الفعل لم تبق دولة واحدة فى القارات الخمس لم تتعرض لها .

واذا أوجزنا القول، نقول ان العمل العسكرى الانجلو ـ فرنسى ضد مصر قد أدى الى التغيرات البعيدة الاثر التالية فى الموقف العالمى :

أولا : هبطت بريطانيا وفرنسا الى هوة العجز المؤقت بسبب الاذلال الذى لحق بهما على المنبر الدولى ، وارتمت بريطانيا فى أحضان أزمة سياسية واقتصادية لم يسبق لهما مثيل . وفى فرنسا تم تمهيد الطريق أمام ظهور الجمهورية الخامسة بزعامة جنرال ديجول .

ثانيا : وضع هذا العمل العسكرى ضد مصر الدبلوماسية الغربية ،

نتيجة للتفكك الذى طرأ على الوحدة الغربية ، فى موقف حرج ، ومنحت الفرصة للاتحاد السوفييتى لكى ينشر نفوذه فى الشرق الاوسط جميعه .

ثالثا : خلق العدوان فى الشرق الاوسط نفسه سلسلة من الافعال وردود الفعل التى أدت ، من ناحية ، الى انتصار القومية العربيةوتدهور النفوذ الغربى ، وأدت من ناحية اخرى الى زيادة المعونة الاقتصـادية السوفييتية ، وتغلغل الاتحاد السوفييتى السياسى فى منطقة حيوية من الناحية الاستراتيجية .

رابعا : أرغم الولايات المتحدة على وضع تقويم سريع ومرتجل الى حد ما ، لسياستها تجاه الشرق الأوسط ، وكان نتيجة ذلك اعلان مبدأ ايزنهاور الذى أدى الى التدخل العسكرى الفاشل فى لبنـان ، وأدى فى النهاية الى حدوث تدهور ضخم فى التأثير الامريكى الفعال فى شئون الشرق الاوسط . فقد أدى التدخل الامريـكى فى لبنـان الى الاطاحة بالملكية فى العراق واقامة جمهورية تحت الزعامة العسكرية .

خامسا : أدركت دول العالم الصغيرة ، بعد العدوان ، انها تستطيع بالعمل المشترك أن تؤدى دورا هاما داخل الامم المتحدة ، غير أنالسلام والاستقرار فى العلاقات الدولية ، وهما هدف مبدأ التعايش ، يعتمدان أساسا على قدرة الدول الكبرى على التفاهم فيما بينها .

فقد خلقت المجر سلسلة من المشاكل للاتحاد السوفييتى ، اذ تم قمع التمرد بسهولة ، ولكن لم يكن من السهل تجاهل الغضب الذى عم العالم نتيجة للتدخل الروسى ، وطلب من الحكومة السوفييتية المبادرة الى تعديل علاقاتها مع دول أوربا الشرقية .

وفى داخل الاتحاد السوفييتى نفسه حدث انشقاق فى صفوف زعامة الحزب الشيوعى حول مسألة المذهب الستالينى ، والقضاء على هذا المذهب . فقد ضغطت الجماعة التى أطلق عليها لقب الجماعة المعادية للحزب ، والتى كان يتزعمها شيوعيون بارزون من أمثال مولوتوف ، وكاجانوفتش وشبيلوف ، على خروشوف منأجلاعادة النظر فىسياسته التحررية . وقد انتهت الأزمة حينما نقل خروشوف الامر الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، بعد أن فاز بالاغلبية تقريبا فى مجلس الرياسة ووافقت الغالبية على سياساته وبرامجه .

وقد أدرك خروشوف ، حتى فى غمرة انتصاره على اتباع ستالين ، ان زعامته قد أصبحت الآن محل اختبار عسير فى الداخل والخارج :

ففى الداخل كان عليه أن يتيح للشعب السوفييتى حرية آخذة فى الاتساع المنتظم ، واقتصادا يشبع طلبهم المتزايد لثمار جهودهم ،ونظاما سياسيا يحررهم ، الى الأبد ، من تطرف عهد ستالين .

وفى الخارج ، كان عليه أن ينظم البيت الشيوعى عن طريق الاعتراف

بوجود اكثر من طريق يؤدى الى الاشتراكية ، كما كان عليه أن يمسك بزمام المبادرة لتخفيف حدة التوتر العالمى .

وكرس خروشوف وقته لتحقيق هذه المهام متسلحا بروح رائعة للمغامرة ، فأدخل سلسلة من الاصلاحات البعيدة المدى على نظام الاقتصاد السوفييتى وكان هدفه الاساسى هو احلال اللامركزية فى البنيان الاقتصادى الذى كانت تسيطر عليه القمة والذى تشكل فى أيام ستالين، وبث روح المبادرة والزعامة بين جمهوريات الاتحاد السوفييتى . وقد أقنعه التقدم الهائل فى العلم السوفييتى بأن الاتحاد السوفييتى قادر على تحقيق اقتصادية لم تسمح تحقيقها أساليب الفترة الستالينية . وفى أوربا الشرقية توصل ، بجرأة ، الى اتفاق مع قيادة الحزب الشيوعى البولندى الجديدة ، واستطاع أيضا أن يعيد العلاقات مع يوغوسلافيا ، لفترة مؤقتة ، وأدرك خروشوف أن الاتحاد السوفييتى قد جنى ثمارا طيبة فى الشرق الاوسط ، وعكف على دعم هذه المكاسب ، كما أدرك أيضا أن الصين ، فى ظل الزعامة الشيوعية ، تتجه بسرعة الى مصاف الدولة الصناعية . واستطاع أن يقنع نفسه ، ويقنع الغالبية الساحقة من الزعماء الشيوعيين فى بلاده ، وفى الخارج ، بأن الشيوعية قادرة بالتأكيد ، اذا ما أتيحت لها فترة طويلة نوعا من السلام ، على اللحاق بالديمقراطية الراسمالية فى مجال اقتصاديات القوى . وأدرك خروشوف أن الدول التى هى أقل تطورا فى العالم ، والتى يعتنق معظمها أشكالا مختلفة من عدم الانحياز ، سوف تتطلع كثيرا فى سعيها من أجل التنمية الاقتصادية الى الدول الشيوعية طلبا للمعونة . ورأى أن من بين العوامل الاساسية فى دبلوماسيته الجديدة ، أن من مصلحة العالم الشيوعى أن يمد يد المساعدة الاقتصادية والفنية الى الدول النامية دون أى قيود سياسية او عسكرية ظاهرة الا أن تستمر الدول التى تتلقى المعونة فى عدم انحيازها فى الحرب الباردة(١) .

---

(١) حدثت في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ، المنعقد في نوفمبر ١٩٦١ ، أن حقق خروشوف مزيدا من النجاح في حملته المعادية لستالين . وكان مولوتوف قد تزعم الجماعة المسماة بالجماعة المعادية للحزب وقفت ايضا في وجه برنامج خروشوف ، ووقع مولوتوف على بيان يتحدى الاتجاه الجديد ، ووزع هذا البيان على اعضاء اللجنة المركزية . وواضح ان هذا المؤتمر قد سبقته مناقشة مريرة طويلة حول الوضع الجديد وموقفه من الوضع القديم . وحينما انعقد المؤتمر الثاني والعشرون كانت الجماعة المعادية للحزب قد لقيت هزيمة كاملة وفقدت سمعتها . وقام الاعضاء البارزون في اللجنة المركزية باماطة اللثام من الاساليب الاستبدادية التى انتهجها ستالين . وتقرر القضاء على الأسطورة الستالينية ، بنقل جثة ستالين من ضريح لينين وكان هذا الاجراء ذروة الحملة الموجهة ضد ستالين .

وخلال المؤتمر نشب خلاف صريح بين الاتحاد السوفييتى والصين بسبب هذه =

وقد استطاعت دول آسيا وافريقية ، خلال ازمة السويس ، أن تؤدى دورا جاسما فى الأمم المتحدة وذلك بالضغط على الدول الغازية لوقف الهجوم وسحب قواتها من الاراضى المصرية . ويرجع ذلك جزئيا الى تأييد الجماهير من الشعوب والحكومات فى آسيا وأفريقية بطريقةاجبرت الاستعمار الاوربى أن يتراجع متعثرا ، من الشرق الاوسط . وقدشعرت دول آسيا وأفريقية بالرضا وهى ترى جهودها فى الامم المتحدة تجنى ثمارها غير أن جهودها لم تكلل بمثل هذا النجاح فيما يتعلق بالمجر .

فمن ناحية حرصت الدول المحايدة على عدم انتهاج سياسة قدتشجع على تدخل الامم المتحدة فى الشئون الداخلية للمجر .

= الحملة فكان واضحا أن الصين ليست مستعدة للتمادى مع خروشوف في سياسته الجديدة في الداخل والخارج . وكانت البانيا الصغيرة ، الضئيلة الشأن ، موضع النزاع الاساسي بين الصين وروسيا ، لكن الاختلافات كانت أكبر من ذلك ، ولم تقتصر على المشكلة الحساسة التى تتصل بالحريات الإنسانية المسموح بها خلال فترة البناء الاشتراكي في ظل دكتاتورية البروليتاريا ، وانما امتدت ايضا الى المشكلة الحساسة الاخرى المتصلة بحتمية الحرب من اجل تحقيق الهدف النهائى (العالم الشيوعى) ، ومواجهة التحدى الذى تمثله الراسمالية .

فلماذا اماط خروشوف اللثام عن الخلافات التى راى الصينيون ، وكثيرون غيرهم أن من الواجب بحثها في تكتم ؟

ربما لم يكن الزعيم السوفييتى على استعداد للسماح للمشكلة بأن تتلكأ لفترة اطول ، وربما شعر بأن الاسرة الاشتراكية أصبحت قوية بدرجة تؤهلها لمناقشة خلافاتها بصراحة ، او قد تكون المناقشة الحرة هى السمة الحتمية في طريقة خروشوف الجديدة في التفكير والتصرف . مهما يكن الامر ، فانه لم يكن بمقدور الصين أن تنفصم عن الاتحاد السوفييتى .

ونحن بحاجة الى تلخيص التغيرات الكبرى التى طرأت على التفكير والتخطيط الشيوعى منذ وفاة ستالين :

ففى الداخل نجد ان المواطن حصل على عدد من الحريات الاساسية التى تعتبر الاولى من نوعها في بلد شيوعى . بل لقد سمح بوجود معارضة داخل أجهزة الحزب المختلفة . ولم يقف الامر عند حد انهاء التصرف البشع العنيف الذى اتسم به عهد ستالين ، وانما قوبل هذا التطرف بالازدراء .

أما في الخارج فان الحرب الاهلية لم تعد السبيل الوحيد الى الثورة الشيوعية ، وفي بعض الحالات يسمح للحزب الشيوعى بالامساك بزمام السلطة عن طريق انتخابات نيابية ، وليست الحرب بين الشيوعية والرأسمالية امرا محتوما تماما . وانما يتركز الاهتمام الآن في المنافسة الاقتصادية والهجوم المستمر ، العنيف ، المتعدد الجوانب ، على الرأسمالية في جبهات متعددة ، مع استغلال حركات التحرر الوطنى والسياسي والاقتصادى في آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية ، والاعتماد على عامل الردع الهائل الذى تمثله الاسلحة النووية .

كذلك رأى الاتحاد السوفييتى أن وجود حكومات محلية بورجوازية تحقق التنمية الاقتصادية في الداخل وتسير على سياسة عدم الانحياز في الخارج ، باعتبارها قوة تقدمية تستحق التأييد الشيوعى .

ومن ناحية أخرى ادركت غالبية هذه الدول ، برغم كل عطفها على شعب المجر ، ان الدول الغربية كانت تهدف فى الحقيقة ، وهى تتقرب للمجر ، الى احراز نصر فى الحرب الباردة .

ونظراً لان السياسة الخارجية لبلدما تنبع مباشرة من قوتها أو ضعفها فى الداخل ، فان الفترة بين خريف عام ١٩٥٦ وعام ١٩٥٩ ، شهدت . تدهورا عاما فى تأثير السياسات الدولية لدول آسيا الكبرى غير الشيوعية نتيجة لكثير من القيود السياسية والاقتصادية التى تعرضت لها . وقد خلق الغزو الانجلو ـ فرنسى على مصر عام ١٩٥٦ والذى تبعه مبدأ أيزنهاور عام ١٩٥٧ وكل مايعنيه من ضغط اقتصادي وسياسى على مصر وسورية ، خلق مشاكل اقتصادية لم يسبق لها مثيل لجميع دول آسيا وافريقية . وفى الهند وضحت حاجة البلاد الخطيرة للنقدالاجنبى المطلوب لتنفيذ مشروع السنوات الخمس الثانى وأصبح أحد المهام الرئيسية للحكومة أن تضمن المعونة الخارجية من الدول الغربيةأساسا . وأدى اعادة تنظيم حدود الولايات نحو نهاية عام ١٩٥٦ الى سلسلة من المشاكل الداخلية تتطلب جهودا جبارة للمحافظة على الوحدة الوطنية . وقد كلفت الانتخابات العامة التى أجريت فى بداية عام ١٩٥٧ ، حزب المؤتمر ولاية كيرالا التى على الساحل الغربى ، التى اختارت حكومة شيوعية ، وبرغم أن حزب المؤتمر قد أعيد فى الوسط وفىالولاياتالاخرى (ماعدا أورسا) بأغلبية تدعو الى الارتياح ، فان أحزاب المعارضة حققت مكاسب راسخة ، وبات واضحا أن المعارضة الفعالة الوحيدة لحزب المؤتمر تأتى من جانب الشيوعيين .

وكان هذا الاستقطاب فى الجو السياسى للهند ، فى ذاته ، تطورا جديدا . وقد زاد من حدته ندرة الغذاء ، على نطاق واسع ، والتدهور الذى طرأ على كفاية الادارة . وكان الشعب يدرك أن ثمة منافسةقائمة بين الهند والصين حول زعامة آسيا . وأدركت الحكومة أن الوسيلة الوحيدة التى يمكن أن تواجه بها الموقف ، تأتى عن طريق الاسراع فى النمو الاقتصادى والاصلاح الزراعى .

وبالاختصار واجهت الهند من جديد فترة طويلة من التضامن الداخلى ، فترة اتجهت فيها السياسة الخارجية على وجه العموم الى الحذر والغموض . وأصبحت الحاجة الملحة الى التدفق الثابت للمعونة الغربية جزءا من التقديرات الدبلوماسية وبينما لم تكن هناك أية نية الى التفاهم حول مبادىء عدم الانحياز كان تيار العلاقات الخارجية ينطوى على شىء من الحيطة .

وفى عدد آخر من الدول الآسيوية ، كانت القيود السياسية والاقتصادية أبعد أثرا منها فى الهند . وتحت ضغط هذه القيود تدهور

نظام الحكم النيابى فى باكستان وبورما . وفى سيلان واجه هذا النظام تهديدا مباشرا . وفى اندونيسيا ضاعفت حركة التمرد التى قام بها الجيش فى سومطرة من حرج الموقف السياسى والاقتصادى . وتمكنت الحكومة من قمع التمرد . ولكن كان عليها أن تدفع ثمنا باهظا لذلك . وتقدم الجيش الى واجهة الحياة العامة ، وظهر كقوة منظمة رئيسية . والغى الرئيس سوكارنو ــ معتمدا اعتمادا أساسيا على تأييد الجيش ــ دستور عام ١٩٥٧ وأعلن العودة الى دستور عام ١٩٤٥ ، وخضعت البلاد لمفهومه الذى يؤمن ب « ديمقراطية موجهة » .

وفى الشرق الاوسط ، خلق مولد الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير عام ١٩٥٨ آمالا كبيرة فى الوحدة العربية ، ولم يقتصر الامر على قيام دولة عربية ضخمة فى مساحتها وسكانها ومواردها بحيث تستطيع ان تؤدى دورا ايجابيا فى شئون الشرق الاوسط ، وانما امتد أيضا الى ظهور سلسلة من التغيرات فى البلاد المجاورة مثل اليمن والعربية السعودية . غير أن الحرب الاهلية فى لبنان ، فى ربيع عام ١٩٥٨ قد أوقعت الشرق الاوسط من جديد ، فى أزمة عميقة الاغوار . فقد تدخلت الولايات المتحدة بالقوة فى لبنان ، وتدخلت بريطانيا فى الاردن ، وفى ١٤ من يوليو قامت ثورة العراق ، وخلقت معها وضعا جديدا تماما فى العالم العربى . وفى آخر الامر أنهت الازمة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية ، وانسحاب القوات الانجلو ــ أمريكية من لبنان والاردن . وانعشت ثورة العراق الآمال فى فترة من الاستقرار فى العالم العربى ، ولكن سرعان ما تداعت هذه الآمال . فقد وجدت الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق الفتية نفسيهما منهمكتين فى صراع جديد .

ويمكننا أن نلخص الموقف فى آسيا فى عام ١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ كالآتى :

مهد تدهور نفوذ الغرب الطريق لظهور النفوذ السوفييتى فى غرب آسيا ، وكانت القومية العربية تواجه فترة جديدة من التعديل الداخلى وبدا أن الدعوة الى الوحدة العربية تتعرض لامتحان .

وفى جنوب شرقى آسيا اختفت الديمقراطية النيابية فى ثلاث بلاد ، وكانت الهند تواجه مشاكل التدعيم الاقتصادى والسياسى .

وفى شرقى آسيا كرست الصين جهدها فى برنامج داخلى ضخم لبناء الشيوعية واتجهت سياستها الخارجية اتجاها عدوانيا بمرور الوقت . وعكفت اليابان على سياسة اقتصادية جديدة هدفها الرئيسى أن تستعيد مكانتها كدولة صناعية واقتصادية بارزة . وقد اقتضى هذا ظهور عنصر منافسة مع اقتصاد الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

وبدت السياسة الخارجية الآسيوية ، وسط هذه الصورة العامة ، فى حالة من العجز النسبى .

وكانت النتيجة المباشرة للثورة فى العراق هى خروجها من حلف بغداد . فقد نبذت الحكومة الجمهورية هذا الحلف بعد قيامها مباشرة ، غير أن الامر اقتضى ستة شهور حتى انسحبت من الحلف بصفة رسمية. وقد فقد حلف بغداد معناه دون وجود العراق . فقد انسحبت الدولة العربية الوحيدة التى انضمت اليه ضد رغبة شعبها . بيد أن الحلف ظل قائما تحت اسم منظمة الحلف المركزى ويشمل ايران ، وباكستان وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، التى كانت الزعيمة الحقيقية للحلف وأن لم تصبح عضوا رسميا فيه .

وقد جاء أكبر تحد لمبادىء التعايش السلمى عام ١٩٥٩ حينما نشب التمرد الكبير فى التبت فى العاشر من مارس . وكانت المتاعب تختمر منذ فترة طويلة من الزمن . فقد كان الصينيون يواجهون المتاعب فى سعيهم من أجل ادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية . وجاءت المغارضة من جانب طبقة اللاما الارستقراطية ، ومن جانب رجال قبيلة خامبا المشاغبة الذين أخذوا فى الترصد للجنود الصينيين وللقوافل العسكرية . وحدثت هناك معارك طاحنة . وفى آخر الامر انضمت حكومة الدالاى لاما الى عمليات مقاومة الاجراءات الصينية. وفى ٢٨ من مارس عام ١٩٥٩ أعلنت الحكومة الصينية طرد حكومة الدالاى لاما بالاضافة الى الكاشاج ، وتأليف لجنة تحضيرية جديدة تحت رياسة بانشن لاما . كما أعلن البيان أن الدالاى لاما قد ترك « لهاسا » مرغما .

وقد هدد تمرد التبت وأزمة الحدود الصينية الهندية بنسف الاساس الكامل لمبادىء التعايش السلمى . ومن المعروف أن أزمة الحدود الصينية الهندية لم تثر الا وقد استقرت بالصينيين الحال فى التبت وقد اتهم الصينيون الحكومة الهندية بانتهاك مبادىء التعايش السلمى بالتدخل فى شئون التبت التى هى جزء لايتجزأ من الصين . وفى معرض انكار هذه التهمة ، اتهمت الهند الصين بانتهاك الاتفاقية عن طريق القيام بغارات واسعة النطاق على منطقتين حيويتين من مناطق الحدود فى الشمال الغربى والشمال الشرقى .

وهكذا تشاجر واضعا مبدأ التعايش السلمى ، وتعرض مبدآن على الأقل من المبادىء الخمسة ــ وهما عدم التدخل فى الشئون الداخلية لأى منهما ، واحترام وحدة أراضى كل منهما ــ لخطر كبير .

وظهرت على مسرح الاحداث الآسيوية روح جديدة من المنافسة وكان هناك طوفان من التوتر والعداء يتردد صداه فى جميع أنحاء آسيا ، وفى العالم كله ، بدرجة أقل . وكان السؤال الذى ظهر أمام السياسيين الآسيويين هو : هل الجارتان الآسيويتان الكبيرتان ، الهند والصين ، ستتمكنان من التعايش فى سلام ، وكل منهما تسير فى طريقها الخاص

دون شهر السيوف فى وجه الاخرى ؟ وحتى وسط هذا الشغب والانفعال الذى سببه الصراع بين الصين والهند ، ادرك بعض سياسيى آسيا العقلاء والذين يحملون شعورا بالمسئولية ان اى استسلام للحماس والانفعال لن يؤدى الى السماح بدخول الحرب الباردة الى قلب آسيا فقط ، وانما سيعرض ايضا التنمية الاقتصادية فى القارة للخطر . ولذا استمر البحث عن أساس للوصول الى تسوية بينهما ، وبرغم إن النجاح لم يحالف جهود شواين لاى ونهرو فى أبريل عام ١٩٦٠ ، فان محادثاتها فى نيودلهى نزلت بالصراع حول الحدود الى مجرد مشكلة ينبغى تسويتها عن طريق المحادثات لا بالسلاح .

وقد قال نهرو لمراسلى الصحف ، وهو فى طريقه الى لندن فى مايو لحضور مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث : أنه حتى بالرغم من أن الصينيين لم يسيروا على هدى المبادىء الخمسة ، فان ايمان الهند لم يهتز ، فى قيمة هذه المبادىء وفعاليتها ، واستمرت فى تأييدها .

ووصل النزاع الهندى - الصينى ، بين مايو ١٩٦٠ وفبراير ١٩٦١ ، الى حال من الركود التام . وقدم الوفدان الرسميان اللذان عينهما نهرو وشواين لاى ، تقريرهما المشترك الذى نشر فى فبراير عام ١٩٦١ ، لكى يكشف فقط عن الاختلاف الكامل فى وجهتى نظر الحكومتين تجاه مسألة الحدود . وخلال المفاوضات المضنية بين الجانبين ، تمكنت الهند من جمع قدر كبير من الوثائق التاريخية والادارية يؤكد رأيها فى أن الحدود مع الصين كانت قائمة دائما بطريقة مرضية طبقا للمعاهدة واستنادا على العرف والتقاليد .

وكان الرد الصينى على هذه الحجة مهتزا ومع ذلك صممت الصين على أن الحدود لم يتم تحديدها بطريقة سليمة على الاطلاق وطالبت بالعمل المشترك على وضع تنظيم وتحديد جديدين للحدود .

وبالرغم من أن الصينيين قد انسحبوا من قاعدتهم فى لونججو التى فوق خط ماكماهون تماما ، على الحدود الشمالية الشرقية ، فانهم استمروا فى احتلال ١٢٫٠٠٠ ميل مربع من الاراضى الهندية معظمها فى القطاع الشمالى الغربى ، وأصروا على مطالبهم بما يربو على ٣٥٫٠٠٠ ميل مربع من الاراضى على طول الحدود جميعها . وقد عقدت الحكومة الصينية قضية الحدود - الى حد ما - برفضها مناقشة مسألة الحدود بين التبت والاجزاء التى تحتلها باكستان من ولاية جامو وكشمير مع الوفد الرسمى الهندى .

وفى الهند فسرت الصحافة الوطنية هذا المسلك على أنه رفض من جانب الصينيين بالاعتراف بسيادة الهند على ولاية جامو وكشمير

باكملها ، وهو الامر الذى اعترفت به الحكومة السوفيتية منذ مدة ترجع الى عام ١٩٥١ حين أثيرت مسألة كشمير أمام مجلس الامن .

كما عادت الحكومة الصينية الى التأكيد الذى كان قد قدمه شواين لاى بنفسه ، فى أبريل عام ١٩٦٠ ، الذى ينص على احترام الصين لعلاقات الهند مع مملكتى سيكيم وبهوتان اللتين على جبال الهملايا ، وهى العلاقات القائمة بينهما بموجب معاهدة . أما عن سيكيم فقد كانت امارة تحت الحماية الهندية تقريبا ، على حين نجد بهوتان ، برغم استقلالها الاسمى ، ملتزمة بتلقى ((النصح)) من حكومة الهند فىعلاقاتها الدولية .

وقد أوضح نهرو ، فى البرلمان ، خلال المناقشة التى دارت حول تقرير المسئولين ، أنه بالرغم من أن الفرصة ليست مواتية لاجراء مفاوضات جديدة فى القريب العاجل مع بكين ، ولا رده على الزيارة التى قام بها شواين لاى ، الا فانه لايستطيع أن يقفل الباب تماما أمام أية مفاوضات مستقبلة ، حيث أنه قد يتعين تسوية النزاع بالوسائل السلمية لا عن طريق شهر السلاح .

وكان الامر متروكا للصين كى تخلق جوا يسمح باستئناف المحادثات، وذلك بانسحابها من المناطق التى استولت عليها بالقوة ، وبتقبلها للقضية الهندية الاساسية التى تقول باستناد الحدود ، تقريبا ، على اتفاقيات وتقاليد راسخة .

وقد كان التأييد الكامل تقريبا من جانب الحزب الشيوعى الهندى للموقف الذى اتخذه نهرو ، تطورا بارزا جديدا بالنسبة للنزاع الصينى الهندى . فقد توصل الشيوعيون الهنود ، بعد عملية مضنية من اعادة التقويم استمرت طوال فترة المنازعات الصينية الهندية ، توصلوا فى أوائل عام ١٩٦١ الى أن الصينيين مخطئون ، بشكل أساسى ، فى وجهة نظرهم نحو مشكلة الحدود وانهم قد عقدوا المسألة ، بطريقة غير سليمة، بزجهم فى عوامل تم تسويتها بالفعل ، مثل سيادة الهند على ولاية كشمير برمتها ، ومعاهدة الهند الخاصة التى تنظم علاقاتها مع سيكيم وبهوتان .

ومع ذلك نجد أنه بينما كانت أحزاب المعارضة اليمينية ، بالاضافة الى الاشتراكيين الهنود ، تستمر فى حث نهرو على اتخاذ اجراءات عنيفة ضد الصين بما فى ذلك من احتمال اعادة النظر فى سياسة الهند الخارجية ، اقترح الشيوعيون تحقيق تسوية سياسية بين رئيسى الوزراء .. وبدا فى أوائل عام ١٩٦١ ، أن الحكومة الصينية أيضا ، تتطلع حقيقة الى قيام تسوية سياسية قد تعترف بالنفوذ الصينى ، بجانب النفوذ الهندى ، على جميع مناطق الهملايا المتشابكة .

وقد كان الصينيون يجاهدون على الارجح ، من أجل التوصل

الى اتفاقية شاملة مع الهند ، اتفاقية تغطى المناطق المعقدة الاستراتيجية التى على جبال الهملايا ، وتعترف ، الآن والى الابد ، بسيادة الصين الكاملة على التبت ، وتكفل ضمانا مشتركا بمنح الاستقلال لنيبال ، وبهوتان وسيكيم ، وضمان حيادها .

وقد نستطيع أن نقول أن الصينيين الذين نجحوا فى تسوية منازعات الحدود مع بورما ونيبال ، وتوصلوا الى حد كبير ، الى اعادة علاقتهم الطبيعية مع اندونيسيا ، استمروا يقسمون بمبادىء التعايش السلمى الخمسة ، التى أعلنوا انها مازالت تكفل الاساس الوحيد السليم لاقامة علاقات سليمة بين الدول التى تتبع نظما سياسية واجتماعية مختلفة . ولذلك نبعت الازمة الصينية الهندية من التفسيرات المتعارضة تماما ، والتى قدمتها كل من الصين والهند للمبادىء الخمسة التى رعتها الدولتان فى عام ١٩٥٤ واتهمت كل منهما الاخرى بانتهاك هذه المبادىء نصا وروحا .

وعلى الرغم من أن السياسة التى تتبعها الصين حول الحدود الهندية تمثل تهديدا للمبادىء الخمسة ، فان التعويض قد أتى من أجزاء أخرى من العالم ، فان مايربو على نصف القارة الافريقية حصل على الاستقلال فى عام ١٩٦١ ، وشكلت الدول الافريقية ، فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة أكبر كتلة واحدة من الامم . واعتنقت معظم هذه الدول الافريقية الجديدة ، بما فى ذلك نيجيريا ، سياسة عدم الانحياز بين الكتل الكبرى .

أما الدول المنتمية للمجموعة الفرنسية فى أفريقية فقد ظلت تميل بشكل كبير نحو الغرب ، ولكنها كانت مترددة أيضا فى الوقوف الى جانب الكتلة الغربية ، فقد كانت تمتنع عن التصويت فى معظم مسائل الحرب البـاردة .

وفى الكونغو ، قامت ازمة كبيرة بعد حصوله على الاستقلال مباشرة . وبذلت الدول الآسيوية ـ الافريقية جهدها كى تقوم بدور هام فى انقاذ الكونغو من الحرب الباردة . وكان ابعاد الحرب الباردة عن القـارة الافريقية من أولى المسائل التى شغلت بالها فى عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، وتفاقمت أزمة الكونغو من جراء اتباع الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة سياسات متعارضة على خط مستقيم ، بيد أن كلا منهما طلب ابعـاد الكونغو عن الحرب الباردة ، واقترح ايزنهاور فى خطابه الذى وجهه الى الدورة الخامسة عشرة للامم المتحدة عرضا باعلان حيـاد افريقية فى الصراع القائم بين الدول الكبرى .

وبالمثل قامت أزمة فى لاوس بعد نجاح انقلاب عسكرى هنـاك فى اغسطس عام ١٩٦٠ قام به كابتن كونج لى القائد اليسارى للجيش .

وتبع ذلك قيام حرب أهلية تلقى فيه الجانبان مساعدات عسكرية وغير عسكرية من الكتلتين ، ولكن أصبح من الواضح ، فى أقل من سبعة أو ثمانية اشهر ، أن الحل الوحيد للاوس وغيرها من مناطق المشـــاكل فى العالم هو تقبل دول العالم للحياد كفلسفة فعالة للحياة تناسب الامم الصغيرة ، ووافقت الولايات المتحدة على الوضع المحايد للاوس ، برغم أن الدول استمرت فى الاختلاف حول الطريقة التى يمكن بها ضمان هذا الوضع .

وقد أعطت الحكومة الامريكية الجديدة التى يرأسها الرئيس جون كنيدى من الدلائل مايشير الى حدوث تغيير كبير فى وجهة النظرالامريكية التى استمرت ثمانى سنوات نحو عدم الانحياز : فقد استبعدتالسياسة القديمة التى كانت ترفض الاعتراف بعدم الانحياز كفلسفة دوليةايجابيه واعلن أدلاى ستيفنسون السفير الامريكى الجديد لدى الامم المتحدة ، فى أول مؤتمر صحفى عقده فى نيويورك فى يناير عام ١٩٦٠ — أعلن أن الحكومة الامريكية لن تمارس أى تمييز بين الدول المنحازة وغيرالمنحازة، وانها ستسعى لاقامة أطيب العلاقات بينهما .

واستطرد ستيفنسون قائلا : « ان الولايات المتحدة ستحترم ، من الآن فصاعدا ، عدم الانحياز والحياد ، وان أمريكا سوف تنظر الى الامم المتحدة كمنبر ، لا للخوض فى غمار الحرب الباردة ، وانما لانهائها » وكان هذا فى الواقع ، انتصارا لسياسة عدم الانحياز التى كانت تتبعها آسيا وافريقية باستمرار لأكثر من عشر سنوات .

وقد شجعت سمة أخرى من سمات الرئيس كنيدى الخارجية التى تتشكل الآن ، شجعت واضعى فلسفة عدم الانحياز : ففى رسالته عن حالة الاتحاد التى وجهها الى الكونجرس فى يناير ، أكد كنيدى الحاجة الى اعادة تقويم سياسة الدفاع الامريكية ـ ويعزى اليه الفضل فىالاعتقاد بأن هناك حاجة الى ازالة بعض القواعد العسكرية القديمة التى أقامتها الحكومة السابقة فى بعض أجزاء نائية من العالم اذا كان هناك بعض التقدم نحو توقيع اتفاقية مع روسيا حول نزع السلاح .

والواقع أن الولايات المتحدة وافقت على اخلاء قاعدتها الوحيدة فى العالم العربى ، وهى قاعدة الظهران فى العربية السعودية بناء على طلب الحكومة الملكية ، وكانت القيود المتزايدة على الاقتصاد الامريكى عاملا آخر فى مصلحة تخفيض النفقات العسكرية .

وقد اعتبر الساسة الافرو ـ آسيويون احتمال ازالة أمريكا لبعض قواعدها عبر البحار ، اتجاها يدعو الى التفاؤل ، فلم تخلق هذه القواعد قدرا كبيرا من التوتر فى أجزاء من افريقية وآسيا فحسب ، وانماابتلعت

ايضا جانبا ضخما من الموارد الامريكية كان يمكن أن يستخدم فى بناء اقتصاديات الدول الآخذة فى النمو . وقد وقفت بالفعل فى مواجهة السير الطبيعى للتطور السياسى والاجتماعى فى عديد من البلاد ، كما افسدت العلاقات بين الدول المضيفة (للقواعد العسكرية) والاتحاد السوفيتى.

وقد أدى دعم صفوف الدول غير الملتزمة الى خلق مشاكل وفرص امام كل من الكتلتين . فقد أدركت كلتاهما أن الزمن الذى كانتا تستطيعان فيه التحكم فى تيار الشئون البشرية قد انقضى وولى ، وقد بدا واضحا للولايات المتحدة ابان أزمة الكونغو أن هناك تغيرا يدعو الى القلق فى ميزان القوى الدولى : فمنذ عشر سنوات مضت ، كانت الولايات المتحدة فى وضع يتيح لها أن تجر الامم المتحدة معها ، بصفة كاملة تقريبا ، وذلك فى موقفها من الحرب الكورية .

ولكن حدث فى الكونغو أن واجهت الحكومة الامريكية تحالفا للقوى جديدا تماما : فقد كانت مجموعة الدول الافرو ـ آسيوية ضد أسس السياسة الامريكية ، التى كانت تود أن ترى ـ ابان الشهور الاخيرة من حكم أيزنهاور ـ ظهور حكومة فى الكونغو منحازة الى الغرب ، وتعمل على حماية المصالح الدولية فى كاتنجا وكاساى ، وتتعاون مع بلجيكا تعاونا وثيقا . وقد تحملت الولايات المتحدة جانبا رئيسيا من مسئولية الاحداث المؤسفة التى اجتاحت الكونغو منذ تدخل الامم المتحدة ، وذلك فى محاولة فاشلة منها لتحقيق هذه الاهداف . وبدأ الاتحاد السوفيتى فى العمل ، على نطاق واسع ، للتأثير على عقول الدول الآسيوية الافريقية ، وذلك بعد تفهمه السريع للتغير الذى طرأ على ميزان القوى .

بيد أن العهد الديمقراطى فى الولايات المتحدة ، شرع ـ بطريقة جريئة ـ فى استعادة نفوذ أمريكا الآخذ فى الانحسار عن المجموعة الافرو ـ آسيوية ، فوقفت موقفا مناهضا للاستعمار فى عديد من المسائل الرئيسية مثل انجولا ، وجنوب غربى افريقية ، وذلك عند استئناف دورة الجمعية العامة للامم المتحدة فى مارس ١٩٦١(١) .

---

(١) أدى غزو كوبا في ابريل عام ١٩٦٠ ، والتهديد بالتدخل العسكرى الامريكى في لاوس بعد ذلك مباشرة الى فقدان حكومة كنيدى لجزء كبير من هيبتها في العالم الافرو ـ آسيوى . وبينما كان الرأى العام الافرو ـ اسيوى يرفض سياسة التدخل الامريكى المسلح في أمريكا اللاتينية كان هناك عطف كبير على الولايات المتحدة لما تلاقيه من صعوبات في شئونها الداخلية ، وكان الزعماء الافرو ـ أسيويون يتوقعون على وجه العموم ، من كنيدى أن يشرع في سياسة أكثر فاعلية من التدخل العسكرى الذى لم يكن ليحل أية مشكلة ، بأية حال . واستعادت الولايات المتحدة ـ بموافقتها على حضور مؤتمر الاربع عشرة دولة حول لاوس في جنيف الذى عقد في شهر مايو ـ بعض الاحترام الذى كانت قد فقدته تقريبا في آسيا من جراء حديثها الذى لا طائل من ورائه عن التدخل المسلح .

واصبح العالم فى أوائل الستينات مقسما الى ثلاث كتل : الكتلة الغربية ، والكتلة الشيوعية ، وكتلة عدم الانحياز ، وكل منها ليس لديها القوة الكافية لكى تعمل وحدها ، والكتل الثلاث عاجزة عن العمل فى وحدة مشتركة .

وقد كان لكل كتلة مشاكلها الداخلية . فقد وافقت الكتلة الغربية على زعامة الولايات المتحدة لها ، ولكنها كانت تعانى من متناقضات كثيرة تنبع أساسا من طبيعة وضعها نفسه : فهى كمجموعة من الدول ذات الاقتصاد الحر ذهبت ضحية منافسة اقتصادية بين أعضائها ، كما أنها ضحية صدام متعدد الجوانب بين المصالح الاقتصادية والسياسية ، وكان تقسيم أوروبا من الوجهة الاقتصادية بين السوق المشتركة (بدولها الست) ومنطقة التجارة الحرة (بدولها السبع) محددا لصراع المصالح الاقتصادية .

وبالاضافة الى ذلك هناك منافسة سياسية بين الدول الاوروبية الثلاث الرئيسية : بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية ، ووضعت الدول الصغرى التى مازالت غارقة فى التقاليد الاستعمارية مثل بلجيكا، وهولندا ، والبرتغال ، التحالف (الغربى) فى سلسلة من الازمات . وكان الرخاء الاقتصادى والصناعى فىغربى أوروبا الغربية ، وبخاصة فى فرنسا وألمانيا الغربية ، يتعارض على طول الخط مع الكساد الذى يعم الولايات المتحدة . وكانت مشكلة الاستعمار ، والمنافسة الاقتصادية، والنمو الصناعى ، والاستثمار هى الازمات الداخلية الرئيسية التى كان لزاما على التحالف الغربى أن يخوض غمارها فى الوقت الذى يواجه فيه التحدى العالمى للشيوعية الدولية .

وفى الكتلة الشيوعية أيضا عرضت الخلافات الايديولوجية بين الاتحاد السوفيتى والصين ، التحالفالمتماسك بينهما لأزمة كبيرة ، وكانت هذه الخلافات قد بدأت بعد وفاة ستالين مباشرة . ويتركزالصراع الرئيسى بينهما حول رأى خروشوف فى التعايش السلمى ، وهو يتضمن المسألة الرئيسية التى تدور حول الحرب والسلام . وقد اعتبر الشيوعيون الصينيون سياسة الاتحاد السوفيتى فى ظل زعامةخروشوف سياسة متراخية ومستسلمة أكثر من اللازم ، على حين كان الاتحاد السوفيتى يعتبر السياسات الصينية ، سياسات مغامرة وعدوانية للغاية ، واثر هذا الجدل على العالم الشيوعى بأكمله ، وبخاصة الدول المتخلفة وذلك لأن الصينيين كانوا يصرون فى مرحلة ما ، على وجوب قيام الكتلة الشيوعية بالعمل جهارا ، على تدبير سلسلة من الثورات فى البلاد النامية حتى لو أدى هذا الى المجازفة بالحرب مع الدولالغربية. وقد اعتبر الزعماء الشيوعيون الصينيون رغبة خروشوف فى التوصل

الى تهدئة مع الولايات المتحدة حول بعض المسائل الرئيسية الخاصة بالحرب الباردة اجراء شائنا ، كما اعتبروا عروض رئيس الوزراء السوفيتى أمرا يكاد يكون خيانة للشيوعية الثورية . واعتقدت معظم عواصم الغرب ، أن خروشوف اضطر تحت الضغط الصينى ، الى حد كبير الى نسف مؤتمر القمة فى باريس فى مايو عام ١٩٦٠ ، وأن يبدو على المسرح الدولى ، فى وضع عدائى خلال بقية شهور العام .

ولكن حدث فى نوفمبر أن اجتمع زعماء الاحزاب الشيوعية ، فى موسكو وذلك لفض خلافاتهم ، وبعد مناقشات حامية استمرت عدة أسابيع ، وحدثت فيها مشادات عنيفة بين الزعماء الصينيين والسوفييت، صدر بيان شيوعى جديد فى أوائل شهر ديسمبر . وكان هذا البيان على حسب جميع المعايير ، أهم وثيقة سياسية فى عصرنا ، وهو يستحق دراسة دقيقة نوعا ، لأنه يلقى أضواء على موضوع كتابنا .

وفى عام ١٩٥٦ حينما عقد الحزب الشيوعى السوفيتى مؤتمره العشرين، وأعلن خروشوف هجومه الشهير على سياسات ستالين ظهر الى الوجود كثير من الأسئلة الجديدة ، من بين هذه الاسئلة سؤال : هل الحرب بين الاشتراكية والرأسمالية مازالت حتمية فى الفكر الشيوعى أو أن الاشتراكية تستطيع أن تتغلب على الرأسمالية بوسائل أخرى ؟ وقدم خروشوف نظريته بأن الحرب بين النظامين فى ظل ظروف علاقات دول العالم الراهنة ، لم تعد « قدرا محتوما » ، وأن ميزان القوى قد أصبح ، بالفعل فى الجانب الشيوعى ، وأنه قد يصبح فى امكان الدول الاشتراكية اللحاق بالدول الرأسمالية فى انتاج الثروة وذلك فى القريب العاجل ويؤدى هذا من ثم ، الى ارغام الرأسمالية على أن تنحصر دوما الى أن تصبح أثرا بعد عين . لذا كانت الدعاية لفلسفة التعايش السلمى عقيدة ثورية فعالة .

غير أن هذا التفسير لم يرتضه بسهولة عديد من الزعماء الشيوعيين وبمجرد أن انتهى خروشوف من القاء خطبته فى المؤتمر العشرين ، حمى وطيس الجدل داخل الاسرة الشيوعية حول « حتمية الحرب » ومدى القدرة على انتهاج أسلوب التعايش السلمى .

وقد دعى الزعماء الشيوعيون فى جميع انحاء العالم الى موسكو فى نوفمبر عام ١٩٥٧ بمناسبة الذكرى الاربعين لتأسيس الدولة السوفيتية . وبعد انتهاء الاحتفالات الرسمية عكف بعض الزعماء الشيوعيين لاربع وخمسين دولة على تصفية الجدل الذى أثاره خروشوف . وأصدر المندبون الشيوعيون للاربع والخمسين دولة ما أطلق عليه اسم (بيان السلام) . ودعا هذا البيان الى وقف جميع التجارب على الاسلحة الذرية والهيدروجينية فى الحال ، والحظر السريع وغير المشروط للاسلحة

الذرية والنووية ، وانهاء سباق التسلح والكتل العسكرية ، وتأييدسياسة الامن الجماعي والتعايش السلمي بين الشعوب كافة هذا وقد وقعالحزب الشيوعي اليوغوسلافي على هذه الوثيقة .

ثم اجتمع زعماء اثنى عشر حزبا شيوعيا لانهاء الجوانب التى تثير جدلا أكبر ، والخاصة بسياسة الشيوعية الدولية ولم تدع يوغوسلافية الى الاشتراك فى هذه المحادثات . وكان الحزبان الشيوعيان فى ايطاليا وفرنسا هما الحزبين الشيوعيين الوحيدين اللذين دعيا لحضور المؤتمر من الكتلة الغربية . وفى نهاية هذه المباحثات صدر تصريح موسكو المشهور لعام ١٩٥٧ .

ومما يسترعى النظر أن هذا التصريح تجنب الاشارة الى مسألة (حتمية الحرب) ، ولكنه أعلن أن ظروف العالم قد تغيرت بشكل كبير ، وأن هناك احتمالا للتحول السلمى الى الاشتراكية فى كثير من بلدانالعالم، وبدلا من أن يعلن أن الحرب ليست أمرا لامناص منه أكد التصريح أن الحرب الاهلية أو الطبقية ليست حتمية ، (ان الطبقة العاملة وطليعتها ــ الحزب الماركسى اللينينى ــ تسعى الى تحقيق الثورة الاشتراكية بالوسائل السلمية ، والفرصة سانحة اليوم أمام الطبقة العاملة فى عدد من البلدان الرأسمالية للفوز بالسلطة دون قيام حرب أهلية ، ولضمان انتقال وسائل الانتاج الرئيسية الى أيدى الشعب فان الطبقة العاملة تستطيع أن تضمن أغلبية قوية فى البرلمان ، وأن تحول البرلمان من أداة تخدم مصالح طبقة البورجوازية الى أداة تخدم الشعب العامل .

وفى الوقت نفسه ، أوضح التصريح أنه حينما تلوح الطبقاتالحاكمة بالعنف ، فانه يتعين مقابلتها بالعنف ، وأنه يتعين أن يشن النضال الجماهيرى غير البرلمانى مع بذل الجهود ، فى الوقت نفسه للاستيلاء على السلطة عن طريق الانتخابات والبرلمان .

وقد كان الاعتراف بأن هناك أكثر من طريق لتحقيق الاشتراكية سمة أخرى هامة فى تصريح موسكو . وتضمن التصريح اتهاما عنيفا للاستعمار . وعرض انتهاج سياسة التعايشالسلمى تجاهالعالم الرأسمالى كما أنه أيد مبادىء التعايش السلمى الخمسة بجانب برنامج النقاط العشر التى تبناها مؤتمر باندونج للشعوب الافرو ــ آسيوية . غير أنه لم يستطرد ويعترف بالحركة المناهضة للاستعمار فى العالم كقوة ثورية قوية فى ذاتها .

وقد منح المؤتمر الحادى والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى خروشوف فرصة كى يعرض نظريته التى تقضى بأن الحرب لم تعد حتمية تماما بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى . وقد أقام حكمه على أساس مايعتقده من اطراد القوة الاقتصادية للنظام الاشتراكى ،

وأشار خروشوف فى تقريره الى ان « النتيجة التى توصل اليها مؤتمر الحزب العشرون من أن الحرب ليست « قدرا محتوما » قد أمكن تبريرها . فهناك اليوم قوى هائلة قادرة على صد المعتدين الاستعماريين وهزيمتهم اذا ما أشعلوا حربا عالمية » .

واستطرد مستر خروشوف قائلا : انه حتى لو استمر النظام الراسمالى قائما كشريك أصغر ، فسيكون فى امكان النظام الاشتراكى أن يسيطر على العالم دون اللجوء الى الحرب ، وينقلب تاريخ عام ١٩١٧ رأسا على عقب ، ولن يعيش النظام الراسمالى الا معذبا اذ تعيش دولة أو دول رأسمالية قليلة يحيط بها بحر مائج من الاشتراكية .

وتمشيا مع معتقداته الخاصة التى أيدها المؤتمر الحادى والعشرون افتتح خروشوف سلسلة من الخطوات الودية نحو الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٩ والشهور الاولى من عام ١٩٦٠ . واتفق مع الرئيس ايزنهاور على تبادل الزيارات ، وذهب الى الولايات المتحدة فى زيارة رسمية فى سبتمبر عام ١٩٥٩ . ودار كلام كثير حول إحتمال انتهاء الحرب الباردة، وان الدولتين الكبرتين على وشك التفاهم .

ويبدو أن الصينيين كانوا يعارضون هذه السياسة بعنف لانهم لم يكونوا على استعداد لرؤية تفاهم بين الروس والامريكيين دون ايجاد حل لمشاكلهم . وبدأ الحزب الشيوعى الصينى يعيب على النظرية العامة التى وضعها الحزب الشيوعى السوفيتى والتى تقول بأن التعاون ممكن بين الراسمالية والاشتراكية فى ظل الوضع الراهن فى العالم ، واستمرت النشرات والتصريحات الصينية فى تصوير الولايات المتحدة كزعيمة للاستعمار الجماعى ، والدولة التى هى « أس المتاعب جميعا » لأنها تمتلك القوة العسكرية والاقتصادية الكفيلة بمقاومة الشيوعية فى اى جزء من العالم ، واستمر الجدال بين موسكو وبكين خلال عام ١٩٥٩ ووجه واضعو النظريات السوفييت اللوم الى الصينيين بسبب تزمتهم ،وكان الرد الصينى هو أن الاتحاد السوفيتى يتبع سياسة اعادة النظر .

وحتى اذا كانت التقارير التى تظهر فى الصحف الغربية حول الخلافات الصينية السوفيتية مبالغا فيها ، فانه لاشك ، تقريبا فى أن هناك خلافات خطيرة فى الرأى والاتجاه نحو المشاكل العالمية بين زعيمى المعسكر الشيوعى . ولذلك تمت الدعوة الى عقد المؤتمر الشيوعى العالمى فى موسكو فى نوفمبر عام ١٩٦٠ من أجل انهاء الخلافات والخروج ببيان شيوعى متفق عليه على نطاق عالمى ، من أجل الفترة المعاصرة ، ولوضع نهاية شافية للخلاف . وليس من الامور الهينة أن التصريح الذى صدر فى موسكو يوم ٦ من ديسمبر كان موقعا عليه من قبل الوفود الشيوعية ـ الـ ٨١ ـ التى حضرت المؤتمر . ولذلك يعتبر هذا التصريح وثيقة

شيوعية حازت قبولا على نطاق واسع لم يشهد له التاريخ مثيلا من قبل. ولم تدع يوغوسلافيا الى المؤتمر مما يؤكد مقاطعة الاسرة الشيوعية لها .

كما يعتبر بيان عام ١٩٦٠ ـ الذى نشرت جريدة البرافدا ملخصا له يوم ٦ من ديسمبر ـ أكثر البيانات ديمقراطية فى تاريخ الشيوعية الدولية. فقد كان تصريح موسكو عام ١٩٥٧ موقعا عليه من جانب زعماء اثنى عشر حزبا شيوعيا فقط ، وكان « بيان السلام » الذى سبقه بيومين موقعا عليه من ٥٤ حزبا ، بما فى ذلك يوغوسلافيا . أما بيان ديسمبر فقد أعلن تصريحه المثير القائل بأن « هناك الآن أحزابا شيوعية فعالة يربو عدد أعضائها على ٣٦ مليون نسمة » . ان هذا البيان وحده يوضح الى أى حد نمت الشيوعية الدولية برغم الاحداث الكريهة التى جرت ، مثل قمع الاتحاد السوفيتى لثورة المجر ، وقمع الصينيين لثورة التبت.

فاذا كانت الاحزاب الشيوعية الواحد والثمانون المتجمعة فى موسكو قد وافقت على وجهة نظر خروشوف بأن الحرب لم تعد قدرا محتوما، فانهم قد فعلوا ذلك عن طريق موافقتهم على نظرية الزعيم السوفيتى التى تقول بانتصار الشيوعية دون حرب . وكان البيان يحتوى على قدر كبير من ثقة الشيوعيين بالنفس . فطبقا للفكر الشيوعى المعاصر أدى الانتقال الاساسى فى القوة ـ الذى سببته الحرب العالمية الثانية ـ الى تغيير مجرى التاريخ تغييرا كاملا . وأصبح العالم مقسما الآن الى ثلاث كتل : الشيوعية ، والراسمالية ، وغير الملتزمة . ولاول مرة اعترفت الشيوعية الدولية بالحركات الديمقراطية المناهضة للاستعمار فى آسيا وأفريقية كقوة تقدمية تحررية فى ذاتها . وكان هذا تقدما جديدا بارزا فى الفكر الشيوعى الدولى .

وأشار بيان ديسمبر الى أنه فى الموقف التاريخى الراهن ظهرت ظروف داخلية ودولية فى كثير من البلاد فى مصلحة اقامة ديمقراطية دولية مستقلة : أية دولة تؤمن باستمرار باستقلالها السياسى والاقتصادى، وتحارب الاستعمار وروابطه العسكرية ، وتعارض اقامة القواعد العسكرية على أراضيها ، وأية دولة تقاوم الاشكال الجديدة للاستعمار وتسلل رأس المال الاستعمارى ، وترفض وسائل الحكم الاستبدادية الظالمة ، وأية دولة يتمتع فيها الشعب بالحقوق والحريات الديمقراطية العريضة. ويساعد على تشكيل الديمقراطيات الوطنية وتدعيمها ـ تلك هى الدول العاملة على احراز تقدم اجتماعى سريع ، وعلى أن تقوم بدور فعال فى نضال الشعب من أجل السلام ضد السياسات العدائية التى يقوم بها المعسكر الاستعمارى ، وذلك من أجل القضاء الكامل على نير الاستعمار» .

ويبين هذا أن المعسكر الشيوعى ، من الآن فصاعدا ، قد ينتهج بمزيد من الاصرار ، سياسته التى تهدف الى خطب ود الدول غير

المتحارة فى آسيا وافريقيــة عن طريق منحها مســاعدات اقتصــادية متزايدة ، وعن طريق مساندتها فى شتى ألوان نضالها ضد دول العالم الغربى الاستعمارية ، والتى كانت استعمارية . وما لم تتمكن (الدول الديمقراطية) من اجراء تعديل سريع فى سياستها تجاه الحقائق الجديدة فى افريقية ، وأمريكا اللاتينية ، وآســيا ، فانها تساعد بذلك الاتحــاد السوفيتى والكتلة الشيوعية فى اقامة قواعد لها فى هذه القارات، وقواعد أكثر قوة واستمرارا من القواعد العسكرية .

وعندما ننظر للمشكلة الكبرى التى تتعلق بحتمية الحرب ، نجــد واضحا أن الصينيين يوافقون على وجهة النظر السوفيتية . ولا شك فى أن ذلك سيدعم من قضية خروشوف فى مفاوضــاته القــادمة مع الرئيس الامريكى كنيدى (١) .

ومن العبث التفكير فى أن الصينيين سيقبلون أى تفاهم مع الولايات المتحدة مالم يتح لهم مقعــد فى الأمم المتحــدة ، وتعترف أمريكا بهــا دبلوماسيا ، وتعود فرموزا الى الوطن الأم .

ومما هو جدير بالذكر أن المقــالات الافتتاحية لصحيفة الشــعب الصينية استمرت فى الوقت الذى كانت تؤيد فيه تصريح موسكو فى تصوير الولايات المتحدة على انها « زعيمــة الاستعمار الجمــاعى » و « الوغد » الذى سبب كل ما هو باطل فى عالمنا المعاصر .

وبرغم أن بيــان موسكو قد اعترف بأن الاشتراكية قد تفوز فى الصراع الكبير المعاصر بين الكتلتين الاشتراكية والرأسمالية دون اللجوء الى الحرب ، وعن طريق المنافسة الاقتصادية السلمية ، فان البيــان حذر أيضا أن الحرب قد تصبح ضرورية ، وحث على الوقوف فى حالة من اليقظة والاستعداد العسكرى . وكان الكفاح من أجل السلام الذى دعا البيان اليه ، يتسم بقدر كبير من الروح العسكرية ، ولم يكن بالتأكيد حركة مسالمة .

ولم يستمر الشيوعيون فى الاعتماد على القوى الاخلاقية من أجل النصر ، بل استمروا فى الاعتماد على الاساس المــادى لما يعتقدون أنه التفكك الآخذ فى التزايد داخل المعسكر الراســمالى والرخاء والقــوة المطردة فى معسكرهم (٢) .

---

(١) ظهر الكتاب في أوائل عام ١٩٦٢ « المترجم » .

(٢) نشرت جــريدة « أوبزرفر » في فبراير عام ١٩٦١ ما ادعت انه « تقرير مدعم بالوثائق عن الاتهامات ، والاتهامات المضادة بين بكين وموسكو » في مؤتمر موسكو للاحــزاب الشيوعية العالمية . وقد جاءت الوثيقة من « مصدر من الكتلة الشرقية » .

وبدا أول تأثير للاتجاه الشيوعى الجديد واضحا للعيان فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة حيث وجه الوفد السوفيتى برياسة خروشوف شخصيا ، هجوما شاملا على البناء الغربى لعلاقات الدول ، وعلى المصالح العالمية . وقد كانت وقفة خروشوف حول بعض المشاكل العالمية وقفة صلبة حتى أن الكثيرين قد ارتابوا فى أن الزعيم الروسى يمثل دورا من أجل تهدئة الصين .

وفى بعض المشاكل المعقدة مثل نزع السلاح وبنيان الامم المتحدة ، قدم خروشوف اقتراحات ثورية جامحة ، رفضها الغرب على طول الخط ، بل واعتبرتها الدول غير الملتزمة بعيدة تماما عن حدود الواقع .

وقد خرج رئيس الوزراء السوفيتى بنظرية جديدة تماما لعلاقات الدول بعضها ببعض ، وطالب الامم المتحدة بأن تعكس التغييرات التى

= وهناك (احتمال قوى) بأن الروس تعمدوا تسرب هذه الوثيقة . وطبقا لما تقوله هذه الوثيقة فان النزاع بين السوفييت والشيوعيين الصينيين يرجع الى العشرينات ، وغطى ، في السنوات القليلة الماضية ، جميع الاحداث الرئيسية التى تجرى في عالمنا المعاصر تقريبا بما في ذلك من التدخل السوفيتى في المجر وخطبة خروشوف العادية لستالين في مؤتمر الحزب العشرين، والسياسة السوفييتية تجاه بولندا عام ١٩٥٦ وما بعدها، ونظرية خروشوف عن التعايش بين النظامين القائمين ، واحتمال قيام ثورة اشتراكية عالمية دون حرب .. غير أن النزاع اندلع جهارا في صيف عام ١٩٦٠ .

وقد لخصت جريدة (الاوبزرفر) نقاط الخلاف الخمس في عددها الصادر في ١٢ من فبراير على النحو التالى :

« يعتقد الروس ان مبدأ لينين عن حتمية الحرب لم يعد صالحا . أما الصينيون فيقولون انه طالما وجد الاستعمار ، فان الحرب لا يمكن تجنبها . والروس يرغبون في تجنب الحروب المحلية حتى لا تتطور الى حرب عالمية . ويصر الصينيون من ناحية أخرى على انه يمكن ، بل ويتعين ، اتباع طريق الحروب المحلية .

ويعتقد الروس أنه يمكن تحقيق الاشتراكية العالمية دون اللجوء الى الحرب ، بيد أن الصينيين يعتقدون استحالة ذلك الا في الاحوال النادرة .

ويميل الروس الى قبول التعايش السلمى كسياسة طويلة الاجل سوف تفيد في النهاية ، قضية الاشتراكية ، أما بالنسبة للصينيين فانهم يعتبرون التعايش السلمى مجرد حركة تكتيكية وليست سياسة طويلة الاجل .

ويؤيد الشيوعيون السوفييت تقديم كل مساندة ممكنة للحكومات البورجوازية الوطنية في آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية طالما أن هذه الحكومات تتبع سياسة عدم الانحياز . ويقول الصينيون : ان هذه السياسة خاطئة توهن من عزم الثوريين الاصليين ، وتوسع من المنطقة الفعالة المناهضة للشيوعية ، وبذلك تساعد الاستعماريين ، وهى ليست الا مضيعة للمال والموارد .

ويختلف الحزبان الشيوعيان حول تعريف ماركس للمرحلة الحالية للتاريخ الانسانى . فالروس يعتبرونها « مرحلة تفكك الاستعمار ، والتحول نحو الاشتراكية ، ومرحلة تشكيل نظام عالمى للاشتراكية ودعم هذا النظام ، أما الصينيون فيعتبرونها مرحلة حروب وثورات » .

طرأت على النظام القوى فى العالم فى العقد الاخير ، وهذا التغير هو تقسيم المجتمع العالمى الى ثلاث مجموعات متميزة : المجموعة الرأسمالية الغربية ، والمجموعة الشيوعية ، والمجموعة غير المنحازة . وأراد أن يستعاض عن منصب السكرتير العام للامم المتحدة بهيئة ثلاثية تمثل الكتل الثلاث . كما طالب باعادة تشكيل مجلس الامن واجهزة الامم المتحدة الحيوية الاخرى على النهج نفسه .

وأما بالنسبة لنزع السلاح فقد دعت المقترحات الشيوعية الجديدة الى فرض حظر مباشر على تجارب الاسلحة النووية وصنعها ، ونزع السلاح الكامل فى غضون مدة تتردد بين اربع وست سنوات ، على أن يدعمه نظام للاشراف والرقابة الدولية ، وهو النظام الذى اعتبرته الدول غير ملائم .

أما الموضوع الذى كان فيه خروشوف أكثر عدوانا فهو موضوع الاستعمار بالطبع ، فقد شن حربا لا هوادة فيها على المصالح الاستعمارية عبر البحار الخاصة بالدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، وطالب بسرعة اعلان استقلال البلاد التى ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار . وصمم الزعيم السوفيتى على أن يكسب فى صفه الدول الجديدة فى أفريقية ، وكما رأينا فى فصل سابق لم تذهب جهوده كلها هباء .

يبدو أن خروشوف قام فيما بعد ، بعرض السياسة السوفيتية الخارجية بطريقة أكثر تعقلا فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو . وقد اعتبر التقرير الذى تلاه خروشوف عن نتائج مؤتمر نوفمبر للزعماء الشيوعيين فى العالم ، أوثق بيان عن السياسة السوفيتية الخارجية بعد انتخابات الرياسة الامريكية . وكانت نقاط التقرير الرئيسية هى أن أكثر المشاكل التهابا فى العالم ، من وجهة النظر السوفيتية انما تتلخص فى منع الحرب ، سواء أكانت حربا عالمية أم حربا محلية قد تؤدى بسهولة الى اندلاع النيران فى العالم . فقد وصل النظام الاشتراكى العالمى الى ظروف أصبح قادرا فيها على أن يحدد ــ بدرجة أعظم ــ سمات ووسائل واتجاهات العلاقات الدولية .

وفى الوقت الذى ولجت فيه أمريكا عهدا من المتاعب والأزمات المتزايدة فى حقل العلاقات الدولية ، كان شغل السوفييت الشاغل هو انتهاز الفرصة لكسب الوقت فى المنافسة الاقتصادية القائمة مع الرأسمالية .

وبينما كانت هذه الامور تتمشى مع تفكير خروشوف القديم ، فان تقريره الى الحزب الشيوعى السوفيتى كان متمشيا بروح الجهاد من أجل نشر الشيوعية وهى الروح التى تميز البيان الشيوعى الجديد .

وقد هاجم الاستعماريين بسبب اعدادهم للحرب ضد الكتلة الاشتراكية وكرر القول بان الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية ستقدم مساعدات ملموسة الى أية دولة على استعداد للثورة ضد السيطرة الغربية . وقد عرف سياسة التعايش السلمى بأنها شكل من أشكال النضال الاقتصادى والسياسى والايديولوجى العنيف ليس فقط داخل الكتلتين المتنازعتين وانما أيضا بين البروليتاريا الدولية وقوى الاستعمار العدوانية داخل المعسكر غير الشيوعى نفسه .

ومن المؤكد أنه لم يغب عن ذهن خروشوف أن يؤكد لمستمعيه أن هذه الحرب الطبقية الداخلية فى المعسكر غير الشيوعى ستكون ذات فائدة كبيرة للشيوعية الدولية .

ولذلك ظل موقف التعايش السلمى الذى اتخذته الكتلة الشيوعية خليطا من التهديدات والتحذيرات بجانب الملاحظة .

ولا شك أن الجدل المذهبى بين موسكو وبكين قد نبع أساسا من المصالح الوطنية لكلتا الدولتين ، فكان من الطبيعى أن الاتحاد السوفيتى باقتصاده المتقدم ، وانجازاته العظيمة فى ميادين الصناعة والعلم ، أكثر خوفا من الحرب النووية عن الصين التى ليس لديها ما تخسره . وكان من أمن الصين العسكرى بالاضافة الى بقاء نظامهـــا الشـــيوعى يتطلبان ازالة بعض الاخطار مثل نظـــام شيانج كاى شيك فى فرموزا والقواعد العسكرية الامريكية فى جنوب شرقى آسيا . وطالما ظلت هذه الاخطار فان الزعماء الصينيين لن يضمنوا أية قلاقل تحدث فى البلاد لن يستغلها اعداؤهم لطردهم من السلطة . وحيث أن الصين نفسها لم تكن فى موضع يسمح لها بازالة هذه الاخطار التى تهدد أمنها ، فانها تريد من الاتحاد السوفيتى ، زعيم العالم الشيوعى ، أن يبذل نفوذه لتحقيق أهدافها . ولذا فاننا اذا استبعدنا الطابع الجدلى من المعركة الايدويولوجية القائمة استحالت الى مسألة الامن القومى لكلتا الدولتين الكبيرتين فى الكتلة الشيوعية .

واخذ المعسكر الغربى يدرك بمرور الوقت أنه يتعين أن تقوم المعركة الرئيسية بين المتنافسين على المستويات الاقتصادية والعلمية أكثر منها فى ميادين القتال المضيعة للوقت والمؤدية الى الشـــعور بخيبة الامل مثل الكونغو ولاوس . فلم تستنفد أية حرب استعمارية أو شـــبه استعمارية موارد الغرب فحسب ، بل انها وضعت أيضا قيودا اضافية على علاقات الغرب بالدول الحـــديثة فى أفريقية وآسيا ، وكان الأمر الذى يدعو الى انزعاج أكثر هو أن هـــذه الحرب قد تضيف فى الوقت نفسه كسبا جديدا الى جانب السوفييت . وقد اظهر الرئيس كنيدى

فى رسالته الاولى عن حالة الاتحاد ، التى وجهها الى الكونجرس ادراكه معنى الصراع الجديد من أجل القوة :

« ان التحدى الأعظم الذى يواجهنا ما زال يكمن فى عالم ما وراء الحرب الباردة ولكن العقبة الاولى الكبرى لا تزال فى مجال علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية ، ولا ينبغى أن يسكن من روعنا على الاطلاق الاعتقاد بأن كلا من الكتلتين نزلت عن أطماعها من أجل السيطرة على العالم ، تلك الاطماع التى أعادتا تأكيدها منذ فترة وجيزة ، بل على العكس ان مهمتنا تدور حول اقناعهما بأن العدوان والدمار لن يتيحا الوصول الى هذه الغايات . ان المنافسة السليمة المفتوحة من اجل المركز والأسواق والانجازات العامية ، بل حتى من أجل عقول الناس شيء يختلف بالمرة ، فلو أن الحرية والشيوعية تنافستا من أجل ولاء الناس فى عالم يسوده السلم ، فاننى أستطيع أن أتطلع الى المستقبل بثقة متزايدة على الدوام » .

وقد كانت الوقفة الشيوعية الجديدة ، بالنسبة لدول أفريقية وآسيا ، عاملا جديدا مختلطا ، ففى مقدور هذه البلدان الآن أن تطلع الى التأييد المتزايد من جانب الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى فى مهمة التنمية الاقتصادية على شريطة أن يأخذ فى اعتبارها شرطا واحدا ، وهو أن تسير دفتها بعيدا عن الكتلتين . فاذا كانت السياسات الشيوعية الجديدة ورد الفعل الغربى بها تؤدى فى آخر الأمر ، الى تخفيف حدة التوتر العالمى ، فان هذه البلاد هى التى ستفيد من هذا الأمر ، كما أن التحدى الذى يمثله السوفييت كان قمينا بأن يتيح لدول افريقية وآسيا ، مساعدات غربية أكبر فى مجال التنمية الاقتصادية ، غير أن هناك جانبا آخر للصورة ، فقد أوضح البيان الشيوعى أن العالم الشيوعى يتوقع أن يرى الدول الافرو — أسيوية الحديثة تتبع سياسة خارجية مناهضة للاستعمار . ولا تكتفى بهذا وانما تنهج ما يعتبره الشيوعيون سياسة اقتصادية وسياسية تقدمية داخل هذه البلدان . ولم يكن هناك من يضمن أن حركة الشيوعية الدولية لن تتدخل فى شئونهم الداخلية ، اذا كان هناك ، مثلا ، حركة قمع للأحزاب الشيوعية واليسارية ، أو هناك قلاقل صناعية واسعة النطاق ، وقد أدت سياسة الجمهورية العربية المتحدة المناهضة للشيوعية الى تعريضها لانتقادات لاذعة من جانب موسكو وبكين(1)

---

(1) ويبدو هذا المظهر من مظاهر السياسة الشيوعية تجاه الدول غير المنحازة في أوضح صوره ، في الاتجاه الشيوعى نحو الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، ففى عام ١٩٥٨ كانت الجمهورية العربية المتحدة في نظر الشيوعية الدولية رمزا للقوى التقدمية والمتحررة في العالم العربى . غير أن سياسة ناصر المناهضة للشيوعية في الداخل قد =

وكانت أبواب الدعاية الصينية تجعل الأولوية للادعاء بأن الحكومة الهندية تقوم بقمع حركات العمال والفلاحين والطبقة المتوسطة التى تطالب بأجور أفضل واصلاحات اجتماعية واقتصادية أكثر تطرفا ·

وباختصار ستستمر الشيوعية الدولية فى الكفاح من أجل اقامة عالم شيوعى ، ولن تتردد فى مساندة الحركات الثورية فى آسيا وافريقية بطريقة غير مباشرة على الأقل ، وذلك لمجرد أن دولة ما قد تتبع سياسة عدم الانحياز . ولذلك ظل التحدى يتمثل فى زيادة سرعة النمو الاقتصادى والسياسى والاجتماعى باعتباره الوسيلة الوحيدة لكسب احترام الدول الكبرى ، ومنع الثورات .

بيد أن بلاد عدم الانحياز نفسها فى آسيا وافريقية تعانى من بعض نقاط الضعف الاساسية الناتجة عن عوامل تاريخية وجغرافية وعاطفية ، وسياسية أيضا ، وذلك فى مواجهتها للكتلتين الكبيرتين ، وقد شرحنا فى فصل سابق كيف أن كتلة عدم الانحياز لم تعمل على

= سببت رد فعل غاضبا من جانب خروشوف نفسه قرب بداية عام ١٩٥٩ حينما عانت العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق تدهورا جديدا . وقد كان الشيوعيون في سورية يتوقعون أن تتيح لهم الجمهورية العربية المتحدة حرية التصرف داخل اطار حزب سياسي .

وحينما فرض ناصر الحظر على الحزب الشيوعى بجانب الاحزاب الاخرى في سورية واقام بدلها الاتحاد القومى ، بدأ الشيوعيون السوريون حملة ضد الوحدة بين مصر وسورية . واستمر الاتحاد السوفييتى في تقديم المعونة الاقتصادية الكبيرة الى الجمهورية العربية المتحدة .

غير أن موسكو وبكين قد أوضحتا أنهما لا تميلان الى اتجاه ناصر المناهض للشيوعية والواقع أن دبلوماسيا عربيا تعرض للاساءة في احتفال رسمى في بكين في أوائل عام ١٩٦٠ بسبب سياسة بلاده الداخلية المناهضة للشيوعية .

ومن ناحية أخرى جعلت حرية العمل التى جعلها قاسم في العراق للاحزاب السياسية ، والتغلغل الشيوعى الواسع المدى في حكومته في السنتين الاوليين من حكمه، جعلت من الزعيم العراقى محررا عربيا « تقدميا » في نظر الشيوعية الدولية . غير ان الحزب الشيوعى الهندى كان استثناء بارزا للاتجاه الشيوعى العام : ذلك أن موسكو لم تدن بالرأى الصينى القائل بأن حزب المؤتمر تمادى في مناهضته للقوى الثورية ، وأنه يؤمن بفضيلة الابقاء على الوضع الراهن . ولم تنتقد الصحف السوفييتية الحكومة الهندية باستثناء تحذير عابر رقيق ضد تكوين رأسمالية للدولة ذات سلطان ، وضد الاتجاه نحو الكتلة الغربية .

وعندما انعقد مؤتمر الحزب الشيوعى الهندى في فيجايا وادا في ربيع عام ١٩٦١ انتهج سياسة « الجبهة القومية من أجل التقدم الوطنى » واعترف بأن حزب المؤتمر لا يزال حزبا تقدميا الى حد كبير ، وقرر تأييد القوى اليسارية في حزب المؤتمر ومناهضة القوى اليمينية . وكان هذا الاجراء في جوهره بمثابة عودة الى الخط الشيوعى الذى كان سائدا قبل الحرب .

الاطلاق كأسرة متماسكة ، فقــد كانت هناك دائما نقاط متعارضة .
وكانت بينها بعض الروابط المشتركة ، معظمهــا روابط خارجيــة ،
والرابطة الرئيسية بينهما هي مرارة ارتباطها التاريخي بالدول الاستعمارية
في أوروبا . ولذلك استطاعت العمل في وحدة متماسكة تماما . فقد
اختلفت حول بعض المسائل التي تتعلق بالاستعمار ، فبعضها كان يدعو
الى التوفيق والتفاهم ، وكان الآخر مستعدا لوسائل أكثر تطرفا .

مثال هذا أن الهند مارست في معظم الأحيان ــ سياسة الاعتدال ،
وقد أدى هذا أحيانا الى انزعاج بعض أعضاء المجموعة غير الملتزمة .

وفي افريقية ظهرت ثلاث مجموعات من الدول تتميز بعضها عن بعض
الى حد ما وذلك في نهاية عام ١٩٦٠ والذي يميز احداها عن الأخرى
هو علاقتها بالدول الاستعمارية القديمة .

**فمجموعة دول الدار البيضــاء التي تضم غانا وغينيا والجمهــورية
العربية المتحدة ، ومالي ، والمغرب ودولة أو دولتــين أخريين ، تؤمن
بافريقية التي تتخلص من جميع رواسب المصالح الاستعمارية ، وتناضل
بنشاط من أجل تأكيد الشخصية الافريقية القوية ، وتطبق بقوة سياسة
عدم الانحياز في المجال الخارجي .**

أما دول المجموعة الفرنسية التي تتضمن أو ربما تقودهــا تونس
فتؤمن بالتعاون المثمر مع فرنسا ومن ثم مع الدول الغربية الأخــرى .
وتفضل هذه الدول أن تتبع سياسة التعاون المعقول مع الغرب .

والمجموعة الثالثة التي تتألف من بلاد مثل ليبيريا وأثيوبيا والسودان،
تريد أن تتبع طريقا وسطا ، وكان ظهور أسرة افريقية تتبع سياســة
داخلية وخارجية مشتركة تقريبا ، وتتعاون بعضها مع بعض في أمور
الاقتصاد والدفاع والتقدم السياسي ، ما يزال حلما بعيدا عن التحقيق
حتى نهاية عام ١٩٦١ .

الفصل الثالث عشر

آسيا - افريقية والأمم المتحدة

وجه الاتحاد السوفيتي ، بقيادة خروشوف شخصيا ، في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحـدة هجوما غاضبا على داج همرشولد السكرتير العام وطالب بتنحيته عن منصبه . وفي معرض رده على احدى هجمات خروشوف قال همرشـولد : « ليس الاتحـاد السوفيتي ، أو أية دولة أخرى كبيرة ، بحاجة الى حماية الامم المتحدة وانما تحتاج الى هذه الحماية الدول الأخرى . وبهذا المعنى فان المنظمة قبل كل شيء ، منظمتهم هم ، وسيكونون هم الأناس الذين يستخدمونها ويرشدونها ، انني سأظل في منصبي خـلال فترة وظيفتي ، كخـادم للمنظمة لمصلحة تلك الدول الأخرى طالمـا أنها ترغب أن أقوم بذلك » .

والواقع أن همرشولد قدم بذلك تفسيرا ثوريا للدور الجديد الذي تقوم به الأمم المتحدة منذ أن ظهرت الى الوجود منذ خمسة عشر عاما مضت . لقد كانت صيحة بعيدة آتية من مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ حيث أقيم أساس الأمم المتحدة . وكان اجماع الدول الـكبرى هو حجر الزاوية في هذا الأساس ، فقد كان المقصود بالمنظمة أن تستند الى التعاون الاجباري بين حلفاء زمن الحرب ، وكانت وظيفتها الاساسية منع أي صدام بين الدول الكبرى قد يؤدي الى اندلاع نيران الحرب على نطاق عالمي . وكانت الأمم المتحدة وليدة التحالف الذي كان قائما زمن الحرب بين الدول الغربية والاتحاد السوفيتي ضد دول المحور ، وسعى الآباء المؤسسون ، مستمدين العظة من تجربة عصبة الأمم ، الى اقامة نظام للاتفاق بين الدول الـكبرى بدونه لن تستطيع المنظمـة التحرك بنجاح في أي اتجاه حيوي .

لقد كانت المجموعة الدولية عام ١٩٤٥ تكاد تكون مجتمعا أبيض تماما فقد جاءت الدول الخمس عشرة التي وقعت ميثاق الامم المتحدة في سان فرانسيسكو ، أساسا من أوربا والامريكتين . فلم تكن آسيا وافريقية

يعتد بهما على الاطلاق فى ذلك الحين وجاءت من أفريقية ثلاث دول فقط هى مصر وأثيوبيا ، وليبيريا . ومن اسيا كانت هناك الصين ، بالطبع ، كما كانت الهند هناك التى وقفت آن ذاك على اعتاب الاستقلال بالفعل، كما تم اســـــتبعاد • دول المحور في زمن الحـــرب • وبذا كانت الامم المتحدة تمثل المجتمع الدولى بعد الحرب ، بيد أنها كانت بعيدة عن كونها مرآة للعالم .

وقد ولدت المنظمة تحت زعامة امريكا . منذ ابتكر فكرتها الرئيس فرانكلين د . روزفلت ، بالضبط مثلما جاءت فكرة عصبة الامم من الرئيس وودرو ولسون . غير أن الولايات المتحدة ، فى الفترة التى تبعت الحرب العالمية الثانية ، كانت راغبة كل الرغبة فى تحمل أعباء المسئوليـــات العالمية ، عكس ما كانت عليه فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الاولى. واتاحت لها الامم المتحدة منبرا تستطيع منه زعامة أمريكا الدولية ،التى وجدتها حديثا ، ان تبرز فى جميع الاتجاهات . وكان بمقدور الولايات المتحدة أن تعتمد ، تماما على مساندة وولاء الاغلبية الساحقة من الدول الاعضاء الآتية من أمريكا اللاتينية او من أوربا الغربية او من المنـــاطق البيضاء فى الكومنولث البريطانى • أما عن الامتيازات التى قدمت للاتحاد السوفيتى ، والتى تتمثل فى منح العضوية لثلاث دول أخرى من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، بجانب منح حق الفيتو ، فقـد ساد الاعتقاد بأنها فى نطاق محدود يمكن السيطرة عليه ، واراد الغرب بذلك أن يكسب تعاون ستالين من أجل تحقيق التضافر الدولى .

وحينما نشبت الحرب الباردة ، كان ميزان القوى ، بكل تأكيد فى مصلحة الكتلة الغربية بزعامة أمريكا ولم يكن وضع الامم المتحدة يسبب قلقا كبيرا . فقد كان بمقدور أمريكا ان تنفذ قراراتها متمتعة بتأييد كبير من المجتمع الدولى ، واضطر الاتحاد السوفيتى ، حينما وجد نفسه فى صفوف الاقلية العاجزة الى أن يستخدم بسخاء سلاحه الوحيـد وهو الفيتو ، فقد كان يستطيع بهذا أن يشل أكبر هيئة للامم المتحدة وهى مجلس الامن ، عن الحركة بشكل يضر بمصالحه الدولية ، وظلت السيادة الغربية فى الامم المتحدة لا تنازع لمدة عشر سنوات .

وفى هذه السنوات العشر استمر المجتمع الـــدولى فى التغيير والتوسع . وتراجع الاستعمار الغربى ، بشـــكل عام ، من آسيا كلها ، ودخلت مجموعة من الدول الاسيوية الامم المتحـدة على أمل ان تؤدى دورا بارزا فى شئونها . وكانت وجهة نظر الدول الاسيوية نحو المنظمة العالمية تختلف ، بشكل أساسى ، عن وجهة نظر الدول الكبرى ، فقـد نظرت اليها :

أولا وقبل كل شيء ، على أنها أداة للحكم فى الحرب الباردة ان لم تكن أداة لالغائها تماما .

ثانيا : أنها أداة لعرض وجهة النظر الاسيوية الناشئة حديثا على مسرح الاحداث الدولى المضطرب . ومنذ البداية نادى القادمون الجدد الى المنظمة العالمية ، بصوت عال ، بوضع نهاية للحرب الباردة ،والوصول الى اتفاق حول نزع السلاح ثم وضع نهاية للاستعمار ، وتقديم مساعدات دولية لجهود الدول الحديثة من أجل اقامة بنيانها الاقتصادى والسياسى .

وقد أدى ظهور مجموعة الدول الحديثة فى آسيا ، وفى افريقية فيما بعد ، الى توسيع رقعة المجتمع الدولى ، والى تحويل الامم المتحدة ، تدريجيا ، الى هيئة تمثيلية . كذلك أدخل عناصر جديدة من عناصر التوتر . فقد بدأت جميع جزئيات القانون الدولى ، التى وضعتها وعرفتها بلاد غربى أوربا ، بموافقة الولايات المتحدة ، تواجه تحديا منتظما . فقد تعرضت كثير من اخلاقيات القانون الدولى واختلافاته الطفيفة لشك الدول الحديثة . وقد جاء التحدى الاكبر فى شكل هجوم عام على الاستعمار ، وطلبات الدول الحديثة . الاخذة فى الوضوح - المنادية بتأكيد حقوق الانسان . ويكفى أن نورد قليلا من الامثلة : فالمصالح الدولية المادية لم تكن بمأمن من الابتعاد ، واختفى الاختلاف بين « الاستيلاء » على الممتلكات الاجنبية و « أخذها » باسم السيادة الوطنية ، وطالبت الدول الحديثة الاستقلال بالسيادة على مساحات أكبر من المياه الاقليمية ، وأصبحت الانتفاضات ضد الحكم الاجنبى تعتبر أعمالا جريئة وشريفة ، وأصبحت الامبراطورية ، مصدرا للمتاعب والمضايقات وليست مصدر مجد ومكانة .

والواقع ان السماح بدخول الاعضاء الجدد الى الهيئة العالمية هو أحد الوظائف الرئيسية لمجلس الامن . ولا يمكن ان يتم ذلك دون موافقة الاعضاء الخمسة الدائمين ، ومن ثم فهو يخضع لاستعمال الفيتو . وقد رفض الغرب الموافقة على عضوية دول أوربا الشرقية « التابعة » فى الامم المتحدة ، وأقفل الاتحاد السوفيتى الطريق أمام دخول عدد كبير من الدول الآسيوية الافريقية الى الامم المتحدة انتقاما من الغرب . بيد انه قد تم حل الازمة عند نهاية عام ١٩٥٥ ، حينما فتحت أبواب المنظمة العالمية على مصراعيها امام أول مجموعة كبيرة من القادمين الجدد . وما أن بدأت العملية حتى أصبح من العسير وقفها من جديد ، ودخلت مجموعة من الاعضاء الجدد ، معظمهم من افريقية بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٠ وأصبحت الامم المتحدة ، بنهاية عام ١٩٦١ ، تمثل مائة وثلاث دول مما ضاعف عدد الاعضاء الاصليين . ففى خمسة عشر عاما تحولت

المنظمة العالمية من «ائتلاف النصر» الذى تم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، الى برلمان للعالم .

بيد انها ظلت لاتمثل الحقائق الدولية تمثيلا كاملا واستمر هـذا الخروج الشاذ على المألوف والذى يتمثل فى استبعاد الصين ذلك البلد الذى يضم أكبر عدد من السكان فى العالم ، وهذا كله بفضل عـداء الولايات المتحدة المستحكم وكان الامتياز الرئيسى الوحيد الذى قدمه حلفاء فترة الحرب الى آسيا هو الاعتراف بأن الصين من الدول الكبرى وقد اختيرت كأحد الاعضاء الخمسة الدائمين ، الذى يتمتع بالاداة القوية التى هى حق الفيتو . بيد أن الولايات المتحدة رفضت الاعتراف بتغير الحكومة فى تلك البلاد فى عام ١٩٥٠ ، واستمر نظام الكومينتانج فى فورموزا بمساعدة أمريكا ، يتحدث فى الامم المتحدة بالنيابة عن الصين، وظلت عدة دول أخرى خارج الامم المتحدة بسبب الحـرب الباردة . ومازالت مجالس الامم المتحدة الحيوية تعكس الحقائق الباهتة لعصرولى ومضى ، أما تعطش الاعضاء الجدد الملح من أجل التوسع فى تمثيلهم ، فلم يجد الا استجابة بطيئة .

وقد أدت التغييرات الاساسية التى طرأت على عـلاقات القوى الدولية ، فى عام ١٩٦٠ ، الى بث الاضطرابات فى الامم المتحدة .

وحتى عام ١٩٥٥ ، بل وبعدها ، كانت المجموعة الامريكيـة أكبر مجموعة جغرافية واحدة فى الامم المتحدة ، فقد كانت احدى وعشرون دولة من دول نصف الكرة الامريكى تتزعمها الولايات المتحدة ، تحتـل مركز قوة لايمكن النفاذ اليه . فقد تسلحت امريكا بتفوقها السياسى والاقتصادى على نصف الكرة الغربى ، فحظيت بتأييد قوى من جـانب دول أمريكا اللاتينية . وكانت المجموعة الغربية أكبر مجموعة من الناحية « الايديولوجية » ، فقد كانت تجمع بلاد امريكا اللاتينية مع دول غربى اوروبا والاعضاء البيض فى الكومنولث البريطانى . وكان الاتحـاد السوفيتى تسانده أقلية تدعو الى الرثاء تتكون من ثلاث دول أعضاء ، أو أربع ، على أحسن الاحوال اذا حسبنا يوغوسلافيا ، ولم تسـتطع الدول غير المنحازة ان تسيطر على أكثر من عشرة أصوات أو اثنى عشر صوتا ، وكان الاعضاء الافريقيون الاسيويون وكلهم لا يتعدون خمسـة وعشرين ، وكان عدد ضئيل منها مرتبطا بالكتلة الغربية من الناحيـة العسكرية والاقتصادية .

بيد ان تكوين الامم المتحدة قد تغير تماما بحلول عام ١٩٦٠ . فمن بين الاعضاء البالغ عـددهم تسعا وتسعين دولة والذين اشـتركوا فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة اصبح ما يزيد عن نصفهم يأتى من افريقية واسيا . ولا يزيد عدد الدول المرتبطة منهـا مع

الغرب عسكريا عن عشر . وقد ظهرت أول الانقسامات فى صفوف دول أمريكا اللاتينية التى كانت متينة من قبل ، فقد انفصلت كوبا ، بالفعل عن الزعامة الامريكية كما بدأت عدة بلاد أخرى فى اتباع سياسة تقضى اما بالوقوف بجانب الدول المحايدة أو الامتنــــاع عن التصويت حول عديد من المشاكل التى ترجع الى الحرب الباردة ، فعلى سبيل المثـال استطاعت الولايات المتحدة ، ابان الدورة الخامسة عشرة ، ان تهـــزم اقتراحا افرو - آسيوى ، يدعو الى عقد اجتماع بين ايزنهاور وخرشوف وذلك لعدم حصول القرار على اغلبية الثلثين المطلوبة . وكانت هنـاك دولتان من أمريكا اللاتينية هما كوبا وبوليفيا ، من بين الدول الاربـع والاربعين التى صوتت فى مصلحة القرار ، وكانت ، من بين الدول السبع عشرة التى امتنعت عن التصويت ، أربع دول من نصف الكرة الأمريكى - جمهورية الدومنيكان ، واكوادور ، والمكسيك ، وبناما . وهكذا نجد أن الولايات المتحدة قد فقدت فى المسائل التى تتعلق بالحرب الباردة ، ستة أصوات فى نطاق نصف الكرة التى تعيش فيه . وظلت قوة الكتلة الاوربية الغربية نفسها كما هى دون تغيير وهى احدى وعشرون دولة ولكن هنا ، أيضا ، لم يعد عدد من الدول الصغيرة مستعدا لان يقف فى الصف الامريكى باخلاص كما اعتاد أن يفعل فى السنوات السابقة .

واذا اخذنا مثلا القرار الافرو - اسيوى نفسه نجد انه على الرغم من أن دولة اوربية غربية واحدة هى السويد قد صوتت فى مصلحتـه فان النمسا واليونان قد امتنعتا عن التصويت . وتوسعت الـكتلة السوفيتية نفسها لتشمل احدى عشرة دولة وهى من الناحية العددية ليست بالمجموعة الكبيرة فى ذاتها ولكنها قوية لدرجة انها تمارس تأثيرا كبيرا على الدول الصغرى فى أفريقية واسيا وامريكا اللاتينية .

ولم تشكل الامم المتحدة عام ١٩٤٥ كى تكون حكومة عالمية . وانما كان القصد منها أن تكون منبرا للتعاون الدولى الاختيارى ، وهـــدفها الرئيسى منع اندلاع حرب عالمية أخرى ، واستغلال موارد العالم من أجل رخاء الاسرة الانسانية . ولم تكن قراراتها ملزمة للدول الاعضاء ، ولـم يكن هناك أى نص فى الميثاق يقضى بمحاسبة أى عضو يتحداها . فبينما سلمت كل دولة بضرورة اقامة اساس للجهود الدولية الفعالة كان كل قطر حريصا على الحفاظ على قداسة « تشريعاته الداخلية » وكانت فكرة اقامة هيئة تعلو على النزعة القومية ، بل وتقتطع جزءا من السيادة الوطنية ، أبعد ما تكون عن أذهان الدول الاعضاء ، كما أن الدول الكبرى لم تبطل استعمال وسائل العمل الجماعى الثنائى خارج الامم المتحدة .

وكان المقصود من انشاء الامم المتحدة ، على أحسن تقدير ، هو أن تكون أهم منبر للجهود الدولية ولكنه ليس المنبر الوحيد .

والواقع ان معظم الاحداث المضطربة التى هزت أو غيرت عالمنا منذ عام ١٩٤٥ ، قد جرت لان الدول قد اختارت العمل خارج الامم المتحدة ولا ينطبق هذا الكلام على الاجراءات السياسية والعسكرية فحسب بل وعلى الجهود الاقتصادية . فقد أعد مشروع مارشال ونفذ خارج الامم المتحدة ، وينطبق هذا الكلام على سلسلة انتعاش أوربا الاقتصادى برمتها .

وكان الاتحاد السوفيتى الذى تسانده أقلية ضئيلة فى الهيئة الدولية يقابل بفتور فكرة استخدام القوة الدولية فى أى جزء من العالم خشية ان يستغلها الغرب فى دعم مصالحه العالمية . .

ومنذ بداية انشاء الامم المتحدة، ولدى كل من الدول الكبرى تحفظاتها الخاصة عن الدور العالمى المجدد للمنظمة الدولية . وكانت تحفظات الاتحاد السوفيتى ، أكبر التحفظات جميعا ، بيد ان الدول الغربية ناضلت أيضا باصرار ، على مر السنين ، لمنع عرض مجموعة من المسائل الاستعمارية والعنصرية أمام الهيئة العالمية استنادا الى أنها من الامور الداخلية لهذه الدول . وتصبح الامم المتحدة عاجزة تماما حينما تشاء دولة معينة تحدى قراراتها . وغالبا ما تتناسى هذه الدول أن اتحاد جنوب أفريقية كان أول من تحدى الامم المتحدة بطريقة ساخرة . واتحاد جنوب افريقية هو أحد اعضاء الكتلة الغربية . وكل ما استطاعت الامم المتحدة أن تفعله هو أنها سعت بفرض تأثير الرأى العام الدولى على المعارضين ، ولم يضع ضغط الرأى العام دائما هباء على الدول الكبرى أيضا ؛ فان الاتحاد السوفيتى الذى اكتسب لقب أكبر متحد للامم المتحدة ، قام بسحب قواته من ايران ، ونزل عن مساندته « لحكومة أذربيجان » .

بيد أن هذا الضغط كان يفشل حينما تكون المسألة من مسائل الحرب الباردة مثلما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ . ولكن الاتحاد السوفيتى لم يكن الدولة الكبرى الوحيدة التى عاملت الامم المتحدة بازدراء : ففرنسا مثلا ، قاطعت تقريبا جميع المناقشات التى دارت حول الجزائر ورفضت جميع المناشدات المتكررة التى قدمتها الامم المتحدة ضد التفجيرات الذرية فى الصحراء الكبرى . والواقع أن فرنسا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى ، فى فتور موقفها من الامم المتحدة .

والواقع أن النزاع بين الهند والصين كان المشكلة الوحيدة من نوعها التى لم تعرض قط أمام الهيئة العالمية ، بل وحتى حينما تم التوصل الى تسوية فى عام ١٩٥٤ ، فانها جاءت خارج الامم المتحدة

وقد استخدمت بريطانيا الفيتو خلال حادثة السويس عام ١٩٥٦ ؛ أما الولايات المتحدة التى كان أمامها أن تطبق حق الفيتو ، فأعلنت عام

١٩٦٠ ، أنها ستمارس استعمال هذه الاداة التى تشل الحركة من أجل منع دخول جمهورية الصين الشعبية الى الامم المتحدة . أما العناد الذى مارسته بعض دول الكتلة الغربية الصغرى ، مثل جنوب افريقية والبرتغال ، وبلجيكا ، فقد نجح بسبب المساندة التى استطاعت الحصول عليها من زعماء التحالف الغربى .

كما أن الامم المتحدة لم تسر على معيار او مبدأ معين للسلوك الدولى فى معالجتها للمشاكل العالمية الكثيرة . فقد كان هناك امثلة كثيرة للتهاون تجاه مشاكل ذات أهمية حيوية ليس فقط للكتلة الشيوعية وانما لبلاد اسيا وافريقية أيضا . وفى كثير من الحالات تعرضت امريكا بسبب زعامتها للمنظمة العالمية لحقائق راسخة امتنعت عن التسليم بها فيما بعد . وقد ذكر من قبل كيف ان حكومة الولايات المتحدة قد تدخلت بالقوة فى كوريا ، قبل الحصول على تصريح من الامم المتحدة ، وقد جاء هذا التصريح بعد حوالى اربع وعشرين ساعة فقط من اصدار الرئيس ترومان اوامره للقوات الامريكية بدخول ميدان الحرب الكورية .

وحينما تدخلت جمهورية الصين الشعبية فى الحرب الكورية وصمت « بالعدوان » من جانب الامم المتحدة . أما حينما قامت القوات الانجلو ـ فرنسية بالتواطؤ مع اسرائيل بغزو مصر ، فلم ينجح الاقتراح الذى يقضى بوصمهم بالعدوان

وبالمثل تمت ادانة الاتحاد السوفيتى بسبب قمعه للثورة فى المجر ، ولكن لم يكن هناك أية ادانة لبلجيكا بسبب الدور الذى أدته فى الكونغو .

وخلال ازمة الشرق الاوسط فى عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ابتكر جون فوستر دالاس قاعدة « العدوان غير المباشر » حتى يتم ادانة سورية ، ولكن التدخل العسكرى من جانب الولايات المتحدة فى لبنان لم يتم ادانته حتى لو كعدوان غير مباشر .

وكانت هناك محاولة لوصم الصين والاتحاد السوفيتى «بالعدوان غير المباشر » بسبب لاوس فى عام ١٩٥٩ ، ولكن صرف النظر عن الموضوع بسبب الخوف من الفيتو السوفيتى ، ولم يستطع مجلس الامن الهروب من الفيتو الا باتخاذه قرارا يقضى بارسال بعثة تحقيق الى لاوس بعد أن أعلن رئيس المجلس ، وهو مندوب من احدى بلدان امريكا اللاتينية بأن المسألة مسألة اجراءات وانها لا تخضع للفيتو .

وكانت دول اسيا وافريقية تعتبر قمع نضال الشعوب المستعمرة من أجل الاستقلال ، عدوانا من الطراز الاول ، بيد ان الامم المتحدة لم

تر هذا الرأى . وقد استغلت الدول الغربيـــة قوتها النابعة من غالبيتها العددية فى ادانة الحركات الشيوعية الرامية الى قمع حرية الشـــعوب واستقلالها ، او قلب النظم السياسية المؤيدة للغرب ، ولكنها كانت تقاوم دائما أية محاولة لتطبيق المبدأ نفسه على سلوكها هى فى افريقية وآسيا وامريكا اللاتينية . وكان استخدام المبادىء المزدوجـــة هو أحد نقاط الضعف الرئيسية فى الهند ، واحد الاهداف الرئيسية لهجمات الدول الافرو ــ اسيوية .

ولا شك أن الغرب يتهم الكتلة الشيوعية بتطبيق المبادىء المزدوجة دون أن يعترف أنه هو نفسه يقترف التخبط والمغالطة كليهما .

ولا شك أيضا فى أن قمع الاتحاد السوفيتى للثورة المجرية وقمع الصين للثورة فى التبت لا يتمشيان مع دعوة الكتلة الشيوعية الى تحرير الشعوب المستعمرة من عبودية الغرب ، وعرضت هذه الاحداث كلا من الصين والاتحاد السوفيتى لنقد له ما يبرره . وفى الامم المتحدة أخذ المتحدثون الغربيون يحذرون دول آسيا وافريقية ــ مرارا ــ الاســتعمار « الجديد الاكثر فظاعة » الذى تمارسه الدول الشيوعية .. ولا شــك انه كان لهذا الكلام بعض الأثر فى أذهان الوفود الافرو ــ آسيوية . ولم تكن الشعوب ــ الافرو آسيوية على وجه العموم يغضبها التدخل السوفيتى فى المجر بقدر ما أغضبها الغزو الانجلو ــ فرنسى لمصر وهما حادثتـــان هزتا العالم ووقعتا فى الوقت نفسه فى خريف عام ١٩٥٦ .

وقد ساد الاعتقاد بأن الحرب الباردة مسئولة جزئيا عن الاحـداث الدامية التى وقعت بالمجر فى عام ١٩٥٦ ، وقد كانت الدول الافرو ــ اسيوية بعكس الدول الغربية والولايات المتحدة على وجه الخصــوص قد وافقت على حدود اوروبا السياسية ولم تكن ترغب فى أن تراها تتغير عن طريق القوة .

وأهم من هذا كله أن البلدان الافرو اسيوية اعتبرت أزمة المجـر حركة لابعاد الاضواء عن الغزو الانجلو ــ فرنسى لمصر الذى اذا حكمنـا عليه بطريقة هادئة كان عملا يدعو الى السخط اكثر من التدخل السوفيتى فى المجر .. غير ان رد الفعل الافرو ــ اسيوى تجاه التصرف العسكرى الصينى فى التبت كان أعنف وأكثر تلقائية ، فقد كانت التبت تنتمى الى المجموعة الافرو ــ اسيوية وكان واضحا أن قمع الصين للثورة عبـارة عن تصفية قاسية لتمنيات سياسية شرعية لشعب اسيوى .. وقـــد كان من الممكن ان يكون رد الفعل أعنف وأوضح لولا أن الصين ظلت خارج الامم المتحدة . ونظرا لان الصين كانت بالفعل طرفا مساء اليه ، ونظرا لان الدول الغربية نفسها كانت مترددة فى الدفاع عن حق شعب التبت

فى الاستقلال فان دول افريقية واسيا غير المنحازة لم تدن الصين فى الامم المتحدة بأسلوب عنيف .

بيد أنه ينبغى علينا أن نشير الى محاولات الغرب لتحويل نظر اسيا وافريقية الى « الاستعمار الشيوعى الجديد » لم تلق نجاحا كبيرا فى هذا الشأن . وفى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة أصبح هجوم خروشوف الشامل على الاستعمار الغربى ، ومطالبته بتصفية نظام الاستعمار الغربى على وجه السرعة ، اجراءا محببا للغاية لدى الوفود الآسيوية الافريقية ، بما فى ذلك من دول المجموعة الفرنسية فى أفريقية . وقامت الدول الافرو ــ اسيوية نفسها . من أجل انقاذ الاقتراح السوفيتى من الهزيمة ، بتقديم قرار يطالب باتخاذ خطوات « عاجلة » لمنح الاستقلال للمستعمرات المتبقية والمناطق الخاضعة للوصاية فى العالم ، وهو الاقتراح الذى تمت الموافقة عليه بأغلبية ساحقة ، ودون أى صوت معارض . .

ولم تمتنع عن التصويت سوى تسع دول من بينها الولايات المتحدة . وفى معرض حديثة عن أعمال الجمعية العامة كتب توماس ج . هاميلتون مراسل صحيفة النيويورك تايمز فى الامم المتحدة يقول :

« لم يجد ديفيد أورسمبى ــ جور ، وزير الدولة البريطانى الا تأييدا طفيفا فى الاتهام الذى وجهه الى الاتحاد السوفيتى بأنه بعد أن قام بتصفية جمهوريات البلطيق ، ووضع أوروبا الشرقية فى فلكه . لم يكن مجرد دولة استعمارية . وانما أعظم الطغاة جميعا » .

وتفكر معظم الدول الافريقية والاسيوية ــ وخاصة تلك التى حصلت على استقلالها فى غضون السنة أو السنتين الماضيتين ــ تفكر فى الاستعمار فقط على ضوء سيطرة الرجل الابيض على الشعوب الملونة ، والسوداء والصفراء ، ولا يبدو عليها الاهتمام كثيرا بالاستعمار السوفيتى وقد كانت الدول الغربية تأمل ان تنضم الدول المستقلة حديثا اليها فى هجومها على الشكل الروسى للاستعمار فانه على عكس ذلك عبر عدد من الدول عن اتفاقهم فيما بينهم على أن مستر أورسمبى ــ جور يسعى الى زج مسائل الحرب الباردة .

وتستطيع الدعاية السوفيتية الآن أن تعلن أن نتيجة تصويت الجمعية العامة والتى كانت ٨٩ ضد لا شىء بيان مقنع عن تضامن الدول الاشتراكية مع البلاد الافريقية والآسيوية فى معارضتها المشتركة لكتلة شمال الاطلنطى العدوانية .

« ومن الامور السيئة بالنسبة للولايات المتحدة ، زعيمة العالم الحر ، أن تجد نفسها فى صف الاقلية الضئيلة التى امتنعت عن التصويت .

بيد أن النتيجة كانت مدمرة ، بنوع خاص ، لمركز الولايات المتحدة بالنسبة للاعضاء الافريقيين والاسيويين بسبب المجموعة التى وجدنا انفسنا وسطها : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، واسبانيا ، واستراليا ، وجنوب افريقية ، وجمهورية الدومينكان ، وجميعها أهداف صالحة لهجوم الوفود الافريقية والاسيوية والكتلة الشيوعية ، كدول استعمارية ، أو لاسباب أخرى » .

وقد تعرض وفد الولايات المتحدة لفشل ذريع حينما وقفت احدى اعضائه ، وهى زنجيـة أمريكية ، ورحبت بالموافقة على القرار الافرو ــ اسيوى .

وكان الوفد نفسه يريد ان يصوت فى مصلحة القرار ، غير أن قرار الامتناع عن التصويت قد جاء فى اخر دقيقة تقريبا من البيت الابيض . ولم يكن هذا ، على أية حال ، هو المثال الوحيد الذى وجدت فيه أمريكا نفسها فى صحبة « سيئة حول مشكلة الاستعمار » .

ففى تاريخ الامم المتحدة كله ، لم تصوت الولايات المتحدة قط فى مصلحة أى قرار افرو ــ آسيوى حول الجزائر : ففى عام ١٩٥٩ كان صوت الولايات المتحدة هو الذى أفقد القرار الافرو ــ اسيوى أغلبية حاسمة ، وفى عام ١٩٦٠ لم يحصل الاعضاء الافرو ــ اسيويون على أغلبية الثلثين لندائهم الى الامم المتحدة للاشراف على استفتاء فى المستعمرة الفرنسية التى مزقها الصراع . وكانت معارضة أمريكا هى السبب فى فشل هذا القرار (١) .

وكانت مشكلة الاستعمار تمثل أكبر هوة داخل الامم المتحدة بين الدول الغربية ودول اسيا وافريقية الحديثة العهد بالاستقلال .

---

(١) قدم الاتحاد السوفييتى ، من جديد ، فى دورة الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦١ ، اقتراحا يطالب بالاستقلال لجميع الاقاليم غير المستقلة المتبقية فى غضون عام واحد . غير أن القرار قد هزم وامتنعت أغلبية كبيرة من الدول الافرو ــ آسيوية عن التصويت . وقد غيرت الولايات المتحدة سياستها الاستعمارية عن طريق تأكيدها لأهمية مظهر تقرير المصير فى مشكلة برلين ، وقد صحب ذلك هجوم غربى عنيف وجماعى على الاستعمار الشيوعى . وسلكت الدول غير المنحازة طريقا وسطا وقدمت قرارها الذى يقضى بانشاء هيئة تكتشف مدى التقدم الذى أحرزه كل اقليم من الاقاليم التى لا تتمتع بالحكم الذاتى نحو الاستقلال على ضوء القرار الذى وافقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها عام ١٩٦٠ وصوت الاتحاد السوفييتى وحلفاؤه فى مصلحة القرار الافرو ــ آسيوى الذى عارضته أغلبية الدول الغربية .

وانصافا للدول الغربية ، يتعين علينا أن نشير الى أن أغلبية هذه الدول ، وبالتأكيد الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، كانت جميعها تؤيد التحول السلمي والمرحلي من مستعمرة الى بلد مستقل ، وذلك عن طريق الاتفاقيات التى يتم التوصل اليها عن طريق المفاوضات بين الحاكم والمحكوم .

وفى السنوات التى كانت فيها زعامة امريكا للامم المتحدة لا تنازع تقريبا ، نجحت المنظمة العالمية ، بالفعل ، فى مساعدة عدد من الدول الافرو - آسيوية فى حصولها على الاستقلال .

فقد منحت الولايات المتحدة الفلبين الاستقلال عام ١٩٤٤ ، وأدت دورا رئيسيا فى وقف الحرب فى أندونيسيا ، وفى اقامة صرح الجمهورية الاندونيسية .

وتفخر بريطانيا - بحق - بانسحابها دون صراع من أجزاء كبيرة من الامبراطورية المترامية الاطراف ، ورؤيتها قيام علاقات ودية للغاية بينها وبين مستعمراتها السابقة . غير ان بريطانيا هى البلد الوحيد الذى يستطيع ترك السلطات السياسية فى هدوء فقد احتفظت الولايات المتحدة بقبضتها القوية على الفلبين على حين لم تخضع الدول الاستعمارية الاخرى الا بعد ان ابتليت بحرب ضروس : هولندا فى أندونيسيا ، وفرنسا فى الهند الصينية . وبلجيكا فى الكونغو : قصة المقاومة العنيدة لمطالب شعب فى الحرية .

وغالبا ما تدعى الدول الغربية لنفسها الفضل فى الدور التحررى الذى قامت به فى تغيير لون خريطة العالم منذ الحرب العالمية الثانية .

والواقع أن كل ما تدعيه من فضل يعود الى بريطانيا العظمى وحدها ويعود بالذات الى حكومة العمال التى تشكلت فى لندن حتى قبل ان تنتهى الحرب بالفعل . فقد رفض تشرشل باصرار فى أثناء الحرب ، الموافقة على طلب الهند الاستقلال العاجل ، ورفض التوسع فى ميثاق الاطلنطى ليشمل اسيا ، وامتعض من ضغط روزفلت عليه من أجل منح الهند حريتها ، والقى بتصريحه المتباهى الشهير فى رده المجلجل على الرئيس الامريكى بقوله « انه لم يصبح رئيسا لوزراء جلالة الملك لكى يشرف على تصفية الامبراطورية ، وكانت حكومة العمال برياسة مستر أتلى « لورد فيما بعد » هى التى قادت بريطانيا العظمى خارج الهند ، وباكستان ، وسيلان ، وبورما ، ومهدت الطريق أمام التحول السلمى لغانا ونيجيريا الى السيادة السياسية .

وقبل ذلك كان تشرشل قد تدخل بالقوة لمساعدة هولندة فى العودة الى أندونيسيا ، وفرنسا الى الهند الصينية « وان كان قد تدخل فى

اثناء الحرب ، ومن اجل مصلحته لمنع ديجول من اعادة فرض الحكم الفرنسي في سورية ولبنان

وحينما سقطت حكومة العمال في عام ١٩٥١ ، كان التحول السلمي لافريقية البريطانية فوق خط الاستواء ، الى الحرية قد تأكد تقريبا .

بيد ان فرنسا لم تخضع بسهولة في شمالي أفريقية . وقد أثارت البلاد الافرو ــ اسيوية ، مرارا ، مشكلتي تونس والمغرب في الامم المتحدة غير أنها لم تواجه بعناد فرنسا فحسب بل أيضا بما أسماه الاتحاد السوفيتي بـ « الاستعمار الجماعي » ــ أي عناد واصرار الدولة الاستعمارية ومساندة الاعضاء الذين هم أكثر قوة في الكتلة الغربية لها . غير أن الزمن ــ حينما نشاهد هذا النزاع غير المتكافىء ــ كان يقف بثبات في مصلحة الشعوب المستعبدة

فقد أرغم الزمن فرنسا على الاستسلام في الهند الصينية وفي أجزاء كبيرة من شمالي أفريقية (١) .

بيد أن أمريكا ادت دورا متقلبا : فبينما كانت تصوت ضد المقترحات الافرو ، اسيوية في الامم المتحدة والتي تقضي بمناقشة مشكلتي تونس والمغرب . كانت تمارس ضغطا على فرنسا لحثها على الاعتراف باستقلالهما .

ومن ناحية اخرى عارضت أمريكا في انسحاب فرنسا من الهند الصينية بل وعرضت تقديم قوات للاشتراك في الحرب .

وحينما وقعت اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ ، كانت الولايات المتحدة أبعد ما تكون عن السعادة ، ولم تكن هي طرفا في هذه الاتفاقيات كما أنها لم تحترم وعدها بعدم العمل ضدها . وكانت الازمة الطويلة التي حدثت في لاوس نتيجة ــ الى حد كبير لسياسة الولايات المتحدة التي خرقت اتفاقيات جنيف .

وفي افريقية قرب نهاية الخمسينات تأكد الانتقال الى مرحلة الاستقلال للبلدان التي ليست بها مصالح راسخة للبيض ، أو مجموعة كبيرة من المستوطنين الأوروبيين ، وبحلول عام ١٩٦٠ كانت جميع البلاد افريقية فوق خط الاستواء تقريبا قد أصبحت حرة .

وكان الاستثناء البارز هو الجزائر فقد كانت المشكلة هي وجود جالية فرنسية قوية تبلغ حوالي مليون نسمة .

---

(١) كما أرغمها على الاستسلام في الجزائر في مارس من عام ١٩٦١ . «المترجم»

بيد أن افريقية السفلى سببت كثيرا من الصعاب الحقيقية . ولم تكن هذه « فقيرة » وانما غنية ، وكانت المصالح الاوروبية والامريكية تسيطر على ثرواتها الكبيرة المعدنية منها والحرجية ، وكان السكان الاوروبيون باعدادهم الضخمة يملكون ويحتلون معظم الاراضي الخصبة الموجودة . ولذلك فان المطالبة بالاستقلال قد جلبت فى أعقابها مجموعة من المشاكل ، واجهت الدول الغربية مهمة صعبة فى التوفيق بين عواطفها الحرة تجاه الحرية الافريقية ، ومصالحها المستثمرة الواسعة ذات الجذور العميقة ، وتعهداتها والتزاماتها أمام السكان الاوروبيين .

وقد تعقدت هذه المهمة أكثر من جراء سياسات التفرقة العنصرية التى تتبعها الجاليات بدرجات عنف متفاوتة ، فى أفريقية السفلى . وقد ترك تقدم افريقية ذو السرعة الهائلة نحو السيادة السياسية ، للدول الغربية وقتا قصيرا ، كى تقوم بتسوية مصالحها المتنازعة . وكانوا يميلون الى أن يصبحوا أسرى تعهدات مضت ولا يزالون يسعون الى جعل المنازعات الافريقية فى نطاق مجال التسوية عن طريق المفاوضات الثنائية .

وفى الجزائر ، تضافرت الدول الغربية جميعها لمنع الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة على أى شيء أكثر من قرارات معتدلة ، والتحدث عن قدرة جنرال ديجول على ايجاد حل بالتشاور مع الزعماء الوطنيين الجزائريين والمصالح الاخرى .

غير أن الاحداث المضطربة التي وقعت في الكونغو قلبت أمورهم رأسا على عقب : ففى الكونغو ، أيضا ، أرادت الدول الغربية أن ترى تقدما سياسيا عن طريق التعاون البلجيكى ـ الكونغوى ، حتى لا تتعرض مصالح الغرب الضخمة ، فى كاتنجا وكاساى ، للخطر . وحتى حينما أصبحت مشكلة الكونغو مشكلة عالمية بسبب عناد البلجيكين وقصر نظرهم ، سعى الغرب ، باصرار الى المحافظة على قبضته عليه .

وفى بداية الستينات ، كانت روديسيا الشمالية والجنوبية ، ونياسلاند ، وكينيا ما تزال حكرا لبريطانيا العظمى

بيد ان الصعوبات أخذت فى التزايد ، وتعثرت الجهود البريطانية الرامية الى التقدم عن طريق المفاوضات ، تعثرت أمام المطالب الافريقية المنادية بسلطة سياسية كاملة من جهة ، كما تعثرت بسبب اعتراض البيض على أى نزول كبير من جانبهم . وفى أفريقية البرتغالية ، تحطم أخيرا ذلك الصمت الذى ظل مخيما طوال خمسة قرون

وقد خسرت البرتغال المعركة فى الامم المتحدة ، بالرغم من التأييد الغربى ، فى ادعائها بأن مستعمراتها جزء لا يتجزأ من الوطن الأم .

ووافقت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة على قرارات تطالب الحكومة البرتغالية بتقديم المعلومات الى الامم المتحدة عن طبيعة الاوضاع فى مستعمراتها . وكان انهيار النظام الاستعماري العتيق هو الذى حول الامم المتحدة ، بسرعة ، من مجال النفوذ المطلق للغرب الى مجتمع دولى يغلى بالقلق والاضطراب ، ويموج بأجناس كثيرة ملونة ، وهذه العملية لم تكتمل بعد ، بيد أن نذر الشر كانت واضحة للذين يريدون أن يفتحوا عيونهم عليها . ففى السنوات القادمة سيتحلل النظام الاستعمارى نهائيا فى أفريقية السفلى وامريكا اللاتينية .

ومثل هذه الانتفاضة الهائلة قيمنة بأن تحل معها الامها واذا سيطرت الحكمة على الامم ، استطاعت فقط التقليل من الدماء والبؤس اللذين ستتكلفهما هذه الانتفاضة . أما اذا ساد الغباء فانها ستضاعف الثمن الذى سيختلسه الزمن قبل أن يتم تصحيح الخلل الكبير فى العلاقات الانسانية .

وحينما ينهار النظام الاستعمارى نهائيا ، فان دور الامم المتحدة سوف يتغير . لقد أصبحت بالفعل ، خارج نطاق سيطرة الدول الكبرى الى حد كبير . وستسعى الدول الصغيرة فى أفريقية واسيا ، وأمريكا اللاتينية الى أن تجعل من الامم المتحدة جهازا يخدم مطالب الانسانية التى هى أكثر الحاحا . ولا يعنى هذا انها ستصبح بين يوم وليلة ، حكومة عالمية . غير أن الجهود ستبذل لاعطائها دورا مستقلا ذا معنى ، دور الراعى لشئون الامم .

هذا هو الدور الذى أرادت الدول الافرو – آسيوية أن تضطلع به الامم المتحدة فى الكونغو ، واذا كانت جهودها قد أحبطت ، فلأن السوفيت والدول الغربية زادت استغلال الامم المتحدة كألعوبة فى يد القوى الكبيرة . وتود الدول الحديثة الاستقلال ان تستخدم الامم المتحدة أمكانياتها من أجل رفاهية المجتمع الدولى ، ومن أجل سد الثغرة بين الاقلية التى « تمتلك » فى العالم ، والغالبية التى « لا تمتلك » .

وستكون العملية شاقة ، وطويلة ، ومجهدة . وستعارض الدول القوية وغالبا ما ستلقى معارضتها النجاح ، وسيتوقف الكثير على قوة الاقطار الحديثة من الناحية الاقتصادية والسياسية ومن ناحية بنيانها ، وستعلو صيحة فى عواصم العالم التى هى أكثر تعقيدا فى التفكير ، صيحة تقول ان الامم المتحدة قد فشلت ، وانها بحاجة الى ترميمات كبيرة ، وانها قد هوت فى الفراغ الذى خلفه خروج الدول الكبرى . وقد وصلت المعركة بالفعل الى مرحلة حاسمة . وحينما تصبح الامم المتحدة شيئا « ينتمى » للدول الصغيرة ، فانها ستصبح منظمة عالمية تختلف

كلية عما هي عليه حتى في وقتنا الحاضر . غير أن الشعور بـ «الانتماء» لم يتحقق بعد .

وطالما ظلت هذه الامم الحديثة ضعيفة من الوجهة الاقتصـــادية والعسكرية ، فانه لا يمكن ان تتوقع تحصين قارتيها من خطر الحرب الباردة مهما استبدت بها الرغبة في تحقيق ذلك . ولكن حدث بمرور الوقت ، أن أخذت هذه الامم تزداد قوة ، وازداد صوتها ارتفاعا ، لا في الشئون الخاصة بقارتيها فحسب ، وانما في محيط الشئون العالمية الاوسع .

ومما يؤكد ازدياد أهميتها لهفة أكبر دولتـــين على تنحية الامم الصغيرة جانبا بمختلف أساليب المداهنة . ولذا فان الاتجاهات التي بدأت تظهر الان اتجاهات سليمة تدعو الى التفاؤل . فاذا استطاعت الدول الحديثة ان تتماسك فقط « واذا » هنا بالخط الثلث «لان هناك عوامل كثيرة تفتت من وحدتها وتعاونها » استطاعت ان تمارس تأثيرا عميقا على الشئون العالمية ، والى أن تكتسب هذه البلاد قوةاقتصادية وعسكرية كافية ستستمر شئون افريقية ، وآسيا وامريكا اللاتينيـة ، خاضعة الى حد كبير لنفـوذ أكبر دولتين . فاذا رفضت الدول الكبرى الاشتباك فوق أرض أفرو ــ آسيوية ، فان هــذا الرفض سيكون وليد خوفها من نتائج « حرب الادغال » أكثر مما ينبع من تعاطفها مع أماني افريقية وآسيا ، وهو التعاطف الذي تدعيه .

وانه لمن الطبيعي ان ترغب بلدان افريقية واسيا وامريكا اللاتينية في ان تؤدى دورا متزايد الاهمية في الامم المتحدة

وقد سجلت بالفعل طلبها الذي يقضي بالتوسع في تمثيلها فيأجهزة الامم المتحدة الحيوية ، واعادة النظر في ميثاق الامم المتحدة كي يتمشى مع الحقائق الجديدة لعالم تغير بشـكل كبير . فاذا كان الاتحاد السوفيتي قد استطاع ان يتزعم هذا الطلب حين طالب باجراء تغييرات كبيرة في البنيان التنفيذي للامم المتحدة ، فانه نجح بذلك في اختيار حركـــة احسن توقيتها ، من اجل طبع صورة راسخة له في الاذهان الافــرو ــ اسيوية ، صورة المدافع العظيم عن حتمية التاريخ .

وقد راقبت الوفود الأفرو ــ آسيوية ، في الدورة الخامســة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة راقبت خروشوف برهبة واعجاب ، وهــو يخرج بمقترحاته التي ترمي الى اعادة نظر شاملة في بنيان الامم المتحدة التنفيذي . وعبر الزعيم السوفيتي عن معظم ما كان يجول بخاطـــر الوفود الافرو ــ اسيوية ومع ذلك وجدت هذه الوفود نفسها عاجزة عن

مساندة طوفان مطالبة : ذلك أنها كانت تعلم انه ليس هناك أمل فى موافقة الغرب على هذه المطالب ، وانه اذا تم الاصرار عليها الى آخر مدى فان ذلك لن يؤدى الا الى تدمير وكالات الامم المتحدة الرئيسية . وقد أكد الزعماء الافريقيون والآسيويون ان هـذا الأمر سيتم لا محالة ولكنهم لم يؤمنوا بسياسة « الان والا فلا » . **وقد أشار جميع الزعماء من امثال نهرو ، وناصر ، وسوكارنو ، وتيتو وهم واضعو اسس عدم الانحياز الدولى ، الى اختلال التوازن فى التمثيل فى الـوكالات الهامة بالامم المتحدة ، ولكنهم أكدوا ضرورة تصحيح ذلك عن طريق الاتفاق وعلى مراحل .**

وعلى اية حال كان الزمن فى صفهم ، وهم يعلمون تماما انه فى الوقت الذى تستجمع فيه الدول الحديثة فى العالم قوتها ، سيزداد « انتماء » الامم المتحدة اليهم . وهى تمر اليوم بالفعل بعملية تحول ثورى ولن يمضى وقت طويل حتى تتحول الامم المتحدة بثبات ، من ناد للدول الكبرى ، الى برلمان للدول الحرة .

ولسوء الحظ أن الخسائر الأولية ، اذا كانت خسائر حقا ، سوف يعانى منها الغرب ، فمن سخرية الزمن أنه بعـد تشكيل الأمم المتحدة بوقت قصير وقع الشجار بين حلفاء فترة الحرب ، وتلاشى الأمـل فى اتفاق الدول الـكبرى فى الوقت الذى بدأت فيه رياح الحرب الباردة الثلجية فى الهبـوب ، وبدأ صراع مائع فى مجلس الامن ، من أجـل مركز القوة ، وظل الغرب منتصرا فى هذا الصراع لمـا يزيد على عشر سنوات . ومن بين أعضاء المجلس الأحد عشر ، هناك خمسة أعضـاء دائمون . ويتم اختيار الآخرين على أساس اقليمى كمـا ينص الميثاق وكان من المفهوم ضمنيا أن أحد الأعضاء سيكون من أوروبا الشرقيـة وآخر يمثل الكومنولث ، غير أنه فى غضون سنوات قلائل من تأسيس الامم المتحدة تم نقض التفاهم حول تمثيل أوروبا الشرقية ، ومارسـت الولايات المتحدة قوتها الدولية الهائلة كى تضمن أغلبية دائمة فى الجهاز التنفيذى الأعلى للأمم المتحدة ، ولم يمر وقت لم تكن تتحكم فيه بتأييد سبعة أعضاء من أعضاء مجلس الامن ، وهو العدد المطلوب للموافقة على أى قرار لا يخضع للفيتو .

وكانت الفقرة التى تنص فى الميثاق على قدرة مجلس الأمن عـلى احالة أية مسألة الى الجمعية العـامة بأغلبية سبعة أصوات هى التى جعلت الولايات المتحـدة تبـذل قصارى جهدها كى تضمن وجود سـبعة أصوات الى جانبها داخل المجلس ، وقد نبعت معارضتها العنيدة لتمثيل جمهورية الصين الشعبية أساسا من تصميمها على عدم فقدها مركز الأغلبية الذى تتمتع به فى مجلس الأمن .

ولكن حدث بعد مرور خمسة عشر عاما من مولد الأمم المتحدة أن بات واضحا أن مركز القوة الذى تتمتع به أمريكا يقترب من نهايتـه ، وفى دورة عام ١٩٦٠ للجمعية العامة لم تستطع الولايات المتحـدة أن تمنع انتخاب بولندا ، أو الجمهورية العربية المتحدة لمجلس الأمن .. ومن ناحيـــة أخرى استطاعت الوفود الافريقية والآسيوية بمساعدة السوفيت أن تمنع انتخاب البرتغال كى تمثل أوروبا الغربية ، ونجحوا فى فرض ترتيب يقضى بأن تعمل ليبيريا لمدة سنة لتحل محلها ايرلندا فى السنة التالية .

وقد علق مراسل صحيفة النيويورك تايمز فى الأمم المتحدة ، على هذا النجاح الأفرو ــ اسيوى قائلا : « ان الطلب الافريقى الذى يدعـو الى اعادة توزيع مقاعد مجلس الأمن لنتيجة منطقية لسياســة القبول الجماعى التى طبقتها الأمم المتحدة عام١٩٥٥ ، والتى ارتفع عدد الاعضاء بمقتضاها من ٦٠ الى ٩٩ ، غير أن فقد مقعد أوروبا الغربية ، وأن كان مؤقتا ، يضعف من قوة الغرب فى مجلس الأمن ، وربما يكون أهم قرار اتخذته الجمعية .

ويضم المجلس كمـــا تشكل عام ١٩٦٠ ثلاثة أعضــاء افريقيين ــ اسيويين هم : الجمهورية العربية المتحدة ، وسيلان ، وليبيريا ، واثنين من الكتلة الشيوعية هما الاتحاد السوفيتى وبولندا ، وهـكذا حرمت الولايات المتحدة ــ لأول مرة ــ الأصوات السبعة التى كانت تضمنها (١)

وقد أدت الظلال الكئيبة التى القتها احتمالات المستقبل ، الى كثير من اعادة النظر فى واشنطن ، وبدا واضحا ان هناك حاجة ماسة الى اتجاه جديد نحو المسائل التى تعرض على مجلس الأمن :

وفى مايو عام ١٩٦٠ ناقش المجلس القرار السوفيتى الذى يدعـو الى ادانة الولايات المتحـــدة من أجـل تحليق الطائرة (ى ــ ٢) فوق الأراضى السوفيتية وقد هزم القرار ، غير أن القـــرار الذى وافق عليه المجلس بناء على طلب الاعضاء الافرو ــ أسيويين ، كان يتضمن فقــرة تناشد جميع أعضاء المنظمة العالمية « احترام السيادة ، والوحدة الاقليمية، والاستقلال السياسى لكل منها » .

وعلى حسب تعليق جريدة النيويورك تايمز : « فان هذه الفقرة ، فى سياق المناقشة حول الطائرة (ى ــ ٢) ، يمكن تفسيرهــا على انها تحمل تأنيبا ضمنيا للولايات المتحدة » .

واستطاع مجلس الامن ، فى شكله الجديد ، أن يوافق فى ٢١ من

---

(١) حدث فى انتخابات عام ١٩٦٠ أيضا أن تمت تنحية الزعامة الغربية فى مجلس الامن ، فقد احتلت بولندا مقعد رومانيا لمدة سنة باتفاق خاص مع الفلبس .

فبراير عام ١٩٦١ على قرار يفوض فيه قيادة الأمم المتحدة ، لأول مرة استخدام القوة لمنع قيام الحرب الاهلية ، وادركت الكتلة الغربية أن كل ما تستطيع عمله فى مجلس الأمن هو أن تبطل مفعول اى قرار عن طريق حرمان المجموعة الأفرو ــ أسيوية والكتلة السوفيتية من الاصوات السبعة الايجابية (وهذا هو ما فعلته فى الواقع ، فى حالة القرار الليبيرى حول انجولا) ، ولكن لم يعد بامكانها فرض أى قرار ، حتى لو لم يستخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو .

وكانت مقدرة أعضاء مجلس الأمن الافريقيين والآسيويين على تحقيق التوازن ، حتى بين الكتلتين الكبيرتين ، تطورا ثوريا فى ذاته ، فقد كانت تعنى أن مجلس الأمن لم يعد عرضة لاستخدامه كأداة من أدوات الحرب الباردة ، وأخذ دوره يتحول الى دور الموفق بين المصالح المتنازعة ، بل أن الولايات المتحدة لم تكن حتى فى مركز يسمح لها الآن باحالة أية مسألة الى الجمعية العامة دون الحصول سلفا على مساندة الأعضاء غير المنحازين فى مجلس الأمن .

واذا استمر هذا الاتجاه ، واذا نجح الاعضاء الافريقيون والآسيويون والتابعون لأمريكا اللاتينية ، فى المنظمة العالمية مستقبلا فى انتخاب عدد كاف من أعضاء مجلس الامن لاينتمون الى أية من الكتلتين ، فانهم سيحرزون نصرا ساحقا فى جهودهم من أجل اسناد دور تسوية المصالح المتعارضة للأمم المتحدة بدلا من تقديم مصالح دولة من الدول على حساب دولة أخرى ، وكان اتجاه حكومة الرئيس كنيدى الجديدة نحو الأمم المتحدة بدلا من تقديم مصالح دولة من الدول على حساب دولة المظهر الجديد لمجلس الأمن

وقد فزع الغرب من تدهور الدور الذى يقوم به مجلس الأمن ، أما الكتلة السوفيتية فعمها السرور ، غير أن هذا الأمر أدى الى ظهور مشاعر متضاربة فى افريقية وآسيا : فبينما كانت الدول الحديثة الاستقلال فى القارتين ترحب بامكانية الافادة من المجلس كأداة للتسوية بدلا من زيادة حدة الحرب الباردة ، لاحظت بانزعاج شعورا متزايدا بخيبة الأمل ينمو بين الدوائر الغربية تجاه بنيان الأمم المتحدة كله .

وقدمت نظريات عدة تدعو الى اعادة النظر فى الميثاق بطريقة تبطل مبدأ « دولة واحدة : صوت واحد » الذى تقوم عليه المنظمة العالمية ، ومنح الدول الكبرى وزنها فى أمور التصويت ، وجعلت بعض هذه النظريات وزنا فى التصويت للأعضاء الكبار فى المجموعة الافريقية ــ الآسيوية ، وخصوصا الهند ، ولكن هذا العرض لم يلق الا استقبالا فاترا فى العاصمة الهندية .

وكانت الدول الأفرو ــ آسيوية مدركة للعيوب الكامنة فى الهيئة

العالمية ، وكانت تميل الى القاء تبعة هذه العيوب على الصراع من أجل القوة بين الكتلتين المتنافستين .. واستمر اتجاهها الأساسي نحو الأمم المتحدة مليئا بالأمل والايمان .. وقد كان نقدها عنيفـــا فى الدورة الخامسة عشرة ، لفشل الأمم المتحدة فى الكونغو ، وفى بعض التصرفات المعينة المتعلقة بالعزل والتعيين التى قام بها السكرتير العـام بنفسه ؛ ولـكن هذه الدول وقفت بعيدا عن الخط السوفيتى الذى كان يطـالب بعزل همرشولد ، والغاء المنصب نفسه ، واعادة تنظيم الهيئات التنفيذية الخاصة بالأمم المتحدة بطريقة شاملة ، وكانت الدول الأفرو ــ أسيوية تريد منح قيادة الأمم المتحدة فى الكونغو تفويضا يسرى مفعوله حتى فى ساعة متأخرة ، وذلك أفضل من أن ترى جهود الأمم المتحدة الجماعية تنتهى بالفشـــل .

وكان هـــذا الاتجاه نحو أزمة الكونغو يعبر عن فكرتها الأساســية تجاه الأمم المتحدة ، ولم يعجبها كثير من الأمور التى حدثت فى الكونغــو تحت راية الأمم المتحدة . ومع ذلك لم تكن هــــذه الدول تود بعكس الاتحاد السوفيتى أن ترى الأمم المتحدة وهى تنسحب من الكونغو فى عار وخجل .

وحينما نجحت فى استصدار أول قرار بشق الانفس فى فبراير من عام ١٩٦١ من مجلس الأمن ، علقت عليه فورا أهمية كبيرة .

وكانت بعض الدول أفــرو ــ آســـيوية ــ بمــا فى ذلك غانا ، وغينيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ــ قد قررت سحب قواتها من الكونغو فى أول الأمر ، ولـكن بعض هذه الدول توقفت من الانسحاب ، بعد صدور هــــذا القرار ، بل وكانت المجموعة الأفرو ــ آسيوية على استعداد لتقـديم قوات أكثر الى الأمم المتحـدة . وقد كانت الحكومة الهندية أول من تجرأ وسبقت غيرها حــين وافقت عــلى طلب همرشولد بارسـال فرقة كاملة من القوات المحــاربة لتنضم الى قوات الأمم المتحدة فى الـكونغو ، وكانت هذه أول مرة توافق فيها الهند على ارسـال قوات محاربة بتفويض دولى وتحت اشراف الأمم المتحدة (لم تشترك أية قوات هندية محاربة فى كوريا أو مصر) .

وقد ضغطت الدول أفرو ــ آسيوية الأعضاء فى مجلس الأمن على همرشولد من أجل استخدام « العنف » فى الكونغو ، وحينما اتسعت هوة الأزمة فى الشهور الأولى المذهلة من عام ١٩٦١ نتيجـــة لمصرع لومومبا و « اتفاق » الزعماء الـكونغويين المؤيدين لبلجيكا على تقسيم الكونغو ، أدركت هذه الدول أنه يتعين عليها أن تبذل كل ما فى وســعها من أجل رؤية الأمم المتحدة « تفعل شيئا » . وقد ظهر دكتور نكرومة

شخصيا أمام دورة الأمم المتحدة المستأنفة في مارس ليدعو الى مايشبه الوصاية الافريقية الجماعية على الكونغو تحت اشراف الأمم المتحدة .

وكانت الدول الأفرو ـ آسيوية تبذل الجهود من أجل انقاذ الكونغو من عدم شرعية وجودها السياسى المضطرب ، وكانت تريد اجتماع البرلمان الكونغوى تحت حماية الأمم المتحدة لاختيار حكومة ودستور للبلاد ، ويعد البيان الذى أصدره فى لندن ، فى مارس ، رؤساء وزارات الكومنولث ، والذى يؤيد اقتراحهم كعلاج ممكن ، نصرا كبيرا لهم(١) .

ولا يزال أمام دول آسيا وافريقية كثير من العقبات التى ينبغى التغلب عليها ، قبل أن تتمكن من ممارسة حقها الشرعى فى الأمم المتحدة ووكالاتها المختلفة ، وتنبع العقبات الرئيسية التى تقف فى طريقها ، من ضعفها الاقتصادى والسياسى ، وعدم خبرتها فى حقل الدبلوماسية الدولية ، ولا تزال تربطها روابط كثيرة بالدول الاستعمارية السابقة ، وهى روابط تفرض عليها نوعا من التعاون ، وتنكر على كثير منها الحرية المطلقة فى العمل ، وتخشى الغالبية العظمى من هذه الدول أن تقع ضحية الملاطفات السوفيتية .

وليست التصرفات السوفيتية بمنأى عن الشك تماما ، فلا يزال هناك دائما عنصر من عناصر الشك حول خطط الشيوعيين السياسية التى تكمن خلف جميع الدوافع السوفيتية لخطب ود شعوب افريقية وآسيا . وليس هذا لأن زعماء افريقية وآسيا الجدد قد ظلوا مناهضين للشيوعية بشكل أساسى فحسب ، وانما يرجع أيضا جزئيا الى أن أيدى الزعماء الجدد فى آسيا وافريقية مملوءة بالمشاكل الداخلية فى بلادهم .

---

(١) ساء الموقف من جديد فى الكونغو بعد مأساة مصرع همرشولد فى حادثة طيران غامض ، ولم يكشف النقاب عنه حتى الآن ، وذلك في روديسيا الشمالية في ١٨ من سبتمبر عام ١٩٦١ وخرج عدد من الدول الغربية ، وخاصة بريطانيا العظمى ، جهارا تقريبا ضد أى عمل قوى من جانب الامم المتحدة لانهاء أسطورة «استقلال» كاتانجا وتعرض جنود الامم المتحدة العاملون فى كاتانجا لاخطار طبيعية جسيمة ، ولكن لم تعد أية دولة أفرو ـ آسيوية ترغب فى تجنب المسئولية فى رؤية نجاح مهمة الامم المتحدة ، وكان من نتيجة الجهود الدبلوماسية، الى حد كبير ، أن منح مجلس الامن فى ٢٥ من نوفمبر أوثانت السكرتير العام بالنيابة ، تفويضا قويا في الكونغو ، وفوض الآن باستخدام القوة اذا دعت الضرورة (وليس كملجأ أخير) ليس فقط للقبض على المرتزقة الاجانب فى كاتانجا ، وانما لانهاء انفصال كاتانجا أيضا . وقد استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو أمام محاولة أمريكية لتوسيع مجال القرار ليشمل الكونغو بأكمله ، ولكنه أضاف أنه ينبغى على الولايات المتحدة أن تمنح مهمة الامم المتحدة في الكونغو تأييدها القوى .

ولذا فانهم يتريثون قبل السماح لأية عوامل خارجية تزيد من حدة التفاوت الاجتماعي والاقتصادى ، وتضاعف من عوامل السخط .

وقد نزعت الحرب الباردة من الأمم المتحدة كثيرا من الفرص للعمل على رخاء الأسرة الانسانية .. فالدول الكبرى تستغل معظم مواردها الهائلة فى سباق التسلح ، بل وأصبحت المعونة الاقتصادية للدول الآخذة فى النمو أداة للصراع من أجل القوة .

وقد عملت بلاد افريقية وآسيا فى الأمم المتحدة لاقناع الدول الكبرى لتحويل جزء كبير من مواردها لمصلحة الأجزاء التى هى أكثر فقرا من الأسرة الانسانية . ولسوء الحظ فان معظم البلاد يفضل أن يعقد اتفاقيات ثنائية للمعونة ، وأفسح المجال للأمم المتحدة كى تؤدى دورا ضئيلا فى المهمة الكبرى الخاصة بتطوير اقتصاد وموارد افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ولم تضع الجمعية العامة للأمم المتحدة برنامجا متواضعا للمعونة الفنية من أجل الدول المتخلفة الا عام ١٩٤٨ ، وكان المبلغ المخصص لا يزيد عن ٢٨٨٫٠٠٠ دولار . وبعد أحد عشر عاما ارتفع هذا المبلغ الى ٤٠٨٫٠٠٠ دولار عام ١٩٥٩ ، وكانت الحكومة الامريكية قد أعلنت فى عام ١٩٤٩ برنامج النقطة الرابعة للمعونة الذى كان عبارة عن اتفاقية ثنائية بين الدول المانحة والدول المتلقية . غير أن الأمم المتحدة استطاعت بحلول عام ١٩٥٠ ، أن تضع برنامجا ضخما للمعونة الفنية تسهم فيه أمريكا بالنصيب الأوفر .

وكان البرنامج ينطوى على بعض العيوب منذ البداية . فان المساهمات كانت اختيارية من جانب الدول الاعضاء . وفى عام ١٩٥٠ بدأت برصيد قدره ١٤ مليون دولار ، وزاد الرصيد فى عام ١٩٥٩ الى ٣١ مليون دولار ، وفى السنوات الأولى قاطع الاتحاد السوفيتى الرصيد ، ولكنه ساهم فى عام ١٩٥٩ بأربعة ملايين روبل ، وتحملت أمريكا نصيبها المقدر بـ ٤٥ ٪ من التكاليف الاجمالية للبرنامج فى عام ١٩٥٨ ، ولكنها خفضت النصيب الى ٤٠ ٪ فى السنة التالية .

أما هيئات الأمم المتحدة الأخرى مثل منظمة العمل الدولية ، ومنظمة التغذية والزراعة ، واليونسكو ، ومنظمة الصحة العالمية فكان لها أرصدتها الخاصة ، ولكن كل منها كان يعانى من أزمات مالية مزمنة وكان المال المتوافر يقل سنة بعد أخرى اذا ما قورن بالمشاكل التى كان يعالجها . ولذا فان برامج الأمم المتحدة فى الدول المتخلفة لم تشتمل على اية مشروعات كبيرة ضخمة ، وقد استخدمت معظم الاموال فى ارسال الخبراء فى الادارة الحكومية ، والصحة العامة ، والتعليم ،

والزراعة ومشروعات مشابهة . والواقع أنه لم يتم الموافقة على أى مشروع تزيد نفقاته عن ٢٥٠٫٠٠٠ دولار (١) .

وترحب الدول الآسيوية ـ الافريقية بمساعدة الأمم المتحدة لأنها لا ترتبط بأى روابط سياسية ، وجميعها مجمعة على المطالبة بتأليف لجنة للتنمية الرأسمالية تابعة للأمم المتحدة ، وذات فاعلية أكثر ، وتكون ذات رصيد كاف .

وفى عام ١٩٥٩ كان أكثر الأمور تشجيعا لها الاقتراح الذى يرمى الى اقامة صندوق خاص للتنمية الاقتصادية تابع للأمم المتحدة ، برأس مال أولى يبلغ ٢٥٠ مليون دولار ، بيد أن حماس الدول المتخلفة المقدمة للمنح لم يكن حماسا منتظما . والى وقتنا هذا فشل الصندوق فى ترك أى أثر على اقتصاد الدول الآخذة فى النمو .

كذلك رحبت الدول الأفرو ـ آسيوية باقتراح خروشوف فى عام ١٩٥٩ ، الذى يقضى بأن تذهب ١٠ ٪ من المدخرات الناتجة عن نزع السلاح الشامل الى الدول المتخلفة ، بيد ان هذا الأمر قد ظل أملا بعيدا . والحقيقة المؤلمة هى أنه فى أثناء دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٥٩ ، كان برنامج المعونة الفنية للعام التالى ١٢ مليون دولار فقط زيادة عن العام الماضى .

ولا تشجع التجربة حتى الآن على الأمل بأن الأمم المتحدة فى المستقبل القريب ، سوف تتحول بجهود الدول المتقدمة الى أداة فعالة للمعونة الاقتصادية للأعضاء التى هى أقل تطورا فى المجموعة العالمية .

وقد باتت المعونة الاقتصادية بالفعل سلاحا قويا تستخدمه الكتلتان فى الحرب الباردة ، ومن المحتمل أن تصبح أكثر قوة اذا خف أثر الحرب الباردة وتحولت الى منافسة اقتصادية بين الشيوعية العالمية والرأسمالية العالمية . وبينما نجد أن المعسكر الشيوعى يشعر بثقة متزايدة ، وهو يحسن استعمال هذا السلاح ، نجد أن ذلك يتعارض كلية مع شكوك الولايات المتحدة ووساوسها الآخذة فى التزايد من فعالية المعونة الاقتصادية للبلاد الآخذة فى النمو .

وكان يتعين على الحكومات الامريكية ، جمهورية كانت أم ديمقراطية أن تقنع الكونجرس واللجان القوية الأخرى بضرورة تقديم المساعدات الاقتصادية الى الدول الآخذة فى النمو ، وذلك لمصلحة أمن أمريكا

---

(١) غير أن المجلس التنفيذى للصندوق الخاص بالتنمية الاقتصادية التابع للامم المتحدة قد وافق فى مايو عام ١٩٦١ على برنامج زراعى يتكلف خمسة ملايين دولار فى كوبا برغم معارضة أمريكا .

نفسها ، وهناك شعور ملموس بالاستياء فى الولايات المتحدة من جراء امتناع الأعضاء القادرين الآخرين فى التحالف الغربى عن الاشتراك ، بالقدر نفسه فى تكاليف بث قوة الحياة فى اقتصاديات افريقية وآسيا الراكدة فان معظم موارد المعونة الاقتصادية التى تقدمها بريطانيا العظمى تقوم مستعمراتها باستهلاكها . أما مايتبقى فيذهب الىمصلحة دول مشروع كولومبو .

وقد أظهرت المانيا الغربية عدم استعدادها للموافقة على دفع نصيب معقول من العبء فقد استطاعت ، حيث انها لا تتحمل اية مسئولية استعمارية ، أن تستخدم انتعاشها الاقتصادى الهائل فى التنافس ، بفاعلية ، مع شركائها فى التحالف الغربى ، وأن تطردهم من الاسواق العالمية . ولم يستثمر الا جزء ضئيل من الموارد الفرنسية فى تنمية العالم الذى يقع خلف المجموعة الفرنسية فى افريقية .

ولذا ، فان العبء قد وقع على كاهل الولايات المتحدة ، وهو عبء يزداد ثقلا مع النمو الهائل لطلب افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية عصب الحضارة ، ومع عجز أمريكا عن انعاش اقتصادها .

ويشحذ هذا الوضع من قوة الدول الشيوعية ، تلك القوة التى لايبدو انها ستتحول عنها حتى لو ذابت ثلوج الحرب الباردة على المدى الطويل والواقع أن مستر خروشوف كان يتطلع الى وقت يستطيع فيه أن يستخدم السلاح الاقتصادى بفاعلية اكثر من أجل أن يكسب حرب التعايش السلمى .

الفصل الرابع عشر

فى مواجهة الحرب الباردة

هل يمكن أن تئول الحرب الباردة الى نصر ؟ .

لقد تم خوض غمارها بعزم لايلين لمدة ستة عشر عاما أو يزيد منذ ان محت الثورة الروسية عام ١٩١٧ النظام الراسمالى من سدس العالم واقامت نظاماجديدا تماما ومنافسا من الوجهة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية . وليس هناك أى دليل على النصر فقط ، وانما ادرك ذوو الفطنة فى جميع انحاء العالم باحساس متزايد بالمسئولية الفردية والجماعية أنه بتعين تطويق هذه الحرب الباردة . وجعلها فى نطاق ما وصفه بدقة مستر كريستيان هيرتر وزير الخارجية الامريكية السابق بأنه « البقاء المشترك » .

لقد أصبحت الحرب الباردة ، على نطاق عالمى . ولم يعد أصغر جزء من الارض محصنا ضد تأثيراتها السياسية والاقتصادية أو امكانياتها العسكرية المتجمعة القادرة على تدمير الحضارة . وان هذا الطابع العالمى للحرب الباردة يجعل الجهود الرامية الى كبح جماحها تلاقى متسعة عاجلة .

وقد آلت هذه المهمة الى البلاد التى تقوم بدور عدم الانحياز . نظرا لأن النظامين المتنافسين لم يتفقا بعد حول مبدأ التعايش . والدور الذى اختارته لنفسها هذه الدول هو أن تساعد الشركاء الكبار فى الحرب الباردة على التوصل الى اتفاق قد يمكن الامم من العيش معا ؛ ومحاولة بناء عالم أفضل ، لابطريقة سلمية (فهذا مستحيل) وانما بدون حرب .

ومما هو جدير بالذكر أن التنافس الدولى قديم قدم الحضارة نفسها . ومنذ قرون والدول تتصارع ومع ذلك فانها عاشت وانتعشت معا . والتاريخ الاوروبى فى اربعمائة أو خمسمائة العام الماضية تاريخ لا ينتهى من الصدام المسلح بين الدول القوية . ومع ذلك بينما كان يتم

خوض غمار هـذه الحروب . ظلت هناك دائما مجموعة كبيرة من المصالح المشتركة لم يرغب احد فى القضاء عليها ، ولم تكن تظهر اية أزمة حقيقية الا حينما تندلع ثورة تهدد بقلب هذه المجموعة المشتركة من المصالح وتهز هذه الازمة الفكر الانسانى فىمناطق تمتد الىمابعد حدود اوروبا . وكانت الثورة الفرنسية هى احدى تلك الاحداث المزلزلة . غير أنها هزت افكار الناس أكثر من هزات بيئاتهم ، فقد كان شعار الحرية والمساواة والاخاء دعوة على نطاق واسع ، ولكن الثورة نفسها كانت ذات نزعة محافظة فى جوهرها ، وقتلت ابناءها فى غمضة عين ، وهى لم تجعل من فرنسا أمة ثورية وانما اخرجت نابليون بونابرت الذى توج نفسه امبراطورا . وبالرغم من انه أحدث تغيرات جوهرية فىالصورة الاوروبية ، فانه سد الطريق أمام أى تحول ثورى . وقد كانت الثورة الامريكية نفسها أكثر تحفظا . فالثورة الفرنسية قد أثرت ، على الاقل ، على عقول البشر فى جميع انحاء العالم .

أما تأثير الثورة الامريكية فلم يتجاوز نطاق نصف الكرة الغربى .

وفى نطاق المجموعة الاوروبية التى كانت حتى القرن التاسع عشر تمثل المجتمع العالمى ، كانت الامبراطورية الروسية القيصرية الواسعة عبارة عن « لغز يحوطه الغموض » اذا ما استخدمنا تعبير تشرشل منها . غير أن اكثر القياصرة تقدما حاولوا صبغ روسيا بالصبغة الاوروبية ، وكانت القيم التى يقدرونها ، حقا قيما أوروبية كما كانت الامبراطورية العثمانية الشرقية ظاهرة شاذة عن نظام الاوضاع فى اوروبا ، ولكن كانت لها قيمتها الخاصة ، فقد كانت تقف فى طريق مطامع روسيا فى البحر الابيض المتوسط .

وكانت ثورة اكتوبر فى روسيا انسلاخا عن الماضى . فقد خلقت لأول مرة ، مجتمعا جديدا وحضارة جديدة يستهويان العالم برمته وكانت تتحدى جميع ما كان المجتمع الأوروبى يرعاه من قيم على مر القرون . ومن ثم أخذ العالم الغربى ، الذى لم يعرف روسيا اطلاقا عن كثب ، يواجه شبحا جديدا يهدد تفوق النظام القديم والقائم . وكان العداء المجدب الذى ابدته اوروبا ، وأمريكا تجاه الدولة السوفيتية الوليدة ، شيئا جديدا كلية فى تاريخ العلاقات الدولية ، كما كان الترحيب الذى لاقته الدولة الروسية الحديثة من شعوب العالم المستبعدة ظاهرة جديدة تماما ، ففى عام ١٩١٧ نشأت الخطوط العريضة للصراع العنيف بين الدول ، وهو الصراع الذى تطور بعد ذلك بحوالى عشرين عاما اذ أصبح النظام الشيوعى يتحدى النظام الرأسمالى ، وبين الاثنين جزء كبير من الارض يسعى ــ وقد تحرر حديثا من السيطرة الأجنبية ــ الى فرض

نفسه كقوة تفصل بين الكتلتين المتنافستين ، وجمعهما معا فى جهد مشترك ، اجبارى ، كى تتعايشا .

وأصبح بعض المفكرين الكبار فى الغرب يتقبلون ، تقريبا ، هذه الصورة التاريخية للحرب الباردة بفضل الكتابات المتقنة التى اعدها مستر جورج كينان وآخرون . وقد أوضح مستر كينان فى كتابه الذى نشر حديثا « روسيا والغرب فى ظل لينين وستالين » كيف أن الحرب الباردة أمر أقدم وأعمق مما يتصور معظم الناس ، وانها عملية مستمرة نسبيا ، سيتعين على الانسانية أن تعيش معها ، كما كانت تعيش ، لمدة طويلة للغاية أن لم يكن الى الابد — اللهم الا اذا قررت أن تقضى على نفسها بعمل مشترك من العمليات الانتحارية . ويذهب مستر كينان فى قضيته الى أن يؤكد أن الحرب الباردة لا يمكن كسبها عن طريق هجوم عنيف مفاجىء أو حتى بسلسلة أطول من الاجراءات العدوانية . انها لا يمكن أن تؤدى الى نصر ، على الاطلاق ، وكما قال هو :

« ومن ثم فان هذه الصورة التى أرجو أن اكون قد عرضتها ، صورة حياة دولية ليس فيها أى أمر نهائى ، من الناحية الزمنية ، أو أى شىء ليس عرضة لقانون التغير ، وانما ليس فيها شىء مطلق فى ذاته ، وهى حياة ليس فيها أية صداقة لا يشوبها عداء ، أو اية عداوة لا تخالطها مصالح أساسية مشتركة ، وليس فيها أى تدخل خيرى لاينطوى على ايلام فى الوقت نفسه أو اى عمل من أعمال الاحتجاج ، أو أى شر ظاهرى لاينطوى — كما قال شكسبير — على « بعض الروح الطيبة » (1)

---

(1) وقد أوضح مستر كينان أنه بالرغم من أن النظام السوفيتى قد ولد بهدف واضح هو تحطيم النظام الرأسمالى الغربى واقامة نظام اشتراكى جديد ومن ثم خلق «حالة حرب» في العلاقات الدولية ، وهو الامر الذى كان يبرر التدخل ، فالواقع أن هذا الوضع لم يكن بمثابة « مفهوم كلاسيكى لحالة الحرب » .

ولم يؤمن الاتحاد السوفيتى على الاطلاق بسياسة الدعوة الى الثورة عن طريق حرب صريحة . فان العقيدة الماركسية اللينينية لا تنص على انه يمكن تحقيق هذه الاهداف عن طريق نزاع عسكرى واحد كبير بين عالم الشيوعية وعالم الراسمالية ، والحكومة السوفيتية لم تعتبر على الاطلاق العمل من جانب قواتها ، الطريق الرئيسى لنشر الثورة العالمية : فقد كان الحكام الشيوعيون يسعون الى تدمير الراسمالية بوسائل أكثر دهاء . ولذلك فانه من العبث على الغرب أن يواجه الاتحاد السوفيتى بالوضع العسكرى فقط ، فالواقع .. كما قال مستر كينان : ان أية سياسة عسكرية تماما ، تعتمد على فكرة حالة الحرب مآلها الفشل لا محالة فى عصر الذرة . ومن السخف الاعتقاد بأن « قواعد الحرب الشاملة قد تكون وسائل مناسبة لحماية المجتمع الغربى من شكل التحدى الذى تواجهه به الشيوعية الروسية » .

ويشير مستر كينان الى التغيرات الكبيرة التى طرأت على الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٣ ، والتى جعلت منه قوة مسئولة وهو يرى أن الاتجاه العام وخاصة فى السنوات القليلة الماضية ، يتجه نحو اعادة الامور الى وضعها الطبيعى — نحو الاشتغال بالشئون=

ويجدر بنا ان نتذكر أنه بالرغم من الاهداف الشيوعية التى ترمى الى القضاء على النظام الرأسمالى قضاء مبرما . واعلان انتصار مجتمع جديد ، فان الثورة السوفيتية قد بدأت سلمية نسبيا . ولم تصبح الثورة السوفيتية عنيفة وباهظة الثمن الا بعد تدخل الحلفاء العسكريين ، وان حلفاء روسيا ، ابان الحرب ، هم الذين ضاعفوا من حدة الازمة فى ربوع روسيا السوفيتية العريضة . منتحلين فى ذلك شتى المعاذير . ومهما كانت التفسيرات الظاهرية المقدمة لتبرير التدخل ، فان الغرض الحقيقى كان القضاء على النظام السوفيتى وهو مازال فى المهد ، غير أن هذا الغرض قد فشل : فبعد فشل حملات التدخل الخمس فى ازاحة الحكومة الثورية ، كان الاتحاد السوفيتى مرهقا ماديا ، ويشعر بالمرارة من الناحية الذهنية ، غير انه خرج ايضا من المحنة بثقة كبيرة فى حيويته . وفشل التدخل فى تصفية كابوس الشيوعية .

ذلك أنه حفر هذا الكابوس فى ذهن الغرب وتبع ذلك حملة شريرة

= الداخلية والدفاعية في الدولة السوفيتية ، بعيدا عن أحلامها الثورية العالمية التى ظهرت في أعقاب الثورة مباشرة .

ولم يكن هناك تغييرات عميقة دائما ، فى النظام السوفيتى فحسب ، وانما أصبح لدى الاتحاد السوفيتى الآن مجموعة من الدول الصديقة في أوروبا الشرقية التى لاتستطيع أن تعالج مصالحها ، بطريقة بطولية ، كما يخيل لكثير من الناس فى أمريكا ، كما أصبح له حليف في الصين « التى أصبحت علاقتها معها تمثل علاقة حليف من ناحية ، وعلاقة منافس من ناحية أخرى » ويشعر الاتحاد السوفيتى بمسئولية المحافظة على زعامتــه فى عالم معقد .

ويود مستر كينان أن تصبح الولايات المتحدة دولة ناضجة ، ويتعين عليها أن تتخلص من عادة أن تكون متخلفة عشر سنوات عن زمنها ، واذا كانت الولايات قد عجزت ، خلال الثلاثينات ، عن أن تستجمع قوى كافية من أجل محاربة عدوين هما المانيا وروســـيا ، واذا كانت قد اضطرت الى ان تتقبل الاتحاد السوفيتى من أجل محاربة ألمانيا النازية ، فانها لا تستطيع أن تحارب القوى المتمثلة فى روسيا والصين ، فى وقت واحد ، أو أن تنجح في سبيل هذا الهدف ، في فصل الدولتين على ضوء الوضع العالمى الراهن . ولذلك فان الشىء المنطقى الوحيد الذى تستطيع أن تفعله أمريكا هو وضع فلسفة جديدة للعيش مع الشيوعية العالمية وليس ضدها . وهو ينادى بايجاد نظرة أمريكية تتقبــل التزامات النضج ، وتوافق على العمل فى عالم ملىء بالقيم النسبية وغير المستقرة . فاذا كان علينــا أن نعتبر أنفسنا دولة ناضجة ، وسيعتبر من الآن فصاعدا ، أى شيء آخر في غاية الخطورة ، فحينئذ علينا ، كما تقول عبارة الانجيل « أن نطرح الاشياء الصبيانية جانبا » وأول أمور الطفولة التى يجب التخلص منها ، فى رأيى ، هى أننا نعتبر أنفسنا مثلا أعلى يحتذى به فى الشئون العالمية ، وذلك من أجل الامن المطلق والصداقة المطلقة ، والانسجام المطلق .

وأخيرا يقول مستر كينان وربما لا يكون العالم الذى قام بتشكيله الانسان فى أيامنا هذه ، أفضل العوالم التى يمكن تصورها « غير أنه عالم محتمل ، عالم يستحق أن تعيش فيه ، وأعتقد أن غايتنا المثلى اليوم يجب أن تتركز فى حمايته من الدمار المادى فى زمن توصل فيه البشر ، لاول مرة الى الوسائل الفنية الكفيلة بتدميره » .

من انصاف الحقائق والتحريفات عمت البلاد الغربية . وقد قام مستر وولتر ليبمان ومستر تشارلس ميرز فى عام ١٩٢٠ بتحليل طابع الانباء التى كانت تنشر عن الاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة ، ولم يكن هذا التحليل على الاطلاق فى مصلحة صحافة تدعى نزاهتها وتجردها .
أما عن بريطانيا فقد أصاب مستر ج.ب بريسلى كبد الحقيقة حين قال : ان اذهان محافظى بريطانيا قد اغلقت دون ادراك عظمة الثورة الروسية ، ولم تتفتح هذه الاذهان بعد ذلك .

وقد ظل الاتحاد السوفيتى ، لسنين عدة ، معزولا عن المجتمع الدولى وعمت الولايات المتحدة وبريطانيا هستيريا معاداة « الحمر » ورفض الرئيس كوليدج باصرار الاعتراف بالدولة الجديدة ما لم تتخلص من برنامجها الثورى. وأدت الهستيريا الامريكية الى حملة اعتقالات واغارات على نطاق واسع ، ووصلت ذروتها فى الحادثة التى تدعو الى السخرية حينما طرد المجلس التشريعى لنيويورك فى ٧ من يناير عام ١٩٢٠ خمسة اعضاء اشتراكيين كانوا جميعا منتخبين عن مدينة نيويورك .

وفى بريطانيا اعترفت حكومة العمال الأولى بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٤ ولكن سرعان ماسحب هذا الاعتراف حينما عاد المحافظون الى الحكم ، وكان على الولايات المتحدة أن تعترف بالاتحاد السوفيتى فى ظروف مختلفة تماما حينما أصابها الكساد العالمى بطريقة مفجعة وأتى بفرانكلين ديلانو روزفلت الى مقعد الحكم .

وكانت البداية التى افتتح بها روزفلت فى اكتوبر عام ١٩٣٣ علاقة فعالة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، بداية هامة من الناحية التاريخية حيث أن جهوده الثانية بعد ذلك بحوالى عشر سنوات ، هى التى أدت الى اقامة سلام متين فيما بعد الحرب على الأساس الاكيد للتعاون الفعال القائم بين الدولتين . وقد قال روزفلت فى خطابه الذى أرسله الى الرئيس السوفيتى كالينين . المؤرخ فى ١٠ من أكتوبر عام ١٩٣٣ .

« ان من دواعى الأسف الشديد أن هذين الشعبين العظيمين (شعب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) اللذين ظلت تربط بينهما تقاليد سليمة من الصداقة لما يزيد على قرن من الزمان لمصلحتهما المشتركة ، يفتقران اليوم الى وسيلة عملية للاتصال المباشر بعضهما ببعض وان الصعوبات التى خلقت هذا الموقف الشاذ لجد خطيرة ولكنها فى رأيى قابلة للحل ، فان من الممكن ازالة الصعوبات القائمة بين الدول الكبرى عن طريق المحادثات الودية والصريحة فقط » ودعا الحكومة السوفيتية الى اجراء مفاوضات من أجل اقامة علاقات دبلوماسية .

اما رد مستر كالينين ، الذى جاء فى خلال اسبوع ، فكان معبرا عن الرغبة الشديدة فى التفاهم :

« لقد كنت دائما اتدارس هذا الموقف الشاذ الذى يدعو الى الاسى ، وهو الموقف الذى افتقرت فيه جمهوريتان كبيرتان الى سبل الاتصال المتعارف عليها خلال السنوات الست عشرة الماضية ، واننى اشعر بالغبطة انكم توصلتم أيضا الى النتيجة نفسها ، ولا شك فى أن الصعوبات ، الحالية أو التى ستثار ، بين الدولتين يمكن حلها فقط حينما تقوم بينهما علاقات مباشرة ، وانه ليس هناك من فرصة من ناحية أخرى ، لحلها دون وجود مثل هذه العلاقات . وسأستغل هذه الفرصة الى مدى أبعد ، لأعبر عن رأيى فى أن الموقف الشاذ له تأثير غير مستحب ليس فقط على الدولتين المعنيتين وانما على الموقف الدولى العام ، ويزيد من عناصر القلق ، ويعقد من عملية تدعيم السلام العالمى ، ويشجع القوى التى تميل الى تعكير السلام » (1)

وبعد ثمانية وعشرين عاما من تبادل الرسائل هذه ، ظلت النقاط الاساسية المتضمنة فى الرسالتين صحيحة كما كانت فى ذلك الوقت .

وهناك روابط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى روابط قانونية وروابط ليست على هذه الدرجة من القانونية . غير أن الافتقار الى التفاهم والثقة المتبادلة لا يهدد فقط شعبيهما وانما الجنس البشرى بأكمله .

وكانت الحرب العالمية الثانية هى التى جمعت بين الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الغربية وهو مالم يكن فى حسبان كثير من الناس الذين لهم كلمتهم . وقد كان تحالف زمن الحرب الذى تم تشكيله فجأة ينطوى على نقاط ضعف كثيرة ، وكانت أكبر هذه النقاط ، الكراهية المكشوفة التى يكنها كثير من الناس للنظام السوفيتى . وحتى حين كان الاتحاد السوفيتى يتحمل العبء الاكبر من هجوم جيش هتلر ، كان هناك اناس فى الولايات المتحدة ، اناس مرموقون لا يستسيغون احتمال هزيمة هتلر على يد الروس . فقد كانوا ضحية حقب عدة من الدعاية والتحيز ضد السوفيت ، غير أن بعضهم كان يعلم أن عليهم أن يخشوا جانب الاتحاد السوفيتى المنتصر اكثر من المانيا المنتصرة . وقد عبر السناتور روبرت . ا . تافت عن شعور عناصر قوية كثيرة فى بلاده حين اعلن فى أثناء الحرب أن « انتصار الشيوعية سيكون أكثر خطرا على الولايات المتحدة . من انتصار الفاشية » وقد اوجز مستر جوزيف . ا . ديفز السفير الامريكى السابق لدى الاتحاد السوفيتى هذه العبارة كثيرا حين

---

(1) « ونحن في طريقنا » بقلم فرانكلين روزفلت ــ لندن . ص ١٣٦ ــ ١٣٨ .

قال « هناك طوائف كبيرة من الشعب تمقت السوفيت الى درجة انهم يودون انتصار هتلر على روسيا » .

وكان معظم الناس فى أمريكا وغربى أوروبا مقتنعين بأن قوات هتلر سوف تقضى على روسيا فى خلال ثلاثة أو ستة أسابيع على الأكثر ولذلك أخذت الانتصارات السوفيتية الغرب على غرة تماما . فقد كانت النتائج لاتطابق ما ظل يلقى للشعوب الغربية على مر السنين ، عن حقيقة الاتحاد السوفييتى والنظام السوفييتى ، وقد رأى الزعماء الغربيون ذوو النظرة البعيدة ، فى انتصارات الاتحاد السوفيتى الظلال المرعبة لما سيأتى من أمور . وقد كتب فيلد مارشال سمتس خطابين الى ونستون تشرشل فى خريف عام ١٩٤٣ ، مليئين بالنذر الكئيبة لمستقبل النصر السوفيتى على القوات الالمانية وقال :

« ان جهودنا النسبية ، فى البر غير ذى بال ، وسرعتها غير كافية » وأخذ الناس فى كل مكان يعتقدون أن ــ روسيا هى التى تكسب الحرب ــ وبعد ذلك برز السؤال المؤلم :

اذا استمر هذا الانطباع فماذا سيكون مركزنا بعد الحرب اذا قورن بمركز روسيا ؟ .واستمر فى «نبوءته» المشئومة قائلا ؟ قد يتبع (انتصار روسيا على المانيا) تغيير « هائل فى وضعنا العالمى ويترك روسيا سيدة العالم من الناحية الدبلوماسية » .

وقد اصر ستالين ، خلال العامين الاولين للتحالف الكبير ضد هتلر ، على وضع تسوية سياسية سرية بين شركاء النصر الكبار هذا النصر الذى لم يكن يشك فيه منذ البداية وكان يؤيد التوصل الى اتفاق سرى. يتم تأكيده فيما بعد ، فى مؤتمر للصلح يترك التحالف قائما دون مساس حين تنتهى الضرورة التى تقضى بالاتحاد وبهزيمة العدو المشترك .

ان روزفلت عارض بشدة أية اتفاقيات سرية حينما تذكر المصير الذى آل اليه وودرو ولسون . ولكنه بذل جهودا مستمرة لايجاد تعاون قوى مع الاتحاد السوفيتى . وقد وجد لدى مارشال ستالين استجابة اسرته واصابته بالدهشة

وفى المؤتمرات الكثيرة التى عقدت بين الزعماء الثلاثة كان تشرشل هو الذى يجادل فى معظم الاحيان مع ستالين ، الذى وجد بدوره أن من السهل نسبيا الموافقة على معظم مقترحات روزفلت . وقد قال روزفلت لادجار سنو فى ٣ من مارس عام ١٩٣٤ أن هناك كثيرا من نقاط الخلاف بين ستالين وتشرشل ولكنه « يوافق على كل اقتراح كنت اقدمه »

والواقع أن روزفلت كان عاكفا على وضع خطة كبيرة لازالة خوف

روسيا المزمن من التطويق والعزلة اللذين تفرضهما اوروبا . وحينما مات كان هناك حزن ووجوم واضحان فى الاتحاد السوفيتى . وأثنى مجلس السوفيت الاعلى ثناء حارا على روزفلت ، وبذلك خالف كل عرف سابق . وانتهى البيان الذى أصدره في الرابع والعشرين من ابريل عام ١٩٤٥ بالعبارة التالية : « فلنكن على يقين من أن الصداقة القائمة بين شعبينا ستظل صامدة » .

بيد أن وفاة روزفلت دمرت كل ما وضعه من أساس للتعاون الامريكى ــ السوفيتى فيما بعد الحرب . والواقع انه حينما نشبت الحرب الباردة بكل عنفوانها فى السنوات التى تلت الحرب ، انتشرت اسطورة فى الولايات المتحدة تقول بان روزفلت المحتضر المخرف ، هو الذى نزل عن أوروبا الشرقية لستالين فى مؤتمر يالتا .

وقد حدث أول انشقاق كبير بسبب القنبلة الذرية حيث كان الامريكيون قد صنعوا القنبلة الذرية ، وقرروا القاءها على اليابان فى المراحل الاخيرة من الحرب فى منطقة الباسفيكى ، وان لم يكن القاء هذه القنبلة ضروريا من أجل النتائج العسكرية النهائية . وقد احتفظوا بهذه المعلومات دون علم الاتحاد السوفيتى . وكان هذا أول تسرب للسياسة النووية الى تحالف زمن الحرب . وقد ظل الروس لايكترثون بالامر لعدة سنوات ، وذهب المعلقون الى الحد الذى قالوا فيه أن ستالين لايعلق أية أهمية على القنبلة الذرية . ولكن الواقع أن ستالين كان يوليها كثيراً من الاهتمام . فقد كان يدرك تمام الادراك كيف أن هذا السلاح المدمر المكتشف حديثا قد قوى شكيمة الولايات المتحدة فى حقل الحرب الباردة .

واخترقت الحرب الباردة الأسوار ، وذلك فى مؤتمر دومبارتون اوكس الخاص بمنظمة الامم المتحدة . فقد شعر الروس بالاذلال الشديد حينما تمت الموافقة على الارجنتين كعضو مؤسس ، برغم اعتراضاتهم . وقد أدت الارجنتين الدور القيادى فى ابعاد الاتحاد السوفيتى عن عصبة الامم . وتحولت الى ماوصفه مستر كروديل هول بأنه « معقل ومقر الحركة الفاشية فى نصف الكرة الغربى » .

وفى عام ١٩٤٥ و ١٩٤٦ استغلت الولايات المتحدة الدبلوماسية الذرية فى تخويف الاتحاد السوفيتى فى الوقت الذى اكتسحت فيه الولايات المتحدة موجة أخرى من الهستيريا المعادية للسوفيت . وفى مؤتمر موسكو فى ديسمبر عام ١٩٤٥ ، لم يحصل بيرنز على أى تأييد من الزعماء السياسيين فى الداخل ، من أجل بحث أية خطة للاشراف الدولى على الطاقة الذرية مع السوفيت . ويبدو انه كان يتوقع أن

يثير الروس المسألة لكن الروس ظلوا على تجاهلهم المتعمـد ، بل ان الاتفاقيات السياسية المحدودة التى تم التوصل اليها فى مؤتمر موسكو سببت كثيرا من المعارضـة فى الولايات المتحدة ، ووصمت بأنهـا تهدئة لروسيا وقد شكا بيرنز نفسه ، بمرارة ، من ان النقـد قدجاء « من اناس معادين للسوفيت بطريقة غير معقولة ، حتى انهم ينظرون الى اى اتفاق حول أى موضوع باعتباره حركة تهـدئة » بل أن الرئيس ترومان لم يستسغ اتفاقيات موسكو . وقال للشـعب الامريكى جهارا « لقـد تعبت من تدليل السوفيت » .

وليس صحيحا أن الاتحـاد السوفيتى لم يكترث مطلقا بالقنبـلة الذرية ، فقد الح مستر مولوتوف ، فى خطبـة له فى الذكرى الثامنـة والعشرين لثورة اكتوبر ، الى جهود السوفيت لصـنعها ، واسـتخدام الطاقة الذرية فى التقـدم الاقتصادى . وقال : « انه من المستحيل ،فى الوقت الحالى أن يظل أى سر فنى كبير ، ملكا خالصا لبلد واحـد او دائرة ضيقة من الدول . وحيث أن الامر كذلك ، فان اكتشاف الطـاقة الذرية لاينبغى أن يشجع الرغبة على استغلال هذا الاكتشاف فى لعبـة القوى على مسرح السياسة الدولية ، أو يشجع اتجاها مفـرقا فى التفاؤل فيما يتعلق بمستقبل الدول المحبة للسلام ، اننا سنحصـل على الطاقة الذرية واشياء اخرى كثيرة » .

وقد وصف البروفسور د . ف . فليمنج ، الكاتب الامريكى المرموق فى حقل العلاقات الدولية ، هذه المرحلة فى العلاقات الروسية الامريكيـة بانها بداية الحرب الباردة . وقال : انالغرب برفضه اقتسـام اسرار القنبلة الذرية مع الاتحاد السوفيتى قد « دعا الروس الى الذهاب للمدرسة الذرية واثبات جدارتهم » .

ويعتقد بروفسور فليمنج أن الحرب الباردة قد نشبت رسميا يوم ١٥ من نوفمبر عام ١٩٤٥ حينما أصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا التصريح الثلاثى برفض تقديم أى أسرار عن القنبلة الى الاتحاد السوفيتى وبتأكيد قرارهم الذى يقول بأن افشاء معلومات مفصلة تتعلق بالتطبيـق العملى للطاقة الذرية فى المجال الصناعى (والعسكرى) لن يسهم فى ايجاد ضمانات فعالة ونافذة من الجانب الاخر . ويرى البروفسور فليمنج ان التصريح « يشـير الى البـداية الرسمية للصراع العالمى بين الغـرب والشرق » (١)

وحينما اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى لندن فى ينـاير

---

(١) «الحرب الباردة وأصولها» المجلد الاول بقلم د.ف. فليمنج ــ لندن عام١٩٦١

عام ١٩٤٦ لم تكن الحرب الباردة قد قامت وأخذت شكلها الذرى فحسب، بل كانت الدول الاستعمارية قد انطلقت لتستعيد ممتلكاتها التى كانت تملكها قبل الحرب فى البحر المتوسط والشرق الاوسط وجنوب شرقى آسيا ، وكان الاتحاد السوفيتى غارقا حتى اذنيه فى شئون ايران . وكان البريطانيون يخوضون غمار الحرب الاهلية فى اليونان الى جانب الحكومة الملكية ، وكانوا يساعدون الهولنديين فى اندونيسيا ، وتدخل الفرنسيون فى سورية ولبنان ، على حين كانت الدول الغربية فى ايران تسعى بمساعدة الحكومة الايرانية الى ضمان انسحاب القوات السوفيتية على وجه السرعة نظرا للتطورات المقلقة فى اذربيجان .

غير أن الامم المتحدة قد نجحت عام ١٩٤٦ (على عكس ماحدث فى السنوات التالية) فى حل هذه الازمات . فانسحب الاتحاد السوفيتى من ايران بعد أن أدرك ، بعد أسابيع من المعارضة ، ان احتفاظه بقوات فى الاراضى الايرانية ضد مشيئة الحكومة الايرانية ، سوف يفضحه أمام الدول الاسيوية ، واستخدم الاتحاد السوفيتى ، لأول مرة ، حق الفيتو فى مجلس الامن ليمنع الموافقة على قرار أمريكى يتعلق بأزمة الشرق الادنى ، وذلك كمحاولة منه لاثبات عواطفه المناهضة للاستعمار ، وكان هذا القرار يعبر فقط عن رغبة مجلس الامن فى انسحاب القوات المتحالفة من سورية ولبنان فى أقصر وقت ممكن دون الاشارة الى أى وقت محدد .

وهكذا طبق الاتحاد السوفيتى أول فيتو له فى مسألة لاتختص به مباشرة . غير أنه وضح الطريق الذى كانت ترسمه السياسات الروسية فيما يتعلق بالاقاليم المستعمرة وشبه المستعمرة فى العالم . وكانت الاصوات ضد الاتحاد السوفيتى فى جميع القضايا التى نظرت فيها الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٦ .

ووسط هذا الموقف الحرج ــ والجمعية العامة للامم المتحدة مازالت منعقدة ــ قام تشرشل برحلة الى الولايات المتحدة ليلقى خطبته الشهيرة فى فولتون بولاية ميسورى . وجازف بروفسور فليمنج بالاعتقاد بأنه لو كان روزفلت حيا ، ماستطاع الزعيم البريطانى الذهاب الى أمريكا على الاطلاق كى يعلن بداية الحرب الباردة وطبيعتها . وعلى حد قول بروفسور فليمنج كانت الخطبة ظاهرة للعيان . والواقع أنها أوضحت تماما أصل الحرب الباردة وطبيعتها . وعلى حد قول بروفسور فليمنج كانت الخطبة أول وثيقة سوف توضح أصول الحرب العالمية الثالثة اذا قدر لها القيام ، « فقد كانت خطبته (أى خطبة تشرشل) أول صورة مفصلة عن روسيا الحمراء التى تنطلق من أجل غزو العالم . وقد هيأت هذه الخطبة ، التى يساندها بعد صوته بسبب أمجاده الحربية ، وسحر

شخصيته العظيمة — هيأت الملايين الفقيرة من جيله لغرض « نطاق صحى » ضخم جديد حول روسيا ، وللقيام بحرب مقدسة عالمية لسحق الشيوعية العالمية باسم الديمقراطية الانجلو — سكسونية . وأصبحت صيحة المعركة التى أعلنها تشرشل ، حرفيا ، انجيلا لكل تاجر حرب فى العالم ، فقد قالت كل ماكانوا يريدون قوله . وكان من الممكن استخدامها الى مالانهاية ، وبطريقة فعالة يساندها فى ذلك اسم تشرشل الكبير »(١)

وقد كانت الولايات المتحدة تحتكر ، فى ذلك الوقت ، القنبلة الذرية لنفسها . وقد استغلت هذه الميزة تماما فى شن الحرب الباردة فى اواخر الأربعينات . وقد فتحت الولايات المتحدة الطريق واقتفى الاتحاد السوفيتى أثرها ، بأمانة ، بمجرد أن استطاع أن يحرز نصرا فى انتاج الصواريخ النووية . ولقد ذكرنا من قبل فقرات من خطبة مولوتوف فى الذكرى الثامنة والعشرين لثورة اكتوبر ، التى استنكر فيها استغلال اكتشاف الطاقة الذرية فى اغراض الحرب الباردة . وقد كان من مصلحة الدول التى هى أقل قوة طول الفترة النووية من الحرب الباردة ، استغلال هذا النوع من الكلام الاجوف الذى تعبر به عن ولائها .

ولبس الروس مسوح الرهبان فى كلامهم الى أن لحقوا بالامريكيين فى ميدان الاسلحة النووية . وبمجرد أن أحرز الروس نصرا ، انتقلت التعبيرات نفسها الى أمريكا .

ووقعت الولايات المتحدة من جديد فى أواخر الاربعينات ، فى قبضة هستيريا معاداة السوفيت ومناهضة الشيوعية . وانضم السياسيون ، ورجال الصحافة ، وخبراء الرأى العام ، والقادة العسكريون فى جوقة تردد التهديدات الذرية ضد روسيا . وأصبحت بعض الاساليب مثل « هجوم ذرى خاطف » على الاتحاد السوفيتى تستخدم بحرية كبيرة . وبعد حصار برلين ، ناقش القادة العسكريون بصراحة احتمال شن « حرب ذرية وقائية » .

وقد لخص ميجور جورج فيلدنج اليوت ، المحرر العسكرى لجريدة النيويورك هيرالد تريبيون خلال الحرب ، الشعور السائد حينما أعلن فى كتابه « اذا ضربت روسيا » : « اننا لايمكن أن نسمح للحكومة السوفيتية الحالية بامتلاك القنبلة الذرية بالاضافة الى وسائل القاء هذه القنبلة فى أمريكا الشمالية » . وكانت هذه هى رغبة الشعب الامريكى بأكمله .

وقد تحطم الاحتكار الذرى الذى كانت تتمتع به الولايات المتحدة

---

(١) د.ف. فلمينج ، المصدر نفسه ٣٥٠.

فى اغسطس عام ١٩٤٩ حينما أصبحت القنبلة الذرية فى حوزة الاتحاد السوفيتى . وفى الوقت نفسه وجدت الولايات المتحدة نفسها فى قلب حملة مجموعة ضد الشيوعيين واكتشف بعض الشيوعيين فى مؤسسات الطاقة الذرية ، وادى هذا الى وضع برنامج صارم لفرض ستار من السرية والحظر على العلماء على جميع المستويات .

وبحلول الخمسينات ظهر شبح المكارثية . وتعرض المثقفون لتهمة اعتناق أفكار هدامة ، غير أن حملة الارهاب التى أعقبت ذلك خلقت جوا من الخمود والركود فى الجامعات والمعامل ، بل وفى الحكومة ، وكانت وزارة الدفاع هى التى تحـــكم • وكان مكتب التحقيقات الفيدرالى هو صاحب الكلمة الأخيرة فى كثير من الأمور • وكان مذهب الأحرار المنهـار الذى يعتنقه الحزب الديمقراطى يلفظ أنفـاسه الاخـيرة . وسـيطر الجمهوريون على الكونجرس . واصدر الرئيس ترومان أوامره بصـنع القنبلة الهيدروجينية ، وكان ذلك تحت الضغط العسكرى ، وضـد نصيحة لجنة الطاقة الذرية . وابتدأ دين اتشيسون وزير الخـارجية فى الحديث عن اقامة مراكز قوة ، وعن عدم اجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى بدافع من الضعف (١) •

---

(١) لم تبذل أى جهود منظمة وجادة في الولايات المتحدة لتفهم الدولة السـوفيتية . فقد تضامن السياسيون ، والصحفيون والذين يشكلون الراى العام ، في رسم صـورة غير حقيقية ومضللة للاتحاد السوفيتى . اما في الاتحاد السوفيتى فقد كانت تجرى دراسة أكاديمية كبيرة حول أمريكا ، وكان الرجل الروسي يحمل شيئا من اللين تجاه أمريـكا . غير أن الحكام الروس قد تعودوا النظر الى امريكا من خلال منظار النظرية الماركسـية ، ولم يشرع الامريكيون في تبديل وجهة نظرهم عن روسيا الا بعد ظهور الاقمار الصـناعية والصواريخ العابرة للقارات . ومع ذلك فان مستر ريتشارد نيكسون رفض الاعتقاد بأن السوفيت قد ارسلوا صاروخا الى القمر ، ويقول مستر كينان : ان كثيرا من الامريكيين لايزالون يؤمنون أن ستالين لم يمت ، غير أن بعض الجهود الجادة قد بدأت ، بالفعل في أمريكا للتعرف على الاتحاد السوفيتى بطريقة أفضل . وقد ظهر البرنامج المعد لموافقـة المؤتمر الثانى والعشرين ، في صدر صفحات عدة من الجرائد اليومية الامريكية البارزة ، ونشرت جريدة « النيويورك تايمز » النص بأكمله . وأجرى كثير من الصحفيين الامريكيين الكبار مقابلات مطولة مع خروشوف ، ونشرت نتائج هذه المقابلات في جميع انحاء الولايات المتحدة . وكانت أهم هذه المقابلات ، مقابلة وولتر ليبمان التى اسـتعمل فيهـا الزعيم السوفيتى التعبير المتداول « ليس هناك رجل محايد » ، والمقابلة التى أجراها خروشوف مع مراسل صحيفة « النيويورك تايمز » حينمـا كانت أزمة برلين في ذروتهـا ، والتى استغرقت أربع ساعات ، وكانت المقابلات في عام ١٩٦١ ، واصبحت بعض المؤلفات الامريكية الحديثة عن الاتحاد السوفيتى والصين تتسم بطابع الصدق بشكل بارز .

وهكذا بدأت عملية التفاهم الفكرى وانه لمن الدلائل الطيبة ان المثقفين الامريكيين ومؤسسات البحث تقوم بدور ذى مغزى في هذه الجهود التى كانوا في حاجة ماسة اليهـا والتى جاءت في وقتها .

وقد حصل الاتحاد السوفيتى على القنبلة الهيدروجينية فى الوقت نفسه تقريبا مع الولايات المتحدة .

وقد ضاعف حصار برلين عام ١٩٤٨ من حدة الحرب الباردة فى أوروبا .

ولكنه أثبت أنه بالرغم من احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية فان الوضع الراهن فى أوروبا فيما بعد الحرب ، لايمكن قلبه دون حرب أخرى . غير أن التقديرات التى دفعت ستالين الى التعجيل بأزمة برلين مازالت غير معروفة ، فربما كان يريد أن يبين للدول الغربية أنه لم يكن خائفا من احتكارهم الذرى . بيد أنه كان يتعين عليه أن يكف عن هذا الامر . وفشل الحصار ولم تتجرأ الحكومة السوفيتية على التدخل فى الممر الجوى للحلفاء . وانتهت الاربعينات بحالة ركود فى أوروبا . غير أن انفجارا أساسيا لم يسبق له مثيل حدث فى آسيا ، فى منتصف القرن، وأدخل الحرب الباردة الى آسيا . وظلت قائمة فى قارتنا منذ ذلك الوقت .

ففى عام ١٩٤٩ تحولت الصين الى الشيوعية . وانضمت اكبر دولة آسيوية ، يقطنها ربع سكان العالم ، الى المعسكر الشيوعى بزعامة الاتحاد السوفيتى . وكان ذلك بالنسبة لروسيا كسبا أكبر بكثير من القنبلة الهيدروجينية .

وبعد ذلك بعام اندلعت نيران الحرب الكورية . وحينما كانت هذه الحرب فى ذروتها ، أراد جنرال ماك أرثر استخدام القنابل الذرية لوضع نهاية مدمرة للحرب الكورية . وحينما فشل فى اقناع الحكومة بالموافقة على اقتراحه ، نقل المسألة الى الشعب الامريكى . ونظم الجمهوريون دورة غير رسمية للكونجرس حيث قرىء خطاب ارسله ماك ارثر الى سناتور جمهورى . وقد اعلن الجنرال الباسل فى خطابه وهنا فى آسيا يكمن المكان الذى اختاره مؤيدو الشيوعية كى يلعبوا لعبتهم الرامية الى غزو العالم ، هنا نحارب معركة أوروبا بالأسلحة على حين لا يزال الدبلوماسيون هناك يخوضون غمارها بالكلمات » ..

ولم يكن جنرال ماك أرثر يلقى القول على عواهنه ، فالواقع أن الحرب الكورية كانت بالنسبة له ولكثيرين غيره « معركة أوروبا التى يتم خوض غمارها بالاسلحة » .

غير أن آسيا لم تكن مستعدة لخوض غمار معركة اوروبا بالاسلحة. وساعد بيان جنرال ماك أرثر الدول الآسيوية على تفهم مغزى الحرب الكورية . وحثها على بذل الجهود من أجل وضع حد للحرب فى كوريا ولانهائها بأسرع مايمكن وكما أشرنا من قبل ، ظهر أول تأثير لعدم الانحياز

كقوة دولية حول أزمة عالمية فى أثناء الحرب الكورية . وكان الشعور الآسيوى قد ثار بالفعل بسبب القاء أول قنبلتين ذريتين على اليابان البلد الاسيوى ، وبسبب اجراء التجارب النووية فى المناطق المجاورة للاراضى الآسيوية . وأدرك الاسيويون الآن أن الدول الغربية ومنافسيها قد اختاروا جهة اسيوية أخرى لخوض غمار معركة أوروبا التى ليس لها أية علاقة بالمصالح الوطنية للبلاد غير الشيوعية . ولذلك كرسوا امكانياتهم الدبلوماسية من أجل سرعة تطويق الحرب الكورية ووضع نهاية مبكرة لها .

وباندلاع الحرب الكورية ، وجهت الحرب الباردة مسيرها نحو آسيا وتنحت المشاكل الاوروبية وهى مازالت خطيرة الى الصورة الخلفية . وسيطرت المسائل الآسيوية على العالم طوال الخمسينات ، وأخذت تهدد باندلاع حرب عالمية حول مشكلة جزر كيموى وماتسو فى مضايق فورموزا . واندلع القتال على نطاق واسع فى الهند الصينية . ولم يعد ممكنا للولايات المتحدة ، بعد تجربة كوريا ، أن تتدخل بالقوة فى الهند الصينية . وكانت الحكومة راغبة فى ذلك ، لكن حلفاءها ، وخاصة فرنسا ، اعترضوا على ذلك . ولم يمكن انقاذ الهند الصينية لتكون بجانب الدول الغربية .

وقد استطاعت الحرب فى كوريا أن تضمن على الاقل العودة الى ماقبل الوضع الراهن ، بعد أن تكلفت الكثير ، بالاضافة الى كسب أرضى طفيف ليس له أهمية كبيرة . لكن الغرب خسر فى الهند الصينية . ودخلت دولة أخرى تحت الحكم الشيوعى .

وكانت كارثة الهند الصينية هى التى أدت الى مؤتمر القمة عام ١٩٥٥ ، ويعتبر هذا المؤتمر جهدا سياسيا من جانب زعماء الحرب الباردة لتخفيف حدة التوتر والتوصل الى نظام للتعايش وفشلت الجهود ، وبفشلها انتهى المظهر الاول من مظاهر الحرب الباردة .

وفى المرحلة الثانية التى بدأت بعد ذلك بقليل ، دخلت عناصر جديدة كثيرة فى علاقات الدول الكبرى . بيد أن الصورة الشاملة كانت صورة مبادرة وعدوان من جانب السوفيت ، وتردد ودفاع من جانب الغرب . ونفذ جون فوستر دالاس ، الذى أصبح وزيرا للخارجية فى الحكومة الجمهورية التى يترأسها الرئيس ايزنهاور ، نفذ سياسة دين اتشيسون الخاصة « بمراكز الثقل » ، وأقام سلسلة من التحالف العسكرى مع أكثر من أربعين دولة فى محاولة تطويق العالم الشيوعى . غير أن الاتحاد السوفيتى تمكن من اختراق هذا التطويق ، عسكريا واقتصاديا ، وذلك أن التطور المذهل فى صناعة الصواريخ السوفيتية قد أبطل مفعول القواعد والتحديات العسكرية الغربية على نطاق واسع ، على حين كان

مفعول المعونة الخارجية السوفيتية المساوى فى الضخامة يمثل منافسة خطيرة للولايات المتحدة .

وأصبح فى امكان الاتحاد السوفيتى ، منذ عام ١٩٥٥ المحافظة على المبادرة فى جميع الجبهات :

ففى المجال العسكرى منحته الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة القارات تفوقا معترفا به (وان كان محدودا) على الولايات المتحدة . وأخذ الاتحاد السوفيتى يوقف تجاربه على الاسلحة النووية ويستأنفها على حسب رغبته ، وبما يتناسب مع خططه الكبيرة المتعلقة بالحرب الباردة . واستطاع تخفيض قواته المسلحة ، والحد من تخفيضها برباطة الجأش نفسها ، تاركا بقية العالم يخمن دوافع هذا الامر . واستطاع ان يهاجم الدول الغربية ، دون هوادة ، من أجل سياستها الاستعمارية ، ساعيا الى التأثير على عقول الدول الحديثة الاستقلال التى زاحمت المجتمع العالمى بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٠ . كما استطاع أن يشن هجوما سلميا بعرضه عقد معاهدة صلح مدتها عشرون عاما مع الولايات المتحدة ، وأسقط طائرة نفاثة أمريكية وهى تحلق فوق الاراضى السوفيتية فى مهمة تجسس . واستطاع مستر خروشوف أن يقوم بجولة فى الولايات المتحدة ، وهدد – على حين كان يقوم بالزيارة – بالرحيل فى الحال اذا لم تتوقف المظاهرات العدائية ، واستطاع أن يخلق روح كامب ديفيد ، وأن يحطم مؤتمر القمة فى باريس ، وأن يخلق أزمة جديدة حول ألمانيا وبرلين بثقة كاملة فى النفس .

وقد كانت هناك أمور كثيرة مسئولة عن هـــذا التحول الكبير فى علاقات الدول ، وكانت التغيرات التى طرات على الاتحاد الســوفيتى عقب وفاة ستالين هى أهم هذه الامور . ودخلت روح تحررية – وصفها الياهر ينبرج بابتهاج بأنها « ذوبان الجليد » – دخلت مسرح الاحداث السوفيتى . وازدهر العمل الخلاق الى حد كبير فى المعامل ، والجامعات ، فى المصنع والمزرعة . وما زال الصراع الداخلى فى نطاق هيكل الزعامة السوفيتى يعتبر معضلة بالنسبة للعالم ، غير انها بالتأكيد لم توهن من صلابة بنيان النظام السوفيتى . واستطاع مستر خروشوف أن يدخل اصلاحات بعيدة المدى فى الاقتصاد ، والنظام الادارى ، والزراعة ومنح العلماء والمثقفين قدرا كبيرا من الحرية(١) ووضعت علاقته مع الدول الشيوعية الاخرى على أساس جديد بعد ثورة المجر عام ١٩٥٦ .

---

(١) يقول مســتر كينان الذى كان سفيرا لامريكا فى الاتحاد السوفيتى ، والذى كان يتمتع بنظرة وثيقة الى الشئون السوفيتية ان نوعا من النظام البرلمانى قد دخل الى بنيان الحزب الشيوعى السوفيتى .

ولم الاعتراف بحق كل دولة فى البحث عن طريقها الخاص الذى يوصلها الى الاشتراكية ، طالما أنه لم يتم الانحراف عن المبادىء الاساسية للعقيدة الماركسية اللينينية . وتمت الموافقة على زعامة الاتحاد السوفيتى للحركة الشيوعية الدولية . ولا شك أن تصدعا قد حدث داخل نطاق العائلة الشيوعية ، ولكنها كانت مثالب النمو ، والظهور الحتمى لقوة معادلة جديدة فى نطاق العالم الشيوعى . فأصبحت الصين شريكا مساويا للاتحاد السوفيتى .

وبالرغم من جميع التقارير التى تشير الى الخلافات القائمة بين الدولتين ، يقف التحالف الصينى الروسى اشد صمودا من التحالف القائم بين الدول الغربية .

ولم تقف البلاد غير المنحازة ، خلال مجرى الحرب الباردة هذه مكتوفة الايدى . فقد استغلت كل فرصة سنحت لها ، لا لتبشر بالسلام فحسب وانما لتتخذ خطوات ثابتة لتخفيف حدة التوتر الدولى ، ومساعدة الدول الكبرى على أن تتفهم كل منها الاخرى ، والتوصل الى مستويات واقعية لتمكن العالم من العيش والنضال فى سلام .

وقد منحت الحرب الكورية الدول غير المنحازة أول فرصة للعمل من أجل السلام ، ومكنها نجاح جهودها من أن تؤدى دورا أكبر خلال أزمة الهند الصينية . وسعت الى مساعدة مؤتمر القمة فى جنيف عام ١٩٥٥ على تحقيق بعض النتائج الحقيقية . وخلال الغزو الثلاثى لمصر ، ناضلت هذه البلاد ببسالة لوقف القتال ، وضمان انسحاب القوات الغازية واستعادة سيادة مصر واستقلالها .

ومرة اخرى كللت جهودها بالنجاح بفضل المعارضة الروسية ــ الامريكية للغزو . وقبل ذلك استطاعت هذه الدول فى باندونج أن تؤكد لأول مرة ، شخصية أفرو ــ آسيوية مجردة نوعا . وفى أواخر الخمسينات قامت الدول غير المنحازة بحملة من أجل وقف التجارب على الاسلحة النووية ، ورحبت بالتأجيل التلقائى لهذه التجارب الذى وافقت عليه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، كما رحبت هذه الدول باتفاق خروشوف ــ أيزنهاور عام ١٩٥٩ على زيارة كل منهما لبلد الآخر ، وشعرت بالغبطة حينما قام رئيس الوزراء السوفيتى برحلته الى أمريكا ، وحيت روح كامب ديفيد ، وروعت حينما انهار مؤتمر القمة فى باريس . واجتمعت تلك الدول فى قوة كبيرة فى نيويورك لحضور الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ، وسعت بكل ما أوتيت من قوة ، وان كان بدون جدوى ، للجمع بين الرئيس الامريكى ورئيس الوزراء السوفيتى من جديد لتخفيف حدة التوتر العالمى (١) .

---

(١) تنبع الازمة الدولية الراهنة الى حد كبير من حقيقة أن ضرورة التعايش لم تتقبلها بعد الدول الكبرى . فقد كان الاتحاد السوفيتى يدعو جهارا الى التعايش ، =

وقد ناقشنا من قبل ، أسباب نجاح السوفيت فى استغلال شعور الدول غير المنحازة والمناهضة للاستعمار . فقد كان طبيعيا أن تجعل التجارب الاستعمارية التى عانت منها شعوب افريقية وآسيا وامريكا اللاتينية ـ أن تجعل هذه الشعوب فى غاية الحساسية نحو الاستعمار. وتعتبر الدول التى تعانى من السيطرة الاجنبية ، سياسية امااقتصادية على وجه الخصوص ، تعتبر المسائل العالمية الاخرى غير ذى أهمية ، نسبيا ، فى مواجهة مشكلتها المباشرة المتعلقة بتحريرها من السيطرة الاجنبية . واستمرت مشكلة الاستعمار فى كونها سور الصين الذى يفصل بين المجموعة الافر ـ آسيوية ، والدول الغربية ، وبرغم أن هذه المشكلة آخذة فى الاختفاء ، فانها أبعد ماتكون عن الانتهاء . وما زالت أفريقية تعتبرها المشكلة « رقم واحد » وطالما ظلت الجزائر مكبلة ، وظلت أنجولا وموزامبيق فى القيد ، وجنوب أفريقية ، واتحاد وسط أفريقية معملا للكراهية والعداء العنصرى ، فان من العبث أن نتوقع من الشعوب الافريقية أن تحول أذهانها عن المشكلة العاجلة النابعة من السيطرة الأجنبية . وحيث أن هذه السيطرة لا تأتى الا من الكتلة الغربية ، فانها ليس فى وضع يسمح لها بعد ، بتقدير الاخطار الماكرة للحكم الشيوعى .

وكانت الدول الافرو ـ آسيوية ، فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٠ ، تمثل نصف المجتمع الدولى تقريبا ، واتاح لهم هذا ، الشعور بقوة لم يسبق لها مثيل ، كما أنه جعلهم يدركون نقاط ضعفهم . وقد جعلت أزمة الكونغو الحرب الباردة تدخل الى قلب افريقية ، وظهرت تجمعات عدة من الدول فى القارة الافريقية . وانطلقت كلتا الدولتين الكبيرتين الى خطب ود الدول الحديثة فى أفريقية، وكانت كثير من هذه الدول لاتزال فى ظل أشكال مختلفة من النفوذ الغربى ، بل انه حينما كانت دولة افريقية حديثة التحرر تنجذب ، من تلقاء نفسها نحو عدم الانحياز ، فى عدد من المسائل المعينة ، فانها كانت

= غير ان الشروط التى يستعد على اساسها للتعايش مع النظام الراسمالى لم تعلن بعد . ومطالب السوفيت من الدول الغربية كثيرة لدرجة أن موافقتها الشاملة عليها سيؤدى الى تصفية المراكز الغربية في جميع انحاء العالم . ووجهة النظر السائدة في الولايات المتحدة ، حتى الآن هى المعارضة الشاملة للنظام الشيوعى . وتستطيع الدول غير المنحازة وهى تدعو الى التعايش ، أن تساعد فحسب في عملية التوصل الى قاعدة عامة تستطيع الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة أن تعيش على اساسها بعضها مع بعض دول حرب شاملة . ويتعين أن يتم التوصل الى الاساس الحقيقى للتعايش من جانب الدول الكبرى وقد اعترف حتى بعض الكتاب من الحرب الباردة امثال وليهيلم ج. جرو ، خبير الشئون الخارجية بألمانيا الغربية ، بأن الغرب لم يتوصل بعد الى « فلسفته الخاصة المقنعة حول التعايش مع الاتحاد السوفيتى » .

تتجه الى الميل الى الجانب الغربى ، ومن ناحية أخرى نجد أن مشكلة الاستعمار قد ربطت بين البلدان الافريقية والآسيوية داخل قوة تجريدية غير محدودة ، ومع ذلك فانها تعمل على توحيد الصفوف وقد ألقت الرعب فى نفوس الغرب ، غير أنها أثلجت صدور الزعماء الشيوعيين .

وفى أفريقية كانت المشكلة الملحة هى كيفية منع المستعمرين من الدخول من الباب الخلفى لاستعادة مااضطروا الى تسليمه فى مواجهة الكفاح الشعبى المنتصر من أجل الحرية . وادرك الزعماء الافريقيون المسئولون أن التصريح الرسمى بالاستقلال ليس كافيا ، فان الدول الاستعمارية تستطيع ان أرادت ، القضاء على استقلالهم عن طريق التدخل المباشر وغير المباشر . وكانت الحاجة ماسة الى القوة ، تلك القوة التى كان الافتقار اليها شديدا . ومن أجل حماية استقلال الدول الحديثة التحرر ، واضفاء مضمون اقتصادى ايجابى عليها تم الشروع فى السعى الى تغطية ضعف الدول بمفردها عن طريق التجمعات الافريقية الموحدة ، بيد أنه حتى فى هذا الوضع استطاعت الدول الاستعمارية القديمة ومؤيدوها خلق كثير من الخلافات والشقاق .

وكان عام ١٩٦٠ ، عام قوة لم يسبق له مثيل ، وضعف مؤسف للمجموعة الافرو ـ آسيوية : ففى الكونغو لم يتمكنوا من حماية استقلال البلاد ووحدتها أو حتى انقاذ حياة باتريس لومومبا ، ففى ساعة اليقظة نفسها فى أفريقية ، اندلعت الخلافات بين الدول الافريقية نفسها . وعرضت القارة لمناورات الدول الكبرى . وكان الاتحاد السوفيتى برفعه شعار السكرتارية « الثلاثية » يعطى البلاد غير المنحازة وضع قوة منظمة ثالثة ، وهو الوضع الذى كانت هى نفسها عازفة عن اعلانه . وكانت الحكومة الديمقراطية الجديدة فى الولايات المتحدة تواقة الى جذب تأييدها ـ أى دول عدم الانحياز ـ ولذلك كان الوقت ساعة اهتمام بها . بيد انه كانت هناك ، فى الوقت نفسه أخطار ونقاط ضعف جديدة تهدد من وضعها ، وكانت هذه الدول عاجزة الى حد كبير عن ممارسة نفوذها الذى كان قاب قوسين أو أدنى منها .

ومع ذلك فان الحقيقة المتمثلة نفسها فى أن الدول الافرو ـ آسيوية قد أصبحت تسيطر على الجمعية العالمية . أثمرت نتائج ايجابية فى الصلات الدولية . وفى الشهور الاولى من عام ١٩٦١ كانت حكومةالولايات المتحدة تتحسس بحذر من أجل ايجاد حلٍ لمشكلة الكونغو ، تقبله أغلبية الدول الافريقية . وواجه الرئيس كنيدى مستر خروشوف فى فينا . وعلى الرغم من أن الزعيمين قد افترقا وهما يدركان ادراكا راسخا للهوة السحيقة القائمة بينهما ، بدأ مؤتمر دولى لتسوية مشكلة لاوس فى جنيف . وأدى فشل الغزو الذى تسانده أمريكا لكوبا الى ادخال

تعديلات جديدة على سياسة نصف الكرة الغربى ، فى دوائر واشنطن العليا . ولم توهن نتائج الاحداث المتجمعة فى الكونغو ، ولاوس ، وكوبا لن توهن تماما من عزم دول العالم الحديثة . فقد أتاحت لهـا هذه الاحداث فرصا لم يسبق لها مثيل كى تؤدى دورا فى الشئون العالمية ، هذا الدور الذى ظلت تود أن تؤديه منـذ سنين طويلة وهو : تطـويق الحرب الباردة ، والاسراع بعملية التغير السلمى فى الصلات الدولية ، ومساعدة العالم على العيش فى سلام(١) .

وفى ربيع عام ١٩٦١ رأى بعض زعماء الدول غير المنحازة انه من الضرورى ، فى مواجهـــة الدورة السنوية القادمة للجمعية العامة للأمم

---

(١) بدت الولايات المتحدة ، قرب نهاية عام ١٩٦١ ، وقد وطدت نفسها على حياد لاوس تحت رياسة الامير سوفانا فوما كرئيس للوزراء . وان لم يندلع القتال من جديد في الاسابيع القليلة التالية ، فمن المحتمل تأليف حكومة اتحاد وطنى يؤدى فيهـا باثيت لاو دورا كبيرا ، قبل نهاية العام . غير أن أزمة جديدة تأخذ في الظهور الآن في فيتنـام الجنوبية حيث يتعرض الحكم الدكتاتورى بزعامة الرئيس دييم لضغط عسكرى شـديد من جانب قوات حزب العصابات التى يقال ان فيتنام الشمالية تمدها بالسلاح .وكانت الولايات المتحدة تفكر في مسألة تقديم مساعدات لقوات ديبم ، بيد أن انزال القـوات الامريكية في فيتنام الجنوبية لن يؤدى الى دعوة الصينيين الى اتخاذ اجراء مضاد مشابه مما يؤدى الى خلق كوريا جديدة في منطقة الهند الصينية الاستراتيجية ولو تطور مثل هذا الحادث المؤسف ، فمن المحتمل أن تعانى الولايات المتحدة من نكسة أخرى في النهاية، وذلك لان الرأى العام الاسيوى ضد التدخل العسكرى الاجنبى في آسيا على طول الخط، ولان ميزان القوى في منطقة جنوب شرقى آسيا عامة قد تحول بعيدا عن زعامة أمريكا .

وهناك بعض التحركات السرية التى تسير قدما من خلف ستار العدوان الظاهرى، من أجل اعادة الموقف في شرق وجنوب شرقى آسيا الى حالته الطبيعيـة . ويسـود الاعتقاد بأن الرئيس كنيدى شخصيا ، يؤيد ترك الصين تحتل مقعدها في الامم المتحـدة بيد أن الرأى العام الامريكى يقف في الوقت الحالى صامدا ضـد أى تقـارب صينى أمريكى . ولكن عندما تستعيد الصين مقعدها ، سيظهر تلقائيا ، موقف جديد في الامم المتحدة ، وحينئذ سيتعين على واضعى السياسة الامريكية أن يسعوا الى عقـد اتفـاق للتعايش في سلام مع الصين وفي خريف عام ١٩٦١ اقترح شن يى وزير الخارجيةالصينى، بحذر ، عقد اجتماع بين وزيرى خارجية البـلدين ورفضت واشنطن الاقتراح ولكنهـا أسرعت لتضيف أن الاتصالات المحدودة القائمة مع الصين في وارسـو وجنيف سـوف تستمر .

أما أزمة أمريكا الحقيقية ففى أمريكا الجنوبية . فان أمريـكا اللاتينية هى التى تدعم الى حد كبير من اقتصاد أمريكا الشمالية الموسر . ومن المتوقع حدوث تطورات كبيرة في امريكا الجنوبية في العامين أو الثلاثة القادمة حيث ستتحد زعامة الشـمال السياسية والاقتصادية . وسيتم تكريس جهود أمريكا السياسية بقوة للمحافظة على زعامة نصف الكرة الغربى ، وفي هذه اللحظة توضع ملامح سياسة جديدة تجـاه أمريـكا اللاتينية . ولسوء الحظ أن الاهمية قد وضعت من جديد حول السلاح ، ولكن ليس هنـاك أمريكى واحد يلح في وضع برنامج تحررى ينص على المساواة الديمقراطية .

المتحدة ، السعي الى تصنيف مكاسب دول عدم الانحياز وخسائرها فى الموقف الدولى الجديد ، وتكوين جبهة متحدة فى مواجهة مسائل العالم الملحة . ومن هذا الشعور ، ولد مؤتمر بلجراد لزعماء الدول غيرالمنحازة فى الاول من سبتمبر عام ١٩٦١ . وكان الرئيس ناصر والرئيس تيتو يساندهما الرئيس سوكارنو والرئيس نكروما ، والرئيس كيتا ، ومستر نهرو هما الداعيين الى هذا المؤتمر ، وحينما وضعت خطة المؤتمر ، كانت المشكلة الرئيسية التى واجهت زعماء عدم الانحياز هى الطريقة التى يستطيعون بها التأثير على عملية تحول العالم دون صدام عنيف وبأسلوب آخر كيف يضمنون تحرير الاقاليم التى مازالت تعانى من الاستعمار ، ودعم استقلال الدول الحديثة فى جو من التعاون الدولى . وكان يتعين أن يتم التحكم بعناية ، واصلاح الضعف الذى تعرضت له دول عدم الانحياز فى الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ان كان ذلك ممكنا . كما كانت هناك منافسة من أجل الزعامة فى افريقية بين مجموعتين أو ثلاث من دول افريقية ، وكان من الطبيعى أن تسعى مجموعة الدار البيضاء التى يتزعمها دكتور نكروما ، والرئيس ناصر ، ومستر كيتا وآخرون ، لفرض زعامتها . وقدخلقت الحكومة السوفيتية باصرارها على مبدأ « الثلاثية » فى السكرتارية ، فرصا جديدة أمام دول عدم الانحياز لتأكيد حقها فى المنظمة العالمية . وبينما كانت أغلبية هذه الدول غير مستعدة لتأييد اقتراح « الثلاثية » لم تخف عليها الفرص التى يقدمها هذا الاقتراح . وبالاضافة الى ذلك ، اتفقت مع الاتحاد السوفيتى على أن الاستعمار الغربى قد دخل مرحلة حرجة ، وشكلت الاحداث العنيفة فى الكونغو وفى أنجولا والمستعمرات البرتغالية الاخرى . والاضطراب الشديد فى أفريقية الشرقية والوسطى البريطانية ، وحمى الثورة المتزايدة فى جنوب أفريقية ، بالاضافة الى رياح الثورة التى تكتسح أمريكا اللاتينية ، شكل كل ذلك دلائل على قرب حدوث عاصفة هائلة ، عاصفة قد تكون مدمرة اذا أطلق لها العنان .

وفى لحظة القوة والاهمية هذه التى بدأت تشعر بها هذه الدول ، وجدت من الضرورى تعريف عدم الانحياز ، أو على الاقل وضع بعض المعايير المعينة التى يمكن الحكم عليه عن طريقها . ولم يكن هناك ، حتى الآن أية محاولة لتعريف هذه الفلسفة . **فلقد ظهر عدم الانحياز نتيجة طبيعية للحرب الباردة . لقد كان ، الى حد كبير اتجاها فكريا ، وفلسفة دولية تجريدية ، تجفل عن أى تعريف دقيق .** بيد أن قناطر العالم فاضت بالكثير من المياه منذ أن شرعت الهند فى حرث اخدودها الوحيد فى أواخر الأربعينات . **وأصبح عدم الانحياز الآن ، يحظى بولاء أكثر من ثلاثين دولة وله مؤيدة فى جميع انحاء العالم ، ولم يعد ممكنا تركه مجرد احساس أو مجرد فكرة ، لأن له دورا يتعين عليه أن يؤديه فى**

شئون الدول ، وهو دور « العامل المســاعد » من أجل الاسراع بتحويل المجتمع القديم الى مجتمع حديث يعتمد على بعض القيم الايجـــابية .
وكانت الدول الاجنبية تتخبط حول تعريف مضمون واهداف عدم الانحياز . وكان عدم الانحياز يعتبر فى الولايات المتحدة مرادفا للحياد ، وهو تعبير تستنكره جميع الدول غير المنحازة . فلم يكن أحد منهـا محايدا ، أو يود أن يكون كذلك فى مسائل العالم المشتعلة ، والتىتتضمن السلام أو الحرب ، الحرية أو العبودية ، التقدم أو الركود .

وقد عبرت بعض الدول الحديثة التحرر نفسها عن اتباعها انطباعات عدم الانحياز ، بيد انها كانت تتجه الى الانحياز نحو الدول الغربية ، وحينما قدر لعدم الانحياز أن يؤدى دورا دوليا حيويا ، لم يكن مسموحا تقريبا بهذا الشكل من التضارب الشديد ، وفى المؤتمر التحضيرى لممثلى دول عدم الانحياز الذى عقد فى القاهرة فى شهر ابريل ، ثارت بعض الخلافات حول مجال وطريقة تكوين مؤتمر القمة المقترح فى بلغراد . غير ان الصحافة الغربية قد ضخمت من هذه الخلافات لاغراض مفهومة، فان ظهور عدم الانحياز كقوة دولية فعالة لايمكن استساغته فى اى من المعسكرين ، فاذا كانت الدول الغربية أكثر حساسية منه . فان ذلك لانها شعرت بأن عدم الانحياز قوة مناهضة للاستعمار فى الاساس وانه كلما قوى معسكر الدول غير المنحازة ، ضعفت المصالح الاقتصـادية والسياسية الخاصة بالدول الغربية فى آسيا وأفريقيةوأمريكا اللاتينية.

ولم تكن الخلافات فى القاهرة خطيرة . فبينما كان ناصر وتيتـــو يرغبان فى قصر مؤتمر بلغراد على الدول التى اتبعت بعض المبـادىء المحدودة التى تمثل عدم الانحياز ، كانت الهند ترغب فى تفسـير عدم الانحياز بطريقة أكثر تحررا حتى لا يتحول الى قاعدة جامدة ، وحتى يمكنه الانتشار الى مزيد من الدول . وكان الداعون الافريقيون ايضـا يرون انه يتعين على مؤتمر بلغراد أن يناقش بعض المشـاكل الاقليمية الخاصـة مثـل حق المغرب فى موريتانيا وحق اندونيسيا فى ايريان الغربية ، وشعرت الهند من ناحيـة أخرى انه يتعين عليهـا أن تهتم بالمشاكل العامة الخاصة بالحرب والسلام ، والحـرية والتحرر ، والتقدم الاقتصادى . وتم الوصـــول بسهولة الى تسوية للموضوع ، فبينما تم استبعاد بعض المسائل الجدلية الخاصة ، وضعت المسائل الكبرى مثل الجزائر وفلسطين والكونغو فى جدول الأعمال حيث أن هذه المسائل كانت ترمز الى المشاكل العامة .

ووضع المؤتمر التحضيرى فى القاهرة خمسة معايير يتم على أساسها الحكم على دولة ما اذا كانت تعتبر غير منحازة أو لا . وكان هذا تطورا كبيرا فى عدم الانحياز . **وتقرر أن الدولة غير المنحـــازة هى الدولة**

التى يتعين عليها أن تتبع سياسة مستقلة للتعايش بين الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة. ويتعين عليها أن تساند باستمرار حركة الاستقلال الوطنى ، وينبغى الا تكون عضوا فى تحالف عسكرى متعدد الجوانب يدخل فى نطاق سياسة الدول الكبرى ، واذا كان لديها اتفاق ثنائى مع دولة كبيرة ، أو عضو فى حلف دفاعى اقليمى ، فانه يتعين ألا تكون الاتفاقية أو الحلف وقع عن عمد فى نطاق الحرب الباردة ، واذا كانت قد نزلت عن قواعد عسكرية لدولة أجنبية فيتعين ألا يكون الامتياز قد تم فى نطاق الحرب الباردة .

وكانت هذه محاولة لتعريف عدم الانحياز ، ووضع معيار معين للحكم عليه ، وأية دراسة لهذه المعايير الخمسة تبين أن عدم الانحياز فلسفة ايجابية ، بشكل أساسى ، يعكس الحياد الذى يعنى تقبل الأمور كما هى . وجعلت المعايير الخمسة من عدم الانحياز قوة تقف فى مواجهة الحرب الباردة ، وقوة من أجل خلق نظام عالمى جديد يعتمد على استقلال الدول ، وسيادتها ومساواتها دون قيد .

وفى مؤتمر القمة ببلغراد أوضح المشرفون على المؤتمر اهداف عدم الانحياز بالتفصيل . وكان أبلغ تعريف هو التعريف الذى قدمه الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا حيث قال :

« ان عدم الانحياز لا يعنى التحول الى دولة حاجزة بين الكتلتين العملاقتين ، وانما عدم الانحياز تكاتف فعال من أجل الاستقلال والسعى وراء السلام ، والعدالة الاجتماعية . اننا نناضل من أجل ارساء أساس سريع لتوازن وطيد جديد ، فماذا نعنى بقولنا : توازن وطيد جديد ؟ انه يعنى أنه ينبغى أن تصبح جميع الدول مستقلة ، وأن تحصل جميع الدول على الحرية فى اقامة أسسها القومية ، السياسية والاقتصادية والثقافية .

ونحن نريد أن نقول انه ينبغى أن تكون جميع الدول حرة فى تنظيم علاقاتها الدولية وفق ما يتراءى لها ، معتمدة على مبادىء المساواة ، والعدالة ، والمنفعة المتبادلة .

ونريد أن نقول ان أية دولة لن تتدخل فى كفاح أية دولة اخرى . ولن تحاول أية قوة أن ترغم أية دولة أخرى على تغيير ايديولوجيتها . وفى كل قضية كان أساس التوتر الدولى يكمن فى الاستعمار والتوسع والتقسيم الاجبارى للدول . وقد أثبت التاريخ فى الماضى ، وحقائق الحاضر أنه من الممكن تعايش النظم الاجتماعية المختلفة جنبا الى جنب ؛ ولكن لا يمكن أن يكون التعايش بين الاستقلال والعدالة من جانب والتوسع والاستعمار من جانب آخر . اننا نود المحافظة على الاستقلال الذى

حصلنا عليه بعد تضحيات كبيرة للغاية . وعلينا ، نحن دول عدم الانحياز فى العالم ، وقد ادركنا وتقبلنا حقيقة الدول الناشئة ، علينا واجب محتم بأن نظفر بموافقة الشعوب والدول الاخرى وأن نخبرها بصراحة انها لا تستطيع التقدم على حساب ملايين من الشعوب المهزومة » .

وفى الوقت الذى عقد فيه مؤتمر القمة فى بلغراد ، كانت أزمة برلين قد تأججت مهددة العالم بحرب نووية وكانت كلتا الكتلتين تقوم باستعدادات ومناورات عسكرية ، وجازفت أوروبا بالوقوف على حافة الهاوية . وقام مستر نهرو ، كأكبر سياسى للدول غير المنحازة سنا ، وكأب روحى لعدم الإنحياز ، قام بدور رئيسى فى اقناع المؤتمر بمنح الاولوية المطلقة للمسألة الخاصة بالحرب والسلام التى تتضاءل أمامها المسائل الاخرى ، كما أشار بذلك مستر نهرو . وفى عشية المؤتمر ، استأنف الاتحاد السوفيتى ، وحده ، التجارب على الاسلحة النووية فى الجو . وكان لهذا الأمر تأثير مروع على مؤتمر عدم الانحياز ، وسلطت الأضواء بطريقة أكثر اثارة على الخطر الذى يهدد الجنس البشرى .

وأصدر المؤتمر نداء للسلام موجها الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد حمل بعض الشخصيات الكبيرة فى مؤتمر القمة ببلغراد النداء بأنفسهم الى موسكو وواشنطن ، فسلم مستر نهرو ، ودكتور نكروما الرسالة الى خروشوف فى الكرملين . على حين سلمها الرئيس سوكارنو والرئيس كيتا الى الرئيس كنيدى فى واشنطن . وبعكس ما كانت عليه الحال عام ١٩٦٠ ، لم يستطع زعيما الدولتين الكبيرتين أن يديرا ظهريهما لنداء الدول غير المنحازة ، الذى يدعو الى تخفيف حدة التوتر وتسوية المنازعات دون اللجوء الى الحرب . واجتمع كل من مستر خروشوف والرئيس كنيدى بالزعماء غير المنحازين ، وأجابا على النداء بعض التفصيل وبدون اضاعة للوقت . وفى لحظة من لحظات الأزمة العميقة ، أظهرت الدولتان الكبيرتان ، وهما متورطتان فى نزال متكافىء ، يستحيل فيه النصر لأى من الجانبين ، أظهرتا حرصهما على استقلال الجسر الذى أقامه مؤتمر بلغراد (١) .

---

(١) * اسهم مؤتمر بلغراد ، بطريقة غير مباشرة ، في تقديم حل نهائى لمشكلتى المانيا وبرلين وذلك اولا :

عن طريق حث الكتلتين الكبيرتين على التفاوض ، وثانيا :

باظهار أن عددا كبيرا تقريبا من الدول الافرو ــ آسيوية يميل الى مواجهة الحقيقة، وتقبل التقسيم السياسي لالمانيا الى دولتين كحقيقة كريهة ولكنها غير قابلة للتغيير في الوقت الراهن على الاقل وجعل هذا الدول الغربية تدرك أنها اذا عرضت المشكلة الالمانية على الامم المتحدة ، فان الاغلبية قد تصوت في مصلحة الاعتراف بالحدود السياسية القائمة في المانيا ، وفي أوروبا الشرقية أيضا . وظهرت حكومة الولايات المتحدة في خريف =

وحاول المعلقون الغربيون أن يفسروا مؤتمر بلغراد بأنه انتصار للاعتدال الذى كان يدعو اليه نهرو • وتم تفسير بيان رئيس الوزراء الهندى الذى يقول فيه ان مشكلة الحرب والسلام قد غطت على جميع المشاكل الاخرى بما فيها من الاستعمار ، تم تفسيره على أنه يعنى أن الهند أعادت النظر فى مشكلة الاستعمار وأنها غير مستعدة أن تمنحها الاولوية التى يوليها اياها الزعماء الافريقيون . غير أن هذا ، فى الواقع ، كان تفسيرا خاطئا لما حدث فى بلغراد . فقد كان مؤتمر القمة فى بلغراد ينطوى على خلافاته الخاصة ، حيث انه لا بد أن تكون هناك خلافات بين الدول الغيور على استقلالها • بيد أنه لم يكن هناك أى خلاف حول ضخمة المشكلة الاستعمارية •

وقد دعا التصريح الذى أعلنه مؤتمر القمة فى بلغراد الى اقامة نظام دولى جديد يعتمد على التصفية السريعة للاستعمار . فان عملية التحرير التى بدأت طلائعها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ووصلت الى أوج مجدها . وكانت بقايا الاستعمار مجرد خطأ فى تسلسل سير التاريخ لم يعد فى الامكان تحمله . وما يزال الاستعمار قوة مدمرة حتى الآن . فقد لقى آلاف من الافريقيين مصرعهم أو فى طريقهم الى ذلك فى انجولا والمستعمرات البرتغالية الاخرى ، وكانت هناك مناطق مضطربة كثيرة فى العالم تتصل جميعا بالمشكلة الاستعمارية .

وفى الجزائر ما زالت الحرب التى اندلعت منذ نحو سبع سنوات مستمرة الى الآن (١) . واستمرت مشكلة لاوس تأبى أى حل ، وأخذت فيتنام الجنوبية تدخل مرحلة حرجة . وينتظر مليون لاجىء فلسطينى عاجزون ، فرصة تتيح لهم العودة الى ديارهم ، واستمر الخطر يحيق بوحدة الكونغو ، واستمرت مقاطعة كاتانجا الانفصالية فى تلقى التأييد المعنوى والمادى من دول تملك مصالح وطيدة فى مواردها الغنية من النحاس واليورانيوم ، وسادت التفرقة العنصرية بأسوأ صورها ، فى جنوب أفريقية واتحاد أواسط أفريقية . واجتاحت حمى الثورة العميقة أمريكا اللاتينية بدولها وشعوبها التى ترغب فى تأكيد حقوقها فى مواردها الطبيعية . وترسم جميع هذه العوامل وغيرها صورة لعالم متقدم كثيرا فى عملية التحول . وكان المجتمع العالمى (الامم المتحدة)

= عام ١٩٦١ وقد وطدت نفسها على الاعتراف الدولى بدولتى ألمانيا . وخفف خروشوف من الازمة التى كان قد أثارها فى نهاية العام حول عقد معاهدة صلح ألمانية . وبرغم انه ما زالت هناك بعض الصعوبات التى ينبغى التغلب عليها ، قبل التوصل الى اتفاق حول ألمانيا وبرلين ، فان ملامح التقارب المحتم ظهرت واضحة : وهى الموافقة على تقسيم ألمانيا وضمان دولى لحقوق الغرب فى برلين الغربية .

(١) حصلت الجزائر على استقلالها فى أوائل عام ١٩٦٢ (المترجم) .

يتكون من مائة وثلاث دول فى عام ١٩٦١ ، كان حوالى النصف منها ينتمى الى آسيا وأفريقية . وكان العالم يتحرك فى اتجاه نظام جديد يفرض المساواة والكرامة بين الدول . ويمكن أن تكون عملية التحول سلمية أو عنيفة وتريدها دول عدم الانحياز أن تكون سلمية لكن الأمر لا يعتمد عليها وحدها . ذلك أنه يعتمد على مدى استعداد الدول الاستعمارية ، على تقبل مقتضيات الزمن المتغير ، وتركها بكرامتها ، الامتيازات ومراكز القوى التى ظلت تتمتع بها ردحا من الزمن .

وتناضل دول عدم الانحياز من أجل اقامة نظام جديد يعترف فيه بكرامتها ومساواتها وحريتها ، ليس كشعارات ونداءات وانما كحقائق راسخة ومحترمة . ولم تكن الحرب الباردة بالنسبة لها شرا خالصا . ذلك أنها ساعدت عملية التغير . فقد كان التدهور الذى حل بالدول الاوروبية ، وظهور الكتلة الشيوعية كمنافسة للكتلة الراسمالية بزعامة الولايات المتحدة سببا فى الاسراع بخطى التحول . فقد أصبح لدى الدول الحديثة الاستقلال مصدر بديل لطلب المساعدة السياسية والاقتصادية ، ولم تعد تحت رحمة مجموعة واحدة من الدول . فقد تمكنت فى الحقبة التى تلت الحرب العالمية الثانية من أن تفرض نفسها على تيار الاحداث العالمية كقوة فعالة فى مصلحة الحرية والسلام والبناء الاقتصادى فى ثلثى العالم ، فى جو سلمى خلاق .

وكان هذا الموقف المعقد ينطوى على كثير من المتناقضات . فزعماء الدول غير المنحازة يمقتون الشيوعية . وكان هؤلاء الزعماء برجوازيين بحكم المولد والتقاليد والعرف ، وكانت المجتمعات التى يرغبون فى خلقها مجتمعات برجوازية تنادى بالمساواة . ولذلك فانها تشترك مع الدول الغربية فى مجموعة كبيرة من القيم . ومع ذلك كانت هذه الدول فى صدام مستمر مع الغرب ، وأعطت الدول الغربية انطباعا بأنها عازمة على تحطيم مصالحها ـ أى الدول الغربية ـ العالمية . وكان النزاع يدور حول الحكم الاستعمارى وحول السيطرة الاجنبية على الموارد الطبيعية للمستعمرات السابقة . وقد حدث الصدام بين الدول الجديدة والغرب لأنه كان ، ولايزال ، يمارس النمط التقليدى من الاستعمار فى أفريقية وأمريكا اللاتينية وآسيا ، وحيثما كانت بعض الدول مثل بريطانيا ، قادرة على الاستجابة فى الوقت المناسب ، وبطريقة كريمة ، لأمانى الزعماء البورجوازيين الوطنيين ، كانت العلاقات بين الدول الآسيوية والافريقية والدول الأوروبية ، طيبة على وجه العموم ، لكن الأمر لم يخل تماما من بعض الأزمات .

وقد تسممت العلاقات حيثما فشلت الدول الغربية فى النزول عن مصالحها . لقد أدى الاستعمار الجماعى الى مناهضة جماعية

للاستعمار (١) . وقد عانت الولايات المتحدة فى آسيا وافريقية بسبب دفاعها عن مصالح أوروبا السياسية والاقتصادية الراسخة .

ولم تكن دول عدم الانحياز تود أن ترى انتصار الشيوعية فى العالم ، ومع ذلك اتجهت مرارا الى الاتحاد السوفيتى من أجل المساندة والمساعدة . وهذا تناقض آخر فى عصرنا الحديث . وقد شرحنا فى فصل سابق الحوافز التى تكمن خلف المساعدات السوفيتية لزعماء الدول غير المنحازة البورجوازيين . ويظل الهدف النهائى للدول الشيوعية هو انتصار الشيوعية الدولية ، ولم يكن هذا بالسر على الاطلاق . بيد أن الدول الشيوعية كانت مستعدة ، فى الوقت الحاضر ، أن تساعد الدول الحديثة فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية كى تقف على أقدامها من الناحية الاقتصادية والسياسية لأن ذلك ، فى التقديرات الشيوعية ، سيولد الصراع بين الدول الحديثة والدول الاستعمارية ويعجل بعملية انهيار النظام الاستعمارى الرأسمالى .

كما أنه قد يكون فى امكان الاتحاد السوفيتى استغلال الرأى العام الدولى فى الحرب الباردة ضد البلاد الرأسمالية . ولذا قدم الاتحاد السوفيتى كل مساعدة ممكنة للدول الحديثة فى نضالها ضد أوروبا الغربية والولايات المتحدة . وقد تقبلت الدول الناشئة هذه المساعدات وكسبت من ورائها ، وكانت تدرك طوال الوقت أن هدف السوفييت النهائى هو التوسع فى النظام الشيوعى فى جميع انحاء العالم ، وتأمل هذه الدول أن النظم التى ترغب فى اقامتها فى بلادها ستكون من القوة بحيث تصد تيار الشيوعية .

وليس فى هذه النظم أو المجتمعات مبادىء متعنتة كثيرة . وغالبا

---

(١) * ظهر موقف حاد نوعا في الحلقة الدراسية التى عقدت في نيودلهى في اكتوبر عام ١٩٦١ حول الاستعمار البرتغالى . وقد حضره عدد من وفود الدول الافريقية التى تحث الحكومة الهندية ، مرارا ، على طرد البرتغاليين بالقوة من جوا . وقالت هذه الوفود ان هذا الامر سوف يضعف قبضة البرتغال على مستعمراتها الافريقية .

بيد أن المتحدثين الرسميين الهنود عارضوا أعمال العنف ، ولم تؤد حجتهم في استخدام الكفاح السلمى ضد البرتغاليين في جوا الا الى اصابة الافريقيين ، وخاصة هؤلاء القادمين من المستعمرات البرتغالية ، بالدهشة وخيبة الامل . وتحير المراقبون حينما اكتشفوا انه بينما كانت حكومة الهند تعقد الرجاء على ان نجاح الكفاح من أجل الحرية في انجولا سوف يسرع بتحرير جوا ، كان شعب افريقية البرتغالية يتطلع الى الهند كى تبدأ بتصفية الاستعمار البرتغالى ، بيد أن المناقشات في الحلقة الدراسية قد ادت الى اتفاق عام ينص على ضرورة قيام جميع الدول المناهضة للاستعمار بتأليف جبهة متحدة في الامم المتحدة وفي الاماكن الاخرى من اجل تحقيق حرية المستعمرات الباقية وخاصة حينما يعتمد حتى أسوأ النظم الاستعمارية ، وهو الاستعمار البرتغالى ، على المساعدات المادية الملموسة من الحلفاء بما في ذلك من الولايات المتحدة وبريطانيا .

ماتتناسى الدول الغربية أن معظم دعايتها المعادية للشيوعية لا تجد أذنا مصغية فى آسيا وأفريقية وامريكا اللاتينية لسبب بسيط هو انهـا لم تتعامل من قبل مع الدول الشيوعية . ويعتبر الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الحاضر ، محسنا ، وفى بعض الاحيان يعتبر محسنا ناجحا للغاية . وقد أصبحت الجارات غير الشيوعية للصين اكثر تعقيدا فى التفكير لكن افريقيـة وأمريكا اللاتينية لاتزالا تجهـلان الدوافع والاستراتيجية الشيوعية . ويتمتع زعماء الدول الحديثة بعقلية متفتحة نسبيا وهم يقومون بعملية اعادة بناء مجتمعاتهم . فهم يقدرون الحريات الديمقراطية التى يمارسها الغرب ولكنهم يعرفون أيضا نقاط الضعف فى النظم الديمقراطية الغربية . وتود جميع الدول الحديثة تقريبا أن تقيم مجتمعا يدين بالمساواة ، ودولة رفاهية تسمى بالدولة الاشتراكية .. وتود الافادة من خبرات البلاد الشيوعية والرأسمالية على حد سواء. ولم تفتنها الرأسمالية أوالشيوعية ولا تعتقد أغلبية هذه الدول باستحالة وضع تركيب يشتمل على أفضل ما يقدمه النظامان ، وعلى أية حال يقوم العلم والتكنولوجيات ببناء عالم جديد متجانس فى شكله الى حد كبير .

وتعتقد الدول الحديثة انه حينما تتولى زمام امورها ، وحينما تتغلب على الركود الذى ظل قرونا وتصل الى مرحلة الانطلاق فى اقتصادها ، وحينما تقيم مجتمعات مستقرة ، وتجتاز حواجز الفقر والجهل ، فان ميزانها الحضارى سيكون له تأثير مهدىء على سياسة الدول . وقد يكون هذا مجرد أمنية ، مجرد حلم لن يتحقق . ولكن الحلم قائم بالفعل ، وهو يلهم ملايين الشعوب فى آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية كى تشن كفاحا لا هوادة فيه من أجل اقامة نظام اجتماعى جديد . والسلام هو الشىء الذى هم فى أمس الحاجة اليه . وهم يعلمون جيدا أن الحرب سوف تفني الجنس البشرى . والأمر الذى ترفضه هذه الدول هو أن ترى نفسها وهى تستخدم كمخالب قط فى الصراع من أجل القوة . انها دول ضعيفة ، وتكمن فيها جميع نقاط الضعف التى فى الضعيف ، ومع ذلك تتمتع هذه الدول بقوة فى الارادة ، وقوة فى المثابرة التى حركت الجبال وحولت الصحارى الى جنات .

ويدرك زعماء الدول الحديثة أنه كلما كانت عملية التحول أكثر عنفا ، تعرضوا للخسارة ، ولا يعتبر هؤلاء الزعماء ثوريين متطرفين . فانهم يودون أن يروا عالما جديدا يتطور بالسرعة المرغوبة ولكنهم لايريدون ثورات جامحة . ونظرا لأنهم فى اشد الحاجة الى السلام ، فانهم يسعون الى تطويق الحرب الباردة وحث الدول الكبرى على التعايش .

وقد نجحوا في ذلك الى حد ما . ونشأ موقف فهمت فيه الكتلتان دول عدم الانحياز وقدرتها . فالكتلتان الكبيرتان مجهزتان بالقدر نفسه ، بأسلحة الدمار العالمية ، كما انهما تخشيان ، بقدر متساو ، بدء أية حرب ، من أجل هذا كان اعتمادهما على الدول غير المنحازة من أجل حل الازمات المتجمدة . واذا كان من المتعذر التوصل الى خلف لمستر همرشولد في الأمم المتحدة (١) . فان البحث جار عن مواطن مقبول من العالم غير المنحاز ، مواطن يستطيع أن يقدم ، على الاقل ، حلا وسطا لأية مشكلة معقدة . ويتعين على الدول غير المنحازة أن تربط نفسها بأى جهود تبذل لحل مشكلة نزع السلاح التى يبدو انها عويصة . ولن تستطيع الدول الكبرى أن تفعل شيئا فى مجتمع عالمى تسيطر عليه افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، دون كسب تأييد هذه الدول .

ان عدم الانحياز فلسفة دولية تجتذب مزيدا من الأنصار على مر الشهور . وهناك صيحة تدعو الى تفريق الجيوش من وسط أوروبا ، والى اقامة منطقة خالية من الأسلحة الذرية فى شرقى آسيا والباسفيكى .. وكل هذه دلائل على قوة عدم الانحياز الصاعدة . وهناك محاولة جادة فى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة لدراسة دوافع عدم الانحياز والتعمق فى مبدئه . وقد مضى العهد الذى وصم فيه عدم الانحياز بأنه مناف للاخلاق وأصبح عدم الانحياز الآن فكرة أساسية حديثة تلقى الاحترام على النطاق الدولى .

ومع ذلك لن يقيض لعدم الانحياز البقاء الا اذا تحرر العالم من خطر الحرب النووية . لكن ما ان تنشب هذه الحرب حتى لا يسلم ركن فى الارض من الفناء . واذا هلكت أقوى أمم الارض وأكثرها ثراء ، فان القلة الفقيرة الناجية ستجد أنه لا قيمة للحياة فوق كوكب محترق تمزقت اشلاؤه ، ولا يستطيع عدم الانحياز أن يؤدى دوره كقوة فعالة الا اذا امتنعت الدولتان الكبريان عن الصدام الفعلى . لذا يتعين على عدم الانحياز أن يجعل جل اهتمامه للحيلولة دون الحرب الباردة ، وشن حملة — لا هوادة فيها — على الحرب . وان هذه الحملة لمستمرة .

---

(١) * تم اختيار أوثانت بعد كتابة هذه السطور . (المترجم) .

ملحق
نداء بلجراد للسلام

أصدر مؤتمر القمة للدول غير المنحازة الخمس والعشرين والمنعقد فى بلجراد نداء للسلام موجها الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وذلك فى نهـاية مؤتمرهم الذى استمر خمسـة أيام ابتداء من ٥ من سبتمبر عام ١٩٦١ ٠

وقد أبرقوا بنداء السلام الى موسكو وواشنطن . وسـلمه مستر نهرو ودكتور نكروما ، فيما بعد ، شخصيا ، الى مستر خروشوف فى الكرملين يوم ٧ من سـبتمبر وعقد معه محـادثات استمرت ساعتين ونصف الساعة .

وسلم الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا والرئيس كيتا رئيس جمهورية مالى نداء السلام الى الرئيس كيندى فى البيت الابيض يوم ١٢ من سبتمبر ، وعقدا معه اجتماعين .

وأرسل مستر كنيدى ردا رسميا لمبعوثى بلجراد فى ١٦ من سبتمبر بينما رد المستر خروشوف على نداء السلام فى ٢٢ من سبتمبر وهذا هو النص الحرفى لنداء السلام ٠

« ان هذا المؤتمر لرؤساء دول أو حكومات البلاد غير المنحازة ليشعر بالقلق البالغ ازاء الموقف الخطير القائم ، الى جانب التوتر الدولى الماثل ، الامر الذى لم يحدث مثيله من قبل ، والذى يهدد العالم بخطر احتمال وقوع نزاع مفاجىء قد يتحول بلا مراء الى حرب عالمية .

ففى هذا العصر الذى يجرى فيه تكديس الاسلحة النووية ، واسلحة الدمار الشامل فان مثل هذا النزاع وهذه الحرب سوف يؤديان لامحالة الى دمار لم يسمع به أحد من قبل ، ان لم يؤديا الى فناء العالم .

ويرى هذا المؤتمر انه يجب تجنب هذه الكارثة ، وعلى ذلك فان الضرورة الملحة تقضى أن توقف فورا الاطراف المعنية ، وخاصة الولايات

المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتى ، استعداداتهما الأخيرة للحرب وخططهما ، وألا تتخذا خطوات من شأنها أن تضاعف أو تسهم فى ازدياد تدهور الموقف . وأن تستأنفا المفاوضات من أجل تسوية سلمية لأية خلافات قائمة بينهما مع الاحترام التام لمبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وان تواصلا المفاوضات حتى تحقق الدولتان ، مع بقية العالم ، نزع السلاح نزعا كاملا واقرار السلام الدائم .

ومع أن القرارات التى قد تؤدى الى حرب أو سلام فى الوقت الحاضر ترجع الى الدول الكبرى ، فان آثارها تصيب العالم بوجه عام ، ولذا فان جميع الامم والشعوب تحرص دائما ، على أن تكون مناهج وتصرفات الدول الكبرى مما يمكن الجنس البشرى من السير قدما نحو السلام والرخاء نحو فناء المدنية .

ويناشد هذا المؤتمر رئيس الولايات المتحدة الامريكية ورئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ، لعلمه اليقين بأنهما يسعيان الى السلام ، أن يشرعا بأسرع مايمكن فى اجراء اتصالات مباشرة بينهما لتجنب خطر النزاع الماثل ولاقرار السلام .

ويعرب هذا المؤتمر عن أمله الوطيد فى أن جميع الامم الممثلة هنا ، وهى تقدر الخطورة البالغة للموقف ، سوف توجه نداء مماثلا لزعماء الدول الكبرى المعنية وبذلك تكون قد أعلنت ووافقت عن رغبة جميع البشر وتصميمهم على تحقيق السلام واقرار الامن الدائمين لجميع الامم » .

رد الرئيس كنيدى

رد الرئيس كنيدى على نداء بلجراد للسلام ، وهو النداء الذى قام الرئيس سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا ، والرئيس كيتا رئيس جمهورية مالى بتسليمه اليه ، قال كنيدى :

« لقد درست بعناية الرسالة التى بعثها مؤتمر دول عدم الانحياز والتى تفضلتم بتقديمها الى شخصيا ، وحكومة أمريكا تدرك أن دول عدم الانحياز التى اجتمعت فى بلجراد تمثل قطاعا هاما من الرأى العام العالمى ، كما تدرك بصفة خاصة أن شعوبها تشاطر شعبنا الاهتمام الحيوى بالمحافظة على السلام . وسوف نولى رسالة المؤتمر ، فى مداولاتنا المستمرة مع حكومات الولايات المتحدة ومع حلفائنا كل عناية واهتمام .

أما بالنسبة لاقتراح دخولى فى مفاوضات مباشرة مع خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ، فنحن على استعداد لاستخدام الوسائل المناسبة الموجودة حاليا لتحقيق امكان تخطى المأزق الحالى . ولقد كانت

سياستنا ، ولا تزال تسعى لتسوية مشاكلنا مع الآخرين بالوسائل السلمية .

ونحن لن نحاول أن نخلق الازمات ، ونحن نعتقد أن من واجب جميع الحكومات المسئولة ان تكشف جميع الطرق الممكنة ، ومنها المفاوضات على مستوى عال ، لايجاد حلول يقبلها الجميع للمشاكل الدولية الراهنة. ومع هذا فما لم يكن هناك سابق استعداد دقيق لهذه المفاوضات فانها قد تفشل ، وقد تؤدى الى انهيار الموقف ، ولهذا فنحن نشعر انه فى الوقت الذى يتفاقم فيه التوتر ، من الضرورى بصفة خاصة أن يسبق المفاوضات التي اقترحها مؤتمر بلجراد اعداد دقيق ، ليس هذافحسب، وانما يجب أن تكون امامها أيضا فرصة معقولة للنجاح .

وسيجتمع وزراء خارجية دول الغرب غدا فى واشنطن ، وفى الاسبوع القادم سيراس وزير الخارجية الامريكية وفد الولايات الى الجمعية العامة للامم المتحدة . ونحن نعلم أن جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى سيكون هناك ، وسيتيح هذا فرصة لاجراء مباحثات جدية حول المانيا وغيرها من المشاكل اذا ثبت أن الجانب السوفيتى على استعداد لذلك . وان الوسائل الدبلوماسية المفتوحة لاكتشاف الخطوات البناءة فى سبيل تخفيف التوتر . وهناك وسائل اخرى فىمتناول اليد يمكنها أن تخدم غرضا نافعا . ومع هذا فمن الواضح انه من الاهمية بمكان أنه لن تكون هناك تصرفات من جانب واحد تجعل التقدم السلمى مستحيلا .

ونحن لانجد سببا لعدم نجاح المفاوضات ، آخر الامر ، فى الازمة الحالية ، هذا اذا نظرنا الى الامور نظرة واقعية ، وكانت لدى الطرف الآخر ، ولدينا رغبة صادقة فى الوصول الى حل يرضاه الطرفان ، ومع هذا فنحن لاننوى الدخول فى مفاوضات تحت ضغط انذارات أوتهديدات. ومن الواضح أيضا أننا لانعتزم البحث فى التخلى عن مسئولياتنا أو نبذ القيم الاخلاقية من أجل وضع هذه المسئوليات موضع التنفيذ .

ومع ذلك فاننا نؤمن بامكانية الوصول الى حل يستطيع أن يخدم المصالح الحيوية لطرفى الازمة .

وقد لاحظت الولايات المتحدة بعناية الفقرات المتضمنة فى بيانات مؤتمر بلجراد التى اعترفت بأن الموقف فى برلين والمانيا له أهميته الحيوية بالنسبة للتطورات المقبلة فى العلاقات الدولية . ولقد كانت سياستنا دائما ـ وسوف تبقى ـ أن تتم تسوية الخلافات بواقعية واحساس بالمسئولية ، ونود أن نشير هنا الى ان هذه الازمة خلقها السوفييت ولم يخلقها الامريكيون ونحن نصدق على ما جاء فى بيان

المؤتمر عن حقوق جميع الشعوب فى الوحدة ، وتقرير المصيروالاستقلال، واستنكارها للارهاب والتدخل فى ممارسة حق تقرير المصير ، ونحن نرى أن هذه المبادىء تنطبق على شعب ألمانيا وشعب برلين على السواء.

وكانت سياستنا فى هذه المنطقة هى احترام هذه المبادىء ،وليست لدينا بالمرة نية النزوع الى القوة أو التهديد بالقوة لحل مشاكل برلين وألمانيا ولكننا مصممون على احترام التزاماتنا ونحن على استعداد لمقابلة القوة بالقوة اذا استخدمت ضدنا .

وبينما تتفق الولايات المتحدة وحلفاؤها جميعا على ضرورة اجراء مفاوضات بشأن هذه المشكلة فان على الاتحاد السوفييتى أن يبدى استعدادا للاشتراك فى مناقشة تعتمد على الاحترام المتبادل . ولقد كانت شروط الاستعداد الوحيدة التى أبداها هى شروط تطالب الغرب بأن يتخلى عن حقوقه .

ولا تزال الولايات المتحدة تعتقد أن عقد اتفاقية مناسبة لحظر التجارب تحت رقابة فعالة من الامور ذات الاهمية البالغة ، ولكننانريد أن نؤكد من جديد ايماننا بضرورة استئناف مفاوضات حظر التجارب النووية على حدة بخلاف مفاوضات نزع السلاح التام الشامل وقد ضاعف استئناف السوفيت لتجاربهم فى الجو من ضرورة الاسراع بتوقيع اتفاقية حظر التجارب حظرا كاملا ، ولا ينبغى أن نسمح لمفاوضات نزع السلاح العام المعقدة بأن تؤخر تحقيق هذه الخطوة الامامية ذات المغزى .

وينبغى على أن أؤكد مرة أخرى أسفى لان الاتحاد السوفييتى رفض عرض المملكة المتحدة والولايات المتحدة لوقف التجارب فى الجو التى ينجم عنها تساقط الغبار الذرى .

ولم نعلن عن عزمنا على استئناف تجارب تحت الارض الا بعد أن درسنا بعناية مقتضيات الامن الحيوية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وبعد الاستفزازات التى بلغت أوجها .

ونستطيع أن نؤكد لدول عدم الانحياز استعدادنا المستمر للتفاوض من أجل الوصول الى معاهدة فعالة ، ولكن مصالح أمن بلادنا وبلاد حلفائنا فى العالم الحر يجب حمايتها ، وتتطلع الولايات المتحدة الى اليوم الذى سينظر فيه بالفعل فى موضوع حظر التجارب النووية فى دورة الجمعية العامة القادمة التى نرجو أن تزحزح السوفييت عن موقفهم فيتركوا معارضتهم للرقابة الفعالة ويقبلوا توقيع اتفاقية لحظرالتجارب النووية .

ويسر الولايات المتحدة أن تلحظ أن المشتركين فى المؤتمر الاخير ببلجراد قد ذكروا اهمية وجود نظام فعال للتفتيش والاشراف . هذا

هو جوهر الامر ، وواضح من مقترحات الولايات المتحدة من اجل مفاوضات التجارب النووية ، ان الولايات المتحدة تفكر فى اجراءات التفتيش والاشراف فى حقل نزع السلاح ، بحيث تسهم فيها دول عدم الانحياز وغيرها من الدول .

ومنذ شهور والولايات المتحدة تقوم بدراسة واسعة النطاق لمشكلة نزع السلاح الشامل . وكانت نتيجة الدراسة ان طلب الى الكونجرس تأليف هيئة لنزع السلاح ، كذلك أسفرت الدراسة عن ظهور خطة شاملة لنزع السلاح نزعا كاملا ، وهذه الخطة فى مراحل الاعداد الاخيرة، تمهيدا لعرضها على الملأ . وتكفل هذه الخطة برنامجا يضمن وجود نزع للسلاح عام وكامل يؤكد أن الحرب لم تعد أداة لحل المنازعات الدولية . ولهذا يجب أن يصحب نزع السلاح ايجاد اجراءات يعتمد عليها فى تسوية المنازعات سلميا والمحافظة على السلام وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة .

والتزام الولايات المتحدة بهذه الاهداف عميق ، ولن يجد زملاؤنا فى المجتمع الدولى أننا ضعاف القلب فى هذا الميدان .

وقد بدأت محادثات يوم ٦ من سبتمبر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى نيويورك من أجل تقريب وجهى نظر الجانبين واجراء مداولات مرضية من أجل نزع السلاح . وتنص المقترحات التى عرضتها الولايات المتحدة فى هذه المباحثات على اشتراك البلدان غير المنحازة فى مفاوضات ضخمة تجرى فى المستقبل من أجل نزع السلاح . ونصت أيضا على اجراء مفاوضات تحت اشراف الامم المتحدة اذا وافق الاتحاد السوفييتى . وتعتقد الولايات المتحدة أن الجمعية العامة ستسنح لها فرصة تدارس هذا الامر : ذلك ان لجنة تضم الجميع موجودة بالفعل فى شكل لجنة نزع السلاح ، وهى تستطيع أن تجتمع فى أى وقت .

وختاما دعنى أقول ياسيادة الرئيس : اننا وجدنا فى الرسالة وفى بيان المؤتمر عناصر تعكس رغبة أصيلة لتخفيف حدة التوتر ، وهى لو طبقت بطريقة حيادية وموضوعية حقا ، لاسهمت بطريقة ايجابية ، فى تخفيف حدة التوتر العالمى .

ونحن نحترم كما هو عهدنا دائما رغبة الشعوب الأخرى فى أن تبقى غير منحازة . ونحن نفهم رغبتها المتعطشة الى السلام ونشاطرها هذه الرغبة ونحن على استعداد كما هو عهدنا دائما للتضافر مع جميع الخطوات التى تتخذ لتحسين الموقف الدولى ونحن نتطلع الى استمرار العلاقات الودية بيننا وبين الحكومات والشعوب المشتركة فى اجتماع بلجراد .

واشنطن — ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٦١

جون ف. كنيدى

رد الرئيس خروشوف

وبعث مستر خروشوف برد مماثل الى مستر نهرو والدكتور نكروماه وذلك فى الثانى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦١ . واذاعت وكالة تاس نص الرسالة فى نيودلهى فى الرابع والعشرين من سبتمبر .

السيد المحترم رئيس الوزراء

لقد درست ، باهتمام وشغف كبيرين ، الرسالة التى بعث بها المؤتمر ، المنتهى اخيرا لرؤساء دول وحكومات ٢٥ أمة غير منحازة ؛ ولقد تأثرت كثيرا لأنكم تجشمتم عبء احضار الرسالة الى موسكو وتسليمها لى شخصيا . وانى لأعبر عن امتنانى العميق لجميع أطراف المؤتمر ، الموقرين ، لأنهم بعثوا بهذه الرسالة . ومما يثلج الصدر أن رأى الحكومة السوفيتية فى الموقف العالمى الراهن يتفق ، فى جوانب كثيرة ، مع الاعتبارات التى عرضتها الرسالة التى بعث بها المسئولون فى المؤتمر . ولقد أثلج صدرى وثائق المؤتمر ، الاخرى ، المتشبعة بالقلق على مصاير العالم .

وكيف لايبتهج المرء حين يجد أن حكومات الدول الحيادية ، التى يشكل سكانها ثلث الجنس البشرى ، قد رفعت صوتها لتدافع عن السلام وتندد فى اصرار ، بسياسة الاستعدادات للحرب . وتزداد أهمية هذا الامر بالنسبة للتطورات الدولية ، اذا عرفنا أن الكفاح من أجل منع الحرب وتعزيز السلام سنظل العمود الفقرى لجميع جوانب السياسة الخارجية للدول الاشتراكية التى تشكل ثلثا آخر من الجنس البشرى .

وهكذا اتسعت دائرة الدول التى تعتبر الاشتغال بقضية السلام رسالتها الحيوية .

وليس من شك فى ان اصرار المؤتمر على المبادرة الى ابرام معاهدة لنزع السلاح العام التام ستلقى اهتماما من جميع الناس : نعم ، انها أكثر المسائل الحاحا واهمية ، ذلك اننا نعثر فيها على مفتاح يمكن أن نعتمد عليه من أجل استتباب السلام فى الارض .

ان الحكومة السوفيتية تنظر ، باحترام كبير ، الى الاعتبارات والنتائج التى وصل اليها المؤتمر فى عدد من المسائل الدولية الاخرى ، بما فى ذلك من مسألة التصفية النهائية الكاملة للاستعمار واليوم نستطيع ان نقول بكل ثقة : ان ضغط القوى المجتمعة للشعوب ستقضى بسرعة ، بسرعة جدا ، على مقاومة الدول التى تتشبث بممتلكاتها الاستعمارية التى ظلت عشرات من السنين تهب لها الثروة، غير أن هذا حدث لأن الاستعماريين سرقوا شعوب المستعمرة واستغلوهم بطريقة وحشية . عرق ودم هذه

الشعوب ـ هذا هو مصدر ثروة الدول الاستعمارية وقد اقترب اليوم الذى سيختفى فيه الاستعمار من على ظهر الارض كلية .

وفى الرسالة التى تسلمتها عبر المشتركون فى المؤتمر عن قلقهم الشديد بسبب تفاقم الموقف الدولى وخطر الحرب ، وان الحكومة السوفيتية تشاركهم فى هذا القلق كل المشاركة .

وطوال الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية لم يشعر الناس بخطر الحرب مثلما يشعرون به اليوم . وكلكم يعرف ، دون شك ، أن هذه الاوضاع لاتظهر من تلقاء نفسها ، وانما هى وليدة نشاط تمارسه قوى معينة لاتهتم باقرار السلام .

ولا يغرب عن بالنا أن سياسة دول حلف الاطلنطى تزداد تأثرا بدوائر لاتريد الا الحرب ، ولا تريد الا دفع العالم الى الحرب . ويبدو أنهم اكتشفوا أن الزمن يعمل ضد النظام الاستعمارى القديم القائم على السيطرة والاضطهاد ، وعلى انتهاك حقوق الشعوب الاساسية ، وهم يظنون أن الوقت قد حان للمقامرة بكل شيء وشن الحرب لايقاف التغيرات الهائلة التى تطرأ اليوم على حياة الشعوب فى جميع انحاء العالم وبخاصة فى القارات التى كانت بالأمس فقط تئن من سوط السادة الاستعماريين .

وهذه النتيجة تفرض نفسها عندما تدركون أن حكومات الدول الغربية تضاعف من استعداداتها العسكرية بكل طريقة وتضاعف من ميزانياتها العسكرية التى باتت اليوم متضخمة بالفعل وتستدعى الاحتياطى وتشيع بين صفوف شعوبها الروح العسكرية التى ظهرت بصورة متطرفة فى عدد من حلف شمال الاطلنطى . ويبدو أن هذه الاقطار لا تمانع فى استغلال المسألة الجوهرية التى لا تحتمل اى تأجيل ـ من أجل المواجهة العامة ـ وهذه المسألة هى عقد معاهدة صلح المانية تؤدى الى تحسين الموقف فى أوروبا بطريقة جوهرية ، هذا اذا ادركنا حقيقة الوضع الذى ظهر فى المانيا نتيجة لتأليف دولتين المانيتين تتمتعان بالسيادة وسيخدم هذا قضية السلام العالمى بطريقة جادة .

وطبيعى أن الشعب السوفييتى لا يستطيع أن يقف موقف المتفرج السلبى وهو يرى بعض الدول تقدم على اجراءات لا معنى لها ـ ولأكن صريحا ـ اجراءات خطرة مغامرة . ولقد اضطررنا لاتخاذ اجراءات تعرفونها من أجل تعزيز أمن بلادنا . ولو لم نفعل ذلك لعرضنا بلدنا لوضع خطير على حين أن القوى المعتدية تهددها .

وأود أن انتهز هذه الفرصة لأعلن عن ايماننا العميق بأن الاجراءات التى اتخذناها لا تخدم فقط مصلحة الشعب السوفييتى وحلفائنا الذين

يدافعون مثلنا عن قضية السـلام ويلمسـون الحاجة الى وضع خط تحت الحرب العالمية الثانية وعقد معاهدة صلح المانية من أجل هـذا الغرض ، وانما تخدم أيضا جميع الشعوب الاخرى التى تتطلع الى حياة يسودها السلام . ونحن مغتبطون لأن اجراءاتنا الدفاعية قد وجدت من يفهمها حق الفهم فى معظم دوائر الرأى العام ، العريضة ، فى عدد كبير من البلدان .

وأود كذلك أن أقول لكم ، بصراحة وبلا مواربة ، بالرغم من أنكم لا تجهلون هذا ، أن الاتحاد السوفييتى لا يريد أن يسير فى طريق المنافسة العسكرية الذى سارت فيه دول الغرب . ليست هذه سياستنا ، وليس هذا طريقنا ، ونحن لا نحب أن نسير فى هذا الطريق الا اذا اضطررنا الى ذلك . وان أعظم رغبة لنا وأقدسها هـو أن نعيش فى وئام مع جميع الدول ، أن نعيش فى عالم ليس فيـه تسـلح ، فى عالم ليس فيـه حروب .

من أجل هذا نطالب ، بالحاح بأن يتخـذ الساسة المسئولون عن مصاير العالم القرار الوحيد السديد : أن يضعوا حدا للبقية الباقية من الحرب العالمية الثانية ، وأن يسحقوا تماما أجهزة الحرب التى لدى الدول ، وأن يحطموا كل الأسلحة بما فى ذلك من الأسلحة النـووية التى ستقضى نهائيا على مشكلة تجارب الاسلحة النووية ، ان هـاتين المشكلتين مرتبطتان ارتباطا عضويا ولا يمكن فصل احداهما عن الاخرى ولا يمكن حلهما الا فى وقت واحد .. هـذا ما حاولت أن أؤكده بكل سبيل خلال لقائى الاخير بالرئيس كنيدى فى فيينا .

والمشتركون فى مؤتمر الأمم غير الملتزمة يحثون فى رسالتهم على اجراء مفاوضات بين الدول الكبرى لاستبعاد خطر الحرب .

وهم يقترحون بصفة خاصة اجراء محادثات مبـاشرة بين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السـوفييتى ورئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ..

ماذا نقول فى هذا ؟

تعرفون بالطبع أن الاتحاد السوفييتى كان يطالب دائما بحل المشاكل البارزة عن طريق المفاوضات ، ومن الطبيعى ايضا ان نؤمن اليوم بأن المحادثات بين الدول وبخاصة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحـدة باعتبارهما أكبر دولتين وأعظمهما أثرا تستطيع ــ ويجب ــ أن تؤدى دورا هاما فى تصفية الجو الدولى ، ونحن على استعداد من أجل ضـمان السلام لاجراء محادثات فى أى وقت وفى أى مكان وعلى أى مستوى .

ومنذ وقت طـــويل والحاجة ملحة كي يجتمع ساسة الامم التى حاربت ألمانيا الهتلرية ويجلســوا الى مائدة مؤتمر للســلام مع ممثلى الدولتين الآلمانيتين فى جو من الهدوء ، ودون ما انفعـــال لكى يصلوا الى معاهدة صلح تطفىء الجمرات المتبقية من اللهيب العالمى الذى اندلع منـذ خمسة عشر عاما مضت • ان هذه الجمرة موجودة بالفعل ، وهى ليست فى اى مكان وانما فى أواسط افريقية بالذات ، ومنها انتشر هـــذا اللهيب الذى أهلك بألسنته عشرات الملايين من الناس . ونحن شـعب الاتحـاد السوفييتى نعرف أكثر من أى أحد آخر ثمن هذه المأساة وكيف ذهبت بأرواح الكثير من البشر .

ولسنا بحاجة لان نقول ان الحاجة ماسة الى التفـــاوض حـول المشاكل الدولية الكبرى . ولقد قلنا هذا فى أكثر من مناسبة ، غير أن الحاجة ليست الى المفاوضات من أجل المفاوضات ، وقد علمتنا التجربة المرة أن نتحدث عن هـــذا الأمر بصراحة ، ولن تثمر المحادثات الا اذا اشترك فيها الساسة ولديهم رغبة جادة واســتعداد للوصــول الى اتفاقيات تعتبر أساسا لدعم السلام .

ويجب أن يكون لدى المشتركين فى المحادثات من الشجاعة ما يمكنهم من مواجهة الحقائق ويجب أن يدركوا بوضــوح أنه ليس هنــاك من يستطيع أن يحول تيار الاحداث التى تعكس التطور الطبيعى للمجتمع الانسانى .

لقد اضطررنا للحديث عن هذه النقطة ، لأن بعض زعمـاء الغرب لا يسلمون من اتجاهات مسترعية للنظر حتى حين تتعرض أهم القضايا للخطر .. انهم يكتفون بالنظر الينا ويقولون : اننا لا نستمع الى صوت العقل .. أليس صحيحا أن بعض زعماء الغرب دأبوا على تطعيم بياناتهم بأقوال مؤداها أنهم يلتزمون موقفا خشــنا ، وأنهم يستعذبون كلمـة « خشنا » هذه الكلمة بكل طريقة ؟

أما نحن فنعتقد أن الزعماء الذين أولتهم الشعوب ثقتها يشبهون من يمسك الدفة ان عليهم أن يتطلعوا الى الأمام ، وأن يروا بوضــوح الطريق الذى ستسلكه سفن دولتهم ، وعليهم على أية حال أن يروا هذا الطريق وأن يتجنبوا المخاطر والصخور الخفية . أليس صحيحا أن البداية الطيبة نفسها قد تتجه اتجاهات مختلفة ؟. ان المفاوضات تستطيع أن تصنع طريقا موثوقا به ، طريقا تستطيع هذه السفن أن تسلكه بثقة كى تصل الى المياه الهادئة وتتجنب العاصفة المتجمعة ، أما اذا حكم أحد بفشل المفاوضات سلفا وكرر التعويذة التى تنادى بالحـاجة الى اتخـاذ موقف خشن كما يفعل ســاسة معينــون فى بون مثلا ، فان

المفاوضات قد تجعل سفن الدولة ترتطم باليابسة وبالشعب الخبيثة الجالبة الكوارث على الشعوب .

اريدكم أن تنصفونى ، ان الحكومة السوفيتية على استعداد للاشتراك فى المفاوضات التى قد تهدف حقا الى الوصول الى أسرع حل للمشاكل الدولية الملحة قبل أى شىء آخر ، وذلك فى مؤتمر للصلح يبحث فى ابرام معاهدة صلح المانية وتهدئة الموقف فى برلين الغربية على هذا الاساس ، والحكومة السوفيتية على يقين من انه كلما سارعنا الى عقد هذه المفاوضات الجادة كان ذلك أفضل . وسيكون من دواعى الحنكة السياسية الكبرى أن تبرم هذه المعاهدة فى أسرع وقت وفقا لاساس متفق عليه .

واذا أردنا دعم السلام وتهدئة الموقف فى أوروبا وفى أنحاء العالم فان من الامور المستحبة أن تعترف البلدان الاخرى التى لم تعترف بعد بوجود دولتين المانيتين ــ جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية ــ على أن يكون الاعتراف « قانونيا » وعلى أن تنشىء العلاقات معهما . وسنحقق الغرض نفسه اذا سمحنا بدخول جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية منظمة الامم المتحدة .

ان هذا كله سيخلق حاجزا خطيرا تماما فى الدوائر التى تسعى الى الانتقال فى المانيا الغربية ، تلك الدوائر التى تحشد قواها ، كما هو معروف ، لكى تغير الظروف التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، ان دخول الدولتين الالمانيتين الامم المتحدة وانشاء العلاقات معهما سيعالج الوضع القائم فى المانيا وسيسهم هذا الى حد كبير فى دعم قضية السلام العالمى .

واسمحوا لى يا سيادة رئيس الوزراء أن أعبر مرة أخرى عن اغتباطى بالجهود التى تبذلونها شخصيا ويبذلها معكم كبار الساسة فى الامم الاخرى غير الملتزمة من اجل تصفية الجو الدولى ، واود أن أؤكد لكم أن الحكومة السوفيتية ستظل مخلصة لسياسة السلام ولن تألو جهدا فى تمكين الشعوب من أن تعيش بلا خوف من الحرب فى ظل السلام والرخاء .

ن . خروشوف

اعلان بلغراد

فيما يلى نص الاعلان الذى أصدره مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة فى السادس من سبتمبر عام ١٩٦١ :

عقد مؤتمر رؤساء الدول وحكومات الاقطار غير المنحـازة ببلغراد من الاول من سبتمبر حتى السادس من سبتمبر عام ١٩٦١ لتبادل وجهات النظر فى المشاكل الدولية بغية المشاركة بصورة اكثر فاعلية لخدمة السلام العالمى وتحقيق التعاون السلمى بين الشعوب . وقد اشترك فى هذا المؤتمر الدول الآتية :

أفغانستان ــ الجزائر ــ بورما ــ كمبوديا ــ سيلان ــ الكونغو ــ كوبا ــ قبرص ــ اثيوبيا ــ غـانا ــ غينيا ــ الهنـد ــ اندونيسيا ــ العراق ــ لبنان ــ مالى ــ المغرب ــ نيبال ــ المملكة العربية السعودية ــ الصومال ــ السودان ــ تونس ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ اليمن ــ يوغوسلافيا . وحضر المؤتمر مراقبون عن كل من بوليفيـا والبرازيل واكوادور .

وجاء اجتماع رؤساء دول وحكومات البلدان السالف ذكرها فى وقت ساءت فيه حال الاحداث الدولية ، وتعرض السلام لتهديد خطير .

وان الدول المشتركة فى المؤتمر اذ تشعر بقلق بالغ نحو مستقبل السلام واذ تعبر عن أمانى الغالبية العظمى لشعوب العالم وهى فى الوقت نفسـه اذ تدرك انه لا يمكن ولا يجوز لأى شعب أو حـكومة فى وقتنا هذا التخلى عن تحمل مسئولية المحافظة على السلام العالمى .

وقد درست بالتفصيل ، وفى جو من المساواة والاخلاص والثقة المتبادلة الحالة الراهنة للعلاقات الدولية والاتجاهات السائدة فى عالم اليوم .. وتعلن ما يأتى :

ان رؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة اذ يلاحظون وجود ازمات تؤدى الى صراع عالمى خلال الانتقـال من نظـام قديم قام على السيطرة الى نظام جديد يقوم على التعاون بين الامم ودعامته الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية من اجل تنمية الرخاء .

وهم اذ يعتبرون أن الاساليب والأشكال الديناميكية للتغير الاجتماعى كثيرا ما تسفر أو تعبر عن صراع بين القوى القومية القديمة والقوى التى ظهرت حديثا .

ويرون انه لا يمكن تحقيق سلام دائم الا اذا أدت هذه المجابهة الى

عالم تنمحي منه سيطرة الإستعمار والتوسع الجديد بجميع مظاهرها ، وهم يعترفون بان ما يهدد السلام العالمي فى فتـرة الصراع هـذه فى افريقية وآسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية من حالات طـارئة خطـيرة بالاضافة الى ما يمكن ان يؤدى اليه التنافس بين الدول الكبرى من اشتعال حرب عالمية ، وأن القضاء على أسباب الصراع قضاء كاملا لايعنى الا القضاء على الاستعمار فى جميع صوره واشكاله مع قبول وممارسة سياسة التعايش السلمى فى العالم ، وانه على هدى من هذه المبـادىء فان فترة الانتقال والصراع هذه يمكن أن ترسى أساسا وطيـدا للتعاون والاخوة بين الامم ، لذا فان رؤساء الدول والحكومات غير المنحـازة يعلنون :

ان الحرب لم تهدد البشرية من قبل بعواقب أوخم مما تهددها بها اليوم ، ومن ناحية أخرى لم تتهيأ للبشرية فى أى وقت مضى قوى أشد مما أتيح لها اليوم للقضاء على الحرب كأداة سـياسية فى العلاقات الدولية .

أن الاستعمار تخور قواه اليوم ، والامبراطورية الاستعمارية وغيرها من أشكال السيطرة الاجنبية على الشعوب فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية تختفى بالتدريج ، ولقد تحققت انتصارات كبيرة فى نضـال شعوب عدة من أجل الاستقلال الوطنى والمساواة .

وعلى هذا النحو نفسه فان شعوب أمريكا اللاتينية لا تزال تساهم مساهمة ايجابية متزايدة فى تحسين العلاقات الدولية . كما ان التغيرات الاجتماعية الكبرى فى العالم تدفع هذا التطور خطوات اخرى الى الامام .

وهذا كله لا يعجل بنهاية عهد السيطرة الاجنبيـة على الشـعوب فحسب ، بل يعجل كذلك بالتعاون السلمى القائم على مبادىء الاستقلال والمساواة فى الحقوق بين الشعوب كشرط أساسى لحريتها وتقدمها .

ان تقدما هائلا قد تحقق فى التطـور العلمى والفنى وفى وسائل التنمية الاقتصادية .

ولقد دفعت هذه التطورات فى العالم الى زيادة الوعى لدى الغالبية العظمى من ابناء البشر فأصبحت تعرف أن الحرب بين الشعوب ليست اسلوبا بائدا فحسب وانما هى كذلك جريمة ضد الانسانية . وأن وعى الشعوب هذا فى طريقه الى أن يصبح قوة معنوية عظيمة قادرة على أن تباشر نفوذا فعالا فى تطور العلاقات الدولية .

ان حكومات البلاد المشـتركة فى المؤتمر استندت الى هذا والى

ارادة شعوبها ولذا ترفض رفضا قاطعا الراى القائل بأن الحرب بما فى ذلك من الحرب الباردة أمر لا مفـر منه ، ذلك ان هـذا الرأى يعكس شعورا بالعجز واليأس معا ، وهو يتعارض مع التقدم العالمى ، كما تؤكد هـذه الحـكومات ايمانها الذى لا يتزعزع بأن المجتمع الدولى قادر على تنظيم حياته دون الرجوع الى وسائل تمت بالفعل الى عصر مضى من تاريخ الانسان .

غير أن الـكتل العسكرية القائمة التى اخذت تتحول الى تجمعات عسكرية واقتصادية وسياسية تزداد قوة تشير بالضرورة بحكم منطق وطبيعة العلاقات بينها تفاقما فى العلاقات الدولية بين وقت وآخر . وان الحرب الباردة والخطر الشديد الدائم من تحولها الى حرب فعلية انما أصبح جزءا من الموقف الذى يسود العلاقات الدولية .

ومن أجل هذا كله يرغب رؤساء وممثلو حكومات البلاد غير المنحازة أن يوجهوا أنظار المجتمع العالمى الى الموقف القائم والى ضرورة قيام كل الشعوب ببذل الجهود لايجاد طريق مضمون يؤدى الى اقرار السلام .

ويتميز العالم اليوم بوجود نظم اجتماعية مختلفة ولا ترى البـلاد المشتركة فى هذا المؤتمر أن هذه الاختلافات تشكل عقبة لايمكن تخطيها فى سبيل اقرار الســلام اذا ما انتفت محاولات السيطرة والتدخل فى التطور الداخلى للشعوب والامم الاخرى .

ويجب على كل الشعوب والامم أن تحل مشاكل نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية طبقا لظروفها وحاجاتها وامكانياتها

وبالاضافة الى ذلك فان كل محاولة لفرض أى نظام اجتمـاعى أو سياسى أو غير ذلك على الشعوب بالقوة ومن الخارج انما هى تهـديد مباشر للسلام العالمى .

وتعتبر البلاد المشتركة أن مبادىء التعايش السلمى فى هذه الظروف هى البديل الوحيد « للحرب الباردة » وللكارثة الذرية الشاملة المحتمـل وقوعها .

ولذلك فان هذه المبادىء التى تتضمن حق الشـعوب فى تقـرير مصيرها بنفسها وحقها فى الاستقلال ، وفى حرية تقرير أشكال وأساليب تطورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى يجب أن تكون المعيار الوحيـد لجميع العلاقات الدولية .

ان التعاون الدولى الفعال فى ميادين التبادل المـادى والثقافى بين الشعوب وسيلة أساسية لدعم الثقة بامكانية تحقيق التعايش السـلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة .

وفى هذا الصدد يؤكد المشتركون فى المؤتمر ان سياسة التعايش تعنى بذل جهد فعال للقضاء على المظالم التاريخية وتصفية الاضطهاد الوطنى ، وتكفل هذه السياسة فى الوقت ذاته لكل شعب تطوره المستقل

ولما كانت البلاد المشتركة تدرك أن الاختلافات الايديولوجية انما هى بالضرورة جزء من نمو المجتمع الانسانى ، فانها ترى أن على الشعوب والحكومات أن تمتنع عن استخدام هذه العقائد فى شن الحرب الباردة ، أو ممارسة أى ضغط أو فرض لارادتها .

ان رؤساء دول حكومات البلاد غير المنحازة الذين اشتركوا فى المؤتمر لا يقترحون حلولا محدودة لجميع الخلافات الدولية وخاصة القائمة بين الكتلتين ، وانما يودون قبل كل شىء أن يوجهوا الانظار الى المشاكل الحادة لعصرنا التى يجب أن تحل على وجه السرعة لكيلا تؤدى الى عواقب وخيمة لايمكن علاجها .

وفى هذا المجال يؤكدون بوجه خاص الحاجة الى الشعور العظيم بالمسئولية والتفكير الواقعى عن القيام بحل مختلف المشاكل الناجمة عن الاختلافات فى النظم الاجتماعية .

ومما يجعل الدول غير المنحازة اكثر رغبة فى انتهاج هذا السبيل انها تدرك أن السلام والاستقرار فى هذا العالم يتوقفان الى حد كبير على العلاقات المتبادلة بين الدول الكبرى .

واذ يدرك المشتركون فى المؤتمر هذا ، يرون انه يتعين على الدول الكبرى ، من حيث المبدأ ، أن تتخذ اجراءات أكثر تصميما من أجل حل مختلف المشاكل عن طريق المفاوضات ، على ان تبدى فى الوقت نفسه الاتجاه البناء الضرورى والاستعداد للوصول الى حلول يقبلها الجميع وتخدم السلام العالمى .

ويعتبر المشتركون فى المؤتمر أن وجود الدول غير المنحازة ، فى ظل الظروف الراهنة ، والنشاط الذى تبذله لخدمة السلام ، من العوامل الهامة لحماية السلام العالمى .

ويرى المشتركون فى المؤتمر انه من الضرورى أن تشترك الدول غير المنحازة فى حل المشاكل الدولية البارزة التى تتعلق بالسلام والامن ، اذ ليس من بينها من يستطيع أن يظل بمعزل عن هذه المشاكل ، او لايبالى بها .

وهى ترى أن التوسع فى رقعة الدول غير الملتزمة فى العالم هو البديل الوحيد الذى لا غنى عنه لسياسة التقسيم الشامل للعالم الى كتلتين ، وسياسة تفاقم الحرب الباردة . والدول غير المنحازة تشجع وتساند كل الشعوب التى تحارب من أجل الاستقلال والمساواة .

والمشتركون فى المؤتمر على يقين من أن ظهور الاقطار التى تحررت حديثا سيسهم فى تضييق رقعة العداوات بين الكتل ،وبذلك يشجع جميع الاتجاهات الرامية الى دعم السلام واقرار التعاون السلمى بين امم مستقلة متكافئة .

١ ـ يؤكد المشتركون فى المؤتمر تأييدهم التام للاعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة وهو الذى أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الخامسة عشرة ، ويوصون بالقضاء على الاستعمار قضاء مبرما عاجلا غير مشروط ، وقد عقد المجتمعون العزم على بذل الجهود المشتركة لوضع نهاية لجميع أنواع الاستعمار الجديد والسيطرة الاستعمارية فى جميع اشكالها ومظاهرها .

٢ ـ يطالب المشتركون فى المؤتمر بانهاء الاعمال العسكرية فورا وكذا اجراءات القمع الموجهة ضد الشعوب غير المستقلة لتمكينها . فى حرية وبالوسائل السلمية ، من ممارسة حقها فى الاستقلال التام واحترام تكامل أراضيها القومية ، وان كل معونة يقدمها بلد الى أية دولة استعمارية فيما تقوم به من أعمال القمع يعتبر منافيا لميثاق الامم المتحدة .

ان البلاد المشتركة لتحترم بشدة التكامل الاقليمى لجميع الدول وتعارض بشتى الوسائل أية دولة تهدف الى ضم أراضى دولة أخرى اليها

٣ ـ تعتبر الدول المشتركة كفاح شعب الجزائر كفاحا عادلا وضروريا من أجل الحرية وتقرير المصير والاستقلال وكذلك من أجل وحدة أراضيه القومية بما فى ذلك من الصحراء ، ولهذا فهى مصممة على تقديم كل تأييد وعون ممكن لشعب الجزائر . وان رؤساء الدول والحكومات ليسعدهم ، بصفة خاصة ، أن يمثل الجزائر فى هذا المؤتمر رئيس حكومة الجزائر المؤقتة والممثل الشرعى لها .

٤ ـ توجه الدول المشتركة بقلق بالغ الانظار الى تطورات الموقف فى انجولا والى اجراءات القمع غير المحتملة التى تتخذها السلطات الاستعمارية البرتغالية ضد شعبها وتطالب بوضع نهاية عاجلة لأية اراقة لدماء شعب انجولا . ويطالب المشتركون أن تقدم جميع البلاد المحبة للسلام وخاصة الدول الاعضاء فى الامم المتحدة مساعدتها لشعب انجولا حتى يتمكن دون امهال من اقامة دولة حرة مستقلة .

٥ ـ يطالب المشتركون فى المؤتمر بانهاء كل احتلال استعمارى على الفور وبارجاع وحدة الاراضى للشعوب صاحبة الحق المشروع وذلك بالنسبة للبلاد التى انتهكت فيها هذه الوحدة فى آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية ، كما يطالبون بانسحاب القوات الاجنبية من أراضيها الوطنية .

٦ ـ تطالب البلاد المشتركة بجلاء القوات المسلحة الفرنسية عن جميع الاراضى التونسية فورا نظرا لحق تونس المشروع فى ممارسة سيادتها الوطنية الكاملة .

٧ ـ تطالب البلاد المشتركة بالا تتكرر الاحداث المفجعة فى الكونغو وتشعر أن من واجب المجتمع الدولى أن يواصل بذل مافى وسعه لمحو آثارها ولمنع أى تدخل أجنبى جديد فى هذه الدولة الافريقية الفتية وأن يساعد الكونغو على الانطلاق بحرية فى طريق التطور المستقل على أساس احترام سيادته ووحدته وسلامة أراضيه .

٨ ـ يستنكر المشتركون فى المؤتمر ، باصرار ، سياسة التفرقة العنصرية التى يمارسها اتحاد جنوب افريقية ويطالبون بالتخلى عن هذه السياسة فورا كما يقررون أن سياسة التفرقة العنصرية فى أى مكان من العالم تشكل انتهاكا لميثاق الامم المتحدة وللاعلان العالمى لحقوق الانسان

٩ ـ تعلن الدول المشتركة احترامها المطلق لحقوق الاقليات العنصرية والدينية التى ينبغى حمايتها بصفة خاصة من جرائم ابادة الجنس او اى انتهاك آخر لحقوقها الانسانية الاساسية .

١٠ ـ يندد المشتركون فى المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التى تنتهج فى الشرق الاوسط ويعلنون تأييدهم لاعادة جميع حقوق الشعب العربى فى فلسطين كاملة طبقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها .

١١ ـ تعتبر البلاد المشتركة اقامة قواعد اجنبية عسكرية والاحتفاظ بها فى أراضى البلاد الاخرى ولا سيما اذا كان هذا ضد ارادتها الصريحة انتهاكا صارخا لسيادة هذه الدولة . وتعلن تأييدها الكامل للبلاد التى تسعى لاجلاء هذه القواعد . وتدعو تلك البلاد التى تحتفظ بقواعد أجنبية الى التفكير جديا فى الغاء هذه القواعد مساهمة منها فى دعم السلام العالمى .

١٢ ـ تعتقد الدول المشتركة ان من الواجب احترام حق كوبا ، شأنها شأن أية أمة أخرى ، فى اختيار أنظمتها السياسية والاجتماعية بحرية بما يتمشى مع ظروفها واحتياجاتها وامكانياتها .

كما تعترف بأن وجود القواعد العسكرية لامريكا الشمالية فى جوانتانامو بكوبا ، والتى عارض فى بقائها حكومة كوبا وشعبها ، يؤثر على سيادة هذا البلد ووحدة أراضيه .

١٣ ـ يؤكد المشتركون فى المؤتمر ، من جديد ، أن :

(أ) لجميع الشعوب الحق فى الوحدة وتقرير المصير والاستقلال وفى

أن تقرر بمقتضى هذا الحق وضعها السياسى ، وتعمل بحرية ، ودون ضغط أو ارهاب ، فى سبيل تطورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى.

(ب) لجميع الشعوب ، تحقيقا لغاياتها ، أن تتصرف بحرية فى ثروتها ومواردها الطبيعية على الا يؤثر ذلك على التزاماتها الناشئة عن التعاون الاقتصادى الدولى ، القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولى .

١٤ ــ تعبر البلاد المشتركة عن تصميمها على الا يكون هناك اى ارهاب أو تدخل أو تطفل فى ممارسة الشعوب لحقها فى تقرير مصيرها بما فى ذلك من حقها فى انتهاج سياسات مستقلة بناءة لتحقيق سيادتها والمحافظة عليها .

١٥ ــ يعتبر المشتركون أن نزع السلاح ضرورة محتمة وانه أكثر واجبات البشرية الحاحا . وان الحل الاساسى لهذه المشكلة التى اصبحت تحتمه حالة التسلح الحاضرة ، فى رأى البلاد المشتركة بالاجماع ،لايمكن الوصول اليه الا عن طريق نزع السلاح العام الشامل تحت رقابة دولية حازمة .

١٦ ــ ويبين رؤساء الدول والحكومات أن نزع السلاح الشامل الكامل يجب أن يتضمن الغاء القوات المسلحة والتسلح والقواعد الاجنبية وصناعة الاسلحة كما يتضمن منشئات ومواقع التدريب العسكرى ماعدا تلك التى تستخدم لاغراض الامن الداخلى .

وأن يتضمن ايضا تحريم انتاج وامتلاك واستعمال الاسلحةالنووية، والاسلحة النووية الحرارية تحريما قاطعا وكذلك الاسلحة البكتريولوجية والكيمائية التى تهدف الى استخدام اسلحة الدمار الشامل فىالاراضى الاقليمية .

١٧ ــ تدعو البلاد المشتركة جميع الدول عامة والدول التى تكشف الفضاء الخارجى فى الحاضر ، بوجه الخصوص ، أن تتعهد باستخدام الفضاء الخارجى للاغراض السلمية وحدها ، وتعرب عن أملها فى أن ينشىء المجتمع الدولى عن طريق اجراء جماعى وكالة دولية بقصد تشجيع وتنسيق جهود الانسان فى ميدان التعاون الدولى لاستخدام الفضاء الخارجى لاغراض السلام .

١٨ ــ يحث المشتركون فى المؤتمر الدول الكبرى على أن توقع دون مزيد من الابطاء ، معاهدة لنزع السلاح نزعا شاملا كاملا وذلك لانقاذ البشرية من ويلات الحرب ولتحويل الطاقة المالية التى توزع فى الوقت الحالى على التسلح بحيث تستخدم فى تحقيق التطور السلمى والاقتصادى والاجتماعى للبشرية كلها . كما ترى البلاد المشتركة فى المؤتمر انه :

(أ) ينبغى ان تمثل الشعوب غير المنحازة فى جميع المؤتمرات الدولية المقبلة التى تعقد لبحث موضوع نزع السلاح ·

(ب) ينبغى أن تتم جميع المناقشات التى تدور حول موضوع نزع السلاح تحت رعاية الامم المتحدة .

(ج) ينبغى أن يكون نزع السلاح الشامل الكامل عن طريق نظام فعال بالاشراف والرقابة وان تضم الاطراف القائمة بهذه المهمة عددا من الاعضاء المنتمين الى الامم غير المنحازة .

١٩ - يرى المشتركون فى المؤتمر أنه من الضرورى ابرام اتفاق لتحريم جميع التجارب النووية والنووية الحرارية ولتحقيق هذا الهدف يتعين استئناف المفاوضات فورا اما منفصلة أو كجزء من مفاوضات نزع السلاح والى أن يتم ذلك يجب أن يستأنف وقف جميع التجارب النووية وأن يراعى هذا الاجراء من جانب جميع البلاد ·

٢٠ - توصى البلاد المشتركة فى المؤتمر بعقد اجتماع خاص للجمعية العامة للامم المتحدة فى الدورة القادمة ليتخذ قرارا باجتماع دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة نزع السلاح أو اتخاذ قرار بعقد مؤتمر عالمى لنزع السلاح تحت رعاية الامم المتحدة من أجل وضع مشروع نزع السلاح العام موضع التنفيذ .

٢١ - ترى البلاد المشتركة فى المؤتمر وجوب بذل الجهود لازالة عدم التوازن الاقتصادى الموروث عن الاستعمار والتوسع .

٢٢ - وترى ضرورة سد الثغرات الدائمة الاتساع فى مستوى المعيشة بين الدول المتقدمة اقتصاديا القليلة العدد ، والبلاد الكثيرة التى هى أقل تطورا وذلك عن طريق زيادة التنمية الاقتصادية والصناعية والزراعية .

٢٣ - وتوصى البلاد المشتركة فى المؤتمر أن يتم فورا انشاء وتشغيل صندوق تابع للامم المتحدة .

٢٤ - توافق هذه البلاد على أن تطالب بمنح البلاد التى هى اقل تطورا من الناحية الاقتصادية شروطا عادلة فى التجارة ، كما تطالب بصفة خاصة ببذل جهود بناءة للقضاء على التقلبات الشديدة فى تجارة السلع الاولية وعلى التدابير والاعمال التى تضر بتجارة البلاد حديثة التطور وتؤثر على دخولها .

٢٥ - تطالب هذه البلاد بصفة عامة بتطبيق ثمار الثورة العلمية والفنية فى جميع ميادين التطور الاقتصادى وذلك للاسراع بتحقيق العدالة الاجتماعية الدولية .

٢٦ ــ وتوصى الدول المشتركة فى المؤتمر والتى تعترف بحكومة جمهورية الصين الشعبية بأن تقبل الجمعية العامة فى دورتها القادمة ممثلى حكومة جمهورية الصين الشعبية على انهم الممثلون الشرعيون الوحيدون لهذا البلد فى الامم المتحدة .

٢٧ ــ ترى البلاد المشتركة فى المؤتمر أن المشكلة الالمانية ليست مجرد مشكلة اقليمية وانما يحتمل أن يكون لها اثر حاسم على مجرى تطورات المستقبل فى العلاقات الدولية .

وان البلاد المشتركة وقد ازعجها هذا التطور الذى ادى الى حدة تفاقم الموقف الحالى فيما يتعلق بألمانيا وبرلين تناشد جميع الاطراف المعنية الا تلجأ الى استخدام القوة أو التهديد باستخدام القوة لحل المشكلة الالمانية أو مشكلة برلين ، طبقا للنداء الذى وجهه رؤساء الدول والحكومات فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٦١ .

وقد قرر رؤساء دول وممثلو حكومات البلاد غير المنحازة انه يجب ارسال هذا البيان الى الامم المتحدة وتوجيه انتباه جميع الدول الاعضاء فى هذه المنظمة العالمية اليه وكذلك سيرسل هذا البيان الى جميع الدول الاخرى .

فهرس

الموضوع	الصفحة

هيئة قناة السويس

السفن العابرة لأول مرة خلال شهر أكتوبر ١٩٦٢ : ـ

عبرت القناة خلال شهر أكتوبر عـام ١٩٦٢ لاول مرة ٨٥ سفينة، منها ١٣ ناقلة وتزيد الحمولة الكلية لخمس منها على ٢٠٠٠٠ طن كما هو مبين بالكشف التالى : ـ

اسم السفينة	العلم	الحمولة الكلية (طن)	حمولة البضائع (طن)	اتجاه العبور
مـــــورفن (ناقلة)	انجلترا	٢٦٦٣٦	١٨٠٣٢	جنوب/شمال
برتش هوسار «	انجلترا	٣٢٨٨٨	فارغة	شمال /جنوب
اسو أوروبا «	بنمـــا	٣١٩٠٣	«	« «
فيجـــــا «	فرنسا	٣٢٨٥٨	«	« «
ت٠س٠ بترسن «	ليبيريا	٣٢٦٩٠	«	« «

جنسيات السفن التى عبرت القناة خلال شهر اكتوبر عام ١٩٦٢ :ـ

السفن التى عبرت القناة خلال أكتوبر ١٩٦٢ ترفع أعلام ٣٩ جنسية مختلفة مقـــابل ٣٤ جنسية فى اكتوبر الماضى ٠٠ وكان ترتيب الجنسيات العشر الاولى خلال شهر اكتوبر ١٩٦٢ كالآتى : ـ

انجلترا ـ ليبيريا ـ النرويج ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ اليونان ـ هولندا ـ السويد ـ المانيا ـ بنما .

بينما كان هذا الترتيب في اكتوبر ١٩٦١ كالآتى : ـ

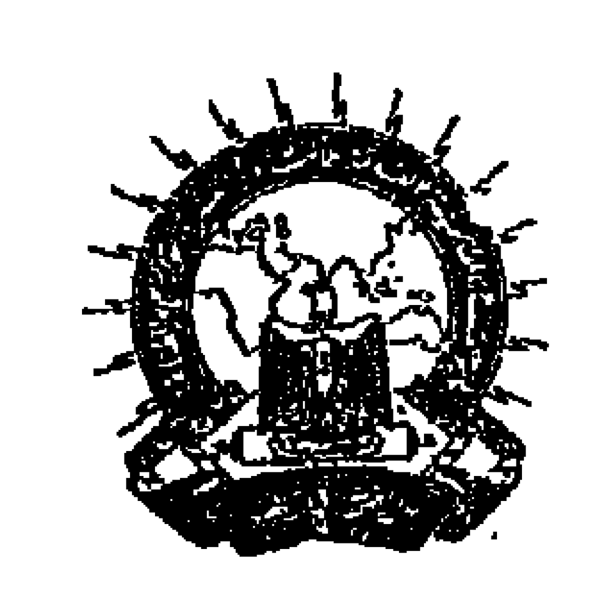
انجلترا ـ النرويج ـ ليبيريا ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ اليونان ـ هولندا ـ بنما ـ المانيا ـ السويد .

وقد زادت الحمولة الصافيـة لجميع الدول العشر الاولى التى عبرت سفنها القناة خلال الشهر الحالى مقارنة بمثيلاتها فى اكتوبر من العام الماضى بالنسب الآتية : ـ

انجلترا ١ر٧٪ ، ليبيريا ٣ر٢٨٪ ، النرويج ٦ر١٤٪ فرنسا ٧ر١١ ٪ ، ايطاليا ٣ر١٧ ٪ ، اليونان ٨ر١٥ ٪ ، هولندا ٤ر١٨ ٪ السويد ٣ر٥٠ ٪ ، المانيا ١ر٢٨ ٪ بنما ٥ر٩ ٪ .

المسافرون على البواخر : ـ

بلغ عدد ركاب البواخر التى عبرت القناة خلال اكتوبر الحالى ١٩١٩٨ مسافرا مقابل ٢٨١٨٣ مسافرا فى اكتوبر الماضى .



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع شبرا - مصر القاهرة

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

مجموعة

إخترنالك

تصدر

أسبوعية باللغات العالمية

يشترك فى تحريرها واعدادها

لجنة اخترنالك



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج

ت : ٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤ / ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢



العدد ١٧٦ الثمن ٢٤ قرشا